تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

تحقيق
الاستاذ المساعد الدكتور
مراد سلون

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلى

الجزء التاسع

الكهف - الحج



دار الميزان

بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-09-9

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي

عيسى يوجل

دار الميزان

MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الاستاذ المساعد الدكتور
مراد سلون

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي – مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

/سورة الكهف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[١] ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[٢]

قوله[2] عز وجل: **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**، تأويل الحمد ههنا وفي أمثاله -والله[3] أعلم- أي حقُّ الحمدِ للذي منه وصلتْ إلى كل أحد نعمةٌ، أي إنها وإن وصلت على أيدي من وصلت إلى كل من وصلت فإن حقّ الحمدِ والثناء له في تلك النعمة، وإن حُمِد مَن دونه؛ إذ منه ذلك لا من الذي وصلت على يده[4] كالمستعمَل له،[5] فحقُّ الحمدِ والثناءِ له، لا مَن[6] دونه. أو أن يكون قوله: **الحمد لله**، أي قولوا: له الحمد والثناء، لأنه في جميع ما ذكر الحمدَ له[7] ألْحَقَ به شيئا: إما[8] قدرته وسلطانه، وإما نعمه[9] التي أنعم على الخلق؛ كقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[10] الآية، و اَلْحَمْدُ[11] لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[12] الآية،

---

[1] ن :قال أهل التأويل سورة الكهف مكية؛ ع + وهي مكية؛ م + مكية.

[2] ر: و قوله.

[3] ن: الله.

[4] ع: يديه.

[5] ر ع + وان الذي وصلت على يديه.

[6] ن: لمن.

[7] ن: لله.

[8] م: ما.

[9] ن ع: نعمته.

[10] ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (سورة الأنعام، ١/٦).

[11] ع – و.

[12] ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ (سورة فاطر، ٣٥/١).

و[1] **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**، ونحوه، وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا.[2] ما ذكر الحمد لنفسه والثناءَ إلا ذكر على إثره إما قدرته[3] وسلطانه وإما نعمه. فما كان المذكور على إثره النعمةَ فهو يستأدى[4] به شكره وحمده، وإنْ كان الملحق به [هو] القدرةَ والسلطانَ فيخرج القول منه مخرج الأمر بالتعظيم له والهيبة والإجلال. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[5] **أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**، أي لم يجعله عوجا. ويجوز زيادة اللام في مثله، كقوله: رَدِفَ لَكُمْ،[6] أي ردِفكم،[7] هذا جائز في اللغة. ثم قوله: **أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**[8] هو[9] يخرج على وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، على ما قاله أهل التأويل، أي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له[10] عوجا. والثاني على زيادة "بل"، كأنه قال: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، بل جعله قيما. على أحد هذين الوجهين يخرج [المعنى]. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **ولم يجعل له عوجا، قَيِّما**، إذا لم يكن عوجا كان قيما، وإذا كان قيما كان غير عوج؛ في كل واحد من الحرفين معنى الآخر،[11] إلا أن من عادة العرب تكرار الكلام وإعادتَه على التأكيد، كقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ؛[12] وإذا كن مسافحاتٍ لم يكنّ محصَنات؛ حرفان مؤديان[13] معنى واحدا، إلا أنه كرر لما ذكرنا من عادة العرب التكرارُ. وكذلك ما ذكر:

---

[1] ع – و.

[2] ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذُل وكَبِّره تكبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١١).

[3] ر ع م: ما قدرته.

[4] ن ع م: يتأدى.

[5] ر ن – عز وجل.

[6] ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٧٢).

[7] ر ع م: وردفكم.

[8] ر ع م + أي لم يجعله عوجا.

[9] ر ع م: وهو.

[10] ر ع م: ولم يجعله.

[11] ن: لآخر.

[12] ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (سورة النساء، ٤/٢٥).

[13] ن: يؤديان.

لينذر بأسا شديدا، البأس هو[1] الشديد[2] والشديد هو البأس، هما واحد، فعلى ذلك الأول.

ثم اختلف في قوله **قيما**، قال بعضهم: القيّم هو الشاهد، أي[3] القيم على الكتب المتقدمة والشاهد عليها في الزيادة والنقصان، وفي التغيير[4] والتحريف؛ يبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرّفوه وما غيّروه، كقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[5] الآية، وقوله: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ / عَنْ مَوَاضِعِهِ،[6] وقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا،[7] الآية. كانوا يحرفون[8] نظْمه ورَصْفه. ومنهم [٤٤٥و] من كان يحرف أحكامه وشرائعه؛ فهذا القرآن شاهد وقيّم[9] في بيان ما فعلوا.

وقال بعضهم: قوله **قيما**، أي ثابتا قائما[10] أبدا، لا يُبدل ولا يُغير ولا يُنسخ ولا يُزاد[11] ولا ينقص، وهو على ما وصفه: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ،[12] الآية. وهو على ما وَصف الحقَّ بالثبات والقيام والباطلَ بالذهاب والتلاشي، كقوله: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ،[13] الآية؛ وما وصف الكلمةَ الطيبة بالثبات والقيام لها والخبيثةَ بالزوال والتغير[14] والذهاب،[15] فعلى ذلك هذا القرآن لأنه حق.

---

[1] ن – هو.

[2] م: التشديد.

[3] م – أي.

[4] ن: وفي التعيين؛ م: في التغيير.

[5] ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (سورة البقرة، ٧٩/٢).

[6] ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسْمَع وَرَاعِنَا لَيًّا بألسنتهم وطعنا في الدين﴾ (سورة النساء، ٤٦/٤).

[7] ﴿وإن منهم لفريقا يَلْوُونَ ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ (سورة آل عمران، ٧٨/٣).

[8] ن: يحرفونه.

[9] ن: شاهد قيم.

[10] ن: قديما.

[11] ع: يزداد.

[12] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).

[13] ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (سورة الرعد، ١٧/١٣).

[14] جميع النسخ: والتغيير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦١ظ.

[15] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ٢٤/١٤-٢٦).

وقال بعضهم: **قيما**، أي مستقيما. وتأويل المستقيم: المستوي الموافق، أي يصدّق بعضه بعضا ويوافق أولُه آخره[1] وآخره أولَه، أي لم يخرج مختلفا؛ وهو على ما قال: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛[2] ولو كان من عند غير الله على ما قال أولئك الكفرة لكان خرج مختلفا متناقضا ينقض أولُه آخره وآخره أوّله. فإذ لم يكن دل أنه من عند الله نزل. ولو كان على ما يقول[3] أصحاب[4] العموم والظاهر أيضا، لم يكن قيما ولا مستقيما مستويا[5] بل يخرج مختلفا متناقضا؛ لأنهم يعتقدون على العموم والظاهر ثم يخصون بدليل، فهو مختلف. وأصله[6] قيم بالحجج والبراهين على أيّ تأويل كان. ***وبالله التوفيق***.

وقوله تعالى: **لينذر بأسا شديدا**، أي أنزله على عبده لينذركم بأسا شديدا أي لينذر ببأس[7] شديد. والبأس العذاب. وقوله عز وجل: **من لدنه**، هذا[8] يحتمل وجهين. أحدهما أنزل على عبده الكتاب من لدنه، أي من عنده. والثاني لينذركم الكفارَ بأسا شديدا ينزل من عنده. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات**، فيه دلالة أنه قد يكون من المؤمنين من يستحق[9] اسم الإيمان وإن لم يعملوا الصالحات؛ حيث ذكر المؤمنين ثم ذكر الأعمال الصالحات، خص المؤمنين بعمل الصالحات. لكن البشارة المطلقة إنما تكون[10] للمؤمنين الذين عملوا[11] الصالحات، لأنه لم يذكر البشارة المطلقة في جميع القرآن إلا[12] للمؤمنين الذين عملوا الصالحات. ثم المؤمنون الذين عملوا غير الصالحات في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفي عنهم وإن شاء عذبهم بقدر عملهم الذي كانوا عملوا، وإن شاء قابل سيئاتهم بحسناتهم،

[1] ع: و آخره.
[2] سورة النساء، ٤/٨٢.
[3] ر ع م: يقولون.
[4] ع - أصحاب.
[5] ر ع م - مستويا.
[6] ر: و أصل.
[7] ع: بأس.
[8] ع - هذا.
[9] جميع النسخ: المؤمنون ويستحقون، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٢و.
[10] ع: يكون.
[11] ع: يعملون.
[12] جميع النسخ: لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٢و.

فإن فَضُلتْ حسناتهم على سيئاتهم بدل سيئاتهم حسناتٍ على ما أخبر:[١] فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.[٢] هم في مشيئة الله على ما ذكر، وليست لهم البشارة المطلقة التي للمؤمنين الذين عملوا الصالحات.

وقوله عز وجل: **أن لهم أجرا حسنا**، لا سوء فيه ولا قبح. وقوله **أن لهم أجرا حسنا**، دون قوله: أن لهم أَجْرًا كَرِيمًا،[٣] كَبِيرًا،[٤] في الذكر، لكنه صار مثلَه بقوله:

﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[٣]

ماكثين فيه أبدا، لا يخرجون منه أبدا[٥] وهم مقيمون فيه. ثم يحتمل وجهين. أحدهما **ماكثين فيه**، أي لا تأخذهم سآمة ولا ملالة فيه فيريدون التحول منه إلى غير، على ما يكون في الشاهد أنه يسأم المرء ويَمَلّ من طعام وإن كان رفيعا ويرغب فيما دونه؛ وهو ما قال: خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[٦] والثاني **ماكثين فيه أبدا**، لأن خوف الخروج والزوال عن النعمة يُنَغِّص[٧] النعمة على صاحبها، وهو ما قال: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا،[٨] وقال: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.[٩]

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾[٤] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي يعلمون أنه لم يتخذ ولدا، ولكن يقولون ذلك على العلم منهم كَذِبا و زورا،

---

[١] ر ع: أخبروا.

[٢] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).

[٣] ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ (سورة الأحزاب، ٤٤/٣٣).

[٤] ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٩/١٧).

[٥] م – لا يخرجون منه أبدا.

[٦] سورة الكهف، ١٠٨/١٨.

[٧] ر: ينقض؛ ن ع م: ينقص. والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٦٢و.

[٨] قوله ﴿خالدين فيها أبدا﴾ ورد كثيرا في القرآن الكريم. انظر مثلا: سورة النساء، ٥٧/٤، ١٢٣؛ و سورة التوبة، ١٥٥/٩ و غيرها.

[٩] ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة يونس، ٦٢/١٠).

كقوله: تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ،[1] أي أشرك ما أعلم منه ليس هو بشريك له، وكقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ،[2] أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس على[3] ما يقولون.

والثاني يحتمل قوله: **ما لهم به من علم**، أي عن جهلهم يقولون ما يقولون من الولد والشريك، لا عن علم، تقليدا لآبائهم؛ لأنهم ليسوا بأهل كتاب يعرفون به، ولا كانوا يؤمنون بالرسل، وأسباب العلم [في مثل هذا] هذان:[4] الكتاب والرسل. فما قالوا إنما قالوا عن جهل لا عن علم، وكذلك آباؤهم. فإن كان على هذا ففيه دلالة أن من قال شيئا عن جهل فإنه مؤاخذ به حيث قال: **وينذر الذين قالوا**، الآية.

وقوله عز وجل: **كَبُرَتْ كلمةً تَخرُج من أفواههم**، أي كبرت وعظمت تلك الكلمة التي قالوها على من عرف الله[5] حق المعرفة حتى كادت السماوات والأرض أن تنشق لعِظَم ما قالوا في الله، كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[6] الآية. وقوله: **إن يقولون**، أي ما يقولون[7] **إلا كذبا**.

ثم تكلم أهل الأدب في نصب **كلمةً**، قال بعضهم: انتصب على المصدر، أي كبرت كلمتهم التي قالوها كلمةً، كقوله: وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا.[8] وقال قطرب:[9] هو على الوصف، كما يقال: بئس رجلا ونعم رجلا على الوصف به، وذلك جائز في اللغة، فعلى ذلك هذا.

[1] ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ (سورة المؤمن ٤٠/٤١-٤٢).

[2] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أَتُنَبِّئُون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[3] ع - على.

[4] جميع النسخ: وهذين. والتصحيح مع الزيادة مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٦٢و.

[5] أي افتروا على المسيح عليه السلام بأنه ابن الله.

[6] ﴿تكاد السماوات يَتَفَطَّرنَ منه وَتَنشَقُّ الأرض وَتَخِرُّ الجبال هَدًّا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).

[7] ع م: ما يقولوا.

[8] سورة النساء، ٤/١٦٤.

[9] هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقُطْرُب (ت ٢٠٦هـ/٨٢١م) نحوي عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النَّظَّامية. وهو أول من وضع المثلث في اللغة. و"قطرب" لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دُلَف العجلي. من كتبه: *معاني القرآن*، *والنوادر* -لغة-، *والأزمنة*، *والأضداد*، *وخلق الإنسان*، *وما خالف فيه الأنسان البهيمية الوحوش وصفاتها*، *وغريب الحديث* (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٧/٩٥).

وقال الخليل:[١] إنما انتصب[٢] لأنها نعت لاسمٍ مضمرٍ معرفةٍ، وهو بمنزلة قوله: سَاءَ مَثَلاً.[٣] وإنما كان نعتا لاسم مضمر لأنه قال: **ويـنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا**، فهذا القول هو فرية، فتأويله: كبرت الفرية كلمةً. وقد قيل: كبرت المقالة كلمة، وهو ما ذكرنا. / ***والله أعلم***. [٤٤٥ظ]

وقوله عز وجل: **تخرج من أفواههم**، أي كبرت كلمة[٤] تكلموا بها، أو يقول: كبرت كلمة يتكلمونها.[٥]

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا**، وقال في آية أخرى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.[٦] أخبر أنه فاعل ما ذكر، ولم يقل له افعل أو لا تفعل في هذا. فيشبه أن يكون النهي ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٧] ولهذا قال بعض الناس: إن في قوله: **فلعلك باخع نفسك**، نهيا[٨] عن الحزن عليهم، وعندنا ليس يخرج على النهي، ولكن على التسلي والسلوة.

ثم اختلف في قوله: **إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**، في الأسف. قال بعضهم: الأسف هو النهاية في الغضب، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.[٩] قال أهل التأويل: آسفونا أغضبونا. وقال بعضهم: الأسف هو النهاية في الحزن، كقوله: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[١٠] أي يا حُزْني. ويحتمل أن يكون منه الحزن إشفاقا عليهم أن تَتْلَف أنفسهم في النار بتركهم الإيمان؛ أو كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الإجابة والقول في الله سبحانه على ما قالوا فيه؛ وكلاهما يجوزان إذا كان ذلك لله: كادت نفسه أن تتلف حزنا عليهم [و]إشفاقا منه، أو كادت تتلف غضبا عليهم.

---

[١] هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي. له *كتاب العين* في اللغة، و*معاني الحروف*، و*جملة آلات العرب*، و*تفسير حروف اللغة*، و*كتاب العروض*، و*النقط والشكل*، و*النغم* (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٣١٤/٢).

[٢] ع: انتصبت.

[٣] ﴿ساء مثلا القومُ الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٧/٧).

[٤] ر ع م – كلمة.

[٥] ر ع م: تتكلمونها.

[٦] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

[٧] سورة فاطر، ٨/٣٥.

[٨] جميع النسخ: نهي.

[٩] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

[١٠] ﴿وتولّى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيَضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

وفيه دلالة أنه لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والتلف، ولكن كان يقاتلهم ليسلموا حيث كادت نفسه تتلف إشفاقا عليهم. فلا يحتمل أن يكون يقاتلهم للقتل وفي القتل ترك الشفقة، ولكن كان يقاتلهم ليَضْطرّهم القتالُ إلى الإسلام فيسلموا فلا يَهلِكون.

وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين. أحدهما ما أخبر عن عظم[1] محل الذنوب في قلبه، فلعل ذلك يؤذيه فيلحقهم اللعن، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ،[2] الآية، وفي ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوءه ويؤذيه. والثاني تعليم منه لأمته أن كيف يعامل الكفرة[3] وأهل المناكير منهم، يقاتلون[4] في الظاهر ويضمرون الشفقة لهم في القلب على ما فعل بهم رسول الله وعاملهم.

وقوله: **بهذا الحديث،** سمى القرآن حديثا وهو ما قال: اَللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ،[5] سماه بأسامي: قَصَصا[6] وحديثا[7] وذِكرا[8] وروحا[9] وأمثاله. والنهاية في الحزن والغضب للأنبياء أنفسهم تقوم لهذين. وأما غيرهم من الخلائق فلا يحتمل أنفسهم إلا لأحدهما: إذا كان الحزن ذهب الغضب، وإذا[10] جاء الغضب ذهب الحزن. فالأنبياء هم المخصوصون بهذا.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها،** اختلف فيما أخبر أنه جعل للأرض زينة. قال بعضهم: كل ما على وجه الأرض من النبات والشجر والإنسان وغيره هو زينة لها، **لنبلوهم أيهم أحسن عملا.** فإن كان التأويل على هذا، فيكون قوله: وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزًا،[11] القيامة؛

---

[1] ر ع م: عظيم.

[2] ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣).

[3] ر ع م: كفرة.

[4] أي المسلمون.

[5] ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مَثَانِيَ﴾ (سورة الزمر، ٢٣/٣٩).

[6] سورة يوسف، ٣/١٢.

[7] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.

[8] قد ورد لفظ الذكر بمعنى القرآن في كثير من الآي، مثل قوله تعالى ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ٥٨/٣). انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «الذكر».

[9] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[10] ر ع + كان.

[11] الآية التالية.

يعني جميع ما على وجه الأرض فتبقى قَاعًا[1] صَفْصَفًا،[2] وذلك إخبار عن القيامة. وقال بعضهم: **زينةً لها**، هو النبات التي عليها، وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم، بما جعل لهم من الأرزاق بالأمر والنهي والعبادات وغيره، لم يجعل[3] ذلك النبات عليها وتلك الأرزاق مجانا، ولكن ليختبرهم ويبتليهم بأنواع الامتحان. فإذا كان كذلك[4] ففيه دلالة أنْ ليس لأحد أن يتناول مما عليها إلا بإذن، ولا يُقْدم على شيء منها إلا بأمر من أربابها. وقال أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان: **زينة لها**، [أي] لأهلها[5] جعل ذلك ليبلوهم. ذكر ههنا أنه جعل ما على الأرض[6] ليبلوهم أيهم أحسن عملا. وقال في آية أخرى: اَلَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.[7] ومن[8] الناس من يجمع بين الآيتين فيقول: جعل الحياة للابتلاء والموت للجزاء، فيستدل على ذلك بقوله: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**، أخبر أنه يبلوهم بالزينة والحياة لا بالضيق والموات. ومنهم من يقول: امتحنهم بهما جميعا: بالحياة ليتزودوا فيها لما بعد الموت كما يُتزوّد في حال السعة والرخاء لحال[9] الضيق والشدة؛ فمن لم يتزود في حال السعة فلا زاد له في حال الضيق. فعلى ذلك من[10] لم يتزود في الحياة فلا زاد له بعد الموت.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**، أي نبتليهم ونختبرهم أيضا بذهاب النبات[11] والأنزال. وتأويله أن يبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة، كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[12] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[13] الآية،

---

[1] ر: عاقا.

[2] يشير إلى قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفُها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦).

[3] ن + لهم.

[4] ر: ذلك.

[5] جميع النسخ: أهلها.

[6] ع + زينة لها.

[7] ع – وقال في آية أخرى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. سورة الملك، ٦٧/٢.

[8] ر ع: ثم من.

[9] ر ع م: حال.

[10] ع – من.

[11] ع: بذها النبات.

[12] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.

[13] ﴿ولنبلُوَنّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).

وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[1] ونحوه. فعلى ذلك قوله: **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا،** -والله أعلم- أي نبتليهم بالسعة والرخاء والضيق والشدة.

وقال القتبي: **باخع نفسك،** أي مهلك نفسك.[2] وقال أبو عوسجة: **باخع،** بخع نفسه، أي أخرجها. وقالا جميعا: الأسف الحزن. وقال غيرهما: الأسف الغضب أيضا، دليله قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[3] أي أغضبونا. وقال القتبي: الصعيد، المستوى؛ ويقال: وجه الأرض. ومنه قيل للتراب صعيد،[4] لأنه وجه الأرض. والجرز: الأرض[5] التي لا تُنبت شيئا؛ يقال: أرض جرز وأرَضون أجراز. وكذلك قال أبو عوسجة: والجرز: [الأرض] التي لا تنبت فيها، والصعيد التراب.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[٩]

[٤٤٦و] وقوله عز وجل: / **أم حسبت،** قيل أحسبت، وقيل: قد حسبت. ويحتمل[6] **أم**[7] بمعنى بل حسبت، كقوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى،[8] أي بل يقولون. فعلى ذلك قوله: **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.** وقد ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله يكون على الإيجاب والإلزام. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر: إحْسَب واعلم أن أصحاب[9] الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، أو ما ذكرنا: بل حسبتَ، وهو كذلك. أو يقول: لا تحسبنّ أن أصحاب الكهف والرقيم [كانوا] من آياتنا عجبا ليس أعجب منها، بل أتاك آيات أعجب منها بكثير. *والله أعلم.*

ثم اختلف في الرقيم. قال بعضهم: الرقيم الكتاب، كقوله: كِتَابٌ مَرْقُومٌ،[10] أي مكتوب. وقال بعضهم: الرقيم الوادي الذي فيه كهفهم. وقيل: الرقيم اللوح الذي كتب فيه أسامي الفتية.

---

[1] ﴿وبَلَوْناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[2] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٨.
[3] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.
[4] ر: صعيدا.
[5] ع – والجرز الأرض.
[6] ع – ويحتمل.
[7] ر ع م – أم.
[8] ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا﴾ (سورة الشورى، ٢٤/٤٢).
[9] ر ع: أبناء؛ ن: أنباء أصحاب.
[10] سورة المطففين، ٩/٨٣، ٢٠.

وقيل: الرقيم القرية التي خرجت الفتية منها؛ وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "ما أدري ما الرقيم، لكني سألت كعبا عنها فزعم أنها القرية التي خرجوا منها."[١] وقيل: الرقيم الكلب الذي كان معهم. قالوا أمثال ما ذكرنا؛ وليس بنا إلى معرفة الكهف والرقيم حاجة، إنما ذلك بلسانهم و لم يسألوا عن الكهف والرقيم، وإنما سألوا عن أصحاب الكهف والرقيم؛ فما ينبغي لهم أن يشتغلوا به.

ثم ما قال عامة[٢] أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قصة أصحاب الكهف والرقيم وأنبائهم، فقال: «أخبركم غدا» ولم يستثن، فعاتبه الله فيه أن حبس عنه الوحي كذا وكذا يوما فنزل:[٣] وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[٤] لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم محال، لأنه كذب لا يجوز أن يكون رسول الله يقول: أخبركم غدا، والله لم يأمره[٥] بذلك. أو أن [يكون] قال[٦] ولم يستثن، فيحبس الله الوحي عنه ولا يخبرهم في الوقت الذي قال إنه يخبرهم،[٧] فيظهر كذبه عندهم بعد ما اختاره لرسالته واصطفاه لموضع وحيه، ثم يكذّبه فيما أخبر. هذا فاسد محال، غير محتمِلٍ ما توهموا به على الله وعلى رسوله. قد كان من كفار مكة السعيُ في منع رسول الله عن تبليغ الرسالة إلى الناس، والحيلولةُ عن الدعاء إلى ما أُمر أن يدعوهم، واستقبالُ حججه وبراهينه بشبَهٍ[٨] عارضوها ليُلبِسوا على الناس حججَه وآياتِه التي أقامها. فأبى الله ذلك عليهم وأعجزهم عن الاستقبال[٩] بتمويهاتهم.[١٠] فكيف أظهر عليه الكذب بمنع الوحي عنه حتى يعجز عن الإخبار بما وعدهم في الوقت الذي وعدهم.[١١]

---

[١] انظر: *تفسير الطبري* ١٣١/١٥؛ و *تفسير ابن كثير*، ٧٣/٣. إلا أن هناك روايات مختلفة عن ابن عباس. و الطبري يقول: وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به لوح أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب (*نفس المصدر*، ١٣١/١٥-١٣٢).

[٢] ر ع م – عامة.

[٣] انظر مثلا: *تفسير الطبري*، ١٢٧/١٥، ١٥١؛ و *تفسير ابن كثير*، ٧١/٣.

[٤] سورة الكهف، ٢٣/١٨-٢٤.

[٥] ع: لم يأمر.

[٦] ر ع م: أو قال.

[٧] ع – في الوقت الذي قال إنه يخبرهم.

[٨] ن: لشبهة.

[٩] ر ع م – بشبه عارضوها ليلبسوا على الناس حججه وآياته التي أقامها فأبى الله ذلك عليهم وأعجزهم عن الاستقبال.

[١٠] ن: بتمويها تهمة.

[١١] جميع النسخ – فكيف أظهر عليه الكذب بمنع الوحي عنه حتى يعجز عن الإخبار بما وعدهم في الوقت الذي وعدهم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٢ظ.

وقد ذكر في غير قصة وخبر أنهم سألوا اليهود عنه[1] وعن نعته: هل تجدون نعته في كتبكم؟ إذ لم يكونوا[2] أهل كتاب يعلمون ذلك، فاحتاجوا إلى من يعلمهم ويخبرهم عنه، فسألوا يهود المدينة عنه وعن خبره. فقالوا: نجد نعته في كتابنا كما تقولون، فهذا وقت خروجه وأوانه. فقالوا لهم: حدثونا بشيء نسأله لا يعلمه إلا نبي. فقالوا: سلوه[3] عن ثلاث خصال، فإن أجابهن فهو نبي، وإلا فهو كذاب؛ سلوه[4] عن أصحاب الكهف وسلوه[5] عن ذي القرنين، فإنه[6] كان ملكا وكان من أمره كذا وكذا، وسلوه[7] عن الروح، فإن أخبركم فهو نبي وإن لم يخبركم فهو كذاب. فسألوه فأخبرهم عن ذلك. وفي بعض القصة: سلوه[8] عن الروح، فإن أخبركم عنه فهو ليس بنبي وإن لم يخبركم ولكنه وكل أمره إلى الله فهو نبي.[9]

ثم قوله: **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**، يحتمل أن يكون الخطاب به[10] لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره، على ما خاطبه في غير آي من القرآن والمراد به غيره. ويحتمل أن يكون[11] الخطاب له والمراد هو. فان كان[12] هو المخاطب بهذا فإنه يحتمل قوله: **أم حسبت**، إلى آخره وجهين. أحدهما يقول: قد حسبت أن أنباءهم وأخبارهم كانت من آياتنا لرسالتك ونبوتك عجبا. فيكون الحساب على هذا التأويل في موضع العلم واليقين، كأنه قال: قد علمت أن أنباء أصحاب الكهف وأخبارهم آية عجيبة لرسالتك.

والثاني إخبار عن أحوالهم وتقلبهم من حال إلى حال. فإن كان على هذا فيكون الحُسبان في موضع الحِسبان،[13] كأنه قال: قد حسبت أن أحوالهم وتقلبهم كان من آياتنا عجبا.

---

[1] أي عن النبي المنتظر.
[2] ر ع م: لم تكونوا.
[3] ر: سألوه.
[4] ر ع م: سألوه.
[5] ر ع م: سألوه.
[6] ع: فإن.
[7] ر ع م: سألوه.
[8] ر م: سألوه؛ ع: سألوا.
[9] انظر لمثل هذه الروايات: *تفسير ابن كثير*، ٣/٧١.
[10] جميع النسخ + وإن كان.
[11] ر ع م − يكون.
[12] جميع النسخ: وإن كان.
[13] حسَب الشيءَ يحْسُبُه، بالضم، حَسْبا وحِسابًا وحِسابةً وحُسْبانًا: عدّه وأحصاه. و حَسِب يَحسَب حِسبانا: ظنه (انظر: *المعجم الوسيط*، «حسب»؛ قارن: *لسان العرب*، «حسب»).

هذا إذا كان الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما إذا كان الخطاب به غيره فإنه يكون[1] على الحِسبان والظن وغيره. **والله أعلم**.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إذ أوى الفتية إلى الكهف**، أي انضم. قال بعضهم: الكهف الغار في الجبل. وقيل الفضاء، وقيل الملجأ. ولكن قد ذكرنا أنا لا ندري ما الكهف وما الرقيم، ذلك بلسانهم، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. واسم[2] الفتية اسم الأحداث[3] منهم والشبّان لا[4] اسم المشيخة، ثم يكون المماليك والخدم ويكون الأحرار. **والله أعلم**.

وقوله: **فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**، قال الحسن:[5] **آتنا من لدنك رحمة**، أي جنة، **وهيئ لنا من أمرنا رشدا**، أي يسيرا. وهو ما ذكرنا في قوله: يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا.[6] فهذا[7] ليس بدعاء، إنما هو تلقين وإلهام منه إياهم، فيكون تفسيرا للأول. وقال بعضهم: قوله: **آتنا من لدنك رحمة**، أي رزقا، لأنهم كانوا يفارقون قومهم لكفرهم لِيَسلم لهم دينهم الذي هم عليه وهو الإسلام.[8] وقد عرفوا أنه يسع مفارقة الناس طلبا لسلامة الدين ولكن لم يعرفوا أنه يسع[9] قوتهم[10] وما به قوام أنفسهم إلى مكان خال عن ذلك، فسألوا ربهم / الرزق إشفاقا على أنفسهم، بقوله:[11] **آتنا من لدنك رحمة**، أي رزقا، [٤٤٦ظ]

---

[1] ر ع م: يجوز.
[2] ر ع م: وهم.
[3] ن: لأحداث.
[4] ع - لا.
[5] هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (٢١-١١٠هـ/٦٤٢-٧٢٨م) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُسّاك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد وَالي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الوُلاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلِم من أذاه. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة. توفي بالبصرة (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢/٢٢٦).
[6] سورة الكهف، ١٦/١٨.
[7] أي هذا القول الأخير لله تعالى.
[8] ن: الإعلام.
[9] ر ع م: يسمع.
[10] جميع النسخ: قومهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٣و.
[11] ر ع م: بقولهم.

وهيئ لنا من أمرنا رشدا، أي احمل جميع أمورنا على الصواب والرشد، على ما ذكرنا أنهم عرفوا سعة المفارقة للدين ولكن لم يعرفوا سعة ذلك إذا كان فيه خوف هلاكِ أنفسهم، فسألوا ربهم أن يحمل أمرهم ذلك على الرشد والصواب. ويحتمل **آتنا من لدنك رحمة**، نعمة وسعة، **وهيئ لنا من أمرنا**، أي أمر ديننا[1] صوابا. يقول: **آتنا من لدنك رحمة**، دينا **وهيئ لنا من أمرنا** [رشدا].

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا**، الضرب على الآذان هو المحو، محو الأسماع. ويقال: اضرب على حيث[2] كذا، أي[3] امْحُه. ثم يحتمل محوُ الأسماع وجهين. أحدهما محو الأرواح التي بها تحيا الأنفس، فيكون كناية عن الموت؛ أو يكون محوَ أرواح الأسماعِ التي تسمع،[4] لا الموت. فلما قال في آية أخرى: وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ،[5] دل أنه إنما أراد محو أرواح الأسماع لا محو الأرواح التي بها حياة الأنفس، وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ، الآية.[6]

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ثم بعثناهم**، من رقودهم، **لنعلم أي الحزبين**، أي لنعلم ما قد علمناه غائبا شاهدا، إذ[7] كان عالما بما يكون منهم. وتأويله ما ذكرنا: ليعلم[8] الخلقَ شاهدا كما علمه غائبا؛[9] أو ليعلم المخطئَ منهم من المصيب، إذ محال وصفُه بالعلم بالمخطئ ولا مخطئَ ثمة،[10] وبالمصيب ولا مصيبَ[11] ثمة. فإذا كان كذلك فيكون قوله: ليعلم المخطئ من المصيب والمصيبَ من المخطئ إذا كان. وأصله أنه يعلم كائنا على ما علم أنه يكون.

---

[1] ر ع م: من أمر ديننا.
[2] ن: حديث.
[3] ر ع م - أي.
[4] جميع النسخ: يسمع.
[5] سورة الكهف، ١٨/١٨.
[6] ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقْضَى أجل مُسَمًّى﴾ (سورة الأنعام، ٦/٦٠).
[7] ن ع م: إذا.
[8] ن: لنعلم.
[9] جميع النسخ: كما علم هو غائبا. "وتأويله ما ذكرنا، أي لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا شاهدا ما علمناه غائبا" (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦٣و).
[10] ر ع م: ثم.
[11] ع: ولا بالمصيب.

وقوله عز وجل: **أحصى لما لبثوا أمدا**، يحتمل **لنعلم أي الحزبين أحصى**، للسبب الذي لبثوا فيه، والثاني: أحصى للمدة التي لبثوا فيها. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في قوله: **أي الحزبين**.[١] قال بعضهم: مشركيهم ومؤمنيهم. ومنهم[٢] من قال: الملك والفتية. وقال بعضهم: هم اختلفوا في مكثهم إذا[٣] بُعثوا. قال بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم.[٤] ولسنا[٥] ندري مَنْ أيّ الحزبين، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، سوى أنا ذكرنا قول أهل التأويل.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[١٣] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **نحن نقص عليك نبأهم بالحق**، الحق في النبأ الصدق، والحق في الأحكام العدل، وفي الأفعال الصواب. وقال بعضهم: الحق ههنا هو القرآن، فيكون قوله: **بالحق**، أي في الحق، وهو القرآن. أي **نقصّ عليك نبأهم** في القرآن. ***والله أعلم***.

وقوله: **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم**، هذان الحرفان معناهما واحد: الزيادة والربط، كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه: زيادة الهدى؛ أي ثبّتناهم على الهدى. ويجوز أن يقال: هو التثبيت والربط كذلك. ويجوز أن يقال على الابتداء والتجديد،[٦] إذ للإيمان حكم التجدد في كل وقت؛ إذ هو يكون منكِرا جاحدا للكفر في كل وقت فهو مجدد للإيمان[٧] كذلك في كل وقت. فإن شئت حملته على الثبات والزيادة على ما كان، وإن شئت على الابتداء والتجدد. وكذلك قوله: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[٨]

---

[١] ر ع م – أحصى لنسبب الذي لبثوا فيه والثاني أحصى للمدة التي لبثوا فيها والله أعلم ثم اختلف في قوله أي الحزبين.

[٢] ع – ومنهم.

[٣] جميع النسخ: إذ.

[٤] يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٩).

[٥] ر ن ع: ولكن لسنا.

[٦] جميع النسخ: على التحديد والابتداء.

[٧] ن: الإيمان.

[٨] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).

وقال الحسن في قوله: **زدناهم هدى**، أي من حكم الله أن[1] من اهتدى زاده هدى، كقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى.[2] لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان لا يجوز أن يُكفر إذا اهتدي مرة لا يزال يزيد له هدى. فإذا لم يكن دل أنه لا يصح ذلك. والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **إذ قاموا فقالوا ربنا**، يحتمل قوله: **إذ قاموا**، بالحجج والبراهين؛ ويحتمل **إذ قاموا**، بالنهوض إلى الكهف حين انضموا إليه، أو **قاموا** لله ولدينه، أو **قاموا** من عند أولئك الكفرة فقالوا ما ذكر: **ربنا رب السماوات والأرض**، أي قالوا: ربنا هو رب السماوات والأرض ورب ما فيهن.

وقوله عز وجل: **لن ندعوَ من دونه إلها**، يحتمل قوله: **لن ندعو من دونه إلها**، أي لن نسميهم آلهة على ما سَمّى قومهم الأصنام التي عبدوها آلهة.

وقوله عز وجل: **لقد قلنا إذًا شططا**، إذا سميناهم آلهة.

ويحتمل قوله: **لن ندعو**، أي لن نعبد و لن نتخذ من دونه إلها كما يعبد أولئك واتخذوا[3] من دونه آلهة فسموهم آلهة على زعمهم وعلى ما عندهم، كقوله: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[4] وقوله: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا.[5] لا يجوز أن يسمي الأنبياء الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة وهي ليست بآلهة، ولكن قالوا ذلك على زعمهم وعلى ما عندهم؛ فعلى ذلك قوله: **لن ندعو من دونه إلها**، أي لن نعبد. فإن كان على العبادة ففيه إضمار، أي لن نعبد من دونه إلها غير الله كفعل قومنا، ولو فعلنا لقد قلنا شططا، أي جورا وظلما.

[٤٤٦ظ س ٣٦] * قال القُتَبي:[6] **فضربنا على آذانهم**، أي أَنَمْناهم.[7] والأمد هو الغاية. **وربطنا على قلوبهم**، أي ألهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم. وقوله **شَطَطا**، أي غلوّا، يقال: أشَطَّ عليّ إذا غلا في القول.* [٤٤٦ظ س ٣٨]

---

[1] ر ع م: أي.

[2] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ٤٧/١٧). لم أجد في *تفسير الحسن البصري* للدكتور محمد عبد الرحيم، و*تفسير الطبري*، و*تفسير ابن كثير*.

[3] ر ع م – إذا شططا إذا سميناهم آلهة ويحتمل قوله لن ندعو أي لن نعبد و لن نتخذ من دونه إلها كما يعبد أولئك واتخذوا.

[4] ﴿فتولَّوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩٠-٩٣).

[5] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس وإن لك موعدا لن تُخلَفَه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنُحرِّقنَّه ثم لننسِفنَّه في اليَمّ نَسْفا﴾ (سورة طه، ٢٠/٩٧).

[6] القتبي نسبة إلى قتيبة. هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): من أئمة الأدب، ومن المصنفين في ميادين شتى. له مؤلفات في الأدب والتفسير والحديث والسياسة وغيرها من العلوم. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٨٥-٨٦؛ و*اللباب* لابن الأثير، ٣/١٥؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ٢/١٤٣-١٤٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣/٤٢-٤٤.

[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٦ظ/سطر٣٦-٣٨.

﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[١٥]

ثم قالوا ما أخبر عنهم بقوله:[١] **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة**، يعبدونها؛ **لولا يأتون عليهم بسلطان بين**، أي هلّا يأتون على تسميتهم آلهة أو [على] استحقاق العبادة لها بحجة بينة. ثم حرف "هلا" يستعمل في الماضي ويستعمل في المستقبل، فإن كان على الماضي فهو على الإنكار، أي لم يكن. وإن كان على المستقبل فهو على السؤال، أي ائتوا بحجة بينة،[٢] أنها آلهة كما أتوهم أن الله هو الإله الحق وأنه خالق السماوات والأرض ورب ما فيهما.*

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، أي لا أحد أظلم ممن جعل مع الله آلهة. وقد ذكرنا تأويله في غير موضع.[٤]

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله**، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: / وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله؛[٥] فتأويل الآية على القراءة الظاهرة: **وما يعبدون إلا الله**، أي وإذ[٦] اعتزلتموهم والذين يعبدون إلا الله فلا تعتزلوا عبادته؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الله أيضا ويرونه معبودا، فكأنهم قالوا: وإذ اعتزلتموهم والذين يعبدون إلا الله فلا تعتزلوه. وهو كقول إبراهيم عليه السلام لقومه حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، الآية.[٧] استثنى عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدون من دونه؛ إذ كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الله ويرونه معبودا، إلا أن بعضهم لا يرون أنفسهم بلغت مرتبة عبادة الله فيعبدون الأصنام رجاء أن تشفع لهم عنده أو تقرّب عبادتُهم [إياها][٨] إلى الله زلفى وأمثاله. [٤٤٧و]

---

[١] ر ع م – ما أخبر عنهم بقوله.

[٢] ر ع م + أي.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٤٦ظ/سطر ٣٦-٣٨.

[٤] انظر مثلا: تفسير قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ (سورة الأنعام، ٢١/٦).

[٥] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٣٨/١٥.

[٦] ر ع م: و إذ.

[٧] ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا ربَّ العالمين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٧٥-٧٧).

[٨] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٣ظ.

وجائز أن يكون قوله: **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله**، على التقديم والتأخير،[1] أي وإذ اعتزلتموهم فأووا إلى الكهف؛ لأنهم كانوا لا يعبدون إلا الله، يعني أصحاب الكهف. والثاني ما ذكرنا: وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون هم في الحقيقة إلا الله، وإن كانوا في الظاهر يعبدون غير الله. وتأويل قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: وإذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون من دون الله. ويحتمل أن يكون هذا منهم ليس على القول والنطق، ولكن ألقي في قلوبهم وقُذف أنهم إذ فارقوا قومهم وباينوهم[2] وآووا[3] إلى الكهف ينشر[4] لكم ربكم من رحمته.

وقال الحسن: إن في قومهم من قد آمن سواهم، فقالوا: إنكم إذا باينتم وفارقتم فأووا إلى الكهف فلا تبعدوا[5] منهم فلعلهم[6] يلحقونكم ويطلبون لقاءكم فلا تبعدوا[7] منهم.

ويشبه أن يكون قوله: **فأووا إلى الكهف يَنشرْ لكم ربكم من رحمته**، لما عزموا أن يفارقوا قومهم اعترض لهم[8] الشيطان فقال: إنكم تفارقون قومكم إلى مكان وليس معكم شراب ولا طعام[9] فتهلكون أنفسكم. فدفعوا وساوِسَه بقوله: **ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مِرْفَقًا**.

ثم قوله: **ينشر لكم ربكم من رحمته**، قال بعضهم: يخلق لكم ربكم، كقوله: وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا[10] بالراء[11] أي كيف نخلقها. وقال بعضهم: **ينشر لكم**، أي يبسط، والنشر هو البسط. وقوله عز وجل: **من رحمته**، يحتمل الرزق، ويحتمل كل شيء به يدفع الهلاك عن أنفسهم.

---

[1] ع: والتقديم.

[2] ر ع م: وباينوا.

[3] جميع النسخ: ويأوون، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٣ظ.

[4] جميع النسخ: وينشر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٣ظ.

[5] ر ع م: فلا تعبدوا.

[6] ن: ولعلهم.

[7] ر ع م: فلا تعبدوا.

[8] ر ع م: اعترلهم.

[9] ن: وطعام.

[10] ع: ينشرها. ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لَمْ يَتَسَنَّهْ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٩).

[11] قرأ النافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر والشيخ يعقوب "نَنْشُرُها" بالراء المهملة، والباقون بالزاي "نُنْشِزُها" (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پالْوي، ٨٥).

وقوله: **ويُهَيِّئْ لكم من أمركم مِرْفَقا**،[١] أي ما ترتفقون به[٢] وتنتفعون، وهو قول أبي عَوْسَجة. وهو من الرفق. والمَرْفِق أيضا مثله لأنه ينتفع به.[٣] وقال القُتَبي: **مِرْفَقا**، ما يرتفق به.[٤] وقال أبو عبيدة: المِرْفَق ما ارتفقت به، فأما في اليدين فهو مَرفِق.[٥] ***والله أعلم.***

* وقال بعضهم في قوله: **يُهَيِّئْ لكم**، أي يبوئ لكم، كقوله: تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ،[٦] أي تهيئ. |٤٤٧ظ س ٢١ **وهيئ لنا من أمرنا رشدا**، الرشيد الصالح. وقال مقاتل: رَشَدا، أي مخرجا.[٧] **ويُهَيِّئْ لكم من أمركم مرفقا**، قال ابن عباس رضي الله عنه: غداء[٨] تأكلونه؛[٩] وهو ما ذكرنا كل[١٠] ما يرتفق به، ويقال مخرجا.* ٤٤٧ظ س ٢٣]

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم**، قيل: تميل **عن كهفهم ذات اليمين؛ وإذا غربت تَقْرِضُهُمْ ذات الشمال**، قال بعضهم: إن الشمس[١٢] كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها، لأن الكهف كان مستقبل بنات النعش،[١٣] وكل شيء يكون مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس. وقال بعضهم: لا، ولكن كان ثمة حجاب وسِتْر يحجب الشمس عن أن تقع عليهم.

---

[١] قرأ النافع وابن عامر وأبو جعفر "مَرْفِقا" بفتح الميم وكسر الفاء (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پالْوي، ٨٤).

[٢] ع م – به.

[٣] ر ع م – به.

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٤.

[٥] انظر أيضا: *لسان العرب*، «رفق».

[٦] ﴿وإذ غَدَوْتَ من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مَقاعِد للقتال والله سميع عليم﴾ (سورة آل عمران، ١٢١/٣).

[٧] لم ترد هذه العبارة في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٧٦/٢.

[٨] ر ع: غذاء.

[٩] لم ترد هذه الرواية في *تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة*، نشر: عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الرياض بدون تاريخ، ٥٨٤/٢؛ ولا في *صحيفة علي بن أبي طلحة المسمي بتفسير ابن عباس*، نشر: راشد عبد المنعم الرجال، بيروت ١٩٩١، ٣٢٧/١.

[١٠] ع: تأكل.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٧ظ/سطر ٢١-٢٣.

[١٢] ر م – قال بعضهم إن الشمس.

[١٣] هي سبعة كواكب تُشاهَد جهة القطب الشمالي، شبهت بحملة النعش (*المعجم الوسيط* «نعش»؛ قارن: *لسان العرب*، «نعش»).

لكن هذا لا يصح، لأن الله عز وجل جعل لهم ذلك آية من آياته وكرامة من كراماته،[1] فليس فيما لا يقع عليهم الشمس بحجاب أو سترٍ كبيرُ آية ومِنّةٍ، إنما الآية فيما تقع الشمس عليهم ثم يدفع[2] عنهم ضررها وأذاها. فإذا كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فأذاها[3] وضررُها أيضا لا يصيبهم، فليس في ذلك كبير آية وحكمةٍ؛ إذ ليس فيما لا تصيب[4] الشمس ضررا وأذى. ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس وأذاها عنهم مع إصابة الشمس إياهم ووقوعها عليهم. **والله أعلم**.

ثم[5] قوله عز وجل: **تَزَاوَرُ عن كهفهم ذات اليمين**، يمينهم أو يمين القبلة، وكذلك **ذات الشمال**، شمال أولئك أو شمال القبلة؛ فأما يمين الجبل والغار، على ما قال أهل التأويل، فإنه ليس للجبل يمين ولا شمال.

وقوله عز وجل: **وهم في فَجْوَة منه**، قال بعضهم: الفجوة الظل، وقال بعضهم: الفجوة الفضاء، وقال بعضهم: هي سعة المكان. يخبر عز وجل عن لطفه ومنته أنه قد حشرهم إلى غار كانوا يسَعُون فيه حتى يتقلبون فيه؛ والغار الذي يكون في الجبل لا هكذا يكون بل يكون ضيّقا.

وقوله عز وجل: **ذلك من آيات الله**، هذا يردّ قول مَن ينكر جري الآيات على يدي غير الأنبياء، لأنه جعل في أصحاب الكهف عددا من الآيات، كلُّها خارجة عن احتمال وُسعِ الخلق وعادتهم، لمفارقتهم قومهم لسلامة دينهم. أحدها ما أخبر أنه ضرب على آذانهم وأنامهم نوما[6] خارجا عن طبع الخلق وعادتهم وهو ثَلْثَمِائَةِ سنةٍ، ثم بعثهم ليتساءلوا بينهم على ما أخبر عز وجل.

والثاني لم تَبلَ ثيابهم في مثل تلك المدة ومثل المكان ولم تتغير. ألا ترى أنهم قالوا حين بُعثوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.[7] ولو كانت ثيابهم بالية أو متغيرة لم يستقلوا ولا استقصروا كل هذا: يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ. ألا ترى أنهم فزعوا إلى الطعام ولم يفزعوا[8] إلى الثياب، حيث قالوا: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛[9] ولو كان[10] ثيابهم بالية أو متغيرة لكان فزعهم إلى الثياب كهُوَ إلى الطعام وهو أولى.

---

[1] ر: كرامته.
[2] ر ع م: تدفع.
[3] ر م: وأذاها.
[4] جميع النسخ: لا يصيب.
[5] ر ع م: و.
[6] ر م: نوعا.
[7] سورة الكهف، ١٨/١٩.
[8] ع م: ولم يتفزعوا.
[9] سورة الكهف، ١٨/١٩.
[10] ن ع: كانت.

والثالث ما أخبر من تزاور الشمس إذا طلعت ذات اليمين وقرضِها إياهم / ذات الشمال. [٤٤٧ظ]

والرابع دفع الحر والبرد عنهم، إذ من طبعها الإهلاك والفساد إذا اشتد وكثر.

والخامس ما ذكر من تقليبه إياهم ذات اليمين وذات الشمال، وحفظه إياهم عن أن تُفسدهم الأرض وتأكلَهم، إذ من طبع الأرض ذلك عند امتداد الوقت.

والسادس ما ذكر في الآية من الهول والهيبة على من أراد أن يدخل عليهم[١] إذا دخل عليهم واطّلع، حيث قال:[٢] لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا،[٣] خوفا عما ترى فيهم من الأهوال. هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لمن دونه؟

والسابع حفظه إياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطّلع ولم يعثُر عليهم أحد من الخلائق.

والثامن إبقاؤهم أحياء أكثر من ثَلَٰثِمِائَةِ سنةٍ بلا غداء؛[٤] والأنفس لا تبقى بلا غداء[٥] بدون ذلك، وذلك باللطف. وأمثال هذا كثير مما[٦] يكثر عدّها[٧] وإحصاؤها، كله من آيات عظيمة خارجة عن وسع الخلق وعادتهم. فذلك لهم باختيارهم دين الله من بين قومهم ولمفارقتهم إياهم ليسلم لهم دينهم؛ إذ الغلبة فيهم يومئذ الكفر، فأكرمهم الله بذلك بالكرامات التي[٨] ذكرنا. فلا تنكر[٩] أن يعطي الله أحدا من أوليائه قطع مسيرة أيام بيوم أو بساعة أو المشيَ على الماء، ونحوُ ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر.

وقول أهل التأويل: إنهم كانوا كذا والكلب كذا وأساميهم كذا وعددهم كذا ونحوه، فذلك مما لا يعلم إلا بخبر الصدق وقول[١٠] الحق؛ وقد نهى رسولَه أن يستفتي فيهم منهم أحدا، حيث قال: وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا،[١١] وما ذكر[١٢] هؤلاء كله من الاستفتاء الذي نهى رسوله[١٣] عن ذلك.

---

[١] جميع النسخ – على من أراد أن يدخل عليهم؛ ن: صح هـ.
[٢] ر ع م: قالوا.
[٣] سورة الكهف، ١٨/١٨.
[٤] ر ع: غذاء.
[٥] ر ع: غذاء.
[٦] م: ما.
[٧] ع: عددها.
[٨] ع – التي.
[٩] ن: فلا ينكر.
[١٠] ن: و قوله.
[١١] سورة الكهف، ٢٢/١٨.
[١٢] جميع النسخ: وهو ما ذكر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٤و.
[١٣] ر ع م + علمه.

قال أبو عَوْسَجَة: **تَزَاوَرُ**،[1] تميل، وتَزْوَرُّ مثله.[2] **تَقْرِضُهم**، أي تَدَعُهم على شمالها، أي إن الشمس لا تصيبهم طالعةً ولا غاربة عند طلوعها وغروبها. ويقال: قرضتُه: تركتُه، أَقرِضه قَرْضا. ويقال: قرضتُ موضع كذا، أي جاوزتُه وتركتُه خلفي. ويقال: قرضَه: أي قطَعَه بمِقراض. وتزاورَ يتزاور، أي عدل ومال. **وهم في فَجْوة منه**، أي سعة. وفَجَوات جمع. ويحتمل[3] قوله: **ذلك من آيات الله**، أي ذلك النبأ وما ذكر من قصة أصحاب الكهف من آيات قدرة الله، أو من حجج الله على إثبات رسالة رسوله ونبوته، أو من آيات كراماته للفتية ولمن اختار دين الله وآثره على غيره.

وقال بعضهم: **تَزَاوَرُ وتَقْرِضهم** كلاهما واحد، وهو أن تميل عن كهفهم فتَدَعهم ذات اليمين؛ **وإذا غربت تقرضهم**، أي تدعهم ذات الشمال. وقوله **وهم في فجوة منه**، أي زائغة[4] من الكهف. قال أبو معاذ:[5] الزائغة قدر ما يصلح.

*وقوله عز وجل: **من يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**، قد ذكرنا في غير موضع.[6]*

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**، قال بعضهم: لأنهم كانوا مفتَّحة الأعين والأبصار كالأيقظان. وقال بعضهم: **وتحسبهم أيقاظا**، لأنهم كانوا يتقلبون[8] في رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا. وقال بعض أهل التأويل: إنما كان تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ليُدْفَع عنهم أذى الأرض وضررها لئلا يَفسُدوا ولا يتلاشَوْا،

---

[1] ن + أي.
[2] انظر: *لسان العرب*، «زور».
[3] ن: يحتمل.
[4] ن: في زائغة.
[5] الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه *كتاب القراءة*. انظر: *الثقات* لابن حبان، ٩/٥؛ و*تهذيب اللغة* للأزهري، ١/٢؛ و*كشف الظنون*، ٢/١٤٤٩.
[6] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/١٧٨؛ وسورة الإسراء، ١٧/٩٧.
* وقع ما بين النجمتين قبل القطعة الأخيرة فنقلناه إلى ما بعدها.
[8] ر م: ينظرون.

وإن كان الله قادرا أن يدفع عنهم الأذى وضرر الأرض لا بتقليب من جانب إلى جانب، وإنه[١] كان مما يفعل هذا[٢] من لا يملك دفع الأذى بما ذكرنا.[٣] فأما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الأسباب التي بها يدفع، فغير محتمل[٤] وقوعه[٥] على التعليم منه إياهم أنْ كيف يُتقى الأذى وكيف يُدفَع الضرر؛ فإذا لم يكن بمشهد من الخلق فلا معنى له. وقال بعضهم: قوله: **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**، لأنهم كانوا في مكان الرِيبة واللصوصِ مما لا يأوِي إليه إلا هارب من[٦] ريبة وشر أو قاصدُ ريبة وطالب عَثرة ومكابرة، لم يكونوا في مكان يُنام[٧] فيه ويرقد ولا يختار للنوم[٨] مثله، فقال: **وتحسبهم أيقاظا وهم رُقود**، لما كانوا في مكان لا ينام فيه للخوف، كأنهم أيقاظ وهم رقود. ***والله أعلم***. ولكن لا ندري[٩] لأي معنى ذكر أنه يحسب الناظر إليهم كأنهم أيقاظ وهم رقود؛ وإذ لم يبين الله ذلك فلا نفسر.

وقوله[١٠] عز وجل: **ونُقَلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال**، هو ما ذكرنا. قد يتقلبون[١١] في نومهم من جانب إلى جانب وذَكَرَ التقليب. وجائز أن يكون لما ذكر بعضهم من دفع أذى الأرض وضررها، أو ذكر فعله لما له في تقلبهم صنع وفعل. ***والله أعلم***.

وقوله **ذاتَ اليمين وذات الشمال**، إذ[١٢] لا يفهم من ذات الشيء غير ذلك الشيء أو شيء[١٣] أخر سواه، لأنه ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير، فعلى ذلك في قولنا: عالم بذاته لا يفهم غير علمه.[١٤]

---

[١] ر ع م: وان. وإنه: أي هذا التقليب.
[٢] ر ع م – هذا.
[٣] ن: بما ذكر.
[٤] ن + منه ذلك إلا.
[٥] ع – وقوعه؛ ر م: وقوله.
[٦] ن: عن.
[٧] م: يسلم.
[٨] م + فيه.
[٩] ن: يدرى.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر ن م + وقوله قد يتقلبون
[١٢] ن: أن.
[١٣] جميع النسخ: شيئا.
[١٤] جميع النسخ + أي عالم. يقول علاء الدين السمرقندي رحمه الله: «وقوله ﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾ يدل أنه لا يفهم من الذات المضاف إلى الشيء. ألا يرى أنه ذكر ذات اليمين والمراد نفس اليمين، فعلى ذلك في قولنا: عالم بذاته لا يفهم منه إلا العالم. وقول القائل: "عالم" يدل على العلم، فكذلك قولنا: "عالم بذاته" يفهم منه العلم أيضا» (شرح *التأويلات*، نسخة حميدية، ورقة ٤٦٤و-ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٥٢٩و).

وقوله عز وجل: **وكلبهم باسطٌ ذراعَيه بالوَصيد**، قال بعضهم:[1] الوصيد هو فناء الباب؛ وقال بعضهم: الوصيد هو عَتَبة الباب. قال القُتَبي: الوصيد الفناء، ويقال عتبة الباب. وهذا أعجب إليّ، لأنهم يقولون: أوْصِد بابك، أي أغلِقه، ومنها إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ،[2] أي مغلقة.[3] [٤٤٨و] / وأصله أن تُلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته. فإن كان الوصيد هو عتبةَ الباب ففيه أن الكلب كان داخل باب الغار؛ وإن كان الفناءَ ففيه أنه كان خارج باب الغار. وفيه أيضا أبقى الكلب ثلثمائة سنة على ما أبقاهم، وإن لم يكن من جوهرهم، بلطفه.

وقوله عز وجل: **لو اطَّلَعْتَ عليهم لولَّيت منهم فرارا ولمُلِئْت منهم رُعبا**، قال بعض أهل التأويل: وذلك أن شعورهم قد طالت وأظفارهم قد امتدت وعظمت، فكانوا بحال يُرعب عنهم ويهاب. لكن هذا لا يحتمل، لأنهم قالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[4] فلو كانوا على الحال التي ذكروا من تطاول الشعور وامتداد الأظفار وتغير أحوالهم، لم يكونوا ليقولوا لبثنا يوما أو بعض يوم، إذ لو نظروا في أنفسهم من تغير الأحوال لعرفوا أنهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت. دل ذلك أن ذلك الخوف والهيبة لا لذلك. وقال بعضهم: لأنهم كانوا في مكان الرِّيبة فيما لا يُؤوَى إلى مثله إلا لخوف[5] ريبةٍ أو طلب ريبة، لا يأويه إلا هٰذين: هارب من شر أو طالب شر على آخر، على ما ذكرنا أن من أقام في مهاب ومكان مخوف يهاب منه ويُخاف. أو أن يكونوا بحيث يُهابون ويخاف منهم لئلا يدنو[6] منهم أحد ولا يقرب، فلا يوقظهم أحد ليبقوا إلى المدة التي أراد الله أن يبقَوا فيه. ولذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال. وجائز أن يكون قوله: **لو اطَّلَعْتَ عليهم لولَّيت منهم فرارا ولمُلِئْت منهم رُعبا**، ذلك الخوفَ وتلك الهيبة هيبة الدين، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرت بالرُّعب مسيرةَ شهرين»،[7] وذلك لدينه ولحقيقة أمره. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من هيبة أحوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم، وفارقوهم ليسلم دينهم إلى مكان لا طعام فيه ولا شراب. وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين، كان ذلك لمعنى لم يُطلع الله رسوله على ذلك فلا تُفَسَّر. *والله أعلم*.

---

[1] ع – قال بعضهم.
[2] سورة الهمزة، ١٠٤/٨.
[3] ن ر: مطبقة. انتهى هنا الاقتباس من القتبي، انظر: تفسير غريب *القرآن* له، ٢٦٤.
[4] سورة الكهف، ١٨/١٩.
[5] ن: إلا الخوف؛ ر ع م: لا لخوف.
[6] ر ع م: لئلا يدنوا.
[7] «نُصِرت بالرعب مسيرة شهرٍ» (صحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

﴿وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وكذلك بعثناهم**، أي كما أنبأكم[١] من أنبائهم وقِصصهم كذلك بعثهم، أو كما ضرب على آذانهم وأنامهم سنين كذلك يبعثهم. وقوله **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم**، بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل. وهكذا جميع ما يخلق وينشئ إنما يخلق وينشئ لما يعلم أنه يكون منهم، كقوله:[٢] وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا،[٣] الآية. ذرأهم لما علم أنه يكون منهم وهو عمل أهل جهنم. وكذلك قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[٤] من علم أنه يعبده ويعمل[٥] له عمل أهل الجنة خلقه لذلك. هكذا كل ما يخلق، إنما يخلق لما يعلم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أن يخلق لغير ما يعلم أنه يكون منه،[٦] إذ يخرج الفعل لذلك مخرج العجز والجهل[٧] بالعواقب. فإذا كان الله عالما بما كان ويكون وتعالى[٨] عن أن يكون فعله عبثا، لم يجز أن يخلق شيئا لغير ما علم أنه يكون. وهكذا في الشاهد، من عمل عملا أو فعل فعلا لغير ما علم أنه يكون فهو عابث أو جاهل بعواقبه. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**، قال بعضهم: تأويله ما ذكر [في قوله]:[٩] ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا.[١٠] وقوله[١١] عز وجل: **لبثنا يوما أو بعض يوم**، قالوا ذلك لما لم يروا في أنفسهم آثارا وأعلاما تدل على طول المكث والمُقام فيه.

---

[١] ر ع م: أنبأناكم.

[٢] ر م: لقوله؛ ع: بقوله.

[٣] ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).

[٤] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

[٥] ر ع م: ويعلم.

[٦] ر ع م – إذ لا يجوز أن يخلق لغير ما يعلم أنه يكون منه.

[٧] ع: أو الجهل.

[٨] ر ع م: ويتعالى.

[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٤ظ.

[١٠] سورة الكهف، ١٢/١٨.

[١١] ن – و.

ثم لما تذكروا أحوالهم كما[1] يرى النائم في نومه من العجائب وأشياء كثيرة عرفوا أن ذلك القدر من الأشياء ومثل ذلك من العجائب التي رأوا لا يحتمل أن يكون في يوم أو بعض يوم؛ فعند ذلك وَكَلُوا الأمر إلى الله فقالوا: **ربكم أعلم بما لبثتم**. وأما الذي أماته مائة عام، لما بعثه قطع القول في ذلك و لم يكل الأمر إلى الله حيث قال: كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[2] لأنه كان ميتا، والميت لا يرى شيئا و لم يكن في نفسه آثار تدل على ذلك، فقطع القول فيه و لم يكل الأمر إلى الله؛ وأما النائم فإنه يرى في نومه أشياء فيعرف[3] أنه لا يكون في وقت قصير، لذلك وكلوا الأمر إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فابعثوا أحدكم بوَرِقِكم هذه إلى المدينة**، فيه أنهم[4] لما فارقوا قومهم فارقوا[5] ومعهم زاد وهو الوَرِق، أمر بعضهم بعضا أن يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام. وفيه أنه أضاف الورق إليهم، ولا شك أنه كان له[6] فيه نصيب حيث قال:[7] **بورقكم هذه**، وفيه دلالة جواز المناهدة[8] في الأسفار وغيرها، إذ كان ذلك الورق بينهم. وفيه دلالة جواز الوكالة وأنها ليست بمُبْتَدَعَة ولكن كانت في القرون الماضية، وهي متوارَثة.

وقوله عز وجل: **فلينظر أيها أزكى طعاما**، اختلف فيه، قال بعضهم: قوله: **أزكى طعاما**، أي أحل طعاما، لأن بعض أهل تلك المدينة كانوا[9] يذبحون[10] للأصنام وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها؛ فأمروا بأن[11] يأتيهم بحلال يحل لهم أكله والتناول منه. وقال بعضهم: **أزكى**، أرخص وأكثر؛ لأنهم كانوا في مكان لا يدرون متى يخرجون منه، فطلبوا الأكثر لشدة حاجتهم إليه،

---

[1] جميع النسخ: وما.

[2] ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم﴾ (البقرة، ٢/٢٥٩).

[3] ر م: فيعرفه.

[4] ع م: أنه.

[5] ر ع م − قومهم فارقوا.

[6] أي للقائل: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾.

[7] ع − حيث قال.

[8] التناهد: إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه. يقال: تناهدوا وناهدوا و ناهد بعضهم بعضا. والمُخْرَج يقال له: النِّهْد، بالكسر (*لسان العرب*، «نهد»).

[9] ر ع م − كانوا.

[10] ن: يربحون.

[11] ن: أن.

ويكفي لوقت مُقامهم ونحوه. وقال بعضهم: **أزكى طعاما**، أي أطيب وأجود، لأن الطيب أزيد للعقول وأصلح للأنفس وأنفع. ولذلك جعل الله أرزاق البشر ما هو أطيب وألين، لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل / لغيرهم من الدواب كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول يحتاج إلى ما [٤٤٨ظ] يزيد لها فيها. وأصل الزكاء النماء والزيادة.

وقوله عز وجل: **وَلْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعِرَنَّ بكم أحدا**، يحتمل قوله: **وليتلطف**، أي ليرفق بهم لئلا يَشْعُرنّ أنه من أولئك الذين فارقوهم لدينهم، أو أمره بالتلطف أي بالسماحة والسهولة في الشراء لما جاء في الخبر: «رحم الله سَهْلَ البيع سَمْحَ الشراء.»[١] **ولا يُشعرنّ بكم أحدا**، أنه فلان ابن فلان[٢] وأنه من قومٍ كذا فيعرفون أنه من أصحاب الكهف،[٣] أو لا يشعرن بمكانكم أحدا من الناس.[٤]

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم**، يحتمل يقتلوكم أو ما أرادوا به. **أو يعيدوكم في ملتهم**، أي في دينهم الكفر. وقوله عز وجل: **ولن تفلحوا إذا أبدا**، أي ما دمتم في ملتهم ودينهم هذا. كأنهم لم يعرفوا التقية وإلا لو أعطوهم بلسانهم ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد أفلحوا؛ أو عرفوا التقية إلا أنه لم يكن للقرون الماضية التقية و لم يؤذن لهم فيها؛ أو هي رخصة رُخِص لهم والأفضل أن لا يعطى ذلك ولا يظهر. ***والله أعلم.***

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وكذلك أعثرنا عليهم**، اختلف في قوله: **وكذلك**، قال بعضهم: كما أخرج المبعوث بشراء الطعام من الكهف مع الوَرِق المتقدمِ ضربُها، فكان ذلك سبب إعلام أهل المدينة عن الفتية، **كذلك أعثرنا عليهم**، أي أطْلعنا عليهم. وقال بعضهم: كما أعلم[٥] عن أنباء الفتية وأصحاب الكهف وقِصصهم من أولها إلى آخرها، **كذلك أعثرنا عليهم**، أي أطْلعنا عليهم. ***والله أعلم.***

---

[١] سنن *الترمذي*، البيوع ٧٤. والعبارة فيه: «إن الله يحب سهل البيع سمح الشراء.»

[٢] جميع النسخ: فلان بن فلان.

[٣] ر ع م + أو لا يشعرن بمكان بكم أحدا.

[٤] ن - أو لا يشعرن بمكانكم أحدا من الناس.

[٥] ع: علم.

وجائز أن يكون قوله: **وكذلك أعثرنا عليهم**، أي كما ضرب على آذانهم وأنامهم مدة مديدة **كذلك أعثرنا عليهم**[1] ليعلموا أن ما وعد لهم الرسل عن الله حق.

ثم اختلف في إطلاعهم عليهم، قال بعضهم: أطلع الله المَلِكَ الذي هربوا منه وأهل المدينة بعد ما أنامهم، لكن حيل بينهم وبين أولئك. وقال بعضهم: أطلعهم قبل أن يُنيمهم[2] فحيل بينهم وبينهم فسدّوا باب الكهف فبقوا هنالك، ثم أنامهم بعد ذلك علي[3] ما ذكر، فهلك ذلك الملك وانقرض تلك القرون، ثم وُلِّيَ ملك آخر مسلم صالح ثم أَطلع ذلك الملكَ عليهم. وأمثال ذلك[4] قد قالوا، فلا ندري[5] كيف كانت القصة. وفي ظاهر الآية أنه أطلع عليهم بعد ما أنامهم وبعثهم وليس فيه بيان أنه من أطلع عليهم: الملك الأول أو الثاني أو القوم أو غيرَهم؟ ولا يجوز أن يقطع القول فيه[6] أنه فلان، لأن هذه الأنباء ذكر في القرآن حجةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلو قطع القول على شيء أو زيد أو نقص عما كان في كتبهم خرجت من أن يكون حجة له.

وقوله عز وجل: **ليعلموا أن وعد الله حق**، يشبه أن يكون الرسل من قبلُ كانوا يخبرون قومهم أن نفرا يهربون من ملكهم إشفاقا على دينهم ويلتجئون[7] إلى الكهف فينامون كذا كذا سنة ثم يُبعثون، فأكذبهم قومهم بما أخبروا[8] من أنبائهم فقال:[9] **أعثرنا عليهم ليعلموا أن** ما وعد الرسل وأخبروهم من نبإ[10] أصحاب الكهف حق.

والثاني يحتمل أن يكونوا ينكرون البعث والساعة، والرسلُ يخبرون أنهم يُبعثون، فأطلع على أولئك ليعلموا أن البعث والقيامة حق؛ لأن الأعجوبة في إبقاء أنفس[11] أصحاب الكهف في نومهم ثلٰثمائة سنة[12] أو أكثر بلا غذاء يغتذون ولا طعام يطعمون ولا شيء يقوم به الأنفس

---

[1] ر ع م – وأنامهم مدة مديدة كذلك أعثرنا عليهم.
[2] ر ع م: أن ينميهم.
[3] ر ع م – علي.
[4] ن: هذا.
[5] ن: فلا يدري.
[6] ن ع: فيه القول.
[7] ن: ويلحئون.
[8] جميع النسخ: بما أخبروا قومهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٥و.
[9] ع: فقالوا.
[10] ع: أنباء.
[11] ع: النفس.
[12] ر م – سنة.

إن لم تكن أكثر وأعظم من إحياء الموتى وجمع[١] العظام الناخرة البالية لا تكون دونه، لما لم يروا الأنفس تبقي أياما بلا غذاء،[٢] فضلا أن تبقي سنين كثيرة ثلثمائة أو أكثر. فبُعث هؤلاء ليَعلم من أنكر البعث أن[٣] مَن قدر على إبقاء الأنفس مدة مديدة طويلة بلا[٤] غذاء تغتذي لَقادرٌ على إحياء الموتى وبعثهم بعد الموت. أو أن يكون ما ذكرنا بَدءً[٥] أن الرسل السالفة كأنهم أخبروا قومهم عن قصة أصحاب الكهف فكذبوهم فأطلع الله نبأهم وخبرهم ليعلم أولئك أن الذي أخبرهم الرسل حق وصدق. **والله أعلم**.

ثم إن هذه الأنباء والقِصص المتقدمة ذكرت في القرآن حجة لرسول الله ودلالة في إثبات رسالته. فلا يجوز أن يقطع القول في شيء لم يبين فيه و لم يوضح و لم يفسَّر -لما يخاف فيه الكذب على الله- ولا الزيادة فيها والنقصان على ما ذكر فيه؛ لما لعلها تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم فلا يكون له فيها[٦] حجة ولا دلالة.

فإن قيل: كيف علموا أن ما أخبرهم الرسل حق؟ إذ[٧] كانوا لا ينكرون أن وعد الله حق، ولكن يظنون أن ما وعدهم الرسل ويخبرونهم إنما هو اختراع منهم لا وعد من الله وخبر عنه.

قيل: علموا أن ذلك حق بوجوه. أحدها ما رأوا من الدراهم التي كانت في يدي المبعوث بشراء الطعام من الضرب المتقدم؛ وإن كان يجوز أن يكون تلك الدراهم من كنزٍ أصاب ذلك الرجل لا من دراهم أصحاب الكهف. فإذا صدقوا ذلك الرجل فيما أخبر أنها من دراهم أصحاب الكهف[٨] فتصديق الرسل أولى، وخبرُهم أحق أن يصدق.

والثاني: علموا لما رأوا أنه أنامهم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل ضرر وأذى وفساد وأبقاهم من غير طعام ولا شراب، على علم منهم أن الأنفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير، فضلا أن تبقى إلى مثل تلك المدة؛

---

[١] ع: وجميع.
[٢] ن: بلا غداء.
[٣] ر ع م - أن.
[٤] ع - بلا.
[٥] جميع النسخ. بديا.
[٦] م - فيها.
[٧] ن: إذا.
[٨] ع + فإذا صدقوا ذلك الرجل فيما أخبر أنها من دراهم أصحاب الكهف.

فعلموا أن من قدر على حفظ ما ذكرنا وأبقاهم لَقادرٌ على البعث والإحياء ولا يَعجِز عن شيء[1] يريد كونه وأنه[2] فعّال لما يريد.

والثالث: علموا أن ذلك حق لما رأوا أنه أنامهم وقتا طويلا وحفظهم عن جميع الآفات [٤٤٩و] ثم بعثهم وأحياهم، إنه لم يُنِمْهم ولم يبعثهم إلا لعاقبة / تتأمل وحكمة تُقصَد؛ فعلى ذلك إحياء الخلق وإماتتهم ليس إلا لعاقبة تتأمل وحكمة تقصد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إذ يتنازعون بينهم أمرهم**، لسنا ندري فيماذا تنازعوا في أمرهم فيما بينهم. وقوله عز وجل: **فقالوا ابْنُوا عليهم بُنيانا**، أو تنازعوا في السبب الذي به التجئُوا إلى الكهف. ويشبه أن يكون تنازعهم في البناء[3] الذي ذكر في المسجد وغيره. ويحتمل في مدة نومهم، ويحتمل[4] في عددهم ونحوه؛ ولكن لا تقطع[5] القول فيه، إذ وكل أمرَهم[6] إلى الله حيث قال: **ربهم أعلم بهم**.

وقوله عز وجل: **قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَتخذنّ عليهم مسجدا**، ثم قوله: **لَنَتخذنّ عليهم مسجدا**، يحتمل بناء المسجد عليهم إكراما لهم وإعظاما، ليذكروهم في ذلك المكان على قرب منهم، على ما ظهر عندهم من إكرام الله إياهم. أو يتخذون مسجدا لعبادة أنفسهم ليعبدوا الله على قرب منهم لينالوا من بركتهم ونحوه. *والله أعلم*.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**، قال بعضهم: كان عددهم سبعة والثامن الكلب، لأنه ذكر في الثلاث والخمس **رجما بالغيب**، أي قذفا بالغيب وظنا، وقيل: تَرْجَمَةً بالغيب، أي بلا علم؛ ولم يذكر في قوله: **سبعةٌ وثامنهم كلبهم**. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه.[7]

---

[1] ر: لا يعجزه عنه شيء؛ م: لا يعجزه عن شيء.
[2] م: فانه.
[3] ن: في النبأ.
[4] ر ع م – في مدة نومهم و يحتمل.
[5] ن: لا يقطع.
[6] ع: أمر.
[7] ن – رضي الله عنه.

وقال: «أنا من القليل الذين استثناهم الله؛[1] وكانوا سبعة والثامن الكلب».[2] لعل ابن عباس قال: أنا من القليل ظنا واستدلالاً بالذي ذكر. أو كان سماعا من رسول الله ذلك. وقال الحسن وأبو بكر [الأصم][3] وغيرهما: إن الله تعالى قال: **قل ربي أعلم بعدتهم**، ثم استثنى قليلا من عباده. فلا نعلم[4] بأن أولئك القليل من الملائكة أو من البشر أو مَن هم، فلا ندري من هم ولا كم عددهم.[5] وبه نقول نحن؛ وهو ما قال: **فلا تُمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا**. نهى رسوله أن يستفتي منهم أحدا لما يحتمل أن يكون ذلك غير مبيَّن في كتبهم فلا يُطلع رسوله خوف التكذيب.[6]

ثم اختلف في وقتهم. قال بعضهم: كان فيما بين عيسى ومحمد. وقال بعضهم: كان ذلك[7] قبل بعث موسى، وهو قول الحسن وأبي بكر وهؤلاء. وهذا أشبه، لأنهم إنما سألوا عنهم أهل التوراة وهم اليهود، فلا يحتمل أن يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بالإنجيل.

وقول أهل التأويل: كان أساميهم كذا و عددهم كذا، فذلك لا يعلم إلا بخبر ثابت، وقد أخبر أنه أعلم بعدتهم وأنه لم يُطلع على ذلك إلا القليل. وليس بنا إلى معرفة أساميهم وعددهم حاجة،[8] ولو كانت لَتولَّى اللهُ بيان ذلك في الكتب.

وقال القُتَبي: **رجما بالغيب**، أي ظنا بالغيب،[9] أي يقولون بالظن. وقيل: قذفا بالغيب، على غير استيقان، وهما واحد.

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٥٠؛ و *تفسير ابن كثير*، ٣/٧٨.

[3] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م) فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات في الأصول*، و*مناظرات* مع العَلَّاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٣/٥١٩.

[4] ن: فلا يعلم.

[5] لم أجد في *تفسير الحسن البصري* للدكتور محمد عبد الرحيم، و*تفسير الطبري*، و*تفسير ابن كثير*.

[6] «ولهذا لا نقطع القول فيما ذكر وسائر القصص ما لم يثبت بالتواتر ولو ذكر في القرآن، لما لعنها تخرج لما ذكر في كتبهم. وهذه القصص إنما ذكر في القرآن حجة لرسول الله ودلالة على إثبات رسالته فلا يجوز أن نقطع القول في شيء لم يثبت من الكتاب إلا ما ثبت عن الرسول بطريق التواتر، لما يخاف فيه الزيادة والنقصان على ما ذكر فيخرج من أن يكون حجة، بل ينقلب حجة عليه لما ادعوا أن ذلك خلاف ما في كتبهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦٥ظ).

[7] ر ن م: ذلك كان.

[8] ر ع م – كان أساميهم كذا و عددهم كذا فذلك لا يعلم إلا بخبر ثابت و قد أخبر أنه أعلم بعدتهم و أنه لم يطلع على ذلك الا القليل و ليس بنا إلى معرفة أساميهم و عددهم حاجة.

[9] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٦ (يقول: أي ظنا غير يقين).

وقوله عز وجل: **فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا**، إلى قوله: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ،[1] يحتمل الخطاب بهذا كل الناس، ليس أحد أولى به من غير؛ فيخرج ذلك مخرج التعليم لهم في ترك المراء مع الكفرة إلا مراء ظاهرا، وكذلك في ترك الاستفتاء، وكذلك علّمهم وأدّبهم أن لا يَعِدوا عِدة إلا والثُّنيا بها ملحَقٌ.

ويحتمل أيضا أن يكون الخطاب به رسول الله، لكن ليس له أنه قد كان منه ما ذكر من المِراء والاستفتاء والوعد بغير ثُنيا، ولكن خاطب به رسول الله ليتأدب غيرُه من الناس بذلك الأدب. وهو كما[2] خاطبه[3] به بقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[4] ونحوه من الخطابات[5] التي خاطب بها؛ فخاطبه بها لا أن[6] كان منه ذلك أو كان فيه ما ذكر، ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم.

ثم اختلف في[7] قوله: **فلا تُمار فيهم إلا مراء ظاهرا**، قال بعضهم: ذلك في[8] أمر أصحاب الكهف، أي لا تمار فيهم ولا تستفت فيهم منهم إلا قدر ما كان[9] في كتبهم، فإنك لو مَارَيْتَهم بما ليس في كتابهم كذبوك، ولكن قدر ما في كتبهم. هذا إذا[10] كان على المسألة [في أصحاب الكهف]،[11] فإن كان[12] في غير أمر أصحاب الكهف على ابتداء المُحاجّة والحِجاج فهو يحتمل وجهين. أحدهما أي **لا تمار فيهم إلا** بما هو أظهر و[بما][13] يعرفون ذلك ظاهرا، من نحو ما يعرفون أن الأصنام التي عبدوها لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون[14] أنها كذلك.

---

[1] سورة الكهف، ١٨/٢٤.

[2] جميع النسخ: ما خاطبه.

[3] ر ع م: ما خاطب.

[4] ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤).

[5] ر ع م: من الخطاب.

[6] ر ع م: إلا أن.

[7] ن – في.

[8] ع – في.

[9] ر م: إلا قدر مكان.

[10] ر ع م – إذا.

[11] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٥ظ.

[12] ر ن م + على غير المسألة؛ ع – فإن كان.

[13] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٥ظ.

[14] ر ن م: ما.

والثاني لا تحاجهم بلطائف الحكمة ودقائقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الآية لا بما يلطف ويدق، على ما يحاجهم الأنبياءُ بآيات حسيات.

وفي قوله: **ولا تستفت فيهم منهم أحدا**، دلالة أن لا يسع النظر في كتاب الفلاسفة إلا على جهة العَرْض،[1] لما فيها على كتاب الله، فيؤخذ بما يوافقه ويترك الباقي.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[٢٣] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **ولا تقولَنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، لو كان فهم[2] الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله: **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، نهي عن العِدَة بالثُّنيا، فإذ لم يفهم هذا ولكن فهموا: لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقولوا[3] "إن شاء الله"، على إضمار القول، دل أن الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل. ثم نهى أن يعد[4] عدة ولا يستثني فيها. وقاس بعض الناس الأيمان على العدات،[5] فيقول: إذا حلف[6] فإنه يلزمه أن يستثني فيها. وذلك فاسد، لأن الأيمان تخرج[7] على تعظيم الرب وإجلاله، فلا يجوز أن يؤمر بالثنيا فيها، لأن الثنيا نقض ذلك التعظيم. / وكذلك ما روي: «إذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا[8] بآبائكم ولا بالطواغيت».[9] نهي عن الحلف[10] بغير الله لما في الحِلف[11] به تعظيمُ لذلك الشيء. وأما[12] العدة فإنما هي إضافة الفعل إلى نفسه وهو لا يملك حقيقته،[13] [٤٤٩ظ]

[1] ن: المعرض.
[2] ر ع م: فيهم.
[3] ن: إلا أن تقول.
[4] ر ع م – يعد.
[5] ع: في العدات.
[6] ع: حلف.
[7] ر ع م: يخرج.
[8] ع: إذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا.
[9] لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن هناك حديثان في نفس المعنى: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» (سنن *الترمذي*، النذور ٩؛ وسنن *النسائي*، الأيمان ٤)؛ «ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله» (صحيح *البخاري*، مناقب الأنصار ٢٦، التوحيد ١٣؛ وسنن *الترمذي*، النذور ٩).
[10] ع: الخلف.
[11] ع: في الخلف؛ ن: في ما يحلف.
[12] ن: فإنما.
[13] جميع النسخ: حقيقة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٥ظ.

لذلك أمر أن يُلحق الثنيا فيه لئلا يلحقه الخُلف في الوعد إذا لم يفعل ما وعد. وعلى ذلك ذكر عن الأنبياء أنهم إذا وعدوا استثنَوا فيه؛ كقول موسى: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا،[1] الآية. ثم إذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر، ولو كان خَلْفا[2] لعاتبه[3] كما عاتب صاحبُ موسى حيث قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[4] وقد ظهر من الأنبياء والرسل الأيمان والقسم ثم لم يذكر عن أحد منهم الثنيا في ذلك، دل أن الثنيا في العِدَات[5] لازم و في الأيمان لا.

وفي قوله: **ولا تقولَنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**، دلالة أن لا يكونُ شيء إلا بمشيئة الله، حيث ندبه إلى الثُّنيا، ثم إذا خرج على غير ما وعد لم يلحقه الخلف في الوعد؛ دل أنه قد شاء ذلك وأنه إذا لم يشأ شيئا لم يكن؛ لأنه لو كان شيئا لم يشأ هو[6] أو شاء شيئا فلم يكن لم يكن[7] لقوله: **إلا أن يشاء الله** معنى. إذ[8] كان ما لم يشأ هو[9] و لم يكن ما هو شاء دل أنه إن شاء هو[10] كان وما لم يشأ لم يكن. وفيه أنه قد شاء ما ليس بطاعة؛ إذ معلوم أن رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت عداته أبدا بما هو طاعة لله، وقد شاء الله كل طاعة وأرادها وإن لم يقل و لم يُذكر، لقولهم: إن الله قد شاء[11] كل طاعة وخير من العبد، فلو لم يشأ ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم أنه قد شاء ذلك، فدل ثنياه على أنه قد يشاء ما ليس بطاعة إذا علم أنه يختار ذلك؛ وذلك [دليل] على المعتزلة.

فإن قيل: إنما أمر بالثنيا في العِدَة لما لعله سيموت قبل أن يفعل ما وعد أو يذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد.

---

[1] ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾ (سورة الكهف، ٦٩/١٨).

[2] جميع النسخ: خلفا.

[3] ر ع م: لعاقبه.

[4] سورة الكهف، ٦٧/١٨، ٧٢، ٧٥.

[5] ع: العذاب.

[6] أي لو وُجد شيء لم يشأه الله تعالى.

[7] ع – لم يكن.

[8] جميع النسخ: إذا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦و.

[9] أي العبد.

[10] أي الله تعالى.

[11] ر ع م – ما ليس بطاعة إذ معلوم أن رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت عداته أبدا بما هو طاعة لله وقد شاء الله كل طاعة وأرادها وإن لم يقل ولم يذكر لقولهم إن الله قد شاء (والعبارة موجودة في *الشرح*، ورقة ٤٦٦و).

قيل: إن الأوهام لا ترجع إلى ذلك، بل الإمكان مشروط فيه وإن لم يذكر، نحو ما لا يؤمر الإنسان بالطيران لعدم الإمكان، وكذلك جميع من يؤمر وينهى إنما يؤمر وينهى إذا كان الإمكان[١] فيه موجودا فهو كالمشروط وإن لم يذكر، فعلى ذلك في العِدات والأيمان وغيرهما.[٢]

وجائز أن يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي، وهو الأشبه؛ لما لا يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد عدة ولا يذكر الثنيا لما يعرف[٣] أن لا يكون شيء إلا بمشية الله[٤] وإرادته. وأما غير النبي فجائز أن لا يعرف ذلك. لذلك كان غيره أولى به، يخرج ذلك[٥] منه على التعريف لهم والعلم.

وقوله عز وجل: **واذكر ربك إذا نسيت**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: **واذكر ربك إذا نسيت**، أي إذا ذكرته بعد ما نسيت فاذكره، كقوله:[٦] وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[٧] فعلى ذلك هذا.

والثاني **واذكر ربك إذا نسيت**، أي الثنيا في آخر الكلام إذا نسيت في أوله[٨] أعني الثنيا؛ إذ المستحب أن يستثني في أول كلامه على التبرك، كقوله: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ.[٩] استثنوا أولا ثم وعدوا، فهو المستحب. فكأنه قال: **واذكر ربك**[١٠] في آخر كلامك[١١] **إذا نسيت** في أوله، وهو الثنيا. وهذا يرد[١٢] على أصحاب الظاهر؛ لأن ظاهر الكتاب[١٣] أن يخاطبهم بذكره إذا نسوا، ولا يجوز أن يخاطب أحدا في حال نسيانه. فإذ لم يفهم من هذا هذا دل أنه لا يفهم على ما خرج ظاهره، ولكن على ما يصح ويوجب الحكمة. **والله أعلم.**

---

[١] ر ع م - وكذلك جميع من يؤمر وينهى إنما يؤمر وينهى إذا كان الإمكان.

[٢] ر ن م: غيرها.

[٣] ر ع م: لما لا يعرف.

[٤] ن: لمشية الله.

[٥] ر ع م - ذلك.

[٦] ن: كقولك.

[٧] ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٦٨).

[٨] ر ع م: وله.

[٩] ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٠).

[١٠] جميع النسخ + الثنيا.

[١١] ع: في آخر آخر.

[١٢] ع: يراد.

[١٣] ن: الخطاب.

وقوله عز وجل: **وقل عسى أن يهدين ربي لِأَقرب من هذا رشدا**، قال بعضهم: **وقل**[1] **عسى أن يهدين ربي**[2] لآية[3] هي أوضح على دلالة رسالتي وآخذُ مما تسألونني من أمر أصحاب الكهف؛ لأنهم كانوا[4] يسألون عن خبرهم وأمرهم[5] فيستدلون[6] على رسالته وصدقه، فيقول:[7] قد هداني ربي الآية على دلالة رسالتي أوضحَ مما تسألونني وآخذَ للقلوب، إذ كانت له آيات[8] حسيات على رسالته.

وقال الحسن: قوله: **قل عسى**، و"عسى" من الله واجب،[9] أي قد هداني ربي الرشد والصواب. وأما غيره من أهل التأويل يقولون: إنه وعد لأولئك أن يخبرهم غدا عما سألوه[10] وقال: عسى أن يرشدني ربي لأسرع من هذا الميعاد[11] الذي وَعدتُ. ***والله أعلم***.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ولبثوا في كهفهم ثلٰثمائة سنين**، قال بعضهم: هو صلة قول أولئك الذين قالوا: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ،[12] الآية، مع قوله: إنهم لبثوا في كهفهم ما ذكر، فأمره أن يقول لهم: اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا،[13] الآية. وقال بعضهم: هو قول الله أخبر أنهم لبثوا ما ذكر من المدة.

---

[1] جميع النسخ: أن قل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦و.

[2] ن + يعني.

[3] ر ع م: الآية.

[4] ر ع م: قالوا.

[5] ر ع م – وأمرهم.

[6] ن: ليستدلوا.

[7] ر ع م – ويقول.

[8] ع – آيات.

[9] لم أجده عن الحسن ولكن السيوطي يسند قاعدة "عسى من الله واجب" إلى ابن عباس وإلى مجاهد. يقول: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: كل شيء من القرآن عسى فهو واجب، إلا حرفين: حرف التحريم ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٥) وفي بني إسرائيل ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ (الإسراء، ١٧/٨). وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: عسى على نحوين: أحدهما في أمر واجب قوله ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٦٧) وأما الآخر فهو أمر ليس واجب كله قال الله ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ ليس كل ما يكره المؤمن من شيء هو خير له، وليس كل ما أحب هو شر له (*الدر المنثور* للسيوطي، ١/٥٨٧).

[10] ر ع م: عما يسألوه.

[11] ر م: المعاد.

[12] سورة الكهف، ١٨/٢٢.

[13] من الآية التالية.

وازدادوا تسعا، قال بعضهم: تسعَ سنين. لكن ليس فيه بيان أنه أراد تسع سنين أو تسعة أشهر أو تسعةَ أيام، فلا ندري[١] أراد بذلك[٢] ذا أو ذا. فالأمر فيه إلى الله على ما أمر رسوله أن يقول لهم: ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ.

فإن قيل في قوله: **ثلٰثمائة سنين**: هلا[٣] قال ثلٰثمائةِ سنةٍ كما يقال ثلٰثمائةِ رجلٍ وثلٰثمائة درهم ونحوه؟ قال بعض أهل الأدب: إنه[٤] لم يضف ثلٰثمائة إلى سنين ولكنه أراد تمام الكلام لقوله **ثلٰثمائة**، لذلك نوّن فيها. ثم أخبر ما تلك الثلٰثمائة فقال: **سنين** على القطع من أول الكلام.[٥] ***والله أعلم***.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **قل الله أعلم بما لبثوا**، هو ما ذكرنا أنه جعل علم مدة لبثهم في كهفهم إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **له غيب السماوات والأرض**، يحتمل هذا وجوها ثلاثة. أحدها له علم ما غاب من[٦] أهل السماوات وأهل الأرض، كقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.[٧]

والثاني له علم ما غَيَّب وأسرَّ أهلُ السماوات والأرض بعضُهم من بعض.

والثالث له علم غيب / ما شاهَد[٨] أهل السماوات وأهل الأرض، لأن فيما شاهدوا من الأشياء [٤٥٠و] وعاينوها غيبا وسرية لم يعلموه، من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا أنها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذي به صلاح الأشياء ومنافعها، وكذلك القمر. وإنما شاهدوا هذه الأشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذي به صارت نافعة للأشياء ومصلحتها. وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذي به يَسمعون ويُبصرون ويَفهمون. فيقول: له علم ما غاب عنكم من هذه الأشياء التي شاهدتموها. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: فلا يدري.
[٢] ن - بذلك.
[٣] جميع النسخ: إلا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦و.
[٤] ن: لأنه.
[٥] ر ع م: القطع.
[٦] ن ع: عن.
[٧] سورة الأنعام، ٧٣/٦؛ وسورة الحشر، ٢٢/٥٩.
[٨] ن: ما شاء؛ م: شاهد.

وقوله عز وجل: **أبْصِرْ به وأسْمِعْ**، هذا كلام يتكلم [به] على النهاية والغاية والإبلاغ من الوصف، ويقال: أكْرِمْ به من فلان، إذا كان بلغ الكرمُ به غايته. وكذلك يقال: أحسِنْ به من فلان، إذا بلغ[1] في الحسن غايته، ونحوه. فعلى ذلك قوله: **أبْصِرْ به وأسْمِعْ**، هو وصف له على الإبلاغ في العلم[2] أنه يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوا. **أبْصِرْ به** من الأفعال التي يفعلونه،[3] **وأسْمِعْ** به من الأقوال التي يتفوّهون. أي يعلم ما غاب عنهم مما لم يفعلوا ولم يقولوا، فالذي قالوه وفعلوه أحق أن يَعلم. يحذرهم[4] عز وجل عن أفعالهم وأقوالهم. ***والله الموفق.***

قوله: **ما لهم من دونه من ولي**، يحتمل ما لهم من دون الله إلها وربا، ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى هدايتهم وتوفيقهم، أو ما لهم من دونه من يتولى النصر لهم والمعونة، أو يتولى رفع نقمة الله عنهم وعذابه. ***والله أعلم.***[5]

وقوله عز وجل: **ولا يُشرك في حكمه أحدا**، يحتمل لا يشرك في ألوهيته وربوبيته أحدا. ويحتمل **ولا يشرك في حكمه**، أي الحكمُ له ليس لأحد دونه حكم، إنما عليهم طلب حكم الله فيما يحكمون. أو لا يشرك في تقديره وتدبيره الذي يدبر في خلقه أحدا. ويحتمل ولا يشرك[6] في قسمته التي يقسم بين الخلق أحدا. أولا يشرك[7] في حكمه، أي فيما جاءت به الرسل ودعت الخلقَ إليه.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك**، يحتمل **كتاب ربك**، اللوح المحفوظ، أي بلِّغ ما أوحي إليك من اللوح الذي عند الله من مَتْلُوٍّ وغير متلو،[8] كقوله: **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.**[9] وهو جميع ما أنزل إليه من المتلو وغير المتلو. ويحتمل **من كتاب ربك**،

---

[1] ن: إذا كان بلغ.

[2] جميع النسخ: هو وصف له على النهاية كما يقال ما أعلمه و ما أبصره وما أكرمه وما أحسنه في العلم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٦ظ.

[3] ن: يفعلون.

[4] م: يحذر.

[5] ر ع م – قوله ما لهم من دونه من ولي يحتمل ما لهم من دون الله إلها وربا ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى هدايتهم وتوفيقهم أو ما لهم من دونه من يتولى النصر لهم والمعونة أو يتولى رفع نقمة الله عنهم وعذابه والله أعلم.

[6] ن: أحدا أولا يشرك.

[7] ر م: ولا يشرك.

[8] ر ع م – وغير متلو.

[9] ﴿يا أيها الرسول بَلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٧).

الكتاب الذي أنزل عليه وهو القرآن. أي اتل عليهم ذلك الكتاب. فإن كان هذا ففيه أن القرآن مما يتقرب بتلاوته.[١]

ثم في قوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وقوله: **واتل ما أوحي إليك** فريضةٌ ضيّعناها. وذلك أنه أمر رسوله بتبليغ رسالته وما أنزل إليه. ثم معلوم أن من كان في أقصى الدنيا وأبعد أطرافها لم يقدر رسولُه أن يتولى التبليغ بنفسه، وكذلك بعد وفاته لا يجوز أن يؤمر هو[٢] أن يتولى بتبليغه. فكان ذلك القيام يلزم المسلمين وأئمتهم بتبليغه فضيعوا ذلك. ولهذا ما رُخص -والله أعلم- بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة ودخول أولئك دار الإسلام للتجارة أيضا؛ لينتهي إليهم خبر هذا الدين حيث علم أنه يكون أئمة في آخر الزمان[٣] لا يهتمون لدينه ولا يتولون بتبليغ ما أُمروا بتبليغه ويضيّعون أمره فتلزمهم[٤] حجة الله، وإلا ما الحاجة في تلك التجارة والأموال[٥] التي يَتَّجِرون فيها، ولكن ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **لا مبدّل لكلماته**، قال بعضهم: لا مبدل لسنته، إذ سنته في المكذبين الإهلاك وفي المصدقين النجاة، هذا سنته وإن أمكن تعجيلها وتأخيرها. فأما نفس سنته فهي لا تُبدَّل ولا تُحوَّل، كقوله: ولَنْ[٦] تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً و تَحْوِيلاً.[٧]

وقال الحسن[٨] في قوله: **لا مُبَدِّل لكلماته**: ما وعد وأوعد لهم في الدنيا، فذلك في الآخرة لا يُبدل ولا يُحوَّل، إذ وعد للمؤمنين الجنة[٩] وللكافرين العذاب فذلك لا يبدل.[١٠] وقال بعضهم: **لا مبدِّل لكلماته**، وهي القرآن لا يبدل[١١] ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص، كقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.[١٢]

---

[١] ن: به بتلاوته.
[٢] ر م - أن يؤمر هو.
[٣] م: في الزمان.
[٤] ر ع م: فيلزموهم.
[٥] ن: والأحوال.
[٦] ر ع م: ولا؛ و لفظ الآية فلن.
[٧] ﴿ولا يحيق المكر السَّيِّئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٣).
[٨] ن: الحسين.
[٩] ر م: النجاة.
[١٠] لم أجد في *تفسير الحسن البصري* للدكتور محمد عبد الرحيم، و*تفسير الطبري*، و*تفسير ابن كثير*.
[١١] ر ع م: لا يتبدل.
[١٢] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).

وقال بعضهم: **لا مبدِّل لكلماته**، لحججه وبراهينه التي جعل لدينه وأقام له ذلك يلزم للإسلام[1] ودينه إلا من قصر عليه في العبارة أو كان المُقَامُ عليه الحجةُ معاندا مكابرا. وأما من لم يكن فيه[2] هذان المعنيان يُسلم لا محالة.[3] *والله أعلم*.

[٤٥٠ظ س٤] * وقالوا[4] في قوله: **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته**: نزل في أصحاب الكهف؛ يقول: وأخبِرهم ما سألوك عما[5] أوحينا إليك من أخبار أصحاب الكهف ولا تزد[6] عليه ولا تنقص.[7] فإن كان في أمرهم نزل هذا فرسول الله كان لا يخبرهم إلا ما أوحي إليه وأنزل عليه من أمرهم، والوجه فيه ما ذكر.[8] *والله أعلم*.* [٤٥٠ظ س٧]

وقوله عز وجل: **ولن تجد من دونه مُلْتَحَدا**، هذا الخطاب وإن كان في الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه لغيره[10] على ما ذكرنا في غير آي من القرآن. وقوله: **ملتحدا**، قال بعضهم: مُدَّخَلا؛ ولذلك سمي اللحد لحدا لما يُدخل فيه. وقال بعضهم: ملجأ. *والله أعلم*.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٢٨]

وقوله: **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشي مع الذين يدعون ربهم؛ فيكون فيه الأمرُ بالجلوس لهم بالغدوات والعشيّات للتذكير وتعليم العلم، على ما تعارف الناس الجلوس للناس لذلك في هذين الوقتين. إذ ذلك الوقتان خاليان عن الأشغال التي تَشغلهم عن ذلك. أو أن يكون[11] الغداة والعشي لما لم يجعل عليهم

---

[1] ر ع م: الإسلام.
[2] ر ع م – فيه.
[3] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: لا مبدل لكلماته، لحججه وبراهينه التي جعلها لدينه ومن قام بها على كافر جاهل فإنه يظهر الحق له إلا لقصور في العبارة عنه أو كان المقام عليه الحجة مكابرا معاندا، فأما بدون هذين المعنيين يظهر الحق للسامع حتى يسلم لا محالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦٦ ظ).
[4] ع: وقال. أي أهل التأويل.
[5] ر ن ع: مما؛ م: ما.
[6] ر ع م: ولا يزيد.
[7] ع: ولا ينقص.
[8] ن: ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٠ظ/سطر ٤–٧.
[10] ر ع م – لغيره.
[11] ر ع م – أو أن يكون.

بعد صلاة الغداة صلاة وكذلك بعد العصر، للذكر الذي ذكرنا وتعليم ما يحتاجونه في ليلهم ونهارهم. أو أن يكون ذلك كناية عن صلاة الفجر والعصر لما جاء لهما من فضلٍ وعيدٍ لم يجئ في غيرهما من الصلوات،[١] نحو ما ذكر وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا؛[٢] وما روي في العصر من الوعيد: «من فاته العصر فكأنما وَتَر أهله ومالَه.»[٣] ونحوه.[٤] أمر / بصبر نفسه [٤٥٠ظ] على حفظ هذين لما ذكرنا مع من[٥] ذكر.[٦] أو أن يكون لا على إرادة غداة أو عشي ولكن بالكون مع أتباعه في كل وقت والصبر معهم.

وقال أهل التأويل: ذكر هذا لأن[٧] رؤساء كفار مكة سألوه أن يَطْرد أتباعه من[٨] عنده ويتخذ لهم مجلسا، فنزل قوله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[٩] الآية، وقوله عز وجل: **واصبر نفسك**، الآية.*

وقوله عز وجل: **ولا تَعْدُ عيناك عنهم**، قيل لا تتعدَّ عنهم إلى غيرهم. وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم ولا تجاوزهم[١١] إلى غيرهم، **تريد زينة الحياة الدنيا**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما إن كان على تأويل أهل التأويل أنهم سألوه أن يتخذ لهم[١٢] مجلسا دون أولئك فيكون تأويل قوله: **تريد زينة الحياة الدنيا**، أي تريد أولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حِدَة يريدون بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله.

---

[١] ع: من الصلاة.

[٢] ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٨).

[٣] سنن *الدارمي*، الصلاة ٢١؛ وسنن *النسائي*، الصلاة ١٧. وفي رواية: «الذي تفوته العصر فكأنما...» انظر: *صحيح البخاري*، المواقيت ١٤؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٢٠٠؛ وسنن *الترمذي*، المواقيت ١٤. وَتَر حقَّه: نقصه إياه... وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»، أي نقص أهله وماله وبقي فردا (*لسان العرب*، «وتر»). و فيه شرح آخر.

[٤] ر ع م: ونحو.

[٥] ع: مع ما.

[٦] أي مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى آخره.

[٧] ع: لا.

[٨] ن: ومن.

[٩] سورة الأنعام، ٦/٥٢.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٠ظ/سطر ٤-٧.

[١١] ر ع م: تجاوزهم.

[١٢] ع – لهم.

والثاني لو فعلت ما سألوك كان فعل ذلك فعل[1] من يريد زينة الحياة الدنيا، لأن المجلس الذي يحضره الأشراف والرؤساء إنما يراد به زينة الحياة[2] الدنيا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، تأويل الآية على قولنا ظاهر؛ نحن نقول على ما نطق ظاهر الآية: **من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي من خلقنا ظلمة الكفر بكفرهم في قلوبهم، أو خذلناهم بكفرهم الذي فعلوا. وأما المعتزلة فإنهم قد تحيروا فيه وتاهوا وأكثروا التأويلات فيها حتى إن منهم من صرف القراءة عن وجهها فقال: **ولا تطع من أغفلَنا**، بنصب اللام **وقلبُه** برفع الباء. معناه أن من أغفل قلبُه عن ذكرنا -على قول المعتزلة- على صرف الفعل إلى القلب. وكذلك قالوا في قوله: مِنْ شَرٍ مَا خَلَقَ،[3] ليصح على مذهبهم ويستقيم. ومنهم من قال: **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي لا تطع[4] من وجدنا قلبه غافلا. وقال: ذلك مستقيم في اللغة، يقال: قاتلناهم فما أجْبَنَاهم،[5] أي ما وجدناهم جبناء. ويقال: فسألناهم فما أبخلناهم، أي ما وجدناهم بخلاء، ونحوه من الكلام.[6] وهو تأويل الجُبّائي[7] فيما أظن.[8]

وقال بعضهم: **ولا تطع من أغفلنا قلبه**، أي من خَلَّيْنا بينه وبين من يفعل، وهو كما يقال لمن خَلَّى عبده حتى أفسد كثيرا من الناس يقال له:[9] سلَّطتَ عبدك على الناس، وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين ما فعل أضيف ذلك إليه.

---

[1] ر ع م - فعل.

[2] ن ع - الحياة.

[3] سورة الفلق، ١١٣/٢. قرئ ﴿من شرٍ﴾ بالتنوين و ﴿ما﴾ نافيةً للاحتراز عن إسناد الشر إلى الله تعالى وفقا لقاعدة الصلاح والأصلح. انظر: *الانتصاف لما تضمنه الكشاف من الاعتزال* لابن المنير، ٣٠٠/٤.

[4] ن: ولا تطع.

[5] ر ع م: فما أوجبناهم.

[6] وقيل: معنى ﴿أغفلنا قلبه﴾ وجدناه غافلا؛ كما تقول: لقيت فلانا فأحمدته، أي وجدته محمودا. وقال عمرو بن معد يكرب لبني الحارث بن كعب: "والله لقد سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فما أجبناكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم"؛ أي ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مفحَمين (*تفسير القرطبي*، ٣٩٢/١٠؛ وانظر أيضا: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٩٩/٢١).

[7] أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، رد عليه الأشعري (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢٥٦/٦).

[8] قارن: *الكشاف* للزمخشري، ٢٠٥/٣؛ وانظر لتأويل الآية على مذهب المعتزلة وأجوبة القفال عنها: *مفاتيح الغيب* للرازي، ١٠٠/٢١.

[9] ر ع م - له.

فعلى ذلك قوله: **أغفلنا قلبه عن ذكرنا**، أي خَلَّينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم. وهو تأويل جعفر بن حرب.[١]

وقال بعضهم: أضاف ذلك إلى نفسه[٢] للأسباب التي أعطاهم من السعة والغناء والشرف في الدنيا، فتلك الأسباب التي أعطاهم هي التي حملتهم على ذلك؛ فأضيف إليه ذلك لذلك. وهو ما قال: وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا.[٣] وهو تأويل أبي بكر الأصم.

وقال الحسن: **أغفلنا قلبه**، أي خذلناهم وطبعنا على قلوبهم. وهو يقول: إن للكفر حدا إذا بلغ ذلك الحد[٤] يخذله ويطبع على قلبه فلا يؤمن أبدا.[٥] فيقال: خذله في أول حال الكفر أو بعد ذلك بأوقات وزمان؟ فإن قال: في أول[٦] حال كفره فهو قولنا؛ وإن قال: لا في أول حاله[٧] ولكن بعد زمان فهو كافر موفَّق ومؤمن مخذول على قوله. فنعوذ بالله مما قالوا.

ثم الجواب للأول ما ذكرنا من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره؛ فلو جاز لهم ذلك جاز[٨] لغيرهم صرف جميع الآيات عن ظاهر التنزيل، وذلك بعيد محال. وأما تأويل الجبائي، أي وجدناهم كذا، فإنما يسوغ له هذا إذا كان جميع حروف أَفْعَلَ يخرج على ما يقوله في اللغة. فأما أن يقال في بعض ولا يقال في بعض[٩] فإن ذلك غير مستقيم. وبعد، فإنه لو كان كما ذكر لكان يقول: ولا تطع من أغفلته عن ذكرنا إن وجدته غافلا؛[١٠] لأنه نهي عن أن يطيع من وجده غافلا، فهو لا يعلم من وجده الله غافلا إنما يعلم من وجدهم بنفسه غافلا. فأما إذا كان ما ذكرنا لم يكن للنهي عما ذكر معنى. فدل أن تأويله فاسد وخيال وإن أضافته إليه لمعنى يكون من الله.

---

[١] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).

[٢] أي أضاف الله تعالى الإغفال إلى ذاته عز وجل.

[٣] سورة الزخرف، ٣٢/٤٣.

[٤] ن: الحد به.

[٥] سبق في تفسير قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ (سورة البقرة، ٧/٢).

[٦] ع: أوله.

[٧] ن: وإن قال في أول حاله.

[٨] ر ع م – جاز.

[٩] ر ع م – ولا يقال في بعض.

[١٠] ر ن ع + عن ذكرنا.

وأما جواب تأويل جعفر بن حرب أنه على التخلية والتسليط فهو إنما يقال لمن يقال: سلَّطتَ عبدك على كذا، على الذم لا على المدح. فلا يجوز أن يقال ذلك في الله على الذم ويضافَ إليه[1] ذلك.

وكذلك يقال لأبي بكر حيث قال: إنما أضاف ذلك إليه للأسباب التي ذكر أنه أعطاهم. يقال له ذلك ويضاف على الذم: إنك أعطيت كذا حتى فعل كذا، فأما أن يقال على المدح فلا يبطل قوله وتأويله. فدل إضافة ذلك إلى نفسه أنه كان منه في ذلك معنى يستقيم إضافته إليه، وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة في قلوبهم بكفرهم الذي اختاروا وخذلانه إياهم لما اختاروا وآثروا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان أمره فُرُطا**، قال بعضهم: **فرطا** أي ضَيَاعا وهلاكا. وقال بعضهم: **فرطا**، أي خسرانا وخسارا. / وقال أبو عَوْسَجة: هو من التفريط. وقال غيره: أفرط في القول ليس كما قال: "إنا رءوس[2] مُضر إن نُسلم يُسلم الناس بعدنا" على ما ذكر في بعض القصة.[3] وقال أبو عبيدة: **فرطا**، أي نَدَما.

[٥١و]

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقل الحق من ربكم**، كأنه على الإضمار، أي قل: قد جئتكم بالحق من ربكم. أو يقول: قل لهم: قد تعلمون أني قد جئتكم بالحق من ربكم، وهو الآيات والحجج التي أقامها على رسالتي، أي[4] قد تعلمون[5] أني قد جئتكم من الآيات والحجج على ما أدعوكم إليه ما لا يحتمل بِنْيَتي[6] ويخرج عن وسعي وطاقتي.

وقوله عز وجل: **فمن شاء فلؤمن ومن شاء فليكفر**، ثم يحتمل هذا وجوها. أحدها من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فإنه إنما يعمل لنفسه ليس يعمل لأحد سواه، كقوله:

---

[1] ر ع م + أيضا.

[2] ر ع م + من.

[3] وكان القوم قالوا: "نحن أشراف مضر إن أسلمنا أسلم الناس"؛ وكان هذا من التكبر والإفراط في القول (تفسير *القرطبي*، ٣٩٢/١٠).

[4] ن + قد تعلمون أني قد جئتكم بالحق من ربكم وهو الآيات و الحجج التي أقامها على رسالتي أي.

[5] ع: تعملون.

[6] ر ع م: بليتي. البنية الفطرة (*لسان العرب*، «بني»).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[1] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ،[2] الآية. فعلى ذلك يقول. ***والله أعلم.***

والثاني يقول: إني بلّغت الرسالة إليكم، فلا أُكرهكم أنا على الإسلام ولا أحدُ سواي. فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإنه إنما يؤمن باختياره ومشيئته ومن كفر فإنما يكفر باختياره ومشيئته لا يُكرَه على ذلك.

والثالث أن الإيمان والكفر قد بين الله العواقب لهما:[3] ما عاقبة مَن اختار الإيمان وما عاقبة من اختار الكفر،[4] وهو ما قال: **إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها**، إلى آخر ما ذكر. وقال للمؤمنين:[5] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ، الآية.[6] يقول:[7] قد بين لكل واحد منهما عاقبة، فمن شاء اكتسب لنفسه في العاقبة الجِنان وما فيها[8] من النعيم، ومن شاء اكتسب ما ذكر في العاقبة من النار وأنواع العذاب. فذلك كله يخرج على الوعيد.

وقوله عز وجل: **إنا أعتدنا للظالمين**، وقت دخولهم النار **نارا**، وهو في الآخرة.

وقوله عز وجل: **أحاط بهم سُرادقها**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على إرادة حقيقة السرادق. والثاني على التمثيل، أي يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها -على ما يمنع السرادق من الخروج في الدنيا- ودفع الحر والبرد. فإن كان على حقيقة السرادق فهو -والله أعلم- على ما جعل الله لهم من أنواع ما كانوا يتفاخرون في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار، وهو ما ذكر: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ،[9] وما قال: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ.[10] والشراب ما ذكر من الصديد[11]

---

[1] سورة فصلت، ٤١/٤٦.

[2] ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧).

[3] ر ع م: فما العواقب.

[4] ر ع م: ما عاقبه من اختيار الإيمان وما عاقبه من اختيار الكفر.

[5] بداية من قوله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات... إلى أواخر تفسير الآية ٣٣ ناقصة من نسخة نورعثمانيه، ورقة ٤١٧ظ، سطر١٦؛ ونسخة مهرشاه، ورقة ٤٥١و/سطر١١ - ٤٥١ظ/سطر٢٠.

[6] الآيتان التاليتان.

[7] ع - يقول.

[8] م: فيهما.

[9] ﴿سرابيلهم من قَطِرانٍ وتغْشَى وجوهَهم النارُ﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٥٠).

[10] ﴿ليس لهم طعام إلا من ضَريع لا يُسْمن ولا يغني من جوع﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٦-٧).

[11] ﴿من ورائه جهنم ويُسْقَى من ماءٍ صديد يتجرعه ولا يكاد يُسيغه﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٦-١٧).

والغِسْلين[1] وغير ذلك من النوع الذي كانوا يتفاخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الإيمان، جعل لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار وبه يعاقبهم. فعلى ذلك جائز أن يكونوا يتفاخرون به في الدنيا بالسرادق إذا خرجوا في السفر فيعاقبهم الله في النار بذلك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل،** يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر في الآية: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[2] فيغاثون بماء كالمهل. ويحتمل أن يطلبوا في النار الماء بعد ما طَعِموا فيها منها فيغاثون بالمهل.

ثم المهل، قال عامتهم: المهل هو دُرْدِي[3] الزيت[4] أو العصير. لكنهم اختلفوا في معنى التشبيه به. قال بعضهم: شبهه به لغلظه، لأن الشيء الغليظ يكون ألصقَ وآخذ من غيره. وقال بعضهم: شبهه به[5] لسواده. وقال الحسن وأبو بكر [الأصم]: تشبيهه به لكثرة تلوُّنه من الحمرة والصفرة والسواد ونحوه لشدته. وهو ما ذكر: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ.[6] شبهه **كالمهل،** لتلوّنه لشدة ذلك اليوم وهوْلِه.

وقوله عز وجل: **يشوي الوجوهَ،** ذلك الشرابُ. **بئس الشراب وساءت مرتفقا،** أي ساءت النار مرتفقا. أُختلف فيه، قال بعضهم: المرتفق المتكأ، وقال بعضهم: المجتمع، أي بئس الاجتماع. وقال بعضهم: مجلسا، وقال بعضهم: بئس المنزل النار قرناؤهم فيها الكفار والشياطين.

[٤٥١و س ٣٢] * قال أبو عَوْسَجَة: السُّرادق: البناء الذي يبنى من الكربيس شِبْهَ الدار والحجرة. **وساءت مرتفقا،** أي مُتَّكأ ومنزلا. وقال القُتَبي: السرادق، الحجرة[7] التي تكون حول الفسطاط. قال: وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو ثلاث شعب.[8] والمهل، دُرْدِي[9] الزيت.

---

[1] ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غِسْلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٣٦-٣٨).

[2] ﴿ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[3] ن م: دري. دردي الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان (*لسان العرب*، «درد»).

[4] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

[5] ع + به.

[6] سورة المعارج، ٧٠/٨.

[7] ر ع م: والحجرة.

[8] ع م: الثلاث الشعب. يشير إلى قوله تعالى ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ (سورة المرسلات، ٧٧/٢٩-٣٠).

[9] ن م: دري.

ويقال: ما أذيب من النحاس والرصاص. **وساءت مرتفقا**، أي مجلسا، وأصل الارتفاق الاتكاء على المرفق.[١]* [٤٥١و س٣٦]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**، قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** منهم، ثم قال: **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إلى آخر ما ذكر. وقال بعضهم: ليس على التقديم والتأخير ولكن على ما ذكر: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** منهم، ثم بين ما لهم فقال: أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إلى أخر ما ذكر.[٢]*

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣١]

وقوله: **أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب**، يذكر ثواب المؤمنين الذين تركوا شهواتهم في الدنيا لها.

ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق، قالوا: الإستبرق الديباج الغليظ، والسندس هو[٥] الرقيق، والغليظ منه لا يلبس. لكنه كأنه جمع بين ما يُلبس وبين ما يُبسط فذكر اللبس لما يلبس كما يقال: أطعمت فلانا طعاما وشرابا، والشراب لا يطعم. وقيل: إن الإستبرق هو الرقيق من الديباجة بلغة قوم. فإن / كان ما ذكر فكأنه إنما ذكر ذلك لأولئك. *والله أعلم*. [٤٥١ظ]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها على الأرائك**، قال بعضهم: **الأرائك** السرر في الحجال، والأريكة السرير في الحَجَلَة.[٦] وقال بعضهم: **الأرائك**: السرر عليها حجال. وقال أبو عَوْسجة: **الأرائك** الوسادة.

---

[١] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥١و/سطر٣٢-٣٦.

[٢] ن م: ما ذكرنا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥١و/سطر٣٢-٣٦.

[٥] ر ع م: وهو.

[٦] الحجلة: بيت يزيّن بالثياب والأسِرّة والستور للعروس (*لسان العرب*، «حجل»).

وحسنت مُرْتَفَقا، قيل: منزلا. وأصل هذا أنه وعد لهم في الآخرة ما كانت أنفسهم ترغب فيه في الدنيا ليتركوا ذلك في الدنيا للموعود في الآخرة، وكذلك حذّرهم في الآخرة بأشياء تنفِر أنفسهم وطباعهم في الدنيا ليحذروا ما يستوجبون الموعود في الآخرة. *والله أعلم*.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [٣٢]

وقوله عز وجل: **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب**، إلى آخر ما ذكر؛ جائز أن يكون هذا المثل كان في الأمم المتقدمة وكتبهم سئل[١] رسول الله عن ذلك ليُعلم وليتبين لهم صدقه بأنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما يدعي؛ على ما سئل هو عن قصة ذي القرنين ونبإه ونبإ أصحاب الكهف وأخبارهم ليتبين لهم صدقه. إذ علموا أن تلك الأنباء والقِصص لا يعلم ولا يعرفها إلا من علم كتاب الله، إذ كان ذلك في كتب الله وهو لم يعرف تلك الكتب، لأنها كانت بغير لسانه ولم يُرْوَ [أنه][٢] اختلف إلى من يعرفها ليتعلم منه؛ ثم أنبأهم على ما كان في كتبهم، فدل أن ذلك أنه إنما عرف بالله وأنه صادق فيما يدعي من الرسالة. على هذا يجوز أن يقال -والله أعلم- فيكون في ذلك آية لرسالته ونبوته. أو أن يكون قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين**، إلى آخره، أي اضرب لهم مثلك ومثلهم مثل رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل[٣] ما ذكر من رجلين إلى آخره. أو أن يكون قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين**، أي اضرب للمعتبرين والمتوسمين مَثَلَ رجلين كلُّ رجلين هذا سبيلهما: يرغب أحدهما في الدنيا وزينتها ويطلبها لا يرى[٤] غيرها، والآخر يرغب في الزهد فيها وترْك الطلب لها والرغبة في الآخرة. فإن كان على هذا أو ما ذكرنا من ضرب مثله ومثل أولئك فهو على الابتداء فيخرج على الاعتبار والتفكر فيما ذكر تنبيها وإيقاظا. وإن كان على السؤال عما كان فهو ليس على الاعتبار ولكن على الإنباء أنه رسول، ففيه آية لرسالته ونبوته.

* قال ابن عباس: قوله **واضرب لهم**، يعني لأهل مكة، **مثلا رجلين**، أخوين من بني مخزوم أحدهما مسلم والآخر كافر.[٥] وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الصافات:

---

[١] ن م: تسيل.

[٢] ر ع م: و لم يروه.

[٣] ع - رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل.

[٤] ع: الا يرى.

[٥] نقل البيضاوي والخازن في تفسيريهما مثل هذه الرواية دون أن يسنداه إلى ابن عباس، انظر: *مجمع التفاسير*، ١٠٥/٤-١٠٦.

إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، إلى قوله: فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ؛[1] تصدّق المسلم منهما بماله وطلبَ الآخرة وطلب الآخرُ به الدنيا.[2] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أخوين ورثا عن أبيهما مالا فاقتسماه. فأما أحدهما التمس بماله الدنيا وزينتها، وأما الآخر تصدق به وطلب الآخرة حتى لم يبق[3] له شيء. إلى هذا يذهب هؤلاء. ***والله أعلم***.[4]*

ثم قوله: **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا**، أي بين الجنتين.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾[٣٣]

كلتا الجنتين آتت أكلها، أي حَمْلَها. ولم يقل: آتتا أكلهما، خرج على اسم واحد وإن كان في المعنى على التثنية،[6] وذلك جائز في اللغة، كقوله: كلتا المرأتين صالحة** وكلانا صالح. وفيه قول الشاعر:

كلانا شاعر من حيّ صدقٍ ولكن الرَّحَى تعلو الثِّقالا.[8]

وقوله عز وجل: **ولم تظْلم منه شيئا**، أي لم تنقص من ثمرها شيئا.[9]

وقوله عز وجل: **وفجّرْنا خلالهما نَهَرا**، أي أجرينا بينهما مياها جارية.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٣٤]

وقوله **وكان له ثمر**، قال بعضهم: من قرأ ثُمُر، بالرفع فهو كل ما كان يملك من الجنان وغيرها.

---

[1] ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدِّقين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لَمَدِينُون قال هل أنتم مطّلعون فاطّلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥١-٥٥).

[2] لم ترد هذه الرواية في *تفسير الطبري* ولا في *تفسير ابن كثير*؛ وضعّفها الزمخشري قائلا: وقيل هما المذكوران في سورة الصافات (انظر: *الكشاف*، ٣/٢٠٦).

[3] ع – يبق (بين "لم" و "له" فراغ).

[4] ن + بذلك.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٢ظ/سطر١-٦.

[6] ع م: على التشبيه.

** انتهى الجزء الناقص من نسخة نورعثمانيه، ورقة ٤١٣ظ/سطر١٦.

[8] ر م: الثقالي. هذا بيت من شعر مسكين بن أُنَيْف الدارمي (انظر: *البيان والتبيين* للجاحظ، ١٠٤؛ و*محاضرات الأدباء* للراغب الإصفهاني، ٣٦. إلا أن البيت ورد في كليهما: كلانا شاعر من حي صدق / ولكن الرحى فوق الثقال. وفي الإصفهاني: "من قول صدق"، بدل "من حي صدق". الثقال: بالكسر جلد يبسط فيوضع فوقه الرحي فيطحن عليه الدقيق وربما سمي الحجر الأسفل بذلك (*الصحاح* للجوهري، «ثقل»).

[9] ن – وقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص من ثمرها شيئا.

ومن قرأ بالنصب فهو على الثمر. وقال بعضهم: الثَّمَر بالنصب فهو الثمر والثُّمُر بالرفع فهو جمع[1] الثمار.[2] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فقال لصاحبه وهو يحاوره**، يكلمه أو يجيبه أو ينازعه ويناظره، **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**، لا يحتمل أن يكون هذا الخطاب منه على الابتداء لأنه لا يصح على الابتداء، فيشبه أن يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف فعند ذلك قال له ما ذكر. أو أن يكون قال: يعطيني ربي في الآخرة مثل ذلك أو خيرا منها؛ فقال له عند ذلك: **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**، أي قد تَفضّل عليّ في الدنيا وفضلني عليك فيفضلني أيضا في الآخرة عليك حيث قال: لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[3] إن كان ما تزعم صدقا أنّا نُبعَث ونردّ إلى الله، وإلا على الابتداء لا يصح.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَدًا﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه**، يحتمل أي ظالم نفسه.[4] ويحتمل أن يكون قوله: **لنفسه**،[5] بدنَه، **وهو ظالم**، للمعنى[6] الذي يكون في النفس به يستعملها فيما يستعمل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أظن أن تبيد هذه أبدا**، قال بعضهم: **ما أظن**، أي ما أوقن[7] وما أعلم. وقال بعضهم: هو الظن لأن صاحبه كان يناظره فيه فاضطرب في فنائها وقيام الساعة فشك فيه. *والله أعلم*.

وقوله: **أن تبيد هذه أبدا**، ما دامت نفسه، أو كأنه لم يشاهد الهلاك ولم ينظر إليه فقال ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر ع م: جميع.

[2] قرأ عاصم و أبو جعفر بفتح الثاء والميم؛ يعني حمل الشجر. وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفا أو جمع ثمرة كبَدَنَة وبُدْن؛ والباقون بضم الثاء والميم جمع ثِمَار (انظر: *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر* للدمياطي، ٢٩٠).

[3] سورة الكهف، ٣٦/١٨.

[4] ر م: لنفسه.

[5] جميع النسخ: نفسه.

[6] جميع النسخ: المعني، والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٤٦٨و.

[7] جميع النسخ: ما أوفق، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا**، أي لو رُدِدت إلى ربي على ما تزعم لأجدن خيرا منها منقلبا إن كنتَ صادقا.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[٣٧]

قوله:[١] **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة**، أي خلق أصلك من تراب وخلقك من نطفة، **ثم سواك رجلا**، أي صحَحك وقومك رجلا. جائز أن يكون محاجته إياه في هذا[٢] لإنكاره البعث، أي كفرت وأنكرت قدرة الله على البعث والإعادة، وهو خلق أصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة، فأنت إذا مت وهلكت تصير ترابا أو ماء؛ فإذ[٣] قدر على خلق أصلك من تراب وخلقِ نفسك من ماء لَقادرٌ على إعادتك وبعثك بعد ما صرت ترابا أو ماء. أو يكون محاجته في إنكاره حكمةَ الله فيقول: خلق أصلك من تراب وخلق نفسك / من نطفة ثم سواك وصحَحك، فإن[٤] لم يَبعث ويُعذِّك كان[٥] خلق أصلك وخلقك [٤٥٢و] بما ذكر عبثا غير حكمة. إذ من بنى بناء ثم نقضه على غير قصد الانتفاع به كان في بنائه في الابتداء عابثا تائها سفيها غير حكيم. فعلى ذلك خلْقُك وخلق أصلك من[٦] غير إعادة من بعدُ يكون سفها[٧] على غير حكمة. وهو ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[٨] الآية، صير خلقهم على غير رجوع إليه عبثا. أو يكون محاجته في تسفيهه إياه في عبادته غير الله.[٩] يقول: أكفرت نعمة الذي خلق أصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك صحيحا، فصرفت شكر نعمه إلى غيره وعبدت غيره. على هذه الوجوه الثلاثة يحتمل[١٠] محاجته إياه: إما في إنكار قدرته في بعثه وإعادته، أو إنكاره الحكمة في البعث، أو في إنكاره نعمَه وصرفِه الشكر إلى غيره. ***والله أعلم.***

---

[١] ر: وقوله.
[٢] ر ع م: هذه.
[٣] ر ع م: فإذا.
[٤] ر ن ع: فإذ.
[٥] جميع النسخ: وكان.
[٦] ن – من.
[٧] جميع النسخ: سفيها.
[٨] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[٩] ن: في عباد الله.
[١٠] ر ع م: ويحتمل.

﴿لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **لكنا هو الله ربي**، كأنه قال: لكن الذي خلق أصلك من تراب وخلق نفسك[١] من نطفة هو ربي، **ولا أشرك بربي أحدا.**

وقال الخليل: **لكنا**، إنما هو على تأويل لكني أنا[٢] أقول **هو الله ربي**؛ كقوله: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ.[٣] إنهم حين ألقوا الألف من "أنا" أثبتوها بعد النون. *والله أعلم.*

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ولولا إذ دخلت جنتك**، أي هلا إذ دخلت[٤] جنتك نظرت إلى قدرة الله وسلطانه **وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله**. أو أن يكون قوله: هلا **إذ دخلت جنتك**، نظرت إلى[٥] ما أنعم الله عليك وقمت بشكره دون أن اشتغلت بازدرائي[٦] ونظرت[٧] إلى قلة ذات حالي ويدي واشتغلت بالافتخار عليّ. وكذلك قال: **إن ترن**[٨] **أنا أقل منك مالا وولدا.**

* وقال في قوله: **إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك**، بالنصب لأن الكلام مبني على قوله: **إن ترن**، وجعل "أنا" صلة. وأما قوله: أَنَا أَكْثَرُ،[٩] فوصف "أنا" بأكثر فارتفع.*

ثم ذكر طمعه ورجاءه على ربه وخوفه حيث قال:

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[٤٠]

فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء، أي يرسل على جنتك

---

[١] ر ع م: أصلك.

[٢] ن - أنا.

[٣] ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٦٩).

[٤] ن ع: هلا إذ دخلت؛ رم: هلا أدخلت.

[٥] ر ع م - قدرة الله وسلطانه وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله أو أن يكون قوله هلا إذ دخلت جنتك نظرت إلى.

[٦] ن: بازدراء.

[٧] ع: أي ونظرت.

[٨] ر م: إن ترني.

[٩] سورة الكهف، ١٨/٣٤.

* وقع ما بين النجمتين قبل تفسير الآية الآتية برقم ٤٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٢٣-٢٥.

حسبانا من السماء.[١] قال أهل التأويل: الحُسبان العذاب، إلا أن أبا بكر الأصم قال: عذابا على حساب ما عملوا،[٢] وذلك جزاؤه في الكفر،[٣] وهو ما ذكر في الجنتين اللتين أهلكهما حيث قال: ذَوَاتَيْ أُكُلٍ، إلى قوله: ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ،[٤] الآية. وقال أبو عَوْسَجة: **حُسبانا**، أي عذابا، والحُسبان الصغار من النَّبْل،[٥] والحُسْبانة واحده.[٦]

وقوله عز وجل: **فتصبح صعيدا زلقا**، قال أبو عوسجة: **صعيدا زلقا**، الذي ليس عليه نبت؛ **وزلقا**، أي مستوية.[٧] وقال القُتَبي: الصعيد الأملس المستوي، والزلق الذي تَزِلّ[٨] عنه الأقدام.[٩]

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أو يصبح ماؤها غورا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ، أي عذابا، فتصير صَعِيدًا زَلَقًا، أملس لا نبات عليها. أو يُذهب بمائها فتَهلِك بذهاب الماء، إذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا.

وقوله عز وجل: **فلن تستطيع له طلبا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لن تستطيع له طلبا**، أي تصير بحال لا تستطيع[١٠] له طلبا؛ أو لن تستطيع له وجودا.*

---

[١] ع - أي يرسل على جنتك حسبانا من السماء.

[٢] وقال الزجاج أيضا: فالمعني في هذه الآية أن يرسل عليها عذاب حسبانٍ، وذلك الحُسبان حِساب ما كسبتْ يداك (انظر: *لسان العرب*، «حسب»).

[٣] ر ع م: في الكفرة.

[٤] ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيء من سِدرٍ قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٦-١٧).

[٥] النبل: السهام، وقيل: السهام العربية، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظه (انظر *لسان العرب*، «نبل»).

[٦] جميع النسخ: واحدة؛ ر ع م + والحسبان جمع والأول عذاب؛ ن: والحسبان جميع والأول عذاب. قال أبو زياد: الحُسبان شر وبلاء، والحُسبان سهام صغار يرمي بها عن القِسِيّ الفارسية، واحدتها حُسْبانة (انظر: *لسان العرب*، «حسب»).

[٧] ر م: تسوية.

[٨] جميع النسخ: يزول، والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٩] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.

[١٠] ر ع م: لا يستطيع.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٢٣-٢٥.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وأحيط بثمره**،[1] أي أهلك بثمره، **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها**، هكذا عادة الناس، إنهم إذا أصابهم خسران ومصيبة يقلبون كفهم بعضها إلى بعض[2] على الندم والحسرة على ما فات.

وقوله عز وجل: **وهي خاوية على عروشها**، قيل: ساقطة على عروشها. ويحتمل **خاوية**، ذاهبة البركة.

وقوله عز وجل: **يا ليتني لم أُشرك بربي أحدا**، إن كان هذا القول في الدنيا فذلك منه توبة، لأن التوبة هي الندامة على ما كان منه. وقال بعضهم: هذا القول منه في الآخرة؛ فان كان في الآخرة فإنه لا ينفعه ذلك. ***والله أعلم***. وهكذا كل كافر يؤمن في الآخرة لكن لا ينفع.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا**، هذا -والله أعلم- مقابل ما قال أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا.[3] أي لم يغنه عن عذاب الله ما ذكر من النصر ولا قدر أن يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذي ذكر.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلّٰهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **هنالك**، قال بعضهم: عند ذلك. وقال بعضهم: **هنالك**، أي هكذا ولاية الله. ثم اختلف في تلاوته وتأويله. قرأ بعضهم "الوَلاية لله" بالفتح. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود: "هنالك الوَلاية لله الغفور وهو الحقُّ" بالرفع. وفي حرف حفصة: "وهنالك المُلك والولاية لله الغفور ذي الرحمة." وقرأ بعضهم: "لله الحقُّ"، أي الولاية الحقُّ لله.[4] والوَلاية بالنصب من الموالاة.

---

[1] قرأ بثُمُره بضم الثاء والميم كلهم غير أبي عمرو وعاصم و أبي جعفر؛ و قرأ أبو عمرو بثُمْره بضم الثاء وإسكان الميم (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پالوي، ٨٥).

[2] جميع النسخ: بعضهم على بعض، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.

[3] سورة الكهف، ٣٤/١٨.

[4] قرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية؛ والباقون من القراءات العشرة بالكسر صفة لله. وقرأ حمزة والكسائي والخَلَف الولاية بكسر الواو، والباقون بفتحها (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح پالوي، ٨٥). يرجح الطبري قراءة "الوِلاية" بالكسر لأن الله عقب ذلك خبره عن ملكه و سلطانه، و قراءة "الحقِ" بالخفض على أنه من نعت الله (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٤/١٥).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «لا يبقى أحد إلا تولى اللهَ وآمن به وعلم أنه حق.» والوِلاية بالكسر من الإمارة والملك على ما ذكر في حرف حفصة؛ وفي حرف أُبَيّ: "هنالك الوِلاية[1] الحق لله".[2] يُقرأ: "الولاية لله وهو الحقُّ"، ويقرأ: "هنالك الولاية لله الحقِ"[3] بالخفض،[4] ويقرأ: "هنالك الوَلاية الحقُّ لله".

وقوله عز وجل: **هو خير ثوابا وخير عقبا**، أي ثواب هذا المؤمن منها / أفضل ثوابا في الآخرة [٤٥٢ظ] وأفضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر.*

وذكرُ هذا المثل[6] لرسول الله -والله أعلم- لأن فيه دلالة رسالته وحجةَ توحيد الله وقدرته وسلطانه.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء**، اختلف أهل[8] التأويل في ضرب هذا المثل. قال بعضهم: ضُرب هذا لمشركي العرب لأنهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها، وأنها[9] لا تبيد أبدا، فيقول: إن الذي يعاينون من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها، فإذا احتمل جزءٌ منها الفناءَ والهلاك فعلى ذلك الكلُّ. وقال بعضهم: وجه ضرب هذا المثل هو[10] أن أهل الدنيا وطُلَّابها إذا ظَفِروا بالدنيا[11] وطمعوا الانتفاع بها والاستمتاع[12]

---

[1] ر م + لله.
[2] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٣.
[3] ن: هنالك الولاية الحق لله الولاية لله الحق.
[4] ع - ويقرأ هنالك الولاية لله الحق بالخفض.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٢ظ/سطر ١-٦.
[6] أي مثل رجلين جُعل لأحدهما جنتان...، انظر: تأويل الآية ٣٢ من هذه السورة.
* جاءت هذه الجملة قبل الجملة الأولى: "وقوله عز وجل: ﴿هو خير ثوابا...﴾" فذكرت بعدها، انظر: ورقة ٤٥٢و/سطر٣٨-٣٩.
[8] ع - أهل.
[9] ر م: لأنها.
[10] جميع النسخ: وهو.
[11] ع: با الدنيا.
[12] ر ع م - والاستمتاع.

يحال بينهم وبين الانتفاع والاستمتاع بها، كما طمع الزراع الظفر بذلك الزرع والوصول إلى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين الانتفاع بالزرع والوصول إلى مقصودهم؛ فعلى ذلك الدنيا يحال بين أهلها وطالبيها وبينها. وقال بعضهم: وجه ضرب مثل[1] الدنيا بما ذكر من النبات للتزيين والتحسين لأهلها والتعجيب لهم، لأنها تتزين وتَحسُن لأهلها كالنبات الذي ذكر أنه يُعجب أهلها ويتزين لهم ثم يَفسد ويصير موفا،[2] فعلى ذلك الدنيا. وهو ما ذكر في آية أخرى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ،[3] الآية.[4] وهكذا الدنيا[5] وما فيها، كلّه مشوب بالآفات والفساد.

وفي هذا[6] المثل وجوه من الحكمة والدلالة. أحدها العظة[7] والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين، والحجةُ على المعاندين والمكابرين في إنكارهم حدَثَ العالم ومُحْدِثها وإنكارهم فناء العالم وإنكارهم البعث. أما حدث العالم لما عاينوا حدوث أشياء منه واحدا بعد واحد فعلى ذلك الكلُّ، وأراهم أيضا فناء أشياء منها حتى لم يبق لها أثر ثم حدث مثلها؛ فإذا ظهر هذا في بعضٍ منها فكذلك الكل. فإذا ظهر حدوثه وفناؤه لابد من قاصد يُحدِثها. وفيه دلالة البعث بما أراهم يتجدد ويَحدث هذه الأنزال والأشجار والنبات وغيرها[8] والعَوْدَ على ما كان بعد فنائها؛ فعلى ذلك إعادة العالم الذي هو المقصود في إنشاء تلك الأشياء. وذلك أولى بالإعادة من غيرهم من الأشياء إذ هم المقصودون في خلق غيرهم من الأشياء.[9] وبعدُ فإنهم قد اتفقوا على أن خلق الشيء وإفنائه[10] للهلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبثٌ ليس بحكمة؛ فلو لم يكن بعثٌ ولا إعادة لم يكن في خلقه إياهم حكمة لأنه يحصل خلقه للفناء والهلاك خاصة.

---

[1] ع: المثل.

[2] ع: موقا؛ وفي *الشرح*: يصير لاشيء، انظر: ورقة ٤٦٩ظ.

[3] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مُصْفَرًّا ثم يكون حُطاما﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).

[4] ن – الآية.

[5] ر ع م: هكذا وما فيها كلمة.

[6] ر ع م: في هذا.

[7] ر ع: العظمة.

[8] جميع النسخ: وغيره.

[9] ن: الإنشاء.

[10] جميع النسخ: وفناءه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.

وفي قوله: **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**، دلالة علمه وتدبيره وقدرته، لأنه أخبر أنه يُنزل من السماء ماء يختلط به نبات الأرض، والماءُ من طبعه إفساد النبات[1] إذا اختلط به.[2] فإذا لم يُفسد ولكن أحياه بالاختلاط دل أن[3] في الماء معنى به يحي النبات لا يعلم ذلك غيره [و]دل أنه عالم بذاته. و[أما دلالة][4] التدبير هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بُعد ما بينهما، [و]دل أن ذلك كان بواحد عليم مدبّر قادرٍ بذاته. إن من قدر على ما ذكر من الإحداث والإفناء قادر على الإعادة والبعث. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **فأصبح هشيما**، قيل كسيرا[5] مكسورا، **تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**، هو مفتعل من قدرتُ.

* قال أبو عَوْسَجَة: **فأصبح هشيما**، أي يابسا باليا. وقال القُتَبي: ومنه سمي الرجل هاشما. وقال أبو عوسجة: **تذروه الرياح**، أي تطير به. وقال[6] القتبي: أي تنسفه،[7] كقوله: فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا.[8]*

﴿اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات**، كان هذا ذكرا[10] على مقصود الناس أن من كان قصده في الدنيا كثرةَ المال والبنين فهو[11] زينة الحياة الدنيا وهو الفاني والذاهب على ما ذكر؛ ومن كان مقصوده في هذه الدنيا الخيراتِ والآخرة فهو الباقيات أبدا.

---

[1] ر ع م: الفساد النبات.
[2] ر ن ع: اختلط به.
[3] ر ع: دل في أن.
[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٨ظ.
[5] ر: كثيرا.
[6] ر م - و.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٨.
[8] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ١٠٥/٢٠).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٣و/سطر١٢-١٣.
[10] جميع النسخ: ذكر.
[11] أي قصد العبد.

ثم اختلف في **الباقيات الصالحات** قال بعضهم: هو قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.» وعلى ذلك روي في بعض الأخبار عن النبي[1] صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات».[2] وفي بعض الأخبار أنه قال لأصحابه: «خذوا جُنتكم». قالوا: «من عدوٍ حضرَنا؟»[3] قال: «خذوا جُنتكم من النار فقولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن المُقَدِّمات المُؤَخِّرات الباقيات الصالحات.»[4] وفي بعض الأخبار قال[5] لأبي الدرداء: «خذهن اقتلهن[6] قبل[7] أن يُحال بينك وبينهن، فإنهن الباقيات الصالحات وهن كنز من كنوز الجنة». قال: وما هي يا رسول الله؟ فذكر «سبحان الله» إلى آخره.[8] فإن ثبتت[9] هذه الأخبار فهي الأصل لا يجوز غيره.

وقال بعضهم: **الباقيات الصالحات**، الصلوات الخمس، وهو قول ابن عباس[10] وغيره.

[٤٥٣و] فأيهما كان ففيه معنى الآخر وإن كل واحد منهما / يجمع جميع أنواع الخيرات والعبادات في الحقيقة. لأن «سبحان الله» هو تنزيه الرب عن كل آفة وعيب. «والحمد لله» هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه إلى[11] الخلق وجعله مستحقا للحمد والثناء له دون من سواه. وقوله: «لا إله إلا الله» هو أن لا معبود سواه[12] وأن لا يستحق العبادة غيره. و[قوله:] «الله أكبر»

---

[1] ر ن ع: نبي الله.

[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله». هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٥١٢/١-٥١٣؛ وانظر لمثل هذه الروايات أيضا: *الموطأ* لمالك، القرآن ٤٩١؛ و *مسند أحمد ابن حنبل*، ٢٦٨/٤).

[3] ر ع م: حصرنا.

[4] *المستدرك للحاكم*، ٥٤١/١. وفي رواية عن خالد بن أبي عمران: «فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات». انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١٠٧/٥.

[5] ن + قال.

[6] ر ع م: اقبلن.

[7] ع – قبل.

[8] ورد كثير من الأحاديث القائلة بأن «لا حول ولا قوة إلا بالله» كنز من كنوز الجنة. انظر مثلا: سنن *أبو داود*، الصلاة، ٣٦١.

[9] ر ع م: ثبت.

[10] *تفسير الطبري*، ١٦٥/١٥. ولكن هناك روايات أخرى عن ابن عباس أنه يقول في الباقيات الصالحات: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٦/١٥).

[11] ع – إلى.

[12] جميع النسخ: وأن لا إله إلا هو لا معبود سواه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٩و.

هو الإجلال عن كل ما قيل فيه ونفي كل معاني الخلق عنه. و[قوله:][1] «لا حول ولا قوة إلا بالله» هو التبري وقطع الطمع عمن دونه، وتفويض الأمور بكليتها إليه والتسليم له. فكل حرف من هذه الحروف يجمع في الحقيقة كل أنواع العبادات[2] والخيرات لما ذكرنا. وكذلك الصلاة[3] أيضا تجمع كل أنواع العبادات، لأنه يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها في كل حال منها فهي تجمع جميع العبادات.

والأصل في قوله: **والباقيات الصالحات**، أنها كل الخيرات والطاعات،[4] لأن الله تبارك وتعالى ذكر و وصف الحق بالبقاء والثبات في غير آي من القرآن ووصف الباطل بالبطلان والتلاشي[5] والذهاب. من ذلك قوله: كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ،[6] الآية؛ وقال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً،[7] الآية، وأمثاله. فعلى ذلك قوله: **الباقيات الصالحات**، هي باقية **خير عند ربك ثوابا وخير أملا**، أي خير ما يأملون.*[8]

وعن ابن عباس قال: **خير عند ربك ثوابا**، أي خير ما يثاب الناس عليه **وخير أملا**، أي خير ما يأمل الناس من أعمالهم يوم القيامة. ***والله أعلم.***

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة**، يذكرهم جل وعلا عن شدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه حيث سار أثبتُ شيءٍ رأوا في الدنيا وتكسَّرَ أصلبُ شيءٍ رأوا في الدنيا،

---

[1] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٦٩و.

[2] ن: العبادة.

[3] ر ن م: الصلوات.

[4] يرجح الطبري أيضا بعد نقل الآراء أن الباقيات الصالحات هي جميع أعمال الخير كما روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، لان ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة وعليها يجازي ويثاب وأن الله عز ذكره لم يخصص من قوله: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا﴾ بعضا دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٦٧).

[5] ن: بالبطلان التلاشي.

[6] سورة الرعد، ١٣/١٧.

[7] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٦).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٥ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٣و/سطر ١٢-١٣.

وهو الجبال، لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه. وقال في آية أخرى: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؛[1] وقال في آية أخرى: وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً؛[2] وقال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ؛[3] وقال في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا؛[4] وأمثاله. يذكرهم عن شدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه حيث سار[5] أثبتُ شيءٍ في الدنيا وأصلب شيء[6] وأشد على الوصف الذي ذكره. وبدون[7] هذه الأهوال والأفزاع التي ذكر لا تقوم أنفس البشر في الدنيا؛ فقيامها لمثل هذه الأحوال التي ذكر[8] أحرى[9] أن لا تقوم. ألا ترى[10] أن موسى صلوات الله عليه كان أشد الناس وأقوى البشر ثم لم تقم نفسه لاندكاك الجبل حتى صعق.[11] إلا أن الله حكم أن لا هلاك[12] يومئذ بعد ما أحياهم وإلا كانت أنفسهم لا تقوم بدون ما ذكر من الأهوال.

ثم ما ذكر من أحوال الجبال يكون ذلك في اختلاف الأحوال والأوقات؛ يكون[13] في ابتداء ذلك اليوم ما ذكر أنها تسير وأنهم يرونها جامدة وهي ليست بجامدة؛ ثم تصير كثيبا مَهيلا، ثم تصير كالعِهْن المنفوش في وقت، ثم تصير هباء مُنبثا،[14] تكون[15] على الأحوال التي ذكر على اختلاف الأحوال والأوقات على قدر الشدة والهول. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة القارعة، ١٠١/٤-٥.

[2] ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).

[3] سورة النمل، ٢٧/١٠٨.

[4] جميع النسخ هباء منثورا، لعله من خطإ الناسخين. ﴿إذا رُجّت الأرض رَجّا وبُسّتِ الجبال بَسّا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦).

[5] جميع النسخ: صار.

[6] ر ع م – وأصلب شيء.

[7] م: بدون.

[8] ن: ذكرنا.

[9] ر ع م: أخرى.

[10] ن: ألا يري.

[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال رب أرِني أنظُر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صَعِقًا﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٤٣).

[12] ن: أن الاندكاك.

[13] ن + ذلك.

[14] يشير إلى الآيات التي مرت آنفا.

[15] جميع النسخ: يكون.

ثم يحتمل قوله: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ؛[١] لشدة ذلك اليوم تتراءى كأنها جامدة وهي تمر مر السحاب، وقد يتراءي في الشاهد مثله للهول والفزع. والثاني، تتراءى لازدحام الجبال واجتماعها، وقد تتراءى في الشاهد السائر كالجامد والساكنِ للكثرة والازدحام نحو عسكر عظيم يسير يراه الناظر إليه كأنه ساكن لا يسير؛ فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**.

ثم يحتمل أن تكون[٢] هذه الأهوال التي ذكر لأهل الكفر والعصاة منهم. فأما أهل الإيمان والإحسان يكونون في أمن وعافية من تلك الأهوال، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا،[٣] الآية.

وقوله: **وترى الأرض بارزة**، أي ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شيء، تصير مستوية على ما ذكر: قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٤] ويحتمل قوله: **وترى الأرض بارزة**، أي يكون أهلها بارزين له، كقوله: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا.[٥]

وقوله: **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**، أي نجمعهم جميعا، كقوله: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[٦]

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وعرضوا على ربك صفا**، قال بعضهم: عرضوا على ربك جميعا. ثم يحتمل قوله: **وعرضوا على ربك**، للحساب. وقال بعضهم: يعرضون على مقامهم، أي يعرض كل فريق على مقامه، أي يبعث، كقوله: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ.[٧] ويحتمل معنى العرض عليه في ذلك اليوم وإن كانوا في جميع الأحوال والأوقات في الدنيا والآخرة معروضين[٨] عليه؛ [وهو] عالِمٌ بأحوالهم، لِمَا يُقِرّون له جميعا يومئذ منكرهم ومُقِرُّهم بالعرض والقيامة؛[٩]

---

[١] سورة النمل، ٢٧/١٠٨.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] سورة فصلت، ٤١/٣٠.
[٤] سورة طه، ٢٠/١٠٦-١٠٧.
[٥] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[٦] سورة الواقعة، ٥٦/٤٩-٥٠.
[٧] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠-٩١.
[٨] ع: معرضين.
[٩] ر م: والقيمة.

كقوله: وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا،[1] وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ،[2] والأمر في جميع الأوقات لله. وكذلك: هُمْ بَارِزُونَ،[3] له في جميع الأحوال. / لكنه خص ذلك اليوم بالإضافة إليه لما[4] يقرون له جميعا في ذلك اليوم بالألوهية له والملك ويعرفون حقيقته، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*. [٤٥٣ظ]

وقوله عز وجل: **لقد جئتمونا كما خلقناكم أولَ مرة**، يحتمل هذا وجوها. يحتمل:[5] لقد جئتمونا بالإجابة والإقرار لنا كما أجابت[6] خلقتُكم في أول خلقنا إياها في الدنيا. والثاني **لقد جئتمونا**، كما قلنا في الدنيا إنكم تبعثون وتحشرون وتقوم لكم الساعة. والثالث ما قاله أهل التأويل: **لقد جئتمونا فرادى**، بلا أنصار ينصرونكم ولا أعوان يعينونكم على ما كنتم في الابتداء. وقال بعضهم: كما خرجتم من بطون أمهاتكم عُراةً حُفاةً[7] ليس معكم مال يمانعكم ولا أنصار تُناصِركم،[8] وهو ما قال: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ.[9]

وقوله عز وجل: **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**، هذا يدل أن تلك الأهوال التي ذكر إنما تكون للعصاة ومن أنكر البعث، حيث قال: **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**، يعني القيامة.[10] وهذا يدل أن الأهوال والأفزاع التي ذكر في الآية الأولى تكون للعُصاة والفَسَقَة من خلقه دون المؤمنين.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ووضع الكتاب**، قيل: الحساب. ويحتمل الكتاب الذي كتبته الملائكة، وضع ذلك الكتاب في أيديهم.

---

[1] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[2] ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ١٨/٨٢-١٩).
[3] ﴿يَوْمَ هُمْ بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لِمَنِ الملكُ اليومَ لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ١٦/٤٠).
[4] ن ع: لما.
[5] ن: محتمل.
[6] ر ع م: كما أجاب.
[7] ر ع م: وحفاة.
[8] ر ع م: يناصركم.
[9] سورة الأنعام، ٩٤/٦.
[10] ر ن م: القيمة.

وقوله عز وجل: **فترى المجرمين مشفقين**، أي خائفين وَجِلين. وقال بعضهم: لما نظروا في الكتاب فرأوا[١] من أعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا **مما فيه**.

وقوله تعالى: **ويقولون ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، من أعمالهم[٢] السيئة، **إلا أحصاها**، أي حفظها، ويقال:[٣] **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، من الحسنات والسيئات **إلا أحصاها**. ويحتمل: **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**، أي لا يترك شيئا مما يجزي به الإنسان[٤] وما لا يجزي[٥] **إلا أحصاها**، أي حفظها.

ووجدوا[٦] **ما عملوا** في الدنيا **حاضرا** في الآخرة محفوظا غير فائت[٧] عنه شيءٌ[٨] ولا غائب منه. وقال بعضهم: إنما هو قول الملَك يقول لهم ذلك، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[٩] أي حفيظ. *والله أعلم*.

وقوله[١٠] عز وجل: **ولا يظلم ربك أحدا**، أي يجزي كُلا على قدر عمله لا يزيد على قدر عمله[١١] ولا ينقص منه، أو لا ينقص المؤمنَ من حسناته، والكافر لا يَترك له سيئة.[١٢] الظلم هو في الشاهد وضع الشيء غير موضعه؛ يقول: **لا يظلم ربك أحدا**، أي لا يكون بما يجزي كلا على عمله[١٣] ظالما واضعا شيئا غير موضعه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، ذكر الله عز وجل: قصة آدم وإبليس

---

[١] ر: فرادي.
[٢] ر ع م: من أعمال.
[٣] ر ع م - يقال.
[٤] ن - الإنسان.
[٥] جميع النسخ + به.
[٦] ن + ووجدوا ما عملوا حاضرا قال بعضهم هذا خبر عن الله أنهم وجدوا.
[٧] ر م: ثابت.
[٨] م - شيء.
[٩] سورة ق، ١٨/٥٠.
[١٠] ر: قوله.
[١١] ع - لا يزيد على قدر عمله.
[١٢] أي لا يترك الله من سيآت الكافر شيئا إلا أحصاها.
[١٣] ع: على علمه.

في غير موضع من القرآن على الزيادة والنقصان، وإنما ذكر كذلك وكرر لما كذلك كان في الكتب المتقدمة مكررا مُعادا؛ فذكر في القرآن على ما كان في تلك الكتب ليكون ذلك آية لرسالة محمد حيث علموا أنه كان لا يعرف الكتب المتقدمة. أو أن ما كرره لحاجات كانت لهم ولفوائد تكون لهم في التكرار؛ أو كرر[1] لتكون[2] لهم عظة وتنبيها في كل وقت وكل حال. وقد يكرر الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه. والله أعلم بذلك.[3]

وقوله عز وجل: **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن**، اختلف فيه. قال بعضهم: سمي من الجن لأنه كان من الجانّ الذين يعملون في الجنان فنسب إليه. وقال بعضهم: إن من الملائكة قبيلة يقال لها الجن فكان إبليس منها فنسب إليها. وقال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة قطّ طرفةَ عين ولكنه من الجن كما قال الله؛ فهو[4] أصل الجن وهو أول من عصى ربه من الجن، كما[5] أن آدم هو أصل الإنس وهو أبوهم، فعلى ذلك إبليس أب الجن.[6] وقال بعضهم: **كان من الجن**، أي صار من الجن؛ وكذلك قالوا [في قوله تعالى:] وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[7] أي صار من الكافرين. وقال بعضهم: **كان من الجن**، أي كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن،[8] وكان في علم الله في الأزل أنه يكون من الكافرين وقتَ عصيانه ربه وإبائِه السجودَ لآدم. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم.[9]

وقوله عز وجل: **ففسق عن أمر ربه**، قيل عتى وعصى. وأصل الفسق الخروج، أي خرج عن أمر ربه؛ وكذلك قال القُتَبي: **ففسق**، أي خرج عن طاعته. يقال: فسقت الرُّطَبَة، إذا خرجت من قشرها.[10]

وقوله عز وجل: **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه أراد بقوله: **من دوني**[11] نفسه فكأنه قال: **أفتتخذونه وذريته** أربابا وآلهة **من دوني وهم لكم عدو**،[12]

---

[1] ر ع م – أو كرر.
[2] جميع النسخ: ليكون.
[3] ن – بذلك.
[4] ع: هو.
[5] ر ع م – كما.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٧٠.
[7] ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٤).
[8] ر – كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن؛ م + كان في علم الله في الأزل أنه يكون من الجن.
[9] انظر: سورة البقرة، ٢/٣٤.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.
[11] جميع النسخ: من دون، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٩ظ.
[12] ر ع م – عدو.

وليسوا بآلهة ولا أرباب، فكيف يجوز أن يُتَّخذ العدوُّ ربا وإلٰها؟ والثاني أنه أراد بقوله: **أولياء من دوني**، أي من دون أوليائي. فكأنه قال: أفتتخذونه وذريته أولياء من دون أوليائي[1] وهم لكم عدو؟ أي كيف تتخذون الأعداء أولياء وتتركون من هم[2] لكم أولياء ولا تتخذونهم أولياء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بئس للظالمين بدلا**، أي بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم أن عبدوا إبليس وأطاعوه فبئس ذلك لهم بدلا. أو أن يكون قوله: **بئس للظالمين بدلا**، أي [بئس][3] ما اتخذوا أعداءهم أولياء بدلا عن أوليائهم أو بدلا عن الوهيته وربوبيته.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [٥١]

وقوله عز وجل: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، قال بعضهم: قال هذا لمشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله والأصنامُ التي عبدوها أنها[4] آلهة وأنها شركاؤه؛ فيقول: ما أشهدتهم خلق الملائكة وخلق الأرض ولا خلق أنفسهم ولا كان لهم كتاب ولا آمنوا / برسول؛ فكيف عرفوا ما قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام آلهة[5] وشركاؤه؟ [٤٥٤و] وأسباب العلم والمعارف هذا: إما المشاهدة و إما الكتاب[6] وإما الرسل.[7] فإذا لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا ربهم وبم علموا[8] ما قالوا في الله من الولد والشركاء؟ وإلى هذا يذهب الحسن. ومنهم من قال: لاتخاذهم إبليس وذريته أولياء وأربابا؛ وهو صلة ما قال: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ،[9] الآية.

وفيه وجوه من التأويل، يقول: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، أي ما استحضرتهم خلق أنفسهم، لأنهم لم يكونوا في ذلك الوقت؛ ولا خلق السماوات والأرض،

[1] ر: أولياء.
[2] ع:منهم.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٦٩ظ.
[4] ر – أنها.
[5] ن – آلهة.
[6] ر ع م – وإما الكتاب.
[7] ن: الرسول.
[8] ع: عملوا.
[9] الآية السابقة.

لأنه[1] خلقهما وهم لم يكونوا أيضا شيئا. أو **ما أشهدتُهم**، ما أعلمتهم تدبير **خلق السماوات والأرض ولا** تدبير **خلق أنفسهم** فكيف قالوا ما قالوا في الله[2] من الدعاوى؟ والثالث، **ما أشهدتهم**، أي ما استعنت بهم في **خلق السماوات والأرض ولا** في **خلق أنفسهم** فكيف أشركوا في ألوهيتي وربوبيتي وما استعنت بهم في ذلك؟ *والله أعلم*.

وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه الآية على أن خلق الشيء هو غير ذلك الشيء؛ لأنه قال: **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**، وقد شهدوا السماوات والأرض وشهدوا أنفسهم، حتى قال لهم: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[3] ثم أخبر أنه لم يُشهدهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم دل أنّ خلق السماوات والأرض وخلْقَ أنفسهم غيرُ السماوات والأرض وغير أنفسهم.

وقوله عز وجل: **وما كنتُ متخذ المضلين عضدا**، قال بعضهم: وما كنت متخذ المضلين عن الإيمان والهدى أعوانا لديني. والثاني، وما كنت متخذ المضلين عبادي ينصرون ديني أو يعونون[4] أوليائي. وقال بعضهم: وما كنت متخذ المضلين الذين أضلوا بني آدم عونا فيما خلقت من خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، وهو إبليس وذريته. أو **ما كنت متخذ المضلين** أولياء إنما اتخذتهم[5] أعداء وما كنت لِأُوَلِّي المضلين عَضُدا على أوليائي، كقوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ،[6] ونحوه. وكله قريب بعضه من بعض.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم**، قال: **شركائي**، على زعمهم، وإلا لم يكن لله شركاء. **فدعوهم**، يعني دعوا الأصنام التي عبدوها، **فلم يستجيبوا لهم**. قال أبو بكر الأصم: لم يجيبوهم في وقت وقد أجابوهم في وقت آخر وهو ما قالوا: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[7]

---

[1] ع: لأن.
[2] ع: في الدعاء.
[3] ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٠-٢١).
[4] جميع النسخ: ينصر ديني أو يعون.
[5] جميع النسخ: اتخذهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠و.
[6] ﴿قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٤).
[7] ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٩).

ولكن قوله: **فلم يستجيبوا لهم**، لما[1] كانوا يعبدونها في الدنيا وإنما كانوا يعبدونها طمعا أن[2] يكونوا لهم شفعاء وأنصارا، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ،[3] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى،[4] وكقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا.[5] فيكون قوله: **فلم يستجيبوا لهم**، ما طمِعوا بعبادتهم الأصنام من الشفاعة والنصرة ودفعِ ما حلّ بهم عنهم والمنعِ عن[6] عذاب الله. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وجعلنا بينهم مَوْبِقا**، أي بين أولئك وبين الأصنام **مَوْبِقا**. قال بعضهم: مَهْلِكا، وقال بعضهم: الموبق الذي يفرّق بينهم وبين آلهتهم في جهنم. وقال بعضهم: الموبق وادٍ في جهنم،[7] وقال بعضهم: نهر فيها. وقال بعضهم: جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين المشركين وبين الأصنام **موبقا**، أي مَهْلِكا.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **فظنوا أنهم مواقعوها**، أي علموا وأيقنوا أنهم داخلوها. **ولم يجدوا عنها مصرِفا**، أي لم تقدر[8] الأصنام التي عبدوها أن تصرف النار عنهم. قال أبو عبيدة: **ولم يجدوا عنها مصرفا**، أي مَعْدِلا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ولقد صرفنا**، قد ذكرنا وبينا في غير موضع.[9] وقوله عز وجل: **من كل مثل**، يحتمل وجهين. أحدهما **من كل مثل**، أي من كل صفة، كقوله: وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى،[10] أي الصفات العليا. والثاني المثَل هو الشبيه،

---

[1] ع: إنما.
[2] ر ع م: أو.
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[5] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩-٨٢).
[6] ع: من.
[7] ر ع م – وقال بعضهم الموبق واد في جهنم.
[8] جميع النسخ: لم يقدر.
[9] انظر: سورة الإسراء، ٤١/١٧، ٨٩.
[10] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[1] فإن كان التأويل الشبيهَ فكأنه[2] يقول -والله أعلم- **ولقد صرفنا**، أي بيّنا **في هذا القرآن من كل مثل**، من كل ما بهم حاجةُ إلى معرفةِ ما غاب عنهم؛ جعل لهم شبيها مما شاهدوا أو عرفوا[3] ليعرفوا به ما غاب عنهم. وإن كان تأويل المثل الصفةَ فكأنه يقول -والله أعلم-: ولقد بيّنا في هذا القرآن من كل ما يُؤتى وما يُتقى صفةً[4] يعرفون بها ما لهم وما عليهم وما يأتون[5] وما يَتقون.[6] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان أكثرَ شيء جَدَلا**، قال أهل التأويل: **وكان الإنسان**، يعني الكافر، **أكثر شيء جدلا**، أي جدالا، كقوله: وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ.[7] ويشبه أن يكون قوله: **وكان الإنسان أكثر شيء جدلا**، أي وكان جوهر الإنسان أكثر جدلا من غيرهم من الجواهر. لأن الجنّ لما عُرض عليهم القرآن والآيات قبلوها على غير مجادلة ذُكرت، حيث قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،[8] الآية. وكذلك الملائكة لم يُذكر منهم الجدال ولا المحاجَة في ذلك. وقد ظهر من[9] جوهر الإنسان المجادلات والمحاجَاتُ في الآيات والحُجج. من ذلك قوله: هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ،[10] الآية؛ وقوله:[11] وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[12] وقوله: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ / إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[13] وقوله: وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ،[14] وأمثالُ هذا. ولذلك أُحتيج إلى إنزال كثرة الآيات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة. وفيه الإذن بالمجادلة في الدين[15] على الوصف الذي ذكر. ***والله أعلم***. [٤٥٤ظ]

---

[1] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[2] ن: وكأنه.

[3] ن: وعرفوا.

[4] جميع النسخ: وصفه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠و.

[5] ر ع م: ما يأتون.

[6] ر ع م: يسبقون.

[7] ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أُنذروا هزوا﴾ (سورة الكهف، ٥٦/١٨).

[8] ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ (سورة الجن، ٧٢/١-٢).

[9] ر ع م - من.

[10] ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (سورة آل عمران، ٦٦/٣).

[11] ر م: وقولهم.

[12] سورة النحل، ١٢٥/١٦.

[13] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ (سورة العنكبوت، ٤٦/٢٩).

[14] سورة الكهف، ٥٦/١٨.

[15] ن: في الذين.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى**، أي لم يمنع الناس أن يؤمنوا إلا التعنُّت والعناد، لأنه قد أكثر عليهم من الحجج والآيات ما لو[١] لم يعاندوا ولا كابروا لألزمتهم[٢] الإيمانَ بها والتصديق لكن الذي منعهم عن الإيمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم، إلا أن تأتيهم سنة الأولين؛ وسنة الأولين الاستيصال والإهلاك. فيقول: لا يؤمنون إلا في ذلك. والإيمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[٣]

وقوله عز وجل: **أو يأتيهم العذاب قُبُلا**،[٤] أي عِيانا جِهارا. قال أبو عبيدة: **أو يأتيهم العذاب قُبُلا**، أي مقابلة، وقِبَلا، استينافا. وقال مجاهد: **قُبُلا**، فجأةً؛ وقال: قِبَلا،[٥] قبيلا قبيلا.[٦] قال أبو عوسجة: **قُبلا**، أي مواجهة وكذلك قِبَلا. وقال القُتَبي: قُبلا، أي مقابلة وعيانا.[٧] ***والله أعلم.***

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾[٥٦]

وقوله: **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين**، أي لم نرسلهم إلا ما يوجب لهم البِشارة والنِذارة، إنما أُرسلوا للأمر والنهي ليأمروا الناس بالطاعة طاعةِ لله وينهَوْهم عن معاصيه، لهذا أرسلوا. فالبشارة لمن اتبع أمرهم وانتهى ما نَهَوْا عنه؛ والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه. فيكون البشارة للمتبعين لهم في أمرهم والنذارة للمرتكبين المنهيَّ. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويجادل الذين كفروا بالباطل**، يحتمل قوله: **ويجادل الذين كفروا بالباطل**، ما نسبوه إلى السحر والكهانة والإفك وغيره، به يجادلونه وهو باطل. أو أن يكونوا عرفوا

---

[١] ر ع م – لو.

[٢] ر م: لالترمهم.

[٣] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥.

[٤] قرأ النافع وابن كثير و أبو عمرو ويعقوب "قِبَلا" –بكسر القاف وفتح الباء–، والباقون من الأئمة العشرة "قُبُلا" –بضمهما– (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح يالوي، ٨٥). وتأويل قِبَلا، معاينةً، وتأويل قُبُلا، جمع قبيل؛ المعنى: أو يأتيهم العذاب أنواعا. ويجوز أن يكون تأويل قُبُلا بمعنى من قُبُل، أي مما يقابلهم (انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣/٢٩٦-٢٩٧).

[٥] ن م – فجأة وقال قبلا.

[٦] أي جماعة جماعة. ر ع م: قبيلا.

[٧] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.

أنّ ما يجادلونهم به[1] ويحاجُّونهم باطل، وأن ما يدعوهم الرسول إلى الله حق وصدق ونور؛ لكن[2] يعاندونه ويجادلونه وعندهم أنهم على باطل، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ،[3] الآية، عرفوا أنه نور لكنهم عاندوه في المجادلة والمحاجة بالباطل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ليُدْحِضوا به الحق**، أي ليبطلوا به الحق.

وقوله عز وجل: **واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا**، قال بعضهم: آياته الشمس والقمر وغيره؛ **وما أُنذروا** به، ما أَنذر به الرسل وهو[4] القرآن.[5] وقال بعضهم: قوله **واتخذوا آياتي**، القرآن والحجج التي أقامها، **وما أنذروا**[6] به غير القرآن من[7] المواعيد، **هزوا**. وقال صاحب[8] هذا التأويل: تأويل الأول باطل لا يصح، لأنه قال على أثره: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا.[9] يقول: هذا يدل أنه أراد بالآيات ما ذكرنا من الحجج والبراهين لا ما ذكر. وجائز أنهم إذا لم يعملوا[10] بآياته و لم يستعملوها نسبهم إلى الهُزْء بها والسخرية وإن لم يَهزَءوا بها. وهو ما سماهم عُمْيا وبُكْما وصُمّا،[11] لما[12] لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك، فإذا كان[13] فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***. ثم يحتمل مجادلتهم إياهم ما قالوا: هذا سحر[14] وكهانة[15] وإنه إفك[16] وشعر[17] ونحوه.

---

[1] م – به.

[2] م – لكن.

[3] سورة التوبة، ٣٢/٩؛ وسورة الصف، ٨/٦١.

[4] ر ع م: هو.

[5] يعني لأمة محمد عليه السلام، و الكتب السماوية الأخرى للأمم السالفة.

[6] جميع النسخ: وما أمروا به؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.

[7] ن: هو؛ ر ع م: هي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.

[8] ر ع م – صاحب.

[9] الآية التالية.

[10] ن: لم يعلموا.

[11] ﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢، وانظر أيضا: الآية ١٧١).

[12] ر ع – لما.

[13] ن – فاذا كان.

[14] الآيات المتعلقة بهذه الدعوى كثيرة في القرآن، انظر على سبيل المثال: سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة القصص، ٤٨/٢٨؛ وسورة المدثر، ٢٤/٧٣.

[15] سورة الحاقة، ٤٢/٦٩.

[16] سورة الفرقان، ٤/٢٥.

[17] سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة يس، ٦٩/٣٦؛ وسورة الحاقة، ٤١/٦٩.

أو أن يكون مجادلتهم [إياهم] قولَهم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً،[١] وقولَهم: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[٢] وأشباهَ ذلك من المجادلات التي كانت منهم. *والله أعلم*.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **ومن أظلمُ ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها**، يحتمل قوله: **ذكر بآيات ربه**، أي وُعظ بالآيات التي نزلت بمكذبي الرسل من الأمم الماضية؛ فيكون تأويله أي لا أحد[٣] أظلم على نفسه ممن وُعظ بآيات ربه فأعرض عنها ما لو اتّعظ بما وُعظ كان به نجاته. أو أن يكون تذكيره بآيات ربه هو[٤] ما أقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها و لم يصدقها. أي لا أحد أظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الآيات والحجج و لم يقبلها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأعرض عنها**، يحتمل الإعراض عنها في الابتداء، أي لم يقبلها و لم يكترث إليها و لم ينظر فيها. أو أعرض عنها بعد ما عرفها أنها آيات وأنها حجج تعنتا وعنادا.

وقوله عز وجل: **ونسي ما قدمت يداه**، يحتمل[٥] **نسي [ما قدمت يداه]**، من الخيانة والشرك. أو أن يكون قوله: **ونسي ما قدمت يداه**، موصولا بالأول، أي لا أحد أظلم على نفسه ممن وُعظ وجُعل له سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به. *والله أعلم*.

[٤٥٥و س١٨] *وفي قوله: **قدمت يداه**، ذكر تقديم اليد وإن لم يكن لليد صنعٌ في ذلك، لما في العرف الظاهر أنه إنما يقدِّم ويؤخِّر باليد؛ كذلك ما ذكر من الكسب: فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٦] لأنه في الشاهد إنما يكتسب باليد ونحوه. فهو يرد على أصحابِ الظاهر[٧] أنّ الخطاب على مخرج الظاهر؛ حيث لم يفهم من ذكر اليد هاهنا اليد نفسها، ولكن فُهِم غير اليد.* [٤٥٥و س٢١]

---

[١] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٢] ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصُدُّونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ (سورة إبراهيم، ١٠/١٤).
[٣] ع: أي إلى أحد.
[٤] جميع النسخ: وهو، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.
[٥] جميع النسخ + أي.
[٦] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[٧] ر ع – الظاهر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٥و/سطر١٨-٢١.

وقوله عز وجل: **إنا جعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا**، إن الكفر مظلم إذا أتي به إنسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه. والإيمان منير ينير القلب وينير كل جارحة منه وعضوٍ. وهو ما ذكرنا في غير موضع أن الإنسان إنما يُبصر بنورين ظاهرين: بنور نفسه وبنور ذلك الشيء، فإذا ذهب أحدهما ذهب الانتفاع بالآخر. والإيمان كما ذكرنا[1] أنه منير وفي القلب نور، فإذا اجتمع النوران معا فعند ذلك انتفع به فجعل يَفْقهُ ويعقل الشيء بنور القلب وبنور الإيمان. وكذلك كل جارحة[2] منه[3] من الأذن والبصر واللسان جعل يبصر الحق به[4] ويعتبر به ويستمع الحق والصواب. والكفر مظلم يمنع ويستر على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر ولا يستمع ولا يتكلم بالحق. وهو ما ذكرنا أن الإنسان إنما يبصر الشيء بنور العين وبنور الهواء فإذا ذهب أحدهما صار لا يبصر شيئا، فعلى ذلك ما ذكرنا.

وفي الآية دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه لا يخلو الكفر من أن يكون مظلما قبيحا ذميما بنفسه أو بالله تعالى. / [٤٥٥و] فإن قيل: بنفسه[5] صار كذلك. قيل: لئن جاز ذا جاز حدوث الأشياء بنفسها، إذ لا فرق بين أن يكون الشيء مظلما قبيحا ذميما بنفسه وبين أن يكون الأشياء بنفسها[6] على ما كانت. فإذا[7] بطل كونه[8] بنفسه مظلما قبيحا ثبت[9] أن الله هو الذي جعله[10] مظلما قبيحا. وهو ما نقول[11] نحن: إن الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الإيمان من المؤمن منيرا حسنا. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **وإن تدْعُهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا**، هذا في قوم مخصوصين عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا، وإلا لا يحتمل في جميع الكفار، إذ من الكفار من قد آمن.

---

[1] جميع النسخ: ما ذكرنا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ.
[2] ع: خارجة.
[3] ع – منه.
[4] م – به.
[5] ر ع م – بنفسه.
[6] ر ع م: بأنفسها.
[7] ر ع م: فإنه.
[8] ر ع م – كونه.
[9] م: يثبت.
[10] ر ع م: جعل.
[11] ر ع م: يقول.

وقال[1] الحسن: هو في الذين[2] جُعل على قلوبهم الغطاء والطبع، إذ من قوله: إن للكفر حدا إذا بلغ الكافر ذلك الحدَّ طُبع على قلبه فلا يؤمن أبدا. وقال بعضهم: هو في قومٍ عادتُهم العناد والمكابرة وتكذيب الآيات والحجج، فأخبر أنهم لا يؤمنون أبدا لعنادهم. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وربك الغفور ذو الرحمة**، يحتمل أن يكون على وجهين. أحدهما **الغفور**، حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم؛ **وذو الرحمة**، يقبل توبتهم إذا تابوا. والثاني **الغفور**، إذا استغفروا وتابوا؛ **وذو الرحمة**، يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب.

وقوله عز وجل: **لو يؤاخذهم بما كسبوا لَعَجَّلَ لهم العذاب** في الدنيا؛ **بل لهم موعد**، قال الحسن: جعل الله لكل أمة يَهلِكون لهلاكهم موعدا وأجلا، كقوله: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ،[3] وقال في آية أخرى:[4] [فَعَقَرُوهَا فَقَالَ:] تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.[5] وجعل موعد هذه الأمة الساعةَ، وهو قوله: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ،[6] الآية.[7] قال بعض أهل العلم: أهلك كل أمة كذبت رسولها لتتعظ الأمةُ التي تأتي بعدها، وجعل هلاك أمة محمد بالساعة لأنه ليس بعدها أمة تتعظ[8] به.

وقوله عز وجل: **لن يجدوا من دونه مَوْئِلًا**، قيل: ملجأ. وقال القتبي: يقال لا وَأَلَتْ نفسُك، أي لا نجتْ؛ ويقال: وَأَلَ فلان إلى كذا، أي لجأ.[9]

---

[1] م + و قال.

[2] ر م: قول الذين؛ ع: في القول الذي.

[3] ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يَصِلوا إليك فَأَسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ من الليل ولا يَلْتَفِتْ منكم أحد إلا امرأتك إنه مُصِيبُها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ (سورة هود، ٨١/١١).

[4] ن – أخرى.

[5] سورة هود، ٦٥/١١.

[6] سورة القمر، ٤٦/٥٤.

[7] ر ع م – الآية.

[8] ن: توعظ.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لِمَهْلِكِهِمْ موعدا**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يجعلون المُهلَك هالكا قبل أجله؛ وقد أخبر عز وجل أنه جعل[١] **لمهلكهم موعدا**، لا يتقدم ولا يتأخر طرفة عين.*

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين**، قال أهل التأويل: **لا أبرح**، أي لا أزال **حتى أبلغ** كذا. فإن كان على هذا فهو ظاهر. وإلا حرف البَرَاح يعبّر عن البراح[٣] عن المكان، أي لا أبرح المكان **حتى أبلغ مجمع البحرين**. وهو كأنه على الإضمار، أي لا أبرح أسيرُ معك حتى أبلغ كذا. كأنه سبق مِن فتاه أنه يسير إلى ذلك المكان دونه، على ما يقول الخادم لمولاه إذا أراد أن يسير لحاجة: أنا أسيرُ وأنا أذهب. فعند ذلك قال له موسى: **لا أبرح**، أي لا أفارقك وأسير معك **حتى أبلغ** ما ذُكر، أي أُمِرتُ بذلك. وقال بعضهم: سماه فتًى لأنه كان خادمَه يخدمه. وقال بعضهم: سماه فتى لأنه كان يتبعه ويصحبه ليتعلم منه العلم.

وقوله: **مَجْمَعَ البحرين**، أي ملتقى البحرين. وقوله: **أو أَمْضِيَ حُقُبًا**، قيل زمانا ودهرا. وقيل: الحقب ثمانون سنة. وقال بعضهم: هو بلغة قوم سنة. وقال بعضهم: هو على التمثيل على ما يبعد. وقيل: سبعون سنة، ونحوه. *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[٦١]

وقوله: **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما**، أضاف النسيان إليهما وإن كان الذي نسيه هو فتاه. وقال بعضهم: أضاف النسيان إليهما على الترك،[٤] لأنهما فارقا ذلك المكان وتركا[٥] الحوت فيه. وإنما أضاف النسيان إليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه، وإن كان الفتى هو الذي نسيه دون موسى، حيث قال: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ،[٦] وكل مَنْسِيٍّ متروك. وقال بعضهم: أضاف إليهما لما كان منهما جميعا النسيان، نسي الفتى أن يذكره ويخبره أن سَرَب في البحر،

---

[١] ر ع م – أنه جعل.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٥و/سطر١٨-٢١.

[٣] جميع النسخ: يعرف البراح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٠ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٥٣٧و.

[٤] ع: على التراك.

[٥] ر ع م: وترك.

[٦] سورة الكهف، ٦٣/١٨.

ونسي موسى أن يستخبره عنه؛ فقد كان منهما جميعا النسيان: عن الفتى الإخبار والتذكير وعن موسى الاستخبار عن حاله. وقال بعضهم: أضاف ذلك إليهما لما نسيا مكان الرجل الذي أُمِر موسى أن يأتيه ويقتبس منه العلم. فهو على الجهل يخرج على[1] هذا التأويل، أي جَهِلَا مكانه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فاتخذ سبيله في البحر سربا**، قال أبو عَوْسَجَة: **سَرَبًا**، أي دخل في البحر كما يدخل في السَّرَب؛ والسَّرَب هو داخل الأرض، يقال بالفارسية سُمْج.[2] وقال القُتَبي: **سربا**، أي مذهبا ومسلكا.[3]

وقول أهل التأويل: إن الحوت كان مَشْويا فأحياه الله، وقال بعضهم: كان طَرِيّا. ولكن ليس لنا إلى معرفة الحوت أنه كان مَشْويا أو طَرِيّا حاجةٌ، وهو قادر على أن يحييه مَشْويا / أو طريا في أي حال كان. ***والله أعلم***. [٤٥٥ظ]

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فلما جاوزا**، يعني مكانه، **قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**.[4] فيه دلالةُ أنْ لا بأسَ[5] للرجل إذا أصابته مشقة وجهد أن يذكر: أصابني كذا، وللمريض [أن] يقول: بي من المرض كذا. ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى والجزع عن الله حيث قال موسى عليه السلام:[6] **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**، أي[7] تعبا وجهدا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**. وفي حرف ابن مسعود: "أن أُذَكِّرَكَهُ".[8] قال الحسن: لم يكن نسيه ولكن تركه متعمدا مضَيِّعا، وإنما أضاف إلى الشيطان يقول: إن الشيطان هو الذي حملني حتى تركت ذكره لك.

---

[1] ر م: علما.

[2] انظر: *فرهنك فارسي عميد* للحسن عميد، «سمج».

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٩.

[4] ر ع م: أيضا.

[5] ع: أن بأس.

[6] ر ن م – موسى عليه السلام.

[7] ن – أي.

[8] ر ع م: أن أذكر له. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

وكذلك يقول [الحسن] في قوله في قصة آدم: فَنَسِيَ،[1] أي ضيع أمره وتركه ونحوه من المَحالّ.[2] ولكن لا يحتمل أن يترك أن[3] يذكر له عمدا.[4] والشيطان مما يسعى بالحيلولة في مثل هذا في أمر الدين، وفي النِّعم إذا كثرت واتسعت على إنسان فيسعى بالإنساء[5] في مثله.

وقوله عز وجل: **واتخذ سبيله في البحر عجبا**، قال بعضهم: عجِب موسى من الفتى أنْ كيف نسي أن يذكِّره وقد احتاج إلى أن يتحمل مَئُونة عظيمة في حمله. وقال بعضهم: عجِب موسى منه حين يَبِس له الماء وأثرُه فيه.[6] ***والله أعلم***. ثم [لما] ذكر [الفتى] موسى بخبر الحوت وما صنع قال:[7] ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ،[8] أي نطلب من حاجتنا من الظفر بذلك الرجل، يقول ذلك لفتاه.

ثم في الآية وجوه من الفوائد. أحدها أن يلزم الإنسانَ طلب العلم واقتباسُه، إذا كان[9] به وبالناس[10] حاجةٌ إليه وإن بعُدت الشُّقَّة ونَأَى الموضعُ، حيث قال موسى: لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.[11] وفيه أن لا بأس لاثنين أن يسافرا، ولا كل واحد واثنين يكونان شيطانين على ما ذكر في بعض الأخبار: أن الواحد شيطان والاثنين شيطانان؛[12]

---

[1] ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٥).

[2] «وكأنه حمله على هذا ونحوه من المحال لما لا يرى النسيان جائز المؤاخذة فحمل النسيان ههنا على الترك، لأنا نستدل بهذه الآية حيث قال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ أضاف الإنساء إلى الشيطان، وإنما يسعى الشيطان في كل ما هو جائز المؤاخذة؛ لما لعله يؤاخذ الذي أوقعه فيه بذلك. وكذلك في قصة آدم، ذكر النسيان وجعل ذلك منه زلة حتى عاتبه بذلك. فدل أن النسيان جائز المؤاخذة. وما ذكر أن المراد منه أنه ترك ذكر خبر الحوت لموسى عمدا لا معنى له، لأن الله تعالى أخبر عنه أنه أضاف ذلك إلى الشيطان. ولو كان المراد هو ترك الذكر له عمدا لم يكن للإضافة إليه معنى، لأن الشيطان إنما يسعى في الأغلب بالحيلولة والمنع فيما كان من أمر الدين أو يفضي إليه وفي النعم إذا كثرت واتسعت على إنسان فيسعى في الإنساء في مثله. فأما السعي والحمل على ترك ذكر الحوت لا معنى له. وأما في إنساء أمر الحوت للفتى حتى يحتاج إلى الرجوع وطلبه وفيه تعب عظيم وقلّ ما يخلو ذلك عن تقصير في أمر الدين فمما يسعى له الشيطان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧١و).

[3] ن + أن.

[4] أي لا يحتمل أن يترك الفتى تذكير موسى عليه السلام عمدا.

[5] ن ع م: بالإنسان.

[6] «وقال بعضهم: عجب موسى مما أخبره الفتى أن الحوت اتخذ سبيله في البحر ويبس له الماء وأثره فيه» (شرح *التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٥٣٧ظ).

[7] جميع النسخ: فقال.

[8] من الآية التالية.

[9] ر ع م: إذ كان.

[10] ع: والناس.

[11] سورة الكهف، ١٨/٦٠.

[12] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراكب شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ» (سنن *أبي داود*، الجهاد ٨٦).

ولكن واحد دون واحد واثنان[1] دون اثنين.[2] وفيه أنه لا يسافر إلا بالزاد حيث تَزَوّد موسى والفتى الحوتَ[3] الذي ذكر[4] حين خرجا إلى حيث أُمر موسى أن يخرج في مجمع البحرين.

فأما أهل التأويل فإنهم قالوا جميعا: إنه أُمر موسى أن يأتي الخَضِر ليتعلم منه العلم. ولكن ليس في القرآن ذكر الخضر إنما فيه ذكر عبد من عباده، حيث قال: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا.[5]

وفيه أن الثُّنْيا إنما تلزم في كل فعل مستقبل مما يُشكّ فيه ويُرتاب. فأما ما[6] كان سبيل معرفته الوحيَ واليقينَ فإنه لا يُستثنى فيه، حيث قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.[7] قال ذلك من غير ثنيا، لأنه عز وجل أمر[8] أن يأتيه. ولا يحتمل أن يؤمر بالإتيان في مكان ثم هو يَشك أنه لعله لا يأتيه، لذلك قطع القول فيه. وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[9] قطع القول فيه من غير ثنيا،[10] لأنه علم بالوحي أنه لا يصبر على[11] ما يرى منه. وأما موسى فإنه قد استثنى فيما وعد أنه يصبر، لأنه أضافه[12] إلى حادث من الأوقات على الشك منه أنه يصبر أو لا يصبر[13] على[14] الارتياب ليس على اليقين، فقال: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا،[15] مما ذكرنا.

وفيه أن الرجل إذا اختلف إلى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فرأى منه مناكير ومظالم، يلزمه أن يفارقه ولا يتعلم منه العلم كصنيع موسى بصاحبه،[16] لما رأى منه ما رأى[17] من خرق السفينة

---

[1] جميع النسخ: واثنين.
[2] «ولكن المراد منه واحد دون واحد واثنان دون اثنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧١ظ).
[3] ر ع م: والحوت.
[4] ن: ذكره.
[5] سورة الكهف، ٦٥/١٨.
[6] ن: إن.
[7] سورة الكهف، ٦٠/١٨.
[8] ر ع – أمر.
[9] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[10] ع: غير أن ثنيا.
[11] ع + علي.
[12] جميع النسخ: أضاف.
[13] ع: أو يصبر.
[14] ر ع م: وعلى.
[15] سورة الكهف، ٦٩/١٨.
[16] م: صاحبه.
[17] ر ع م – منه ما رأى.

وقتلِ الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما[1] في الظاهر،[2] وإن كان ما فعل هو فِعْلَ الأمر، كرهَ موسى صحبته وندم على ذلك أشد الندامة، حتى جعله[3] على علم من ذلك كله. فهكذا الواجب على الرجل إذا رأى مناكير من الذي يأخذ منه العلم ومظالم أن يفارقه ولا يأخذ من علمه.[4] **والله أعلم**.*

ثم هذه القِصص والأنباء التي ذكرت لرسول الله على إثْر سؤالٍ كان منهم على ما ذكرنا في قصة أصحاب الكهف وغيرها من القِصص، أو على غير سؤال ولكن كانت في كتبهم فذُكر له ليعلم أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي أُمر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبغْيِه إليه.[6] قال بعضهم: وذلك أن موسى قام خطيبا في قومه فخطب خطبة لم يخطب قط مثلها فأعجبه ذلك فوقع عنده أن ليس أحد أعلم منه؛ فأُخبر أن في مجمع البحرين رجلا أعلمَ منك، فأمر بالمصير إليه والتعلم منه. وقال بعضهم: لا، ولكن موسى قد أُعطي التوراةَ وفيها علوم كثيرة فظن أنه ليس أحد أعلم منه؛ فأُخبر أن في[7] مجمع البحرين عبدا من عباد الله[8] أعلمَ منك. فأمر بالمصير إليه والتعلم منه.

فإن كان على ما ذكر أهل التأويل من السبب فيخرج الأمر له بالمصير إليه والتعلم منه مخرجَ العقوبة له والعتاب، لما خطر بباله ووقع في وهمه ما وقع. وجائز أن يكون الأمر له بالمصير إليه والتعلم منه ابتداءً محنةً من الله تعالى إياه بتعلم العلم / [٤٥٦و] من غير سبب كان من[9] موسى، على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنةً من الله يمتحنه بها، نحو ما أمر موسى بالمصير إلى طور سَيْنَاءَ وأُعطي هنالك التوراةَ في الألواح على غير سبب كان منه ولكن ابتداءَ محنةٍ يمتحنه بها.[10] فعلى ذلك يحتمل أمرُه له بالمصير إلى ما أمر[11] والتعلم منه ابتداءَ محنةٍ امتحنه بها.

---

[1] ع: أو ظلما.

[2] م + في الظاهر.

[3] ع: يجعله.

[4] ن: منه العلم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية الآتية برقم ٦٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٥ظ/سطر٢٨-٣١.

[6] ر ع م: عليه.

[7] ع – في.

[8] ر ع م: رجلا. وفي *الشرح* أيضا: "عبدا من عباد الله"، ورقة ٤٧١ظ.

[9] ر ع م – من.

[10] جميع النسخ: به، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧١ظ.

[11] ع: أمروا.

وقول أهل التأويل: إن صاحب موسى الذي أُمر موسى بالمصير إليه والتعلُّم منه الخضرُ، وفتاه الذي كان يصحبه ويتبعه يوشع بن نون؛ فذلك لا يُعلم[١] إلا بالسمع والخبر عمن يوحَى إليه فيعلمه بالوحي. وأما من أخبر ذلك وقاله لا عن وحي فلا يُعْلم ذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، إنما الحاجة إلى معرفة ما أُودِع فيه من أنواع الحكمة والعلوم.

وأما ما ذكروا أنه فلان وأنه كان في موضع كذا في البحر وأن موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا، فإن سبيل معرفة ذلك السمعُ، فإن ثبت السمع فيه، وإلا لم يجب أن يذكر فيه أكثر مما[٢] ذكر في الكتاب. لأن هذه الأنباء والقِصص التي ذكرت في القرآن إنما ذكرت لتَكُون آيةً لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فلو قيل فيها ما لم يذكر في كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا لإكْذَابه لا تصدقيه على ما يَدَّعي من الرسالة.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **ذلك ما كنا نَبْغِ**، أي فقدُ الحوت هو ما كنا نبغي. إذ كان ذلك عَلَما لوجود مكان ذلك الرجل.

وقوله عز وجل: **فَارْتَدَّا على آثارهما قَصَصا**، قال بعضهم: أي رجعا عَوْدَهما على بَدْئِهما. قال بعضهم: أي رجعا يقُصَّان طريقهما وآثارهما الذي مشَيَا فيه يطلبان المكان الذي فُقِد الحوت فيه؛ إذ ذلك المكان هو مكان علم وجود ذلك الرجل الذي أُمر موسى بالمصير إليه. وقال بعضهم: اقتصَّا أثر الحوت في الماء. لكن الأول أشبهُ،[٣] لأن في الآية ذكرَ آثارهما لا ذكر أثر الحوت.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا**، يحتمل **رحمةً من عندنا**، النبوةَ، حيث قال لموسى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[٤] لا يحتمل أن يقول له هذا إلا على علمٍ وحيٍ، وحيث قال: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي،[٥] أخبر أنه لم يفعل[٦] ما فعل عن أمر نفسه ولكن بأمر الله.[٧] ***والله أعلم***.

---

[١] ع - لا.
[٢] ع: ما.
[٣] ر: الأشبه.
[٤] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[٥] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[٦] جميع النسخ: لم يفعله.
[٧] ر ن م: أمر الله.

ويحتمل قوله: **رحمةً من عندنا**، كلَّ خير وكل بركة أعطاهما[1] الله إياه. أو أن يكون رحمةَ القلب وشفَقتَه التي كانت منه على أهل السفينة بخرقها وقتلِ ذلك الغلام الذي قتله إشفاقا منه على والديه أو على الناس، وإقامةِ الجدار الذي[2] كاد أن ينقضَّ فأقامه، وأمثاله.

وقوله عز وجل: **وعلَّمناه من لدُنَّا علما**، هو ظاهر.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **قال له موسى هل أتَّبعُك على أن تُعلِّمنِ**، في قوله: **هل أَتَّبعُك**، دلالة أنه كان على سفر ولم يكن مقيما في ذلك المكان. ومن يتعلم من آخرَ علما فإنه يتبعه حيث يذهب هو في حوائجه، لا يؤمر بالمُقام حيث يقيم[3] المتعلم، لأنه قال: **هل أتبعك على أن تُعلّمنِ**.

وقوله: **مما عُلِّمتَ رُشْدا**، يحتمل أي أرشِدني إلى ما عُلِّمتَ، أو عَلِّمنِي[4] مما علمت من الرشد والصواب.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٦٧] **﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾**[٦٨]

وقوله عز وجل: **إنك لن تستطيع معي صبرا**، بما ترى مني من الأمور ما يخرج في الظاهر مخرج المناكير. أو يقول: إنك نبي ورسول، والرسول إذا رأى منكرا في الظاهر لا يَسَع له تركُ الإنكار عليه والتغيير. وأنت لا تصبر على ما ترى مني لما لم تعرف سببه. ألا ترى[5] أنه وَسَّع له الإنكارَ عليه والتغيير حيث قال له: **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**، أي ما لم تعلم علما، *والله أعلم*.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **قال ستجِدُني إن شاء الله صابرا ولا أعْصِي لك أمرا**، يحتمل أن يكون[6] الثُّنيا منه على الأمرين جميعا: على الصبر الذي وعد، وعلى قوله: **ولا أعصي لك أمرا**. ويشبه أن يكون على وعد الصبر خاصة دون قوله: **ولا أعصي لك أمرا**، لأن قوله: **ولا أعصي لك أمرا**،

---

[1] ر ع م: أعطاها.
[2] جميع النسخ: التي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧١ظ.
[3] ن: تعلم.
[4] جميع النسخ: تعلمني.
[5] ن: ألا يرى.
[6] ر م - يكون.

عهدٌ[1] منه، والثنيا لا تستعمل[2] في العهود. وأما قوله: **ستجدني إن شاء الله صابرا**، إنما هو فعل أضافه إلى نفسه فلا بد من أن يستثني فيه.

* وفي قوله: **ستجدني إن شاء الله صابرا**، دلالةُ أنَّ الاختيار والمستحب في الثنيا أن يكون في [٤٥٥ظ س ٢٨] ابتداء الكلام، لأن موسى ابتدأ به. وكذلك قوله: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ.[3] فإذا تركه في أول كلامه أو نسي يستثني في آخره فيعمل عملَه في دفع الخلف في الوعد والكذب. وعلى هذا تأوّل[4] بعض الناس قولَه: وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ،[5] أي استثنِ في آخره إذا نسيت في أول كلامك. ***والله أعلم***.* [٤٥٥ظ س ٣١]

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٧٠]

وقوله تعالى: **فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء**، مما تنكره نفسُك وتكرهه **حتى أحدث لك منه ذكرا**، أي[7] لماذا فعلتُ ما فعلتُ.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[٧١]

وقوله: **فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِق أهلها**، هذا الكلام يخرج على وجهين. يخرج على الإنكار عليه، أي **أخرقتها لتغرق أهلها**، لما رأى ذلك الفعل منكرا في الظاهر فأنكر عليه. وكذلك كانت عادة الأنبياء والرسل. والثاني على الاستفهام، أي **أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِق أهلها**،[8] أو لتُعَيِّبها، أو لماذا؟ وظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله: **لقد جئت شيئا إمرا**. فإن كان على الأول: على الإنكار عليه والرد فقوله: **لقد جئت شيئا إمرا**، ظاهر،[9] أي جئت شيئا عظيما شديدا. وإن كان على الاستفهام فهو على الإضمار كأنه قال: **أخرقتها لتغرق أهلها؟** فلئن خرقتها لتغرق أهلها **لقد جئت شيئا إمرا**، أي عظيما شديدا.

---

[1] ع: أحد.
[2] ر م: لا يستعمل؛ ع: لا يحتمل.
[3] سورة البقرة، ٧٠/٢.
[4] ن: يأول؛ ع: تأويل.
[5] سورة الكهف، ٢٤/١٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٥٧، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٥ظ/سطر٢٨-٣١.
[7] ر: أن؛ ع م: أني.
[8] ر ع م - لما رأى ذلك الفعل منكرا في الظاهر فأنكر عليه وكذلك كانت عادة الأنبياء والرسل والثاني على الاستفهام أي أخرقتها لتغرق أهلها.
[9] ر ع م: ظاهرا.

وإن كان التأويل على الإنكار فهو كما يقال لمن يبني بناء ثم يترك الإنفاق عليه في عمارته: بَنيْتَ لتُخرِب أو لتهدم.[1] وكما يقال لمن زرع زرعا ثم ترك سَقْيه: زرعتَ لتُفسِده، ونحوه؛ وإن كان لم يَبْنِ لذلك ولم يزرع لما ذكر، ولكن لِما كذلك يصير في العاقبة إذا تَرك سقيه أو عمارةَ ما بَنى.

فإن قيل: كيف قال له موسى: **أخَرقْتَها لتغرق أهلها؟** وبعدُ لم يعلم أن ذلك الخرق مغرِق أهلَها، وقد يجوز أن يكون غيرَ مُغْرِق.

[٤٥٦ظ] قيل: إنما أخبر عما يئول / الأمر في العاقبة، والظاهر من الخرق أن يغرق في الآخرة. وهو كما ذكرنا من أمر البناء والزرع: بَنَيْتَ لتُخَرِب وزرعتَ لتُفسِد، وإن لم يكن بناؤه وزراعته لذلك. فعلى ذلك قول موسى لصاحبه. *والله أعلم.*

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**، هذه الآية على المعتزلة، لأنه قال له: **إنك لن تستطيع معي صبرا**، وقد كان له من الأسباب ما لو لم يُؤْثر غيره لاستطاع الصبر معه، فإذا قال له: **لن تستطيع معي صبرا**،[2] دل أنه كان يحتاج إلى استطاعةٍ تُقارن الفعلَ[3] فيكون بها[4] الفعلُ. وإلا قد كانت له أسباب لو لم يُؤْثِر غيرَه لاستَطاعَ[5] الصبر معه. دل أن استطاعة الفعل لا تتقدم الفعل[6] ولكن تقارنه.

وقال الحسن: إنما يقال هذا للاستثقال كما يقول الرجل لآخر:[7] لا أستطيع أن أنظر إليك بُغْضا، وهو ناظر إليه. لكن يقال ذلك على الاستثقال والبغض ليس على حقيقة نفي الاستطاعة.[8] فعلى ذلك الأول. فيقال له: هو كما يقال: لا أستطيع أن أنظر إليك نظرَ الرحمة، فهو وإن كان ناظرا[9] إليه لما ذكر فهو غير ناظر إليه نظرَ رحمة وشفَقة، فهما سواء. وهو ما نقوله.[10] *والله أعلم.*

[1] ن: ولتهدم.
[2] ر ع م – وقد كان له من الأسباب ما لو لم يؤثر غيره لاستطاع الصبر معه فإذا قال له لن تستطيع معي صبرا.
[3] ر م + لا يتقدم الفعل؛ ع + ولا يتقدم الفعل.
[4] ع: فيها.
[5] ر ع م: لا استطاع.
[6] ر ع م – لا تتقدم الفعل.
[7] ر: للآخر.
[8] ع: الاستطاع.
[9] ع: ناظر.
[10] ر: يقوله؛ ع م: يقول.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **لا تؤاخذني بما نسيت**، يحتمل هذا الكلام وجوها. أحدها على التعريض من الكلام، أي **لا تؤاخذني بما نسيت**، كقول إبراهيم –حيث قال: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ– إِنِّي سَقِيمٌ،[١] ونحوه، أي سأسقُم.

والثاني على حقيقة النسيان، نسي قوله: فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ،[٢] لما رأى من المناكير في الظاهر. وهكذا كانت عادة الأنبياء أنهم إذا رأوا منكرا لا يملكون أنفسهم حزنا وغضبا على ما رأوا. فلا يُنكَرُ أن يكون نسي ما قال له. وقال بعضهم: على التضييع والترك؛ فهو يخرج على الأول. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا تُرهقني من أمري عسرا**، قال بعضهم: لا تكلّفني من أمري ما يعسّر عليّ. وقال بعضهم: لا تحمِّل[٣] عليّ.[٤] وقال بعضهم: الإرهاق هو الشدة والتعب. وقال بعضهم: **ولا ترهقني**، أي لا تُغْشِني عسرا.[٥]

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[٧٤]

وقوله: **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أَقَتَلْتَ نفسا زكية[٦] بغير نفس**، يحتمل هذا الكلام أيضا وجهين. على الإنكار والرد عليه. والثاني على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا في الأول: **أَقَتَلْتَ نفسا زكية بغير نفس**، أو بحق، أو لما ذا؟ و على الإنكار[٧] والرد على ما رأى في الظاهر قتلَ نفسٍ ولم يعرف الوجه الذي به يجب القتل.

وقوله عز وجل: **لقد جئت شيئا نكرا**، هو –على ما ذكرنا– على الإنكار ظاهر. وعلى الاستفهام والسؤال على الإضمار: **أَقَتَلْتَ نفسا زكية بغير نفس**؟ فلئن فعلت **لقد جئت شيئا نكرا**، أي منكرا.

---

[١] سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩.

[٢] جميع النسخ + بعدها. وهذه الكلمة واردة في قوله تعالى: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ (سورة الكهف، ١٨/٧٦) من قول سيدنا موسى. والآية المذكورة في المتن: ﴿قال فان اتّبعتَني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذِكرا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٧٠).

[٣] ر م: لا يحمل.

[٤] ع – وقال بعضهم لا تحمل علي.

[٥] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٠. يقول [موسى]: لا تضيق على أمري معك وصحبتي إياك (*تفسير الطبري*، ١٥/١٨٥).

[٦] ر م: زاكية، وهي قراءة النافع وابن كثير و أبي عمرو وأبي جعفر (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالُوي، ٨٦).

[٧] ر م: أو على الإنكار.

ثم اختلف في قوله: **نكرا**، قال بعضهم: **نكرا**، أكبر من قوله: إمْرًا،[1] لأن فيه مباشرةَ القتل وإهلاكِ النفس بغير نفس، فهو أكبر؛ وليس في نفس الخرق إهلاك، وإنما هو سبب الإهلاك وقد يجوز أن لا يَهْلِك. وقال بعضهم: قوله: إمْرًا، أكبر من قوله: **نكرا**، لأن فيه إهلاكَ جماعة وههنا إهلاك واحدة فهو دون الأول. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٧٥] ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا**، ما ذكرنا في الأول.

وقوله: **قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لَدُنّي عذرا**، في ترك المصاحبة عذرا، لما قلتَ لي: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[2] ولم أصبر.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية**، سمي قرية وهي كانت مدينة. ألا ترى[3] أنه قال في آخره: وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ،[4] دل أنها كانت مدينةً، والعرب[5] قد تسمي[6] المدينة قرية.

وقوله: **استطعما أهلَها فأبَوْا أن يُضَيِّفُوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن يَنْقضَّ فأقامه**، قال الحسن: كان ذلك الجدار كهيئةٍ أنه يسقط عند الناظر.[7] وقال أبو بكر الأصم: **يريد أن يَنْقضَّ**، الإرادة صفة كل فاعلٍ له حقيقةُ الفعل أو ليس له حقيقة الفعل بعد أن يُضاف إليه الفعلُ. ألا ترى[8] أنه يقال للجدار: سقط، وان كان في الحقيقة يسقط.[9] وعندنا أنه إنما يقال ذلك لقرب الحال

---

[1] ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لِتُغْرِق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ (سورة الكهف، ٧١/١٨).
[2] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[3] ن: ألا يري.
[4] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[5] ع: مدينة العرب.
[6] ع: سمي.
[7] جميع النسخ: كهيئة عند الناظر أنه يسقط، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٢و.
[8] ن: ألا يرى.
[9] ع - وان كان في الحقيقة يسقط.

وعند الإشراف على الهلاك والسقوط. ألا ترى[1] أن الرجل يقول: إني[2] أردت أن أموت وأردت أن أَهْلِك وأردت أن أَسْقُط، وهو لا يريد الموت ولا السقوط ولكنه يذكر ذلك لإشرافه على الهلاك وقربِ الحال إليه ليس على حقيقة الإرادة؛ فعلى ذلك قوله: **يريد أن يَنْقَضّ فأقامه**، أي أشرف[3] وقرب على حال السقوط. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **قال لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجرا**، هذا القول من موسى يحتمل وجهين. أحدهما قال: **لو شئت لاتخذت عليه أجرا**، لشدة حاجته إلى الطعام لئلا يقع لهما حاجة إلى أهل تلك البلدة، إذ قد وقع لهما إليهم حاجة حيث قال: استطعما من أهلها مرة فلم يطعموهما، فأراد أن يأخذ على ذلك أجرا لئلا يقع لهما حاجة إليهم ثانيا. والثاني قال له ذلك لما لم ير أهلَ تلك البلدة أهلا ليُصنع إليهم المعروفُ، لما رأى فيهم من البخل والضِّنة في الطعام حيث استطعماهم فلم يطعموهما[4] بُخلاً منهم وضنّةً. ***والله أعلم***.

وذكر في بعض القصة أن الجدار الذي أقامه صاحب موسى كان طولُه خمسمائة ذراع وقامتُه مائتي[5] ذراع وعرضه أربعين ذراعا أو نحوه،[6] تحتَه طريقُ القوم. لكن لا حاجة لنا إلى معرفة ذلك، إنما الحاجة إلى ما فيه من أنواع الحكمة والفوائد.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٧٨] **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾**[٧٩]

وقوله[7] عز وجل: **قال هذا فراق بيني وبينك سَأُنَبِّئُكَ** / **بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا**،[8] أي **سَأُنَبِّئُكَ** ببيان ما قلتُ لك: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[9] ثم بين وفسره له فقال: [٤٥٧ر]

---

[1] ن: ألا يرى.
[2] ر ع م: إن.
[3] ر ع م: شرف.
[4] ع: فلم تطعموهما.
[5] م: مائة.
[6] ر: أو نحو.
[7] ر: قوله.
[8] ر م + أي سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.
[9] سورة الكهف، ٦٧/١٨.

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها، أي اجعلها معيبة. قوله: **وكان وراءهم ملك**، ذكر في بعض الحروف: "وكان أمامهم ملك"[1] **يأخذ كل سفينة غصبا**، وفي حرف ابن مسعود: "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا،"[2] فعلى ذلك التأويلُ فيه: **فأردت أن أعيبَها**، أي أجعلَها مَعِيبة لئلا يأخذها ذلك الملك غصبا، إذ كان لا يأخذ إلا سفينة صالحة صحيحة. ***والله أعلم***.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين**، اختلف في سن ذلك الغلام. قال بعضهم: كان ذلك الغلام كبيرا بالغا، والعرب قد تسمي الرجل البالغ الذي لم يَلْتَحِ بعدُ أو لم يستو لحيتُه غلاما لقربه بوقت البلوغ. ولذلك[3] قال له موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟[4] والصغير[5] مما لا يُقتل إذا قَتل نفسا بغير حق. فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، معنى.[6] وقال بعضهم: كان ذلك الغلام صغيرا، وقول موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لو احتمل هذه النفسُ القتل لكان ذلك قتلَ نفس بغير نفس،[7] وهو كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:[8] «إن إيمانكم يحقن[9] دماءكم»[10] إذا ظهر منهم الدم، وكقوله: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأنٌ»[11]

[1] كما في حرف ابن عباس، انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

[2] ر ع م – وفي حرف ابن مسعود وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٥٧.

[3] ر ع م: وكذلك.

[4] سورة الكهف، ٧٤/١٨.

[5] ع: والصغر.

[6] ر ع م – معنى.

[7] ر ع م – وقال بعضهم كان ذلك الغلام صغيرا وقول موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لو احتمل هذه النفس القتل لكان ذلك قتل نفس بغير نفس.

[8] ر ع م – قال.

[9] جميع النسخ: تحقن.

[10] جميع النسخ + أي إيمانكم تحقن دماءكم. لم أجده بهذا اللفظ، لعل فيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» (*صحيح البخاري*، الاعتصام ٢٨؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٣٤-٣٦).

[11] *صحيح البخاري*، التفسير ٣/٢٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٦٦/٣. انظر: تفسير قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداءُ إلا أنفسُهم...﴾ (سورة النور، ٦/٢٤-٩).

إذا ظهر منها الزنا، فعلى ذلك قوله: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ،[١] لو[٢] كانت[٣] محتملةً القتلَ بالنفس. *والله أعلم*.

ثم اختلف في سبب قتل ذلك الغلام. قال بعضهم: قتله لكفره، كان كافرا. وكذلك ذكر في حرف أبي بن كعب: "وأما الغلام فكان كافرا."[٤] ألا ترى[٥] أنه قال: **فخَشِينا أن يُرْهقهما طغيانا وكفرا**، دل هذا أنه كان بالغا كافرا، إذ لو لم يكن كافرا لم يَلحق والديه منه الطغيان والكفر. وقال بعضهم: إنما قتله لأنه كان لِصًا قاطعَ الطريق يقطع[٦] الطريق[٧] على الناس ويأخذ أموالهم. وعلى قول من يقول: إنه كان صغيرا، قتله لأنه علم أنه لو بلغ لبلغ[٨] كافرا. والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك السبب الذي قتله حاجة ولا أنه كان صغيرا أو كبيرا،[٩] لأنه أخبر أنه إنما قتله بأمر الله لا من تلقاء نفسه حيث قال: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي،[١٠] ولكن إنما فعلته بأمر الله. ولله أن يأمر عبدا من عباده[١١] بقتل الصغير على ما له أن يميته وعلى ما يأمر ملك الموت بقبض أرواح الخلق. فعلى ذلك له أن يميته على يدَيْ آخرَ[١٢] وأن يقبض روحه، إذ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.[١٣]

وقوله عز وجل: **فخشينا أن يُرْهِقهما طغيانا وكفرا**، ليس هو الخوف ولكن العلمَ، أي علمنا **أن يرهقهما طغيانا وكفرا**. وكذلك ذكر في حرف أُبي.[١٤]

فإن قيل: كيف احْتَجَّ على قتله[١٥] وإهلاكه بما عَلِم أنه يَلحق أبويه منه الطغيان والكفرُ وقد تَرَك إبليس وجنوده يعيشون إلى آخر الدهر، على علم منه أنهم يحملون الناس على الطغيان

---

[١] سورة الكهف، ٧٤/١٨.
[٢] ع – لو.
[٣] ر م: ولو كانت؛ ع: كان.
[٤] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٤.
[٥] ن: ألا يري.
[٦] ن: تقطع.
[٧] م – يقطع الطريق.
[٨] ر ع م – لبلغ.
[٩] ر ع م: وكبيرا.
[١٠] سورة الكهف، ٨٢/١٨.
[١١] ن: من عبادنا.
[١٢] ن: أخره.
[١٣] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[١٤] انظر لقراءة أبي "فخاف ربك": *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٤.
[١٥] أي كيف كان احتجاج الله في حكمته على قتل الغلام.

والكفر ويُرهقونهم أنواع المعاصي والفواحش؟ وكذلك هؤلاء الظلَمة الذين لا يكون منهم إلا كل شر وجَوْر على الناس، تَرَكَهم[1] على علم منه بما يكون منهم. فما معنى الاحتجاج في قتله وإهلاكه بما ذكر من إرهاق الطغيان والكفر بالوالدين؟

قيل: لهذا جوابان. أحدهما أن الله عز وجل قد يمتحن البشر بمعان وعلل وأشياء تحملهم تلك المعاني والأشياء على الرغبة والحث[2] فيما امتحنهم، وإن كان له الامتحان لا على تلك المعاني والعلل. نحو ما امتحنهم بأنواع العبادات والطاعات بثواب وجزاء ذُكر لهم فيها لو فَعلوا، وإن كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء. وكذلك العقوبات وغير ذلك من المحن. فعلى ذلك الأول.[3]

والثاني ذكر هذا لِيُطَيِّبَ به أنفسَهم إحسانا منه إليهم وإنعاما عليهم، إذ له أن يميتهم صغارا وكبارا. وعلى ذلك يخرج قوله: وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ،[4] الآية، وقد وَسَّع على كثير من الخلق، وكذلك قوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[5] الآية، وقد جُعل لكثير[6] من الخلق ذلك. لكن ذكر[7] هذا لما له أن يفعل ذلك للكل، فمن لم يفعل ذلك له إنما لم يفعل[8] إحسانا منه وإفضالا. فعلى ذلك الأول، إنما ذكر ما ذكر إحسانا منه وإفضالا. ***والله أعلم.***

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٨١]

وقوله:[9] **فأردنا أن يُبدِلهَما ربُّهما خيرا منه زكاةً وأقربَ رُحما**، قال بعضهم: **خيرا منه زكاة**، أي صلاحا، **وأقرب رحما**، أي أوْصلَ رَحِما وأبرَ لوالديه. وقال بعضهم: **خيرا منه زكاة**، أي عملا، **وأقرب رحما**، أي أحسنَ منه بَرَّ الوالدين.

---

[1] م: من تركهم.
[2] ر ع م: والحنث.
[3] ر ع م: الأولى.
[4] ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لَبَغَوْا في الأرض ولكن يُنَزِل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ (سورة الشورى، ٢٧/٤٢).
[5] ﴿ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضّة ومَعَارِجَ عليها يَظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).
[6] ر ع م: الكثير.
[7] ر ع م - ذكر.
[8] ن - لم.
[9] ر: قوله.

قال أبو عَوْسَجَة: **رُحْما**، من الرَّحِم والقرابة. وقال القتبي: **رُحْما**، أي رحمة وعطفا.[١]
وذكر أنهما قد أُعْطِيا خيرا منه، أي خيرا من القتيل.[٢] ***والله أعلم.***

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما،** اختلف في ذلك الكنز. قال بعضهم: كان ذلك الكنز مالاً كَنَزَه أبوهما. قال ابن عباس: حُفظ بصلاح أبيهما،[٣] وما ذُكر منهما صلاحا. وقال بعضهم: كان ذلك الكنز صُحُفا[٤] فيها علم. قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل[٥] أن يكون علما، لأن العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه، فلا يحتمل أن يُحفظ ذلك لهما دون الناس. فإن ثبت وحفظ ما روي في الخبر فهو مال وعلم. وروي عن [أنس] ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان تحت الجدار الذي قال الله في كتابه: **وكان تحته كنز لهما،** لوحٌ من ذهب فيه مكتوب: "بسم الله الرحمن الرحيم. عجبتُ[٦] لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت[٧] لمن أيقن بزوال الدنيا / وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ محمد رسول الله"».[٨] [٤٥٧ظ] فإن حفظ هذا عن رسول الله ففيه مال وعلم، لأن اللوح من الذهب مما يكثر ويعظم قدره. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فأراد ربك أن يبلُغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزَهما رحمةً من ربك،** أي نعمة من ربك وإحسانا عليهما. إذ كان له أن لا يحفظ ذلك لهما ولا يوصله إليهما على ما لم يعط لكثير من اليتامى والمساكين شيئا من ذلك. لكن ذلك منه إليهما فضل وإنعام ورحمة عليهما. ***والله أعلم.***

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٠.
[٢] انظر للروايات المتعلقة بالذي أبدلهما ربهما خيرا منه: *تفسير الطبري*، ٤/١٦.
[٣] جميع النسخ: لصلاح أبيهما، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٣و؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٦/١٦.
[٤] ر ع م: مصحفا.
[٥] ر ع م + على.
[٦] ن: وعجبت.
[٧] ر ع م: عجبت.
[٨] لم أجد هذه الرواية، ولكن الطبري يروي مثلها من قول الحسن البصري، *تفسير الطبري*، ٥/١٦-٦.

وقوله عز وجل: **وما فعلته عن أمري**، هو ما ذكرنا أنه أخبر عن أمر الله فَعَل ما فَعَل لا عن[1] أمر نفسه.

وقوله عز وجل: **ذلك تأويل ما لم تَسْطِع عليه صبرا**، أي تأويل ما قلت لك في بدء الأمر: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.[2]

ثم لا يحتمل أن يكون موسى حيث أُمر بالذهاب إلى ذلك الرجل والاتِّباع له[3] والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه إلا عِلْمَ ما أنكر عليه وسببَ حلّ ذلك له، إذ كان ذلك له[4] بإنكار ما أنكر عليه من الأفعال التي هي في الظاهر منكرة؛ لكن جائز أن يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك، لكنه لم يُذكر لنا ذلك. ***والله أعلم***.

وقول أهل التأويل: اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى خشنوذا، ولا أدري ماذا؟ ووالداه اسمهما كذا، لا نعلم ذلك، وليس بنا إلى معرفة أساميهم حاجة. وكذلك[5] [قالوا:] اسم الغلامين اليتيمين صاحبَي الجدار[6] أصرم وصريم، ولا أدري ماذا؟ لا حاجة بنا إلى ذلك. وقولهم: كان صاحب موسى خَضِرًا وأنه إنما سمي خضرا لأنه جلس على فَرْوة بيضاء فاخضرَّت. فذلك أيضا مما لا يُعلم إلا بالخبر عن الوحي وحي السماء، فلا نقول فيه إلا قدر ما ذكره الكتاب؛ فإنه يخرج ذكره مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك [من][7] عمل أو غيره. وليس في الكتاب إلا ذكر "عبد من عبادنا" وذكر "الغلامين" وذكر "الفتى" وذكر "غلامين يتيمين في المدينة". وأمثالُه، يقال ما فيه [أي الكتاب] ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذِب. ***والله أعلم***.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا**، في الآية دلالة أن الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسأل هو عن خبر ذي القرنين. لأنه قال: **يسألونك**، و لم يقل: سألوك. والخبر الذي رَوى عقبة بن عامر الجُهَني يدل على ذلك أيضا،

---

[1] ن: من.
[2] سورة الكهف، ٦٧/١٨.
[3] ر م – له.
[4] ر ع م – له.
[5] ر ع م: وكذا.
[6] جميع النسخ: صاحبا الجدار، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٣و.
[7] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٧٣و.

لأنه رَوَى أن نفرا من أهل الكتاب جاءوا بالصحف أو الكتب فقالوا لي: استأذِنْ لنا على رسول الله لندخل[1] عليه. فانصرفتُ إليه فأخبرته بمكانهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي ولهم، يسألون عما لا أعلم، إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي؟» ثم قال: «أبلغني وَضوءًا أتوَضّأُ به». فتوضأ ثم قام إلى مسجد في بيته فركع منه ركعتين. فلما انصرف حتى بدا لي[2] السرورُ في وجهه. ثم قال لي: «اذهب فأَدخِلهم ومن وجدتَ بالباب من أصحابي». قال: فأدخلتُهم؛[3] فلما رآهم النبي قال لهم: «إن شئتم أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه، وإن شئتم[4] أخبرتكم[5] كما تجدونه في كتابكم.»[6] فهذا إن ثبت يدل أنه نزل عليه نبأُ ذي القرنين وخبره قبل أن يُسأل. وأما أهل التأويل قالوا جميعا: إنه سُئل قبل أن يَنزل عليه خبرُه ثم نزل من بعد السؤال. **والله أعلم**.

ثم اختلف فيه. قال الحسن: كان نبيا، دليله ما قال: قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا.[7] قال: هذا تحكيم من الله إياه فيما ذكر ولا يُوَلِّي الحكمَ إلا من كان نبيا.[8] وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سئل عن ذلك: كان نبيا أو ملكا فقال: لا واحد منهما.[9] وقال غير هؤلاء: إنه كان مَلِكا، يدل على ذلك الخبرُ الذي رَوى عقبة بن عامر الجُهَني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن خبره ونبإه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان غلاما من الروم أعطي مُلكا فسار حتى بلغ كذا» على ما ذكر في الخبر.[10]

---

[1] ر ع م: لندخلن.

[2] ر ع م: الى.

[3] ر ع م: فأدخلهم.

[4] ر ع م – أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه وإن شئتم.

[5] ع م: أخبر لكم.

[6] انظر لهذه الرواية مفصلا: *تفسير الطبري*، ١٦/٧.

[7] سورة الكهف، ٨٦/١٨.

[8] لم أجده عن الحسن، ولكن القرطبي ينقلها بصيغة "قيل" في تفسير هذه الآية. ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ (الآية ٨٦): "قال القشيري أبو نصر: إن كان نبيا فهو وحي، وإن لم يكن نبيا فهو إلهام من الله تعالى". انظر: *تفسير القرطبي*، ٥٢/١١.

[9] عن أبي الطفيل قال: سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان؟ قال: «كان عبدا صالحا، أحبَ الله فأحبه، وناصَحَ الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مِثله» (انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٦).

[10] انظر لمثل هذه الروايات: *تفسير الطبري*، ١٦/٧-٨.

والأشبه أن يكون أنه كان ملكا. ألا ترى أنه قال: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ،[1] أي ملّكنا له الأرضَ جملةً.[2] ذكر تمكين الأرض له جملة يصنع فيها ما يشاء [و]لم يخص له ناحية منها دون ناحية، وليس كقوله: أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا،[3] الآية، وكقوله: وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ،[4] ههنا خص مكانا[5] لهم دون مكان. وأما في ذي القرنين ذكر التمكين له في الأرض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو أن ملّكه ومكّن له[6] الأرض كلها. وقول الحسن: إنه حكّمه وولّى له الحكم، فهذا لا يدل أنه كان نبيا، لأن الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان. ألا ترى إلى قوله: اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ.[7] إن الملوك هم الذين كانوا[8] يتولون الجهاد والغزو والقتال[9] مع العدو، فعلى ذلك هذا. وقوله: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ[10] كذا، يحتمل هذا منه إلهام من الله تعالى وتعليم الملَك الذي كان فيه، أو كان معه نبي فأخبر له بذلك. **والله أعلم.**

[٤٥٨و س١٦] *ثم اختلفوا فيما سمي ذا القرنين. قال بعضهم: سمي ذا القرنين[11] لأنه دعا قومه إلى توحيد الله والإيمان به، فضربوه على قرنه الأيمن ثم غاب عنهم[12] ما شاء الله -وفي بعض الأخبار مات- ثم حضر[13] فدعاهم ثانيا فضربوه على قرنه الأيسر، فبقي[14] عليه لذلك أثر فسمي لذلك ذا القرنين، لا أن كان له قرن كقرن الثور. وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه كان له ذؤابتان أعني ضفيرتان.

---

[1] الآية التالية.

[2] ر ع م: له جملة؛ ن – جملة.

[3] ﴿وقالوا إن نتّبع الهدى معك نُتَخطّف من أرضنا أوَ لم نُمَكِّن لهم حرما آمنا يُجبَى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة القصص، ٥٧/٢٨).

[4] ﴿ولقد مَكَّنّاهم فيما إن مَكَّنّاكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وَأَفْئِدَةً﴾ (سورة الأحقاف، ٢٦/٤٦).

[5] ن: مكنا.

[6] ر ع م – له.

[7] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعَثْ لنا مَلِكًا نقاتل في سبيل الله﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).

[8] ن – الذين كانوا.

[9] ر ع م + في ذلك.

[10] ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرَدُّ إلى ربه فيُعذِّبه عذابا نُكْرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسْرًا﴾ (سورة الكهف، ٨٧/١٨-٨٨).

[11] جميع النسخ: ذو القرنين، في الموضعين، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٣ظ.

[12] ر ع م – عنهم.

[13] ن م: حضر.

[14] ن: فيبقي.

وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرنَي الشمس مغربَها ومطلعها. وقال بعضهم: سمي ذا القرنين لأنه عاش حياة[1] قرنين.[2] والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.* [٤٥٨و س ٢٠]

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[٨٤] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٨٥]

وقوله تعالى: **وآتيناه من كل شيء سببا**، اختلف في ذلك. قال بعضهم: عِلْم المنازل، أي[4] منازلِ الأرض ومعالمها وآثارها. وقال: العلم والقوة. وقال بعضهم: أعطاه السبب الذي به صلاح ما مُكِّن له ومُلِّك عليه مما يقع له الحاجة إليه. وقال بعضهم: / ذلك السبب كان أنعاما، [٤٥٨و] كان عليها يحمل الخُشُب فيتخذ منه سفينة، إن استقبله بحرٌ فيعبر بها ثم ينقضها؛ ويحمل الخُشُب على الأنعام ويعبر البَر على الدواب، فذلك السبب الذي ذكر.

وأصله أنه ذكر أنه أتاه السبب الذي به صلاح ما مُكِّن له ومُلِّك عليه و لم يبين[5] ما ذلك السبب، فلا ندري ما أراد بذلك. ***والله أعلم.***

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرُب في عينٍ حَمِئَةٍ**، كأنه أراد وطلب أن يعرف أنها أين تغرب حيث قال: **وجدها تغرُب في عينٍ** حامية، وفيه لغتان: حامية[6] وحمئة. قالوا: من قرأها حامية أراد في عين حارّة،[7] ومن قرأ حمئة مهموزةً بغير ألف[8] أراد الحَمْأة وهي الطينة السوداء.[9] والله أعلم بذلك.

---

[1] جميع النسخ: حيوة.

[2] انظر لمثل هذه الآراء: *تفسير الطبري*، ١٦/٨.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٨و، سطر١٦-٢٠.

[4] ن - أي.

[5] ن: و لم يبن.

[6] ر غ م: حامئة.

[7] ع: حارية.

[8] قرأ ابن عامر وأبو بكر -الراوي الأول للإمام عاصم- وحمزة والكسائي وأبو جعفر والخَلَف "حامية"، والباقون "حمئة". انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي ٨٦.

[9] قال الطبري: «لكل واحد منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكِلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه. وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ "في عين حامية" واصِفَها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة، ويكون القارئ "في عين حمئة" واصِفَها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين» (*تفسير الطبري*، ١٦/١٠).

وقوله عز وجل: **ووجد عندها قوما**، قال بعضهم: كانوا كفارا ومؤمنين، الفريقان جميعا. فقال في الكفار: **إما أن تُعذِّب**، وهو القتل، وقال[1] في المؤمنين: **وإما أن تتخذ فيهم حسنا**، ليس على التخيير ولكن على الحكم في كل فريق على حِدَة. وقال بعضهم: كانوا كلهم كفارا فيكون تأويل قوله: **إما أن تُعذِّب**، إذا لم يجيبوك، **وإما أن تتخذ فيهم حُسنا**، إذا أجابوك وآمنوا بالله.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾[٨٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى**، هذا ما ذكرنا[2] أنه حكم بذلك بتعليم نبي أو ملَك كان معه؛ أو حكم بذلك لما كان عرَف أن سنة الله في الكفار القتلُ والإهلاك، وفي المؤمنين الترك والإحسان؛ أو أُلْهِم إلهاما بذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **وسنقول له من أمرنا يسرا**، قال الحسن: **يسرا**، أي عارفا،[3] وقال بعضهم: **يسرا**، معروفا، وقال[4] بعضهم:[5] اليسر هو اسم كل خير و كل بركة.[6] والله أعلم بذلك.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **ثم أتبع سببا**، أي بلاغا لحاجته.[7] وقال غيره: ما ذكرنا من السبب الذي به سلَك طريقَ المغرب والمشرق وبه بلغ ما بلغ. ***والله أعلم***.*

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ مطلِع الشمس**، بالسبب الذي ذكر أنه أعطاه كما بلغ مغرب الشمس، **وجدها تطلُع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِترا**، قال الحسن:

---

[1] ر ع م: قال.

[2] ر ع م – ما ذكرنا. انظر: تأويل الآية السابقة برقم ٨٣.

[3] أمر عريف وعارف: معروف، فاعل بمعنى مفعول. قال الأزهري: لم أسمع أمر عارف أي معروف لغير الليث، والذي حصّلناه للأئمة رجل عارف: أي صبور، قاله أبو عبيدة وغيره (*لسان العرب*، «عرف»).

[4] ر ع م: قال.

[5] ن – بعضهم.

[6] ر ع م: وبركة.

[7] ن: حاجته.

* وقع هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٨٣، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٨ظ/سطر١٦-٢٠.

إن تلك الأرض تميد وتمِيع[1] لا تَقِرّ ولا تَسكن ولا تحتمل[2] البناء والحِجْر،[3] فإذا طلعت الشمس طلعت عليهم لما لم يكن لهم بناء ولا سِتر، تغَوَّروا في البحار فإذا ارتفعت عنهم خرجوا.[4] وقال ابن عباس: إن الشمس إذا طلعت كانت حرارتها أشدَّ عند طلوعها من غروبها فتُحْرِق كل شيء حتى لا تبقى لهم ثوب ولا بناء ولا خشب ولا غيره إلا أحرقته.[5]

﴿كَذٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبرا**، اختلف في قوله: **كذلك**. قال بعضهم: قوله: **كذلك**، أي كذلك أخبرنا رسولَ الله من نبأ ذي القرنين وخبره على ما كان. وقال بعضهم: **كذلك**،[6] أعطينا له من السبب حتى بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذي ذكر. وقال بعضهم: **كذلك** قيل له في المطلِع من قوله: إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا،[7] كما قيل له في المغرب. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقد أحطنا بما لديه خبرا**، قال بعضهم: هو[8] صلة قوله: قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا،[9] **وقد أحطنا بما لديه خبرا**، أي عن علم سأتلو عليكم. وقال بعضهم: هو على الابتداء ليس على الربط والصلة على الأول، أي **قد أحطنا** علما[10] بما لديه.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٩٢]

ثم أتبع سببا، [هو] ما ذكرنا في بلوغه مغربها ومطلعها، أي أعطينا له من السبب.

---

[1] ماع الشيء يميع ميعا: ذاب وسال (*لسان العرب*، «ميع»).

[2] جميع النسخ: لا يحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ظ.

[3] الحِجْر: الستر، الحرام، المكان المحفوظ والممنوع عن الأجانب (*لسان العرب*، «حجر»).

[4] انظر لمثل هذه الرواية عن الحسن: *تفسير الطبري*، ١٦/١٢.

[5] لم أجده عن ابن عباس، ولكن الطبري ينقل رواية عن ابن جريج تدل عليه، يقول: لم يبنوا فيها بناء قط، و لم يُبْنَ عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل. وجاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلُعَنّ عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيَف جيش طلعت الشمس عليهم هاهنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض (*تفسير الطبري*، ١٦/١٢).

[6] ر م: وكان بعضهم لذلك.

[7] سورة الكهف، ١٨/٨٦.

[8] ر ع م – هو.

[9] سورة الكهف، ١٨/٨٣.

[10] ر ع م: علمنا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[٩٣]

حتى إذا بلغ بين السُدين، في بعض القراءات: السَّدين بالنصب.[١] فإن كان بين اللغتين فرق فيشبه أن يكون السُّدان بالرفع الجبلين اللذَيْن كانا هنالك، والسَّدين بالنصب هو بناء ذي القرنين. وإن لم يحتمل الفرق فهو ما بَنَى[٢] هو، أو ما كانا[٣] في الخلقة.

ثم اختلف في ذلك السد. قال بعضهم: هو المنفذ الذي كان بين طرَفَي الجبل الذي كان محيطا بالأرض يدخل فيه يأجوج ومأجوج[٤] إلى هذه الأرض، فسدّ ذو القرنين ذلك المنفذ. وقال بعضهم: لا ولكن كانا جبلين أحدهما ستر[٥] بين يأجوج والثاني بين مأجوج فسدّ ذلك. والله أعلم كيف كان.

وقوله عز وجل: **وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا**، قال الحسن: كانوا يفقهون ما به صلاح معاشهم وما به بقاؤُهم، ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر ونحوه. وقال بعضهم: لا يفقهون قولا من غير كلامهم ولسانهم، ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم؛ وذو القرنين كان يعرف الألسن كلها ففقهوا هم منه[٦] وفقه هو منهم حيث قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ / إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا، أي جُعْلا أجرا، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.[٧] وقَالَ هو: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ.[٨] ففهِمَ ذو القرنين منهم وفهموا أيضا منه ما ذكرنا. فدل ذلك أنهم كانوا يفقهون بلسانهم ولا يفقهون[٩] بلسان غيرهم. [٤٥٨ظ]

---

[١] «اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: "حتى إذا بلغ بين السُّدَّيْنِ" بضم السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين. وكان بعض قرّاء المكيين يقرءه بفتح ذلك كله. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفتح السين في هذه السورة، ويضم السين في يس [رقم الآية: ٩]، ويقول: السَّد بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّد بالضم: ما كان من غشاوة في العين. وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله: ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ فإنهم ضموا السين في ذلك» (*تفسير الطبري*، ١٦/١٢-١٣).

[٢] ر م: بنا.

[٣] ر ع م: مكانا.

[٤] في يأجوج ومأجوج قولان: إنهما اسمان أعجميان موضوعان، بدليل منع الصرف. والقول الثاني أنهما مشتقان ... والقائلون بكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢١/١٤٥).

[٥] جميع النسخ: سترا.

[٦] ر ع م – منه.

[٧] الآية التالية.

[٨] سورة الكهف، ١٨/٩٥.

[٩] ر ع م – بلسانهم ولا يفقهون.

وفي الآية دلالة[1] أنهم كانوا يفقهون[2] شيئا قليلا من القول وإن كانوا لا يفقهون كثيرا، لأنه يقول: **لا يكادون يفقهون**، فهو يتكلم على القرب لا على النفي رأسا. ***والله أعلم.***

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[٩٤] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٩٥]

وقوله[3] عز وجل: **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا**، جُعْلا وأجرا **على أن تجعل بيننا وبينهم سَدًّا قال ما مَكَّنِّي فيه ربي خير**، على تأويل الحسن يكون قوله: **ما مَكَّنِّي [فيه] ربي** من النبوة **خير** لأنه يقول: إنه كان نبيا، حيث قال له: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ،[4] الآية. وعلى قول غيره يكون قوله:[5] **ما مَكَّنِّي فيه ربي**، من المُلْك والسبب الذي أعطاني[6] وأَبْلُغُ به مغرب الشمس ومطلعها، **خير** مما تذكرون.

وقوله عز وجل: **فأعينوني بقوة**، أي بما أتقوّي به، **أجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْما**، أي سدا.

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **آتوني زبر الحديد**، أي قِطع الحديد. وقال بعضهم: سألهم الحديد لأن المكان كان مكان الحديد. وقال بعضهم: إن الحديد كان ألْيَن لهم وأطْوَع من اللبِن أو القِطر، ولكن لا يعلم ذلك إلا بالسمع.

وقوله عز وجل: **حتى إذا ساوى بين الصدفين**، أي بلغ ذلك السدُّ رأس الصدفين -وهما جبلان- وسوّى بهما. ***والله أعلم.*** وقوله عز وجل: **قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أُفْرِغ عليه قِطْرا**، أي أصُبّ **عليه قطرا**؛ قيل: نحاسا، وقيل: رصاصا. ذكر أنه كان يبسط الحديد صدرا، ثم يبسط الحطب فوقه صدرا، ثم حديدا فوق الحطب حتى بلغ رأسَ الجبلين

---

[1] ر ع م - دلالة.
[2] ر ع م: لا يفقهون.
[3] ن: قوله.
[4] سورة الكهف، ٨٤/١٨.
[5] م - قوله.
[6] ر ع م: أعطاه.

وسوّى بهما على هذا السبيل. ثم أُذيب القِطر فصُبّ فيه، فجَعَل القطرُ يُخرِق الحطبَ ويذيب الحديدَ حتى دخل القِطر مكان الحطب، وصار مكانه، فالتزق القطر بالحديد. على هذا ذُكر أنه بنى ذلك السد. وقال الحسن: كان القطر له كالمِلَاط[1] لنا. *والله أعلم*.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **فما اسطاعوا أنْ يظهروه**، أي يَعلوه يعني على ذلك السد، **وما استطاعوا له نقبا**، في أسفله. ولا يزاد على المذكور في الكتاب في هذه الأنباء والقِصص خوفا للشهادة على الله والكَذِب[2] عليه، ولكن نذكر مقدار ما ذُكر في الكتاب لا نزيد على ذلك، وفي الكتاب[3] القدرُ الذي ذكرنا. *والله أعلم*.

قال القُتَبي: يقال للجبل السُّد. زُبَر: قِطَع. والقِطر النحاس. وقوله عز وجل: **أَنْ يَظْهَروه**، أي يَعلوه يقال: ظهر فلان السطح إذا علاه.[4] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة وقال: السُّدَّيْنِ ناحيتي الجبل. والرَّدْم السَّد. الصَّدَفَيْنِ، هو مثل السَّدين. أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، أي أصُبّ عليه نحاسا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **قال هذا رحمة من ربي**، يحتمل أن السَّد الذي بُني وحال بينهم وبين يأجوج ومأجوج فذلك منه رحمة، أي برحمته كانت تلك الحيلولة، أي كان ذلك منه نعمة،[5] والرحمة هي النعمة، أي هذا السد بينكم وبينهم نعمة من ربي عليكم. ثم فيه وجهان. أحدهما ذكر أن ذلك كان برحمة من الله إذا فرغ منه وقد كان في الابتداء حين سألوه أن يجعل لهم السد أضاف الفعل إلى نفسه حيث قال: فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا،[6] فدل ذلك أن ما فعل [إنما هو] برحمة منه وفضل[7] وأن له في ذلك صنعا. والثاني فيه أن له أن يفعل بالخلق ما ليس هو بأصلحَ لهم في الدين،

---

[1] المِلَاطُ: الطين الذي يجعل بين ساقي البناء ويُمْلَط به الحائط، أي يخلط (*لسان العرب*، «ملط»).

[2] ن: بالكذب.

[3] ن: ولا في الكتاب.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٠-٢٧١.

[5] جميع النسخ: أو كان ذلك منه نعمة من الله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤و.

[6] سورة الكهف، ٩٥/١٨.

[7] ن: برحمة وفضل منه. «أي برحمة من الله وفضل وأن لله تعالى في ذلك صنعا، فيدل على نقض قول المعتزلة في خلق أفعال العباد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٧٤و).

لأنه لا يخلو[1] إما أن كان الأولُ لهم أصلحَ في الدين ثم فعل الثاني فلا يكون الثاني أصلحَ لهم في الدين؛ أو[2] كان الأصلحُ[3] لهم في الدين الثانيَ فالأول لم يكن، ثم ذكر أن ذلك رحمة منه [فبطل قولهم في الأصلح أيضا].[4]

وقوله عز وجل: **فإذا جاء وعد ربي**، أي فإذا جاء الذي به كان وعَد ربي، وهو الموعود، لأن الوعد[5] لا يجيء، فكأنه قال: موعودُ ربي، وهو خروج يأجوج ومأجوج أو فتحُ ذلك السد.[6] **جعله دكّاء**، أي كسرا أو هدما على ما ذكرنا. **وجعله دكّاء**، أي هدمه وسوّاه بالأرض. وقال القُتَبي: **جعله دكّاء**، أي ألصقه بالأرض.[7]

وقوله عز وجل: **وكان وعد ربي حقا**، هذا وعد والأول موعود.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **وتركنا بعضهم يومئذ يَمُوجُ في بعض**، أي يجول[8] بعضهم في بعض. ثم يحتمل قوله: **يموج في بعض**، عند السد الذي بناه ذو القرنين يموجون عنده في فتح ذلك السد، أو يذكر هذا لكثرتهم وازدحامهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ونُفخ في الصور فجمَعناهم جمعا**، ظاهره على الماضي والمراد منه المستقبل. أي يُنفخ في الصور فيَجمعهم جمعا. ومثل هذا كثير في القرآن، يذكر الماضي بحرف المستقبل والمستقبل بحرف الماضي.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **وعرَضْنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا**، يحتمل أن يكون عرضها عليهم

---

[1] ر: لا يخلق.
[2] جميع النسخ: وإن.
[3] ن: لا صلح.
[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٧٤و.
[5] ن: ولأن الوعد.
[6] يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا فُتِحَتْ يأجوج ومأجوج وهم من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون واقترب الوعد الحق﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٦-٩٧).
[7] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١. جميع النسخ بعد قول القتبي + يموج في بعض، أي يجول [ر ع م: يحول] بعضهم في بعض. ولكن هذه العبارة لا توجد في هذا المصدر. على أن نفس العبارة ستجيء في مكانها، أي في تفسير الآية التالية.
[8] ر ع م: يحول.

قبل أن يُدخلوا فيها، كقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ.[1] ويشبه أن يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعد ما أُدخلوا فيها، كقوله: ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا.[2]

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **الذين كانت أعيُنهم في غطاءٍ عن ذكري**، قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع أن ظلمة الكفر تستُر وتحجُب نورَ القلب ونور كل حاسة من حواسّه من السمع والبصر / والفؤاد [٤٥٩و] وغيره، إذ لكل حاسّة من هذه الحواس نور وضياء في سرِيَّتها، لا تُبصِر ولا تَسمع الحقَّ والحجة إلا بنورين جميعا: نور الظاهر ونور السرية والباطن. فالكفر يستر ويُغَطّي ذلك النور فجَعَل لا يبصر الحق ولا ينظر إلى[3] العبر ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور الظاهر. وللإيمان نور وضياء يبصر به ويسمع ويُرفَع له غطاءُ كل شيء حتى يتجلى له الحق ويَعرف به حسْنَ كل حسَن[4] وقبْحَ كل قبيح. فهو كما يرى الإنسان الشيء بنور بصره وبنور الهواء، فإذا ذهب أحدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا. فعلى ذلك[5] إنما يعرف الشيء ويظهر له حقيقتُه بنورين: نور القلب ونور[6] الحواس. فإذا غَطّى[7] ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق. والإيمان يُنوّر[8] ذلك ويضيء، فجعل يُبصر كلَّ شيء ويتجلى له الحقُّ من الباطل، ويعرف[9] الآيات من التمويهات. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وكانوا لا يستطيعون سمعا**، فيه وجهان من الدلالة. أحدهما أنه نفي عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمعُ؛ فدل أن الاستطاعة التي هي استطاعة الفعل تقترن الفعل[10] لا تتقدم ولا تتأخر[11] حيث قال: **وكانوا لا يستطيعون سمعا**. وكذلك قول صاحب موسى حيث قال له: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا،[12] في مواضع. فدل ما نفى عنه الفعل

---

[1] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[2] سورة المؤمن، ٤٦/٤٠.
[3] ر ع م – إلي.
[4] ر م – كل حسن.
[5] ن + الأول، وقد شطب من قبل الناسخ.
[6] ر ع م: بنور القلب والنور.
[7] ر ع: اغطى.
[8] ن: بنور.
[9] جميع النسخ: وعرفوا.
[10] م – الفعل.
[11] ر ع م: لا يتقدم ولا يتأخر.
[12] سورة الكهف، ٦٧/١٨، ٧٢، ٧٥؛ قارن: الآية ٧٨، ٨٢.

أنها[١] تقارن[٢] الفعل، لا يَحتمل التقدم والتأخر. والثاني فيه دلالة أن هنالك استطاعةً هم يستفيدون بها وعْد الله ويستوجبون به،[٣] فضيَّعوها باشتغالهم بغيرها حيث عوتبوا واستَوْجبوا ذلك العتاب والتوبيخَ بالتضييع الذي كان منهم. فلو لم يكن ذلك منهم لم يكن[٤] للعتاب والتوبيخ الذي عوتبوا ووُبِّخوا[٥] معنى.

قال[٦] قوم: إنما نفى عنهم ذلك للاستثقال الذي كان منهم، وقد يقال مثله على المجاز للاستثقال دون الحقيقة. يقول الرجل لآخر:[٧] ما أستطيع[٨] أن أنظر إليك لكذا، وهو ناظر إليه. لكن قد ذكرنا أنه -على الوجه الذي قال: لا أستطيع أن أنظر إليك وهو ناظر إليه- غير مستطيع النظر إليه[٩] نظرَ رحمة وشفَقةٍ.

وقال بعضهم: هو على الطبع، وهو قول الحسن. وقال بعضهم: إنما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به، كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به،[١٠] ليس على أنهم لم يكن لهم تلك الحواسُّ. فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها، ليس على أنها ليست قبلُ. هكذا نفى عنهم ذلك لما عمُوا وصمُّوا عن ذلك. ***والله أعلم.***

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾[١٠٢]

وقوله[١١] عز وجل: **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء**، قال بعضهم: قوله: **أفحسب الذين** عبدوا في الدنيا الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني أولياءَ

---

[١] ر ع م: انما.

[٢] ر ع م: يقارن؛ ن: بالياء التحتانية وبالتاء الفوقانية في نفس الوقت.

[٣] أي بوعد الله. «فيه دلالة أن هنالك استطاعة هم يستفيدونها من الله بأنفسهم ويستوجبون بها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧٤و).

[٤] ر ع م - ذلك منهم لم يكن.

[٥] ر ن م: وربخوا.

[٦] ن: وقال.

[٧] ن: الاخر.

[٨] ع: اخر ما ستطيع.

[٩] جميع النسخ + وهو.

[١٠] ﴿صُمّ بُكْم عُمْي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٧١/٢؛ وانظر: سورة الأنفال، ٢٢/٨.

[١١] ن: قوله.

أن يكونوا لهم أولياء في الآخرة ويتولون شفاعتهم يشفعون لهم وينصرون. كلا لن[1] يصيروا لهم أولياء، كقوله:[2] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ؛[3] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[4]

والثاني **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي**، المخلصين، **من دوني أولياء**، ويتولونهم، أي لا يقدرون على أن يتخذوا أولياء من دوني، وقد كانوا يَدْعُون المؤمنين إلى دينهم والتولي لهم. وهو ما قال: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ].[5]

والثالث **أفحسب الذين كفروا**، أن ما عبدوا واتخذوا من دوني أولياء، أني أمرتهم بذلك أو أذنت لهم حيث قالوا: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[6] ونحوه. كلا أنْ[7] [كان] أمرهم بذلك أو أذن لهم في ذلك.

ومن قرأ: **أَفَحَسْبُ**[8] على الجزم، فهو على إسقاط ألف الاستفهام يعني: فَحَسْبُ الذين كفروا؛ فهو يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها فحسب الذين كفروا واتخذوا عبادي من دوني أولياء ما اعتدنا لهم من جهنم، كقوله: حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا،[9] الآية. والثاني أحَسْبُ[10] الذين كفروا ما اتخذوا من دوني أولياء، أي أمَا كفاهم ذلك وما حان[11] أن يرجعوا إلى عبادتي وألوهيتي؟ وقد أقمت لهم الآيات والحجج على ذلك. والثالث حَسْبُ لهم من الذل ما اتخذوا من دوني أولياء.

وقوله عز وجل: **إنا أعتدنا جهنم للكافرين نُزُلاً**، قال بعضهم: **نزلا**، هو من النزول، وهو المَنْزِل.[12] وقال بعضهم: هو من[13] النُّزُل والأنزال،[14] أي يأكلون فيها النار فيكون مأكلهم ومشربهم من النار. قال القُتَبِي: النُّزُل ما يُقَدَّم للضيف ولأهل العسكر.[15]

---

[1] جميع النسخ: ان يصيروا.
[2] جميع النسخ: كقولهم.
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[4] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلْفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[5] سورة النحل، ١٦/٩٨-٩٩.
[6] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).
[7] جميع النسخ: انه.
[8] م + الذين. يسند الطبري هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب وعكرمة ومجاهد (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٢٦).
[9] سورة المجادلة، ٥٨/٨.
[10] ر ع م: حسب.
[11] ن: جاز.
[12] ر ع م: هو النزول وهو من النزل.
[13] ر ع م – من.
[14] النُّزل والنُّزُل: ما يهيأ للضيف. والجمع الأنزال. وأنزال القوم أرزاقهم أيضا (*لسان العرب*، «نزل»).
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[١٠٣] ﴿اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **قل هل نُنَبِّئُكُمْ بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيُهم في الحياة الدنيا**، يشبه أن يكون هذا خرج على مقابلة قولٍ كان من رؤساء الكَفَرة وجوابٍ لهم. وهو أن الرؤساء منهم كانوا يُوسِّعون الدنيا على بعض أتْباعهم ويُحسنون إليهم، ثم صار أولئك الأتباع أتباعا لرسول الله ودخلوا في دينه، فضاقت عليهم الدنيا وذهبت المنافع التي كانت لهم منهم. فعيّرهم بذلك أولئك الكفرةُ وبَخوهم[١] على ما اختاروا من الدين، أنه لو كان حقا لاتسع عليهم الدنيا كما اتسع علينا وعليهم ما داموا على ديننا، أو كلام نحو هذا، فأجابهم الله بذلك فقال: **قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا**، الآية. ويحتمل أن يكون على الابتداء في أهل الصوامع منهم والرهبان الذين اعتزلوا الناس[٢] وحبسوا[٣] أنفسهم لعبادة الأصنام والأوثان وأجهدوها[٤] فيها، وحملوا على أنفسهم الشدائد والمشقة، فأخبر عز وجل أن هؤلاء أخسرُ أعمالا / وأضلُّ[٥] سعيا [٤٥٩ظ] من الذين طلبوا الدنيا والرياسة فيها و لم يفعلوا ما فعل هؤلاء، وإن كانوا في الكفر سواء. والأخْسَرُ هو الوصف بالخسران والنهاية والغاية. وجائز أن يستعمل أفْعَلُ في موضع فاعل.[٦] هذا في اللغة غير ممتنع؛ فيكون تأويله: **قل هل نُنَبِّئُكم** بالخاسرين **أعمالا**، كقوله: الله أكبر، أي كبير.

وقوله عز وجل: **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا**، يحتمل وجهين. أحدهما **ضل**، أي ذَلّوا لعبادتهم التي عبدوا[٧] تلك الأوثان والأصنام وخذلوا أنفسهم بذلك. وعلى ذلك يخرج قوله: أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[٨] أي[٩] أذلُّوا أنفسهم في الدنيا بعبادتهم الأصنام. والثاني: ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا[١٠] حيث لم يصلوا إلى ما أمَلوا وطمِعوا[١١] بعبادتهم الأصنام في الآخرة،

---

[١] ر ع م – وبخوه.
[٢] ر م – الناس.
[٣] ر م – وحبسوا.
[٤] ر ع م – وجهدوها.
[٥] جميع النسخ: وأضلهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ظ.
[٦] جميع النسخ: فعل. أي بدون أن يفيد الأفضلية والمفضولية.
[٧] ر: عبدها.
[٨] سورة التوبة، ٦٩/٩.
[٩] ر ع م – أي.
[١٠] جميع النسخ + وفي الآخرة.
[١١] ر ع م – حيث لم يصلوا إلى ما أملوا وطمعوا.

لأنهم قالوا:[1] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[2] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] ونحوه، فضلَّ ما أملوا في الآخرة بسعيهم في الدنيا.[4] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وهم يحسبون**، بعبادتهم الأصنام التي عبدوها، **أنهم يحسنون صنعا**، كلا. [ويحتمل][5] **يحسبون**[6] بما أنفقوا على أولئك ووسَّعوا **أنهم يحسنون صنعا**، أي خيرا أو معروفا؛ أي ليس[7] ذلك بصنع ولا خير.[8] وفيه دلالة أنهم يؤاخذون بفعلهم الذي فعلوا وإن جهلوا الحق. وهكذا قولنا: إن من فعل فعلا وهو جاهل فانه يؤاخذ به بعد أن يكون له سبيل الوصول إلى الحق بالطلب والتعلم، حيث قال: **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**. ثم أخبر مَن هم فقال:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[١٠٥]

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم، حُججه وبراهينه. وقال الحسن: دينه. وقد ذكرنا ذلك في غير موضع.[9] وقوله عز وجل: **ولقائه**، البعث أو المصير إليه وهو مذكور أيضا.

وقوله عز وجل: **فحبطت أعمالهم فلا نُقيم لهم يوم القيمة وَزْنًا**، أي لا نقيم لهم وزنا. وأما عليهم فإنه يقيم وزنا،[10] وهو ما قال عز وجل: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ.[11] فإذا لم تربح لهم خسرت[12] عليهم، وقولُه: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ.[13] هذا يدل أن قوله: **لا نقيم لهم يوم القيمة وزنا**، قد يقام عليهم الوزن.[14]

---

[1] ر + قالوا.

[2] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[3] سورة يونس، ١٨/١٠.

[4] ر ع م + والآخرة.

[5] ن: إذ. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٧٤ ظ.

[6] ر ع م – صنعا كلا إذ يحسبون.

[7] جميع النسخ + لهم.

[8] ر ع م – لا خير.

[9] انظر مثلا: سورة الكهف، ٥٧/١٨.

[10] ر ع م – أي لا نقيم لهم وزنا وأما عليهم فإنه يقيم وزنا.

[11] ﴿أولئك الذين اشْتَرَوُا الضلالة بالهدى فما رَبِحَتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).

[12] ن: خسراة.

[13] سورة النحل، ٢٥/١٦.

[14] أي ولكن لا يقام لهم.

﴿**ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾[١٠٦]

ثم أخبر عز وجل عن جزائهم فقال: **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا**.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[١٠٧]

ثم ذَكر للمؤمنين من الثواب والجزاء بأعمالهم التي عملوها في الدنيا واختاروا فيها، مقابِلَ ما ذَكر للكفرة فقال: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلاً**.
وكانت الجنان التي وعدت للمؤمنين أربعًا:[1] جنات النعيم وجنات المأوى وجنات عدن وجنات الفردوس. ثم كان كل واحدة منها، أعني الجنان، فيها معنى الأخرى؛ لأنه قال: جنات المأوى، وهو ما يُؤْوَى إليه؛ وجنات النعيم ظاهر؛ وجنات عدن من المُقام[2] أو غيره؛ والفردوس سميت فردوسا لأنها تكون ملتفَّة محفوفة بالأشجار.[3] ففي كل واحدة منها ذلك كلُّه.

* وروي أن ابن عباس سأل كعبا عن الفردوس فقال: هي جنات الأعناب بالسريانية. [٤٥٩ظ س٢٥
وقال بعضهم: ما ذكرنا أنها سميت بذلك[4] لكثرة أشجارها والتِفافها. وروي عن عُبَادَة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها درجةً. من فوقها يكون الفردوس، منها يتفجر أنهار الجنة الأربعة. فإذا سألتم الله الجنة فاسألوا الفردوس».[5]* ٤٥٩ظ س٢٨]

وقوله عز وجل: **نُزُلا**، قيل: مَنْزِلا، من النُّزول، وقيل: من النُّزْل وهو من الأنزال.[7]

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلاً**، أي تحوُّلا. أخبر أنهم لا يَمَلُّون ولا يَسْأَمون عن نعيمها كما يمل أهل الدنيا عن نعيمها ويسأمون؛ لأن المرء ربما يَمَلّ عن نعمة

---

[1] جميع النسخ: وكان الجنان التي وعد للمؤمنين أربعة.
[2] عدن فلان بالمكان يَعدِن ويعدُن عَدْنا وعُدُونا: أقام، وعدنتُ البلد، توطَّنته. ومركز كل شيء معدِنه، وجنات عدن، أي جنات إقامة لمكان الخلد (*لسان العرب*، «عدن»).
[3] الفردوس البستان؛ قال الفراء: هو عربي. قال ابن سِيدَه: الفردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان. قال الزجاج: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة (*لسان العرب*، «فردس»).
[4] ر ع م – بذلك.
[5] *سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٥٩ظ/سطر٢٥-٢٨.
[7] النُّزْل والنُّزُل: ما يهيأ للضيف. والجمع الأنزال. وأنزال القوم أرزاقهم أيضا (*لسان العرب*، «نزل»).

ويَرغب في أخرى؛ فأخبر أن أهل الجنة لا يملون فيها ولا يَسْأمون ولهم فيها ما يشتهون،[1] ولهم فيها ما يتخيَّرون.*

وقال القُتَبي: **لا يبغون عنها حِوَلاً**، أي تحوُّلا.[3] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة هو من التحول. وقال: **نُزُلاً**، قال: هذا من الطعام والشراب. وجمع النُّزُل أنْزَال،[4] وجمع الفردوس فراديس. وقال القُتَبي: النُّزُل ما يقدَّم للضيف.[5] *والله أعلم.*

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١٠٩]

وقوله تعالى: **قل لو كان البحر مِدَادًا لكلمات ربي لَنَفِدَ البحر قبل أن تَنْفَدَ كلمات ربي،** يشبه أن يكون هذا خرج مقابلَ قوله: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ،[6] وقولِهِ: وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ.[7] وجوابه: لَمَّا ذكر فيه تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ فقالوا: كيف يحتمل هذا المقدار أن يكون فيه تبيان كل شئ و تفصيل كل شيء؟ فقال عز وجل عند ذلك جوابا لقولهم: إنه لو بُسِط ما أُودِع فيه من المعاني[8] والحكمة وشُرِح ذلك فكُتب بما ذُكر لبَلغ القدرَ الذي ذُكر وازداد.

وقال الحسن: قوله: **لو كان البحر مدادا لكلمات ربي**، أي لِخلق ربي، أي لو قال[9] ما خَلَق وأمْلَى أني خلقتُ كذا وخلقتُ كذا، فيُكتَب جميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذُكر. فيرجع تأويله إلى ما خلق من أصناف الخلق وأجناس الأشخاص. وقال أبو بكر الأصم: قوله: **لكلمات ربي**، لبيان ما خلق ربي. فهو يرجع إلى الأول. وقال: فائدة ما ذكر هو أن يعرفوا أن خلائقه

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وفيها ما تَشْتَهيه الأنفسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ (سورة الزخرف، ٧١/٤٣)، وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ (سورة الطور، ٢٢/٥٢).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٠٧ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٥٩ظ/سطر ٢٥-٢٨.

[3] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

[4] م: نزال.

[5] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧١.

[6] سورة النحل، ٨٨/١٦.

[7] ﴿لقد كان في قَصَصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يَدَيْهِ وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (سورة يوسف، ١١١/١٢).

[8] م: مؤمن نحو المعاني؛ ع: هو من نحو المعاني.

[9] أي لو أحصى الله وأخبر.

وما أنشأ لمّا خرج عن الوقوع في الأوهام فالذي أنشأ ذلك وخلَقه أَحرى أن يكون خارجا عن الوقوع في الأوهام والتصور فيها. والثاني أن يعرفوا قدرته وسلطانه وإحاطة علمه بالخلائق وما أنشأ، فيعلموا[١] أن من قدر على هذا فهو على البعث الذي أنكروا / به أقدرُ؛ ومن أحاط [٤٦٠ر] علمُه بما ذكر فهو على الإحاطة بأفعالهم وأقوالهم أعلم وأعرف، ليكونوا على الحذر أبدا في كل وقت. ثم يحتمل قوله: **لكلمات ربي**، حججَه وآياتِه التي أقامها على وحدانيته وربوبيته، أي لو كتب ذلك لبلغ ذلك الذي ذكر. وإن كان المراد من الكلمات القرآن، فالتأويل ما ذكرنا بدءًا[٢] كأنه[٣] خرج على الجواب والمقابلة لقول كان منهم. ويحتمل[٤] ما قاله الحسن وأبو بكر: إن كلماتِه خلقه أو البيان عن خلقه.

وقوله[٥] عز وجل: **ولو جئنا بمثله مددا**، هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم والإبلاغ، وهو ما قال: وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ،[٦] دل هذا على أن قوله: **ولو جئنا بمثله مددا**، أنْ ليس لذلك المدد حد ولا نهاية، ولكن ذكر على التعظيم له والإبلاغ.

وفيه دلالةُ أنْ ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غايةُ يدركه الخلائق، ولكن يؤخذ من كل جنس شيء فيُعمل به. وفيه أن ليس الأمر بتعلم العلم والمقصودُ منه العلمَ نفسَه، ولكن المقصود منه العمل بما يُعلم. إذ ليس للعلوم نهاية ولا حد يبلغ ذلك البشر، فدل أنه لما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد**، أَمَرَه[٧] أن يخبرهم أنه بشر مثلهم. ثم يكون لذلك الأمر وإخباره إياهم أنه بشر مثلهم وجوه من المعنى.

---

[١] ن: فيعلمون.
[٢] ر: بديا.
[٣] ن: أنه كأنه خرج؛ ر ع م: أنه خرج كان.
[٤] ر ع م - ويحتمل.
[٥] ن: قوله.
[٦] سورة لقمان، ٢٧/٣١.
[٧] ن: أمرهم.

أحدها أنهم كانوا يسألونه آياتٍ خارجةً عن وسع البشر وطوقهم، فأمره أن يخبرهم أنه بشر مثلهم لا يقدر على ما يسألونه من الآيات التي تخرج عن وسع البشر وطوقهم، وليس لأحد التحكم على الله والتخير عليه في شيء، إنما ذلك إلى الله: إن شاء أنزل وإن شاء لم ينزل، وأنا لا أملك شيئا من ذلك.

والثاني ذَكَر هذا ليعرفوا أنه إذا جاء من الآيات التي لا يحتمل وسع البشر أن يأتوا بمثلها[1] أنه إنما أتى بذلك من عند الله لا من ذات نفسه، إذ علموا أن وسع البشر لا يحتمل ذلك. فلما أتاهم بذلك إنما أتى بها من عند الله، وأنه رسول على ما يقول.

والثالث أمره أن يقول لهم هذا: إنه بشر مثلهم، لئلا يحملهم فرطُ حبهم على أن يتخذوه إلها ربا، على ما اتخذ قوم عيسى عيسى إلها ربا لفرط حبهم إياه.

وقوله عز وجل: **فمن كان يرجو لقاء ربه**، فإن كانت الآية في مشركي العرب فهم ينكرون البعث ولا يرجونه، لكنه يكون ذَكَر لقاء ربه لهم لأنهم عرفوا في أنفسهم قديمَ إحسان الله إليهم ونعمه[2] عليهم، فأُمروا أن يعملوا[3] العملَ الصالح ليستديموا بذلك الإحسانَ الذي كان من الله إليهم فيحملهم العمل على التوحيد بالله والإقرار بالبعث. وإن كانت الآية في المؤمنين فيكون تأويله: **فمن كان يرجو لقاء ربه**، أي ثواب ربه، **فليعمل عملا صالحا**، ليثاب عليه، إذ الثواب إنما يكون للعمل الصالح دون غيره.

وفيه ما ذكرنا أن المقصود من العلم العمل الصالح، إذ[4] العلم مما ليس له نهاية فالأمر بطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن للعمل به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يُشرك بعبادة ربه أحدا**، يحتمل حقيقة الإشراك في العبادة والألوهية على ما أشرك أولئك الكَفَرَة،[5] أشركوا الأصنام والأوثان التي عبدوها في عبادته وألوهيته. ويحتمل المُرَاءاة في العمل الصالح على ما يرى بعض أهل التوحيد في بعض ما يعلمون من الطاعات[6] والخيرات. *والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب*.

---

[1] ن: لمثلها.
[2] ر ع م: إليهم نعمه.
[3] ر ع م: أن يعمل.
[4] ر ع م: والعلم.
[5] ر ع م – الكفرة.
[6] ر م: الطاعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿كٓهيعٓصٓ﴾[١] ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[٢]

قيل:[2] **كهيعص**، اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم من أسماء الله،[3] وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يا كهيعص اغفر لي».[4] قال أبو بكر الأصم: لا يصح هذا من علي، لأن هذا لم يُذكر في أسماء الله المعروفة التي يدعى بها. وقال بعضهم: حروف من أسماء الله افتتح بها السورة.[5] وقال بعضهم: الكاف[6] مفتاح اسمه كافٍ،[7] والهاء مفتاح اسمه هادٍ،[8] والعين مفتاح اسمه عالم، والصاد مفتاح اسمه صادق. وقال ابن عباس: الكاف من كريم، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق.[9] وقال الربيع بن[10] أنس: الياء من قوله: وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ.[11] وقال الكلبي: هو ثناء أثنى الله [به] على نفسه فقال: كافٍ هادٍ عالمٌ صادق. يقول: كاف لخلقه، هاد لعباده، عالم ببَرِيَّته وبأمره، صادق في قوله.[12]

---

[1] ن + مكية؛ ع + وهي مكية.

[2] ع: قوله تعالى.

[3] روي الأول عن قتادة (*تفسير البغوي*، ٦١٢/٣)، والثاني عن ابن عباس (*تفسير ابن عباس*، ٣٣٢).

[4] *تفسير الطبري*، ٥٤/١٦.

[5] جميع النسخ + فهو ما ذكرنا وهو الأول، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[6] ع − الكاف.

[7] جميع النسخ: كافي، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[8] جميع النسخ: هادي، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥و.

[9] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٢؛ وتفسير *الطبري* (٥٠/١٦-٥٤).

[10] ر ع م + بن الربيع.

[11] ﴿قل من بيده ملكوتُ كل شيء وهو يجير ولا يُجَار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فَأَنَّى تُسحَرون﴾ (سورة المؤمنون ٨٨/٢٣-٨٩).

[12] انظر: *تفسير البغوي*، ٦٠٩/٣؛ وقارن: *تفسير الطبري*، ٥١/١٦-٥٤.

وقال بعضهم: لم ينزل الله كتابًا إلا وله فيه سر لا يعلمه إلا الله، وسر القرآن فواتحه. وقال بعضهم: [هو] تفسير ما ذكر على إثره، وهو قول الحسن. وأمثال هذا قد أكثروا فيه؛ وقد ذكرنا الوجه في الحروف[1] المقطعة فيما تقدم في غير موضع.[2]

وقوله عز وجل: **ذِكْرُ رحمةِ ربِك عبدَه زكريا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر، أي اذكر لهم رحمة ربك[3] عبده زكريا بالإجابة له عند سؤاله[4] الولدَ في الوقت الذي أيس[5] عن[6] الولد في ذلك الوقت. فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا وأخبرهم على ما في كتبهم. والثاني **ذِكْرُ رحمةِ ربِك**، أي هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا في دعائه. وعلى هذا التأويل يكون الذكرُ هو القرآن، / وقد سمى الله القرآن ذكرا في غير [٤٦٠ظ] آي من القرآن.[7] *والله أعلم*.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **إذ نادى ربه نداءً خفِيًّا**، قال بعضهم: **نداءً خفِيًّا** في قلبه على الإخلاص من غير أن ينطِق به.[8] وقال بعضهم: **نداءً خفِيًّا**، عن قومه ومن حضره. ثم يحتمل وجهين. أحدهما أخفاه وأسرَّه عنهم[9] إخلاصا لله وإصفاءً له. والثاني أخفاه وأسره منهم حياءً أن يَعيبوه أنه سأل ربه الولد في وقت كِبَره وإياسِه. *والله أعلم*.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قال رب إني وَهَن العَظْم مني**، أي ضعُف ورق، **واشتعل الرأس شَيْبًا**. اعتذر إليه وقدّم ذكر[10] ما حلَّ به من الكِبَر وبلوغِه الوقتَ الذي لا يُطمع في ذلك الوقت الولد؛

---

[1] ع: الحرف.
[2] انظر مثلا: تفسير سورة البقرة، ١/٢.
[3] ر ع م: برحمة ربك.
[4] ن: سؤال.
[5] ر ع: آيس.
[6] م: من.
[7] أنظر مثلا: سورة الحجر، ٦/١٥، ٩؛ وسورة النحل، ٤٤/١٦؛ وسورة يس، ١١/٣٦؛ وسورة ص، ٨/٣٨.
[8] ع + وقال بعضهم نداء خفيا في قلبه على الإخلاص من غير أن ينطق به.
[9] ر ع: منهم.
[10] ر ع م: زكريا.

أي بلغتُ المبلغ الذي ضعف بدني ورقّ عَظْمي. ثم سأل ربه الولد، ليس على أنه كان لا يعرف قدرة الله أنه قادر على هبة[1] الولد وإنشائه في كل وقت: في وقت الكبر والضعف، وبالسبب[2] وبغير[3] السبب، لكنه لا يعرف أنه يَسَع ويَصلُح سؤاله[4] الولد وهبتُه في الوقت الذي كان بلغ هو، وهو الوقت الذي لا يُطمع فيه الولد في الأغلب. وهو ما ذَكَر في سورة آل عمران: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.[5] فعند ذلك عرف زكريا أنه يسع دعاء هبة الولد وسؤالُه[6] في وقت الإياس حيث رأى عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء غير متغيرة عن حالها، فسأل عند ذلك ربه الولد؛ وهو قوله: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[7] الآية، *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولم أكُنْ بدعائك ربِّ شقيًا**، قال بعضهم: أي[8] كنتَ تُعوِّدني الإجابة في دعائي[9] إياك فيما مضى. وقال بعضهم: أي لم يكن دعائي[10] مما يخيب عنك. وهما واحد، ذكر منته وفضله الذي كان منه إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[٥] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وإني خفت المَوَالِيَ من ورائي**، قال الحسن: خاف مواليَه أن يرثوا ماله، فأما علمه ونبوته فمما لا يورث.[11] قال أبو بكر الأصم: هذا لا يصح، لا يحتمل أن يَخاف زكريا وِراثةَ ماله مواليَه فيسألَ ربه لذلك الولدَ ليرث ماله. ولكن كأنه خاف أن يُضيِّع مواليه دينه وسنته من بعده،

[1] ع: هيئة.
[2] ن: بالسبب.
[3] ع: وتغيير.
[4] ر ع: سؤال.
[5] سورة آل عمران، ٣٧/٣.
[6] ع: وسواله.
[7] سورة آل عمران، ٣٨/٣.
[8] ن - أي.
[9] ع: دعاي.
[10] ع: دعاي.
[11] قارن: *تفسير الطبري*، ٥٨/١٦؛ و*تفسير البغوي*، ٦٠٩/٣.

فسأل ربه أن يهَب له الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته. وقال: لا يحتمل وِراثة المال، لما روي في الخبر: «إنا[1] معاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ».[2] فلا يخلو هذا من أحد وجهين. إما أن كان هذا في المال[3] له خاصة دون سائر الأنبياء، وإما أن[4] لم يكن زكريا نبيًّا. فدل هذا أنه لا يحتمل وراثة المال، فدل أنه على العلم، أي[5] يُضيِّع الموالي علمي من ورائي.

ويحتمل قوله: **وإني خفت الموالي من ورائي** وسؤالُه الولد وجها آخر، وهو أنه[6] سأل ربّه[7] الولد الرضيَ الطيّب ليُذكَر هو به[8] بعد وفاته بالأعمال والصنيع الذي كان منه في حياته ويُدعى له لئلا ينقطع ذكره ودعاء الخلق له. وهذا هو المعروف في الخلق أنهم يُذكرون ويُدعون لهم بالخيرات التي كانت في حال حياتهم إذا كان لهم[9] ولد صالح. فعلى ذلك سؤال زكريا الولد.[10] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وكانت امرأتي عاقرا**، أي لا تلد. وقوله عز وجل: **فهب لي من لدنك وليًا يرثني**، أي يلي أمري. وقوله: **يرثني ويرث من آل يعقوب**. قال بعض أهل التأويل: ما ذكرنا يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة؛[11] وقال: **فهب لي من لدنك وليا**، وارثا **يرثني** مكاني وجُبُورَتي، **ويرث من آل يعقوب** الملك، لأنهم كانوا ملوكا وكانوا أخوالَه[12] وهو كان جبْرًا. ***والله أعلم بذلك.*** ولكن قوله: **يرثني**، ما كان له من العلم والحكمة والدين وغيره، **ويرث من آل يعقوب**، ما كان لهم من العلوم وغيرها. فإن ثبت أن آل يعقوب كانوا أخواله[13] ففيه دلالة أن ذوي الأرحام يرثون بعضُهم من بعض. ***والله أعلم.***

[1] ر ع: ان.
[2] صحيح *البخاري*، الفرائض ٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد والسير ٤٩.
[3] ع: من المال.
[4] ر ع م: إذا.
[5] ر م: ان.
[6] ر ع: ان.
[7] ع: به.
[8] ن – به.
[9] ر ع م: له.
[10] ع – الولد.
[11] *تفسير الطبري*، ١٦/٥٨؛ و*تفسير البغوي*، ٣/٦٠٩.
[12] ع: أحواله.
[13] ع: أحواله. يقول مجاهد: "وكان زكريا من ذرية يعقوب" (*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٣).

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يا زكريا إنا نُبَشِّرُكَ بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيًّا.** قال بعضهم: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا**، أي لم[١] نجعل[٢] مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة. لأنه روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم يكن من ولد آدم إلا وقد عمل بخطيئة أو همَّ بها غير يحيى بن زكريا فإنه لم يَهُمّ بخطيئة ولا عملَ بها».[٣] وقال بعضهم: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا**،[٤] أي لم يُسمَّ أحد قبله يحيى. وجائز أن يكون قوله: **لم نجعل له من قبل سَمِيًّا**، أي تولى الله تسميته[٥] يحيى [و]لم يُوَلِّ[٦] تسميتَه غيرَه، وسائر الخلائق يتولّى[٧] أهلوهم تسميتهم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[٨]

وقوله: **قال رب أنَّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عَاقِرًا**، قال[٨] الحسن: "عبادَ الله! إن زكريا استوهب ربه الولد فأجابه وبشّره فقال: أنَّى يكون لي غلام، وطلب منه الآية لذلك فقال: اِجْعَلْ لِي آيَةً،[٩] فما عابه[١٠] على ذلك ولا وبّخه ولكن رحمه"، أو كلام نحو هذا. وقال غيره: إنما أمسك لسانه واعتقله عقوبةً لما سأل من الآية. هؤلاء كلهم يجعلون ذلك[١١] زَلَّةً[١٢] منه.

---

[١] ع – قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا أي لم.

[٢] ر ع م + له.

[٣] عن سعيد بن المسيب حدثني عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا». قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض فأخذ عُودًا صغيرا ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، لذلك سماه الله سيدًا وحَصُورًا ونبيا من الصالحين». هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٢/٤٠٤).

[٤] م + لم نجعل له من قبل سميا.

[٥] م: تسمية.

[٦] ر ع: لم يوّل.

[٧] ر ع م: تولى.

[٨] ر ع م: وقال.

[٩] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكَلّم الناسَ ثلاث ليالٍ سَوِيًّا﴾ (سورة مريم، ١٩/١٠).

[١٠] ع: غابه.

[١١] ع + منه.

[١٢] ر م: ذلة؛ ع: ذلك.

إلا أن الحسن قال: لم يعبه[1] على ذلك ولا عاقبه عليه، ولكن ذكر ذلك رحمة منه إليه، وغيره يجعل ذلك عقوبة لما كان منه. وجائز أن يخرج ذلك على غير ما قالوا، وهو أن قوله: **أَنَّى يكون لي غلام**، أي على أي حال يكون مني الولد؟ على الحال التي أنا عليها أو أُرَدّ إلى شبابي [٤٦١و] ففي تلك الحال / يكون مني الولد؟ فذلك منه[2] استخبار واستعلام عن الحال التي[3] يكون منه الولد، ليس على أنه لم يعرف أنه قادر على إنشاء الولد في حال الكبر بسبب[4] وبلا سبب.[5] وعلى ذلك يخرج قوله حيث [قال له:]

[٤٦١و س١٥] *قال أبو عَوْسَجَة: **عاقر** وعقيم، المرأة التي لا تلد. وقوله **عِتِيًّا**، قال هو أشد الكبر شيبا، أي أكثر[6] الشيب. والمحراب، قال: إن شئت جعلته محرابا وإن[7] شئت قصرا أو دارا.[8] وقال القُتَبِي: **عِتِيا**، أي يَبسا، ويقال: عِتِيا وعُتِيا[9] بمعنى واحد. ومنه[10] يقال: ملِكٌ عاتٍ، إذا كان [٤٦١و س١٨] قاسيَ القلب غير ليّن.[11] **وسَوِيًّا**، أي سليما [غير أخرس].[12]*

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[٩]

قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّنٌ وقد خلقتك[14] **من قبل ولم تك شيئا**، أي قبل أن أخلقك[15] لم تك شيئا. وطلبُ الآية والعلامة بعد ما بُشِّر يخرج على وجهين. أحدهما أنه

---

[1] ر: لم يعب.
[2] ع م: عنه.
[3] جميع النسخ: الذي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٥ظ.
[4] جميع النسخ: وبسبب.
[5] ع: بلا سبب.
[6] ر م: كثر؛ ع: كثرت.
[7] ر ع م – إن شئت جعلته محرابا و.
[8] ر: ودارا.
[9] ن: عتا وعسى.
[10] ر – منه.
[11] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٢.
[12] انظر: نفس المصدر، ٢٧٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١و/سطر١٥-١٨.
[14] جميع النسخ: خلقناك. "خلقتك" قراءة أهل المدينة والبصرة وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين "وقد خلقناك" بنون وألف بالجمع على التعظيم. والقراءة الأولى أشبه بالسواد (*تفسير القرطبي*، ١١/٧٢-٧٣؛ وانظر أيضا: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).
[15] جميع النسخ: نخلقك. جعلوا المسند إليه جمعا لقراءة "خلقناك".

لما بشر بالولد[١] لعله أشكل عليه بأن تلك بِشارة ملَكٍ أو غيره، فطلب منه العلامة ليعرف أن تلك بشارةُ ملك وأنها من الله أو من غيره.[٢] لأنه ذكر في الآية: فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى،[٣] فطلبُ الآية يخرج منه على استعلام بِشارة المَلَك وأن ذلك من الله، لا أنه لم يعرف قدرة الله أنه قادر على خلقه في كل حال. هذا لا يُظن بأضعف مؤمن في الدنيا، فكيف يُظن بنبي من الأنبياء؟ أو أن يكون طلبُ الآية منه[٤] ليعرف وقت حملها الولدَ ووقتَ وقوعه في الرَّحِم، ليسبق له السرور بحمله عن وقت الولاد وعن[٥] وقت وقوع بصره عليه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **عليَّ هيّنٌ**، لأني أخلق بسبب وبغير سبب. قوله: **وقد خلقتك من قبل**، نطفةً **ولم تك شيئا**. فمن قدر على خلق الأشياء من لا شيء وبلا سبب قادر على خلقه الولدَ في حال الكِبر ومن امرأة عاقر عن الولد.[٦]

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قال آيتك ألا تُكَلِّمَ الناس ثلاث ليال سويًا**، قال[٧] بعضهم: **آيتك ألا تُكَلِّمَ الناس ثلاث ليال**، وأنت سَوِيٌّ صحيح.[٨] وقال بعضهم: **ثلاث ليال سويًا**، أي ثلاثا تامًا بأيامها، على ما قاله في آية أخرى: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[٩] ذكر[١٠] ههنا[١١] ثلاث ليال وفي تلك الآية ثلاثة أيام، والقصة واحدة.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سَبِّحُوا بكرة وعَشِيًّا**.

---

[١] ع – يخرج على وجهين أحدهما أنه لما بشر بالولد.
[٢] ر ع م: أو غيره.
[٣] سورة آل عمران، ٣٩/٣.
[٤] ر م: عنه.
[٥] ر م: عن.
[٦] ر ع م – قوله وقد خلقتك من قبل نطفة و لم تك شيئا فمن قدر على خلق الأشياء من لا شيء وبلا سبب قادر على خلقه الولد في حال الكبر ومن امرأة عاقر عن الولد.
[٧] ر ع م: وقال.
[٨] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٤. وانظر لمعنى آخر: آخر الآية التالية.
[٩] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تُكَلِّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (سورة آل عمران، ٤١/٣).
[١٠] ع: اذكر.
[١١] ن: هنالك.

قوله: **فأوحى إليهم**، قيل: أومَأ[1] إليهم، وقيل: كتب لهم على الأرض. وجائز أن يكون أومأ[2] إليهم بالشفتين على ما ذكر في آية أخرى: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا.[3] والرمز هو تحريك الشفة والإيماء[4] بها.*

وقوله: **فأوحى إليهم**، قد ذكرنا أنه أومَأ[6] إليهم. وقال بعضهم: كتب لهم على الأرض. وقوله: **أن سبِّحوا بكرة وعشيًا**، يحتمل قوله: **أن سبحوا**، أي صلُّوا لله[7] **بكرة وعشيًا**. فإن كان التسبيح هو الصلاة ففيه أن الصلاة كانت في الأمم الماضية في ختم الليل. ويحتمل التسبيحَ نفسه والثناء على الله والدعاء له بالغَدَوَات والعَشِيَات.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يا يحيى خذ الكتاب بقوة**، قال بعضهم: **خذ الكتاب**، بما قوّى الله وأعانك، وقال بعضهم: **خذ الكتاب**، واصبر على العمل بما فيه.[8] وقال بعضهم: **خذ الكتاب بقوة، أي** بجِدٍّ. قال أبو بكر الأصم: الجِدّ هو الانكماش[9] في العمل، والقوة هي احتمال ما حُمّل[10] عليه.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون بأن القوة تتقدم[11] الفعل ثم لا تبقى وقتين. فيكون على قولهم آخذًا بغير قوة، وقد أمره أن يأخذه[12] بقوة. فقولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب.

وقوله عز وجل: **وآتيناه الحكم صبيًا**، قال بعضهم: **آتيناه الحكم**، أي النبوة في حال صِباهُ، وقال بعضهم: آتاه الله الفهم واللب، وقال بعضهم: الحكمةَ والعلمَ. فكيف ما كان

---

[1] ر ع: أوحى؛ ن م: أومى.
[2] ر ع م: أوحى؛ ن: أومى.
[3] سورة آل عمران، ٤١/٣.
[4] ع: والايمان.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية الآتية برقم ٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١و/سطر١٥-١٨.
[6] ر ع: أوحى؛ ن م: أومى.
[7] ع: صلوات الله.
[8] ر م + وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل بما فيه.
[9] انكمش في أمره أي أسرع (*لسان العرب*، «كمش»).
[10] ع – حمل.
[11] ر م: يتقدم.
[12] ن: أن يأخذ.

ففيه فساد مذهب المعتزلة. لأنهم يقولون: إن الله تعالى لا يخص أحدًا بِنُبُوَّة ولا شيء من الخيرات إلا بعد أن سبق[1] من المختَصِّ له ما يستوجب ذلك الاختصاصَ[2] ويستحقه. فما الذي كان من يحيى في حال صِباهُ وطفوليته[3] ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم أنه آتاه؟[4] فدل ذلك أن[5] الاختصاص منه يكون لمن كان إفضالا منه وإنعامًا ورحمة، لا باستحقاقٍ مِن المختص له واستيجابه. وفي قوله: **يا يحيى خذ الكتاب بقوة**، دلالة أنه كان نبيا حيث كان أخبر أنه آتاه الكتاب.

[٤٦١ظ س١٢ *وفي قوله:[6] **وآتيناه الحكم صبيًا** استدلال لأبي حنيفة رحمه الله، حيث وقف في أولاد المسلمين والمشركين فقال: لا علم لي بهم، ولم يقطع فيهم[7] القول، لما يجوز أن يجعل الله لهم من المعرفة[8] والتمييز والفهم في حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومُنْشِئهم، على ما أُعطي يحيى وعيسى في حال صِباهما أو[9] صغرهما[10] الحكمَ والفهم والمعرفة.* ٤٦١ظ س١٥]

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا**، هو [معطوف] على قوله: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا،[12] [أي] وآتيناه **حنانا وزكاةً** أيضا. ثم اختلف في قوله: **وحَنَانًا من لدُنَّا**، قال ابن عباس: تعطُّفا من لدنا.[13] وقال بعضهم: أي رحمة من لدنا، وهو قول الحسن.[14] وقال بعضهم: الحنان المحبة.

---

[1] ر ع م: يسبق.
[2] ن: لاختصاص.
[3] ن: طفوليته.
[4] ر م: أنه إياه؛ ع: لإنه إياه.
[5] ر ع م - أن.
[6] ر ع م: في قوله.
[7] ر ع م: فهم.
[8] ر ع م: المعتزلة.
[9] ن: و.
[10] ع: أصغرهما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦١ظ/سطر١٢-١٥.
[12] الآية السابقة.
[13] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٦/٦٦-٦٧ (يسند الطبري هذا التأويل إلى مجاهد). وانظر أيضا: *المستدرك* للحاكم، ٢/٤٠٤. يقول: التعطف بالرحمة.
[14] *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٠٧.

وقال أبو عَوْسَجَة: حَنانَك وحَنانَيْك[1] كلاهما[2] يعني برحمتك.[3] وقال: أصله من التحنُّن[4] وهو الترحم. وقال القُتَبي: أصله من حنين الناقة على ولدها.[5]

وقوله: **وزكاةً وكان تقيًا**. قال[6] بعضهم: **زكاةً**، أي صدقة تصدَّق بها على زكريا وزوجته في الوقت الذي لا يُرجى من[7] مثلهما الولد. وقال بعضهم: **زكاة**، أي صلاحا[8] وما ينمو به من الخيرات. وجائز أن تكون[9] الزكاة اسمَ كل خير وبركة وهو كالبِرّ من التقوى، كأنه قال: أعطيناه[10] كل بِرّ وخير.

وقوله عز وجل: **وكان تقيًا**، عن جميع الشرور، كقوله: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،[11] أي تعاونوا على البر وتعاونوا أيضًا على دفع الشرور.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وبَرًّا بوالديه**، هو [معطوف] على قوله: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ،[12] [أي] وآتيناه البِرَّ بوالديه. وقوله عز وجل: **ولم يكن جبَّارًا عصيًّا**، بل كان خاضعا / لله ذليلا مطيعا. [٤٦١ظ] وقال الحسن: **لم يكن جبَّارًا عصيًّا**، أي لم يكن ممن يجبر[13] الناس على معصية الله. وقال أهل التأويل: **ولم يكن جبَّارًا**، أي قتَّالاً، أي لم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب.[14] وأصله ما ذكرنا أنه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له، على ما ذكر أنه لم يرتكب ذنبًا ولا همّ به.[15]

---

[1] قالوا: حنانَك وحنانَيْك، أي تحننًا بعد تحنُّن. وهو من المصادر المثناة التي لا يظهر فعلها كلَبَّيْك (انظر: *لسان العرب*، «حنن»).

[2] جميع النسخ: كليهما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٦و.

[3] ع: رحمتك.

[4] ع: الحنين.

[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٣.

[6] ع م: وقال.

[7] م – من.

[8] م: صلا.

[9] جميع النسخ: أن يكون.

[10] ع: أعصيناه.

[11] سورة المائدة، ٥/٢.

[12] الآية السابقة برقم ١٢.

[13] ر ع: يخبر.

[14] *تفسير البغوي*، ٣/٦١٢.

[15] *المستدرك* للحاكم، ٢/٤٠٤.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وسلام عليه يوم وُلِد ويوم يموت ويوم يُبْعَث حيًّا**، يحتمل السلامُ عليه وجوها ثلاثة.[١] أحدها هو اسم كل بِرّ وخير، أي عليه كل بِرّ وخير في هذه الأحوال التي ذكر. والثاني السلام هو الثناء،[٢] أثنى الله عليه من أول أمره[٣] إلى آخره وبعد الموت في الآخرة. [والثالث] أن يكون[٤] قوله: **وسلام عليه**، أي السلامة عليه في هذه الأحوال التي يكون للشيطان في تلك الأحوال الاعتراض والنزغ[٥] فيها، لأنه وقتَ الولادة يعترض ويُفسد الولد إن وَجد السبيل إليه،[٦] وكذلك عند الموت يعترض ويسعى في[٧] إفساد أمره.[٨] فأخبر أن يحيى كان سليمًا سالمًا عن نَزَغات[٩] الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب[١٠] خطيئة ولا همَّ بها. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **يوم يموت** دلالةُ أن الموت والقتل سواء وإن كان في الحقيقة مختلفا، لأنه ذُكر في القصة أن يحيى قُتل، ثم ذُكر الموت فدل أنهما واحد. فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا: إن المقتول ميت قبل أجله. وفيه أن قوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ،[١١] إنما نهانا أن نُسَمِّيَهم أمواتًا في جهة، ليس في الجهات كلها، حيث سمي يحيى ميتا وهو كان شهيدًا على ما ذكر أنه قُتل.*

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب مريم**. قال الحسن: هو صلة قوله: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[١٣] أي [و]اذكر رحمة ربك مريم. وقال بعضهم: واذكر نبأ مريم وقصتها في الكتاب.

---

[١] جميع النسخ: الوجوه الثلاثة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٧و.
[٢] ع: الثنا.
[٣] جميع النسخ: في أول أمره.
[٤] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٥] جميع النسخ: والنزع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٧و.
[٦] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل بني آدم يَمَسُّه الشيطان يومَ وَلَدته أمه إلا مريم وابنها» (*صحيح مسلم*، الفضائل ١٤٧).
[٧] ع: ا في.
[٨] ن: في إفساده أي أمره.
[٩] ن: نزعات.
[١٠] ع: حتى يرتكب.
[١١] سورة البقرة، ١٥٤/٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦١ظ/سطر١٢-١٥.
[١٣] سورة مريم، ٢/١٩.

وقوله عز وجل: **إذ انتبذت من أهلها مكانا شَرْقِيًّا**، أي نحو المشرق. ثم يحتمل قوله: **إذ انتبذت من أهلها**، إذا بلغت مبلغ النساء فارقت أهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصرُ غير ذي الرحِم المحرَّمِ عليها وأن لا يراها أحد ولا يصلحَ[1] النظر إليها. وقال بعضهم: **مكانا شرقيًا**، أي جلست في المَشْرُقة،[2] لأنه كان في الشتاء.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فاتخذت من دونهم حجابا**، قال بعضهم: احتجبت من دونهم بالغَيبة عنهم. وقال بعضهم: **اتخذت من دونهم حجابا**، أي سِتْرا. وقال مقاتل: **اتخذت من دونهم** الجبل حجابا وسِترا، أي جعلت الجبل بينها وبين أهلها فلم يرها[3] أحد منهم.[4]

وقوله عز وجل: **فأرسلنا إليها روحنا**، قال أُبي بن كعب:[5] **روحَنا**:[6] هو روح عيسى أرسله الله إلى مريم في صورة بشر، **فتمثّل لها بشرًا سَوِيًّا**. وقال غيره من أهل التأويل: **فأرسلنا إليها روحنا** جبريل، وقد سمى الله جبريل روحًا في غير آي من القرآن[7] وروحَ القدس[8] وغيره.[9] **فتمثل لها بشرًا سويًّا**، أي لم يكن به أثر غير البشر. وقال بعضهم: **بشرًا سَوِيًّا**، لا عيب فيه ولا نقصان، بل كان سويا صحيحا كاملا. ***والله أعلم.***

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تَقِيًّا**. فإن قيل: كيف تعوّذت بالرحمن إن كان تقيًّا وإنما يُتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق؟

قال الحسن: قوله **إن كنت تقيًّا**، مفصول من قوله: **إني أعوذ بالرحمن منك**، فيكون على الابتداء، كأنها قالت: إن كنت تَقِيًّا لا ينالني منك سوء ولا يَمَسُّني شر. ويحتمل قوله:

---

[1] ن: لا يصلح.

[2] المشرقة -بفتح الراء وضمها-: موضع القعود للشمس (*لسان العرب*، «شرق»).

[3] ن: فلم يرآها؛ ع: فلم يروها.

[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٦٢٣/٢.

[5] ع - كعب؛ ن + روحنا.

[6] ر ع م - روحنا.

[7] انظر: سورة المعارج، ٤/٧٠؛ وسورة النبأ، ٣٨/٧٨؛ وسورة القدر، ٤/٩٧.

[8] ر ع م: روح القدس. انظر: سورة البقرة ٨٨/٢، ٢٥٣؛ وسورة المائدة، ١١٠/٥؛ وسورة النحل، ١٠٢/١٦.

[9] مثلا الروح الأمين؛ انظر: سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦.

إن كنت تَقِيًّا، أي ما كنت تقيا، أي حيث دخلتَ عليّ من غير استئذان منك ولا استئمار، ما كنت تَقِيًّا. ويحتمل قوله: **إن كنت تَقِيًّا**، أي وقد كنت تَقِيًّا.[1] فعلى هذا التأويل كأنه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتُّقَى والصلاح، فكأنها قالت: قد كنت عرفتك بالتُّقَى والصلاح فكيف دخلتَ عليَّ بلا إذن ولا أمر؟ وقد يجوز أن يستعمل "إنْ" مكان "ما" ومكان "قد" وفي القرآن كثير. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[١٩]

وقوله تعالى: **قال إنما أنا رسول ربك لِأَهَبَ لكِ غلاما زكيا**، هو على الإضمار، كأنه قال: **إنما أنا رسول ربك** بالقول بأن **أهَبَ لكِ غلاما زكيا**، أي أرسلني إليك بهذا القول، وهو قوله: **لأهب لك غلاما زكيا**. وفي حرف ابن مسعود: إنما أنا رسول ربك لِيَهَبَ لكِ غلاما زكيا.[2] وقوله: **زكيا**، أي صالحا طاهرا عن جميع الشرور.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[٢٠]

وقوله تعالى: **قالت أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا**، إذ قالت: لم يمسسني بشر، يُعلَم أنه لم يمسها بشر لا تقيًا[3] ولا غيره، ولكن[4] كأنها قالت: **ولم يمسسني بشر**، نكاحًا، **ولم أك بَغِيًّا**، ولا بَغْيا فمِن أنَّى يكون لي ولد؟ كأنها لم تعرف الولد إلا بسبب لذلك قالت: **أنَّى يكون لي غلام**.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قال كذلكِ قال ربكِ**، أي أخلق بسبب وبلا سبب. وقوله عز وجل: **هو عليّ هيّن**، أي خَلْق الشيء بسبب وبغير سبب هين علي. وقال بعضهم: قوله: **كذلكِ قال ربكِ**، للأنبياء الذين كانوا من قبلُ إنه يخلق ولدًا بلا أب ولا أم.[5]

---

[1] م - أي وقد كنت تقيا.

[2] انظر: *المصاحف* لابن أبي داود، ٥٨. قرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو وشيخ يعقوب "ليهب لك" (*زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).

[3] ن: لا بغيا.

[4] ر ع م: لكن.

[5] ن: ولا ماء؛ ع: ولا أما.

وقوله عز وجل: **ولنجعله آية للناس**، أي نجعل وِلاده بلا أب على ما أخبر الأنبياء من [٤٦٢و] قبل، **آيةً / للناس** لرسالتهم؛ لأنهم أخبروا أنه يولَد ولد[1] بلا أب ولا أم،[2] فكان ما أخبروا. فدل ذلك أنهم إنما عرفوا ذلك بالله، فيكون ذلك آية لصدقهم. ويكون قوله: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي ذلك الخبر الذي أخبر الأنبياءَ من قبل والوعدَ الذي وعد لهم [كان] أمرًا مقْضِيًّا، كائنا.

وقال أهل التأويل: في قوله: **ولنجعله آية للناس**، أي نجعل عيسى آية للناس،[3] حيث وُلد بلا أب وكلَّم الناس في المهد وغير ذلك من الآيات التي كانت فيه.[4] وجائز أن يكون آية للناس للبعث، لأنه أنشأه بلا أب ولا سبب، وهم إنما أنكروا البعث لما لم يعاينوا[5] الولد بغير أب أيضًا، ثم كان، فعلى ذلك البعث. إذ لا فرق بينهما، لأن من قدر على إنشاء الولد بلا أب ولا أم[6] قدر على الإحياء بعد الموت، بل هو أولى.[7]

وقوله عز وجل: **ورحمةً منا**، أي رحمة منا للخلق، لأن من اهتدى واتّبعه كان له به نجاة. وهو ما قال الله عز وجل لرسوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[8] وعلى ذلك جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى خلقه كان[9] ذلك رحمة منه إلى خلقه.

وقوله عز وجل: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي كان أمرًا كائنا. وعلى التأويل الذي ذكره أبو بكر الأصم في قوله: **قال كذلكِ قال ربكِ هو على هين ولنجعله آية للناس**، يكون قوله: **وكان أمرا مَقْضِيًّا**، أي كان وعدا وخبرا[10] معلوما على ما أخبر الأنبياء عن نبإ عيسى وأمه.

[٤٦٣و س١٣] * ثم قول أهل التأويل: إنه نُفخ في جيب مريم أو في أنفها أوفي غيره، وغير ذلك من القِصص التي ذكروها مما ليس في الكتاب ذكرُها فلا يجوز أن يقال ذلك إلا بخبر عن الله تعالى

---

[1] ر ع م: ولدا.
[2] ن: ولأم؛ ع: ولا أما.
[3] ن – أي نجعل عيسى آية للناس.
[4] انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣؛ و سورة المائدة، ١١٠/٥.
[5] ن + ولم يعاينوا.
[6] ن: ولا ماء؛ ع: ولا أما.
[7] قارن بما قال المؤلف رحمه الله في تأويل الآية ٦١ من سورة الزخرف، لأن بعض أهل التأويل استدلوا بآية الزخرف إلى نزول عيسى عليه السلام.
[8] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[9] ر ع م: كأنه.
[10] ع: خيرا.

أو عمن أوحى إليه، فإنه لم يعلم صدقه ولا ثبوته، فيذكر[١] مقدار ما في الكتاب لا يزاد على ذلك ولا ينقص. لأن هذه الأنباء إنما ذكرت لرسول الله لتكون[٢] آية لرسالته ونبوته، لأنها كانت مذكورة في الكتب المتقدمة، وكان هنالك من يعرفها، فذكرت له هذه الأنباء على ما كانت في كتبهم ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله. فلو زيد فيه أو نقص لكانت غير دالة لهم على ذلك.* ٤٦٣و س١٨]

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[٢٢] ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **فحملته فانتبذت به مكانا قَصِيًّا**، دل هذا على أن الوِلاد لم يكن[٤] على إثر الحمل، ولكن كان بين الولاد وبين الحمل وقت، لكن لا يعلم كم ذلك الوقت إلا بخبر عن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فانتبذت به مكانا قَصِيًّا**، قال بعضهم: تباعدت به حياءً من أهلها. وقال بعضهم: انفردت[٥] به **مكانا قصيا**، متباعدًا.

وقوله عز وجل: **فأجاءها المخاض**، قال القُتَبِي: **فأجاءها المخاض**، أي جاء بها -من المجيء- وألجأها إليها. يقال:[٦] جاءت بي الحاجة إليك وأجائتني الحاجة. وقال:[٧] المخاض هو الحمل.[٨] ودل قوله: **فانتبذتْ به مكانًا قَصِيًّا**، أن النخلة التي ألجأها المخاض إليها كانت يابسة على ما قاله أهل التأويل، لأنه إنما انتبذت **مكانًا قَصِيًّا**، وتباعدت حياء من أهلها؛ فلو كانت تلك النخلة رَطْبة ذات ثمار لكان الناس يأوون إليها ويقيمون عندها، فلا يحتمل أن تأوِي[٩] إليها مريم وعندها مأوى الناس. ثم التِجائُها[١٠] إلى النخلة لتتساند إليها وتستعين بها، على ما يقع الحاجة للنساء وقت الولاد إلى شيء[١١] تستعين به عما ينزل بهن من الشدة. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: فنذكر.
[٢] ن + له
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٤ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر١٣-١٨.
[٤] ع: ولم يكن.
[٥] ر: الفرت.
[٦] جميع النسخ: يقول، والتصحيح من تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٣.
[٧] ر ع م - قال.
[٨] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٣.
[٩] ر ع م: يأوى.
[١٠] م: التجاها.
[١١] ع: وإلى شيء.

وقوله عز وجل: **قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنسِيًا**، يحتمل أن يكون يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنْسِيًّا، أي وكنت غير معروفة. ويحتمل أن يكون على ما ذكر يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيًا مَنْسِيًّا، لا أُذكر بعد الموت بذلك. لأنه ذُكر أنها كانت من أهل شرف وكرم ومن أهل بيت النبوة فتمنَّتْ أن تكون غير معروفة لئلا تُذكر[1] بسوء بعدها ولا تقذف.[2] وقال أهل التأويل: **وكنت نَسْيًا مَنسِيًا**، أي حِيضة مُلقاة،[3] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: النسْي الحيض. قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل هذا لأنها قد عرفت قدرها عند الله فلا يحتمل أن تتمنى ما ذكر. لكن الإنسان ربما يتمنى الأمر العظيم إذا أشتد به الأمر، نحو ما يتمنى الموت في بعض الوقت لعِظم[4] ما يَحُلّ به. فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم أن تتمنى ما ذكر أهل التأويل. ***والله أعلم***.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فناداها من تحتها**، و[قوله] **من تحتها** اختلف فيه. قال بعضهم: ناداها ملك، وقال بعضهم: ناداها ابنها عيسى.[5] قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل[6] أن يكون الذي ناداها ملكا، لأنه قال: **من تحتها**، ولو كان ملكا لناداها من فوقها. لكن هذا ليس بشيء، لأن الملك إنما ينادي من حيث يؤمر: من تحت ومن فوق. وقال بعض أهل التأويل: ناداها جبريل من تحت الوادي **ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا**. والأشبه أن يكون ابنها عيسى، لأنها كانت تحزن أن تُشتم وتُقذف به؛ فعيسى إذا تكلم وصار بذلك المحل تُسَرُّ هي بذلك، لما تعلم أنه ينفي عنها بعض ما طُعنت به وقُذفت.[7] ويحتمل [أن يكون] حزنها من وجه آخر، وهو أنها كانت حزنَت خوفا على نفسها[8] وعلى ولدها، لأنها أقامت[9] في مكان لا ماء فيه ولا طعام، فخافت على نفسها وولدها الهلاك فحزنَت لذلك فبُشرت،

---

[1] ر ع م: يذكر؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتانية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٨و.

[2] ر ع م: يقذف؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتانية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٨و.

[3] والحِيضَة: الخِرقة التي تَستَثْفِرُ بها المرأة. قالت عائشة رضي الله عنها: «لَيْتَنِي كنتُ حِيضةً مُلْقاةً». وكذلك المَحِيضة، والجمع المَحايِضُ (*لسان العرب*، «حيض»). والاستثفار: أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه (*لسان العرب*، «ثفر»).

[4] ع: لعظيم.

[5] روي هذا عن مجاهد (*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٥) والحسن (*تفسير الطبري*، ٨١/١٦).

[6] ع – لا يحتمل.

[7] ر ع: قزفت؛ ن: قرفت.

[8] ع: أنفسها.

[9] م: قامت.

حيث قال لها: **لا تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ سَرِيًّا**، آمنها عن الخوف الذي كان. ثم السَّرِيّ، قال بعضهم من أهل التأويل: هو الجدول، وهو النهر الصغير.[١]

*وقال بعضهم: في قوله **فناداها من تحتها**، أي من تحت النخلة.* [٤٦٢ظ س٦]

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وهُزِّي إليك بجِذْع النخلة تُسَاقِطْ عليك رُطَبًا جَنِيًّا**، فيه دلالة لزوم الكسب، لأنه أُمر مريم أن تَهُزَّ النخلة لتتساقط[٣] عليها الرُّطَبُ، ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها لتَجْتَنِي هي، وذلك عليها أهون[٤] وأيسر، على ما كان رزقها عند ما كانت مؤنتها على زكريا.[٥]

وفيه دلالة أن لا يَسَعُ المرءَ[٦] المسألةُ ما دام به أدنى قوة يقدر على قُوتِه. وفيه دليل أن زكريا كان أفضل منها وأكبر منزلة عند الله حيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف كان من[٧] زكريا ولا مئونة. فلما فارقت زكريا أمرها / بالكسب. وفيه دلالة أن الآيات التي تكون [٤٦٢ظ] للأنبياء يجوز أن يُجريها على أيدي غير الأنبياء،[٨] حيث جَعل لمريم نخلة يابسة رَطْبَة[٩] تُثمر رُطَبا، وحيث جَعل من تحتها سَرِيًّا، أي نهرا جاريا، وحيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف أحد. فذلك يشبه آيات الأنبياء والرسل ويقاربها. وهذه المحن التي امتحن بها مريم في الظاهر عظيمة عند الناس وفي الباطن من أعظم كراماته إليها، لأنه أخبر أنه تعالى اصطفاها على نساء العالمين بقوله: إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛[١٠] وسماها صِدِّيقة بقوله: وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ.[١١] وذلك لا يسمى إلا من بلغ من البشر في الصدق والصبر له غايته.[١٢] *والله أعلم*.*

---

[١] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٢ظ/سطر٦-٧.

[٣] ن: ليتساقط.

[٤] ع: أهو.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ (سورة آل عمران، ٣٧/٣).

[٦] ر: للمرا.

[٧] ع – من غير تكلف كان من.

[٨] ر ع م: غير أيدي الأنبياء.

[٩] ن: رطبه.

[١٠] ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (سورة آل عمران، ٤٢/٣).

[١١] ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة﴾ (سورة المائدة، ٧٥/٥).

[١٢] ر ع م: غاية.

* وقع هنا سطر من تفسير الآية السابقة برقم ٢٤ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٢ظ/سطر٦-٧.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[٢٦]

وقوله: **فكلي واشربي وقَرّي عينا**، أي كلي الرُّطَب الذي يتساقط عليك، **واشربي** من السَّرِيّ الذي جعل تحتك، **وقري عينا**، أي وارضَيْ مكان ما حزِنْتِ عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك، أو طِيبي نفْسًا.

وقوله عز وجل: **فإما تَرَيِنَّ من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما**، أي صمتا وسكوتا. وكذلك روي في بعض الحروف وهو في حرف أبي.[١] ثم قوله:[٢] **فقولي**، ليس على القول نفسه، ولكنه إشارة أشارت إليهم. **إني نذرت للرحمن صوما**. فإن كان على هذا ففيه دلالة أن الإشارة إذا كانت مُعْلِمة مُفهِمةً المرادَ تعمل عمل القول نفسه والكلامِ. ولذلك وقع الطلاق بالإشارة والنكاحُ وكلُّ عقد من الأخرس وغيره إذا كانت الإشارة مفهومة معقولة. وقال بعضهم: قوله: **فقولي**، هو على[٣] حقيقة القول، أي[٤] أُمرتْ أن تقول: **إني نذرت للرحمن صوما**، فكان نذرها الصومَ للرحمن بعد هذا القول. وإلى هذا يذهب الحسن.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فأتت به**، أي بعيسى **قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فَرِيًّا**، قال أبو بكر الأصم: لقد فَرَيْتِ عظيما من الأمر. لكنه يخرج تأويله فريتِ من التقدير؛ يقال: فرى أي قدَّر. وقال بعضهم: لقد افتريت عظيما. وهو قذف تصريح[٥] بالزنا، كقوله: يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ.[٦] وقال بعضهم: **شيئا فَرِيًّا**، كلُّ قائم من[٧] عجب أو من عمل فهو فري، وهو ههنا عجب فري. وهذا[٨] أقرب، إذ لا يجوز أن يحمل كلامهم على تصريح القذف وثَمَّ[٩] لتعريض القذف مساغٌ ووجه. *والله أعلم*.

---

[١] «صوما صمتا» أو «صوما وصمتا». انظر: *المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٥.
[٢] جميع النسخ: وقال ثم قوله.
[٣] ع: على هو.
[٤] ع + إني.
[٥] ع + القذف تصريح.
[٦] ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجُلِهن﴾ (سورة الممتحنة، ١٢/٦١).
[٧] ر ع م – من.
[٨] ن: وهنا.
[٩] ن: وثمة؛ م: ثم.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢٨]

وقوله: **يا أخت هارون**، قال بعضهم: كانت أخت هارون بن عمران أخي موسى. وعلى ذلك رَوَى خبرًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ثبت[١] فهو هو. وقال بعضهم: لا، ولكن كان لها أخ من أبيها يقال له هارون بن ماثان، لذلك نسبوها إليه فقالوا: يا أخت هارون. وقال بعضهم: إن هارون كان رجلا صالحا ناسكا فيهم فشبّهوها به ونسبوها إليه لصلاحها ونَسْكها. وقال بعضهم: إن بني إسرائيل يسمّي كل صالح هارون حُبًّا لهارون؛ لذلك سَمَّوْها ونسبوها إلى هارون لنَسْكها وصلاحها.

وقوله عز وجل: **ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بَغِيًّا**، أي ما كان أبوك ما ذكر ولا أمك ولا أنت فمن أين كان لك هذا؟ هذا تعريض من الكلام ليس بتصريح، فهو ما ذكرنا أنهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح[٢] الفرية والقذف لها.

* قال[٣] القُتَبي: الصوم الإمساك، **صوما**، أي صمتا. **فَرِيًّا**، أي عظيما عجبا. والبَغِيّ، يقال: امرأة بغيٌّ ونسوة بَغَايَا، أي فاجرات.[٤] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.* [٤٦٣و س١٨ - ٤٦٣و س١٩]

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٢٩]

قوله: **فأشارت إليه**، أي إلى ابنها عيسى أن كلِّموه. **قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**، أي كيف نكلم من كان صبيا في المهد؟[٦]

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٣٠] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٣١]

وقوله تعالى: **قال إني عبد الله آتاني الكتاب**، أي آتاني علم الكتاب. ولا نفسر أيّ كتاب هو: الإنجيل أو التوراة أو غيره، لأنه قال في آية أخرى: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ،[٧] فذكر الكتاب وذكر معه التوراة والإنجيل. فهذا يدل أن الكتاب غير التوراة والإنجيل.

---

[١] لم أجد شيئا في ذلك.

[٢] ر: على التصريح.

[٣] ع: وقال.

[٤] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر١٨-١٩.

[٦] ر ع م – قوله فأشارت إليه أي إلى ابنها عيسى أن كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا أي كيف نكلم من كان صبيا في المهد.

[٧] سورة آل عمران، ٤٨/٣.

وقوله عز وجل: **وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت**، هذا يدل أنه قد تكلم بعد هذه الكلمات، وليس كما قال أهل التأويل: إنه تكلم بهؤلاء الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك إلى أن بلغ[1] المبلغ الذي يتكلم الصبيان، لأنه أخبر أنه جعله نبيا وجعله مباركا. فلا يحتمل أن يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس إلى دين الله. وأي بركة تكون فيه إذا لم يتكلم بكلام خير؟ فدل ذلك منه أن ليس على ما قالوا هم. والبركة هي اسم كل خير وصلاح. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمْتُ حيا**، يحتمل الصلاةَ المعروفة والزكاة المعهودة؛ ويحتمل الصلاةُ الثناء له والدعاء في كل وقت وفي كل مكان. والزكاةُ كل ما تزكو[2] به النفس وتصلح وتنمو من[3] كل خير. فإن كان الأولَ [أي] الصلاةَ المعروفة[4] والزكاة المعروفة فهو على تعليم الناس؛ كأنه قال: أوصاني أن أُعْلِم الناس وأُعَلِّمهم عن[5] [حكم] الزكاة، إذ لم يكن يملك عيسى ما تجب فيه الزكاة، فهو يخرج على إعلام[6] الناس عن حكم الزكاة. أو أن يكون على المواساة[7] فذلك مما قل وكثر سواء. وإن كان الثاني فهو وغيره من الناس في تلك الزكاة سواء. ***والله أعلم***.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وبَرًّا بوالدتي**، أي جعلني برا بوالدتي. هو[8] صلة قوله:[9] وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا،[10] وجعلني **برا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا**، قد ذكرناه في قصة يحيى.[11]

---

[1] ع: أبلغ.
[2] ر: تزكوا.
[3] ر ع: عن.
[4] ر م: المفروضة.
[5] جميع النسخ: من.
[6] ن: على تعليم؛ ن هـ: إعلام.
[7] والمُوَاسَاة: المشاركة والمُساهَمة في المعاش والرزق؛ وأصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفا (*لسان العرب*، «اسو»).
[8] جميع النسخ – هو، والزيادة من الشرح، ورقة ٤٧٨ظ.
[9] جميع النسخ: بقوله والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٧٨ظ.
[10] الآيتان السابقتان.
[11] انظر: تفسير الآية السابقة برقم ١٤.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **والسلام علي يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيًّا**. هذا أيضا قد ذكرناه في قصة يحيى،[١] غير أن الله تعالى هو سلّم على يحيى في تلك الأحوال / وههنا ذَكَرَ [٤٦٣و] أن عيسى هو[٢] سلَّم على نفسه. وذكر في بعض القصة أن عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام التقيا، فقال يحيى لعيسى: "[استغفر لي] أنت خير مني"؛ فقال عيسى: "بل أنت خير مني سلَّم الله عليك[٣] وسلَّمتُ أنا على نفسي".[٤] *والله أعلم*.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ذلك عيسى ابن مريم**، أي ذلك عيسى ابن مريم، ليس على ما قالت النصارى وغيرهم: إنه ابن الله وإنه ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[٥] على ما قالوا، ولكن عيسى ابن مريم عبد الله كما أقر هو بالعبودية[٦] حيث قال: إِنِّي عَبْدُ اللهِ.[٧] ويحتمل قوله: **ذلك عيسى ابن مريم**، أي ذلك الذي أنبأتهم من نبإ عيسى، **قول الحق الذي فيه يمترون**، أي هؤلاء الكفرة، حيث أنكروا أنه ليس على ما أنبأتهم من نبإه، أي الذي[٨] يشكُّون فيه هو **قول الحق**. *والله أعلم*.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **ما كان لله أن يتَّخذ من ولدٍ سبحانه**، نزه نفسه عن أن يتخذ ولدا، لأنه لا تقع[٩] الأسباب التي لها[١٠] يُتخذ الولد ويطلب منه. أو يقول: إن اتخاذ الولد يُسقط الألوهية؛ لأن الولد في الشاهد يكون شكلَ الأب وشبيها[١١] له، فلا يحتمل أن يكون الألوهية لمن يشبه الخلق.

---

[١] انظر: تفسير الآية السابقة برقم ١٥.

[٢] ر ع م – هو.

[٣] م – عليك.

[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٧٠.

[٥] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ (سورة المائدة، ٥/٧٣).

[٦] ن ع: بالعبودة.

[٧] سورة مريم، ١٩/٣٠.

[٨] ع: الذين.

[٩] ن: لا يقع.

[١٠] م: بها.

[١١] م: وشبها

لأن الولد في الشاهد إنما يُتخذ ويطلب لأحدِ وجوه ثلاثة: إما لوحشة تأخذه فيستأنس به،[1] وإما لحاجة تمَسُّه فيستغني به في دفعه، أو لخوف يخاف من أعدائه فيستنصر به. فإذ[2] كان الله سبحانه يتعالى عن ذلك وله من سرعة نفاذ أمره ما ذكر في قوله: **إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون**، فَمَن[3] له من سرعة نفاذ الأمر[4] ما ذكر لا تقع[5] له الحاجة إلى الولد في معنى من المعاني ولا وجهٍ[6] من الوجوه. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.*

﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وإن الله ربي وربكم فاعبدوه**، إنهم كانوا يعرفون أن الله هو ربهم حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[8] ونحوه، فكأن عيسى قال لهم: ارجعوا إلى عبادة الذي تعرفون أنه ربي وربكم واتركوا العبادة لمن تعرفون أنه ليس بربكم.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: اختلف الذين تحزَّبوا[9] في عيسى في حياته. منهم من قال: هو ساحر، وقال بعضهم: هو كاهن، وقال بعضهم كذا من هذا النحو. وقال بعضهم: اختلف الذين تحزَّبوا[10] في عيسى بعد ما رُفع من[11] بينهم. فمنهم من قال: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[12] وأمثال ما قالوا؛ على علم منهم أنه لم يكن على ما وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا.

---

[1] ن: له.
[2] ر ع م: فان.
[3] ر ع م: فما.
[4] ع: أمره.
[5] ن: لا يقع.
[6] ن: فلا وجه.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات المتقدمة برقم ١٩-٢١ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٣و/سطر ١٣-١٨.
[8] سورة الزمر، ٣/٣٩. لعل الإمام رحمه الله وجد مشابهة بين عقيدة قوم عيسى عليه السلام وبين عقيدة مشركي العرب، حيث استدل بالآية التي نزلت فيهم.
[9] ع: تحزنوا.
[10] ع: تحزنوا.
[11] ع م – من.
[12] قارن: سورة المائدة، ٧٣/٥.

وقال بعضهم: قوله: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، الذين تحزَّبوا واختلفوا في رسول الله لَمّا بُعث.[1] فمنهم من قال: إنه ساحر[2] وإنه كاهن[3] وإنه[4] مجنون[5] وإنه مفترٍ[6] وإنه كذاب[7] ونحو ما قالوا فيه، على علم منهم أن ما يقول هو[8] يوافق كتبَهم وأن كتابه مصدِّق لكتبهم[9] وأنه يؤمن بالرسل الذين يؤمنون هم بهم، لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة. فقال أصحاب هذا التأويل: الويل والوعيد الذي ذكر [هو] لهؤلاء،[10] وهو قوله: **فويل للذين كفروا.** وصاحب التأويل الأول يقول: إن الوعيد الذي ذكر هو للذين تحزَّبوا في عيسى واختلفوا فيه.[11] ***والله أعلم***. والويل لكل كافر، ما من كافر إلا وله ذلك الوعيد.

وقوله عز وجل: **من مَشْهد يوم عظيم**، وصف ذلك اليوم بالعظم لما فيه مجمع الأولين والآخرين، ويشهده الجن والإنس والملائكة، فهو[12] مشهد عظيم. ويحتمل أنه وصفه بالعظم، لأنه هو المقصود في خلق العالم في الدنيا فهو إنما خلقهم لأمر[13] عظيم وهو ذلك اليوم.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أَسْمِعْ بهم وأَبْصِر يوم يأتوننا**، قال الحسن: يكونون سُمَعاء وبُصَراء في الآخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عمي بكم صم.[14] وقال بعضهم: ما أَسْمَعَهم وما أَبْصَرَهم **يوم يأتوننا**. وقال بعضهم: لا يصح هذا، لأن هذا ليس على وجه التهزُّؤ[15] والتعجُّب،

---

[1] إلا أن هذه الأقوال -التي ذكرها البعض- هي للمشركين في سيدنا محمد عليه السلام، لا للذين اختلفوا وتحزبوا في ماهية عيسى عليه السلام: هل هو إله من نفس جوهر الله أم إنسان.

[2] سورة يونس، ١٠/٢؛ وسورة ص، ٣٨/٤.

[3] سورة الطور، ٥٢/٢٩؛ وسورة الحاقة، ٦٩/٤٢.

[4] ر ن - إنه.

[5] سورة الحجر، ١٥/٦؛ وسورة الصافات، ٣٧-٣٦.

[6] سورة النحل، ١٦/١٠١.

[7] الآيات المتعلقة بتكذيب المشركين رسول الله كثيرة، ومنها ما في سورة ص، ٣٨/٤.

[8] ر ع: هوا.

[9] ع: لكنهم.

[10] أي المشركين.

[11] ر ع م - الذي ذكر لهؤلاء وهو قوله فويل للذين كفروا وصاحب التأويل الأول يقول إن الوعيد الذي ذكر هو للذين تحزبوا في عيسى واختلفوا فيه؛ ر ع م + للذين تحزبوا في رسول الله.

[12] ع: هو؛ ر: لأنه.

[13] ع: للعالم.

[14] يشير إلى قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨؛ وانظر أيضا الآية ١٧١ من هذه السورة).

[15] ر ع: التهز.

ولكن تأويله: أي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا. وقال بعضهم: أَسْمِعْ بهم وأَبْصِر، أي أَسْمِع بحديثهم إليهم وأعلِمْهم، وأبْصِر كيف نَصنع[1] بهم يوم يأتوننا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**، أي في حسرة بينة أو في هلاك بين. وقد ذكرنا ذلك في غير موضع.[2]

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **وأنذرهم يوم الحسرة**، قال عامة أهل التأويل: الحسرة هي أن يُصَوَّر الموت بصورة كَبْش أملحَ فيذبح بين الجنة والنار فينظر إليه أهل النار وأهل الجنة، فيندم أهل النار ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون الموت فإذا ذبح الموت[3] ييأسون[4] منه،[5] فذلك الحسرة التي ذَكر.[6] لكن هذا لا يعلم إلا بخبر عن رسول الله، فإن ثبت شيء[7] عنه فهو ذلك.[8] وإلا فالحسرة [٤٦٣ظ] / لهم في أعمالهم التي عملوا في الدنيا، وهو ما قال: كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ؛[9] وقوله: يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ،[10] وقولُه: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا،[11] ونحوه، كل عمل عملوا في الدنيا يكون لهم ذلك حسرةً في الآخرة وندامة.

---

[1] ر ع: تصنع؛ ن: لا بالفوقانية ولا بالتحتانية

[2] انظر مثلا: تفسير سورة آل عمران، ٣/١٦٤.

[3] ر ع م - فإذا ذبح الموت.

[4] ر ع: يتأسون؛ م: ويتأسون.

[5] ر م: عنه.

[6] انظر: *تفسير البغوي*، ٣/٦٢٠.

[7] ع: سي.

[8] ن: ذاك. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتَى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادِي منادٍ: 'يا أهل الجنة'، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: 'هل تعرفون هذا؟' فيقولون: 'نعم، هذا الموت'. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: 'يا أهل النار'، فيشرئبون وينظرون، فيقول: 'هل تعرفون هذا؟' فيقولون: 'نعم: هذا الموت'. وكلهم قد رآه، فيُذبح. ثم يقول: 'يا أهل الجنة خلودٌ فلا موتَ، ويا أهل النار خلود فلا موت'.» ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ وهؤلاء في غفلة أهلُ الدنيا ﴿وهم لا يؤمنون﴾. (*صحيح البخاري*، التفسير ١٩؛ وانظر أيضا: *سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٠).

[9] ﴿وقال الذين اتُّبعوا لو أن لنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهم كما تَبَرَّءُوا منا كذلك يُرِيهِم اللهُ أعمالَهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٧).

[10] سورة الزمر، ٣٩/٥٦.

[11] ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرَّطْنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣١).

وقوله عز وجل: **إذ قُضِي الأمرُ**، أي أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار **وهم في غفلة**، أي هم كانوا في غفلة من هذا، **وهم لا يؤمنون** بالله.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها**، هذا -والله أعلم- كناية عن فناء الخلق جميعًا وبقاء الخالق، فذلك معنى الوراثة، ***والله أعلم***. وعلى ذلك سمي الوارث في الشاهد وارثا لأنه باق بعد فناء مورثه. ***والله أعلم***.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب إبراهيم**، قال الحسن: هو صلة كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[١] يقول: اذكر رحمة ربك إبراهيم. قال الحسن: هو صلة، وكذلك يجعل جميع ما ذُكر في هذه السورة من نحو هذا صلة ذلك، كأنه ذُكر كهيعص في كل ذلك، لأنه يجعل تفسير كهيعص في كل ذلك على ما ذُكر على إثره. وكذلك يقول في جميع الحروف المقطعة أن تفسيرها ما ذُكر على إثرها. وأما غيره من أهل التأويل فإنه يقول: واذكر لهم نبأ إبراهيم وقصته في الكتاب. وكذلك يقولون في جميع ما ذُكر في هذه السورة من قوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ،[٢] أي اذكر نبأها وقصتها في الكتاب[٣] لهم، واذكر في الكتاب نبأ موسى وخبره وذكره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه كان صِدِّيقًا نبيا**، الصِدِيق إنما يقال لمن كثُر منه ما يستحق ذلك الاسم، وكذلك التشديد إنما يشدَّد إذا كثر الفعل منه[٤] وصار كالعادة له والطبع. فكأنه سمي بهذا لما لم يكن يجعل بين ما ظهر له من الحقوق والفعل وبين وفائها وأدائها نظْرَةً ولا مهلةً، بل كان يفي بها ويؤديها كما ظهر له ولذلك سماه -والله أعلم- وفِيًّا بقوله: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى،[٥] وقال في آية أخرى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ،[٦] سماه وفِيًّا لما[٧] كانت عادته القيامَ بوفاء ما ظهر له وإتمامَ ما ابتلاه ربه.[٨] ***والله أعلم***.

---

[١] سورة مريم، ١٩/١-٢.
[٢] سورة مريم، ١٩/١٦.
[٣] ر ع م – وكذلك يقولون في جميع ما ذكر في هذه السورة من قوله واذكر في الكتاب مريم أي اذكر نبأها وقصتها في الكتاب.
[٤] جميع النسخ: منهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٧٩و.
[٥] ﴿أم لم يُنبَّأ بما في صُحُف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٣٦-٣٧).
[٦] سورة البقرة، ٢/١٢٤.
[٧] ر ع م – لما.
[٨] ر ن ع: به.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع**، إذا دعوتَه، **ولا يبصر** لو عبدتَه، **ولا يغني عنك شيئا** إذا احتجتَ إليه وسألته. ويحتمل أن يكون قوله: **مالا يسمع**، أي لا يجيب لو دعوتَه واحتجتَ إليه، **ولا يبصر** حاجتك إذا احتجتَ إليه، **ولا يغني عنك شيئا**، أي لا ينصرك. وقال بعضهم: **ولا يغني عنك شيئا**[١] من عذاب الله في الآخرة. يقول: كيف لا تعبد من إذا دعوته سمع،[٢] وإذا عبدته أبصر، ونصرك إذا احتجت إليه وسألته؟ *والله الموفق*.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك**، أي من البيان ما يحُلُّ بك بعد الموت إذا مت على ما أنت عليه، **ما لم يأتك** ذلك. **فاتبعني** إلى ما أدعوك إليه من دين الله **أهدك صراطاً سويًّا**، أي دينا عدلا سويا قيّما لا عوج فيه. فهذا يدل منه أنه قد أوحي في ذلك الوقت. ويشبه أن يكون عرف ذلك استدلالاً منه واجتهادًا على غير وحي، كقوله: هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ، حتى انتهى إلى قوله: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا،[٣] وكل ذلك كان له من الله. ألا ترى[٤] أنه قال في آخره: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[٥]

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا**، هم[٦] لم يكونوا يعبدون الشيطان عند أنفسهم، ولكن يحتمل إضافة عبادتهم إلى الشيطان وجهين.[٧] أحدهما[٨] أن الأصنام التي عبدوها كانت لا تأمرهم بالعبادة ولا تدعوهم إليها،[٩] ثم عبدوها

[١] ع + وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئا أي لا ينصرك.
[٢] ن: يسمع.
[٣] سورة الأنعام، ٧٨/٦-٧٩.
[٤] ن: ألا يرى.
[٥] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[٦] ع - هم.
[٧] ر ع م: وجوها.
[٨] ر ع م: أحدها.
[٩] ع: عليها.

فإنما عبدوها بأمر الشيطان وبدعائه إياهم، فأضاف ذلك إليه للأمر الذي كان منه بذلك. والثاني ذُكر أن الشيطان كان ينطق من[١] جوف الصنم فعبدوها لكلامه، فكأنهم عبدوا الشيطان. *والله أعلم*.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **يا أبت إني أخاف أنْ يَمَسّك عذاب من الرحمن**، قال بعضهم: قوله: **إني أخاف**، أي أعلم **أنْ يَمَسّك عذاب من الرحمن**، لو دُمت على الكفر وخُتمتَ به. فإن كان تأويل الخوف[٢] العلم فهو على هذا الشرط يخرج. ويحتمل أن يكون الخوف في موضع الخوف، أي **إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن**، إن لم تُنجِز وعدك،[٣] **فتكون للشيطان وليًا**، أي قريبًا في العذاب.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟** ولا شك أنه كان راغبا عن عبادة آلهتهم.

وقوله: **لئن لم تنته لَأَرْجُمَنَّكَ**، يحتمل وجوها. أحدها **لئن لم تنته** عن دينك الذي أنت عليه، **لَأَرْجُمَنَّكَ**، أي لأقتلنّك. والثاني **لئن لم تنته** عن دعائك إياي إلى دينك **لأرجمنك**، أي لأطردنّك، والثالث[٤] **لئن لم تنته** عن قذف آلهتنا وسبّها وذكرها بسوء **لَأَرْجُمَنَّكَ**، أي لأشتُمنك مكان شَتْمِك وقذفِك آلهتنا. فالرجم يشتمل على هذه الوجوه الثلاثة: القتل والطرد والشتم. فإن كان على القتل فهو مقابل الدِّين، أي **لئن لم تنته** عن دينك لأقتلنك؛ وإن كان على الطرد فهو مقابل الدعاء، أي **لئن لم تنته** عن دعائك إياي إلى ما تدعو لأطرُدنَّك؛ وإن كان على الشتم فهو مقابل الشتم، أي **لئن لم تنته** عن شتمك آلهتنا لأشتُمَنّك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واهجرني مَلِيًّا**، قال بعضهم: طويلا، وقال بعضهم: بعيدا، وقال بعضهم:[٥] دهرا.

---

[١] ع: في.

[٢] ر ع م – الخوف.

[٣] فإن أباه كان وعده أن يؤمن، كما قال: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ (سورة التوبة ١١٤/٩). يقول الماتريدي في تفسير هذه الآية: «قال بعضهم: وعده إياه الإسلام، فكان استغفاره لأبيه على وعد الإسلام ... ألا ترى أنه تبرأ منه إذا تبين له أنه من أهل النار» (*تأويلات القرآن* للماتريدي، ٤٥١/٢).

[٤] ر ع م – لئن لم تنته عن دعائك إياي إلى دينك لأرجمنك أي لأطردنك والثالث.

[٥] ر ع م – بعيدا وقال بعضهم.

فإن كان مَلِيًّا، أي بعيدا فهو على بُعْدِه منه، أي أُبعُدْ مني وتباعَدْ عني،[1] من[2] [بُعد] داره ومقامه. وإن كان على الدهر والطول / فهو يخرج [على هذا:] أي لا تكلمني أبدًا. *والله أعلم*. [٤٦٤و]

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **قال سلام عليك**، يحتمل أنه ليس على أن سلَّم[3] عليه، ولكن كلمه بكلام السداد، كقوله: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[4] هو أن يقولوا لهم كلام السداد، ليس على أن يسلِّموا عليهم. ويحتمل: **سلام عليك**، على حقيقة السلام المعروف، لكنه يخرج على الإضمار، أي **سلام عليك** إذا أسلمت.

وقوله عز وجل: **سأستغفر لك ربي**، يحتمل **سأستغفر لك ربي**، إذا أسلمت، على نحو ما قلنا. ويحتمل قوله: **سأستغفر لك ربي**، سأسْأَلُ[5] ربي ليوفقك على السبب الذي تستوجب به[6] الاستغفار وتكون أهلا للاستغفار.

وقوله تعالى: **إنه كان بي حَفِيًّا**، قال بعضهم: أي برًّا لطيفا، وقال بعضهم: **حَفِيًّا**، عالما. وقال بعضهم: إنه كان عوَّدني الإجابة إذا دعوتُه. قال أبو عَوْسَجَة: الحَفِيّ العالم بالأمر، ويقال: حَفِي الرجل يحفَى[7] إذا سار بلا نَعلٍ ولا خُفّ،[8] وجمعه حُفَاة، واحتفى يحتفي إذا احتنى حشيشا.[9]

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله**، الاعتزال ههنا اعتزال هجرة إلى أرض الشام ومفارقتُه[10] إياهم مفارقةَ المكان والدار، كقوله: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ،[11] فقوله: وَنَجَّيْنَاهُ، النجاة بالفراق منهم.

---

[1] ر ع م: مني.
[2] ر ع م - من.
[3] ع: أسلم.
[4] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٦٣/٢٥).
[5] ر ع: أسأل؛ ع؛ سأل.
[6] ع - به.
[7] ع: يحفى.
[8] ن: ولا حف.
[9] الاحتفاء: أخذ البقل بالأظافير من الأرض. واحتفى البقلَ، إذا أخذه من وجه الأرض بأطراف أصابعه من قصره وقلته (*لسان العرب*، «حفا»).
[10] ع: ومفارقة.
[11] سورة الأنبياء، ٧١/٢١.

وقوله عز وجل: **وما تدعون من دون الله**، أي وأعتزلكم وما تعبدون[١] **من دون الله** أيضا. ففيه إخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم أيضا، اعتزلهم عن الأمرين جميعًا.

وقوله عز وجل: **وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شَقِيًّا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي **أدعو ربي عسى أن لا أكون** بعبادة غير الله شقيا؛ كما كان قومه لعبادتهم[٢] غير الله أشقياء.[٣] والثاني **أن لا أكون بدعاء ربي** إذا دعوته شقيا، أي خائبًا مردود[٤] الدعاء. ***والله أعلم***.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **فلما اعتزلهم**، اعتزالَ الدار والمكان بالهجرة إلى الأرض المباركة التي ذكر أنه نجّاه،[٥] واعتزل أيضًا صنيعَهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله.

وقوله عز وجل: **وهبنا له إسحاق ويعقوب**، وقال في آية أخرى: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً،[٦] ذكر الهبة لأن الولد هبة من الله تعالى تخلَقه على الإفضال منه والإنعام عليه، لأنه يعطي لا عن حق كان لهم عليه. فذلك فائدة ذكر الولد هبةً.

وقوله عز وجل: **وكلًّا جعلنا نبيا**، هو ظاهر وهب له ما ذكر. ثم أخبر عز وجل أنه جعلهم أنبياء:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٥٠]

وقوله: **ووهبنا لهم من رحمتنا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الرحمة ههنا هي النبوة، أي وهبنا لهم النبوة. وقال بعضهم: الرحمة النعمة، أي من نعمته وهب لهم ما وهب من النبوة وغيرها. ***والله أعلم***.

وقوله: **وجعلنا لهم لسانَ صدقٍ عَلِيًّا**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **لسان صدق**، هي الكتب التي أنزلها الله فيها أنباء صدقهم وفضلهم ومنزلتهم، هي **لسان صدق عَلِيًّا**. وقال بعضهم: **لسانَ صدقٍ عَلِيًّا**،[٧] هم[٨] أولادهم الذين جعلهم أنبياء[٩] رسلا يُذكرون ويعظَّمون من بعدهم،

---

[١] ر ن م: ما تعبدون.
[٢] ر م: بعبادة؛ ع: بعباده.
[٣] ر ع: أشقيا.
[٤] ر ع: مردودا.
[٥] ر ن: نجاة.
[٦] سورة الأنبياء، ٧٢/٢١.
[٧] ر ع م – وقال بعضهم لسان صدق عليا.
[٨] ر ع + هم.
[٩] ع: أنبيا.

لأن جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا من نسل إبراهيم من لدنه إلى لدن محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهم كانوا **لسان صدق عَلِيًا**، حيث[1] يُذكرون بكل خير وبكل بركة ويمن. وقال بعضهم: **لسان صدق عَلِيًا**، هو ما آمن من جميع أهل الأديان به أعني بإبراهيم ودانوا جميعا به. وعلى ذلك يخرج تخصيص إبراهيم وآله بالصلاة وبالبركة عليهم والثناء، على قول قوم حيث قالوا: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم".[2]

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب موسى**، هو ما ذكرنا في قوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ،[3] وقوله: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ[4] على قول الحسن صلةُ قولِه: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[5] أي اذكر رحمة ربك موسى. وعلى قول غيره من أهل التأويل، أي اذكر لهم نبأ موسى وقصته في الكتاب، وهو ما ذكرنا فيما تقدم.

وقوله عز وجل: **إنه كان مخلَصا، ومخلِصا**، قد قرئ بالنصب والخفض جميعا.[6] قال بعضهم: **مخلَصا**، أخلصه الله واصطفاه واختاره لرسالته[7] ونبوته. وقوله: مخلِصا بالخفض، أي أخلص عبادتَه وتوحيده له.[8]

وقوله: **وكان رسولا نبيا**، قال بعضهم: الرسول هو الذي أُمر بالتبليغ، والنبي[9] هو الذي ينبئ ويخبر عن التبليغ. وقال بعضهم: الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب،

---

[1] ع – حيث.

[2] هناك أحاديث كثيرة في الصلاة على النبي فمنها ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد؛ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» (*صحيح البخاري*، الأنبياء ١٢٦؛ وانظر أيضا: *سنن ابن ماجه*، إقامة الصلاة ٢٥).

[3] سورة مريم، ٤١/١٩.

[4] سورة مريم، ١٦/١٩.

[5] سورة مريم، ٢/١٩.

[6] بكسر اللام هي قراءة الأئمة غير نافع وحمزة والكسائي وخلف (*زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٨٨).

[7] ن م: لرسالة.

[8] م – له.

[9] ر ع م – هو الذي أمر بالتبليغ والنبي.

والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان. وأصل النبي هو الذي ينبئ عن كل خير وبركة. وسمي نبيا لاجتماع[١] خصال فيه، كالصِّديق لا يسمى به إلا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة، ما لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمي صادقا؛ فإذا اجتمع ذلك سمي صِدِّيقا. فعلى ذلك النبيُّ سمي نبيا لاجتماع خصال [فيه]. وهو ما روي في الخبر: «الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة»،[٢] و«الصَّمْت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة».[٣] فهذا يدل أن النبي إنما سمي نبيًّا لاجتماع خصال الخير والبركة فيه، كما ذكرنا في الصِّديق. *والله أعلم*.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وناديناه من جانب الطور الأيمن**، فإن[٤] كان **الأيمن** من اليُمْن[٥] والبركة فيكون تأويله: **وناديناه من جانب الطور** المبارك والميمون.[٦] وكذلك روي في الخبر أن موسى عليه السلام قال: «أتاني ربي من جبل طور سَيْناء / وطلع[٧] من جبل ساعير[٨] وظهر من جبل فاران».[٩] ومعناه أتاني وحي [٤٦٤ظ] ربي من جبل طور سيناء، وطلع[١٠] من جبل ساعير، أي أتي وحي عيسى من جبل ساعير، وأتي وحي محمد في جبل فاران. فهو على اليُمن يمن الجبل وبركته. وقال بعضهم: هو يمين الجبل، وقال بعضهم: يمين موسى. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يعلم إلا بالخبر، ولا نفسره[١١] أنه ماذا أراد به مخافة التغيير،[١٢]

---

[١] ر ع م: لاحتمال.

[٢] صحيح *البخاري*، التعبير ٤؛ وسنن *ابن ماجه*، التعبير ١؛ وفي كليهما: «ستة وأربعين».

[٣] انظر: *الموطأ* لمالك، الشعر ١٧ (عن مالك أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: «القصد والتؤدة وحسن السمت جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة»).

[٤] ع: فإذا.

[٥] ر: اليمين.

[٦] جميع النسخ: واليمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.

[٧] جميع النسخ و*الشرح*: واطلع؛ والتصحيح من قوله: "جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران". (*الكتاب المقدس*، التثنية، ٣٣/٢؛ وانظر أيضا: معجم *البلدان* لياقوت الحموي، ١٠/٥؛ ٣٢٣/٦).

[٨] جميع النسخ و*الشرح*: ساعورا؛ والتصحيح من معجم *البلدان*، ١٠/٥. ساعير: في التوراة اسم لجبال فلسطين... قرية من الناصرة بين طبرية وعكّا (*نفس المصدر*، ١٠/٥).

[٩] فاران: كلمة عبرانية معربة وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة؛ قيل: هو اسم لجبال مكة (*نفس المصدر*، ٣٢٣/٦).

[١٠] جميع النسخ: واطلع.

[١١] ن: والأنفس.

[١٢] ن: التعيين.

لأنه ذكر هذا[1] في موضع الاحتجاج عليهم؛ فإن زيد أو نُقص[2] على ما في كتبهم يبطل[3] الاحتجاج به عليهم.

وقوله عز وجل: **وقرّبناه نَجِيًّا**، قال أهل التأويل: هو تقريب بالمكان. ولكن عندنا هو تقريب المنزلة والقدر والفضل، هذا معروف وهو أسلم. **نَجِيًّا**، من المناجاة، أي ناجاه من حيث لم يطَّلع على ذلك غيرهما. وسمي موسى بهذا[4] لأنه أخلص نفسه لله وسلّمها[5] له. ولذلك سُمِّي المصلي[6] مناجيًا ربّه على ما روي في الخبر: «انظر من تُناجي»،[7] حيث فرغ نفسه عن جميع الأشغال وسلّمها إليه فسمي لذلك مناجيا. **والله أعلم**.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا**، هو ما ذكرنا فيما تقدم.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **واذكر في الكتاب إسماعيل**، على قول الحسن هو صلة قوله: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا،[8] أي اذكر لهم رحمة ربك إسماعيل. وعلى قول غيره من أهل التأويل على الابتداء، أي اذكر لهم نبأ إسماعيل وقصته في الكتاب على الاحتجاج له عليهم، لأن هذه الأنباء والقِصص كانت في كتبهم، فأخبر رسولَه عن تلك الأنباء والقصص على ما كانت ليخبرهم فيعلموا أنه إنما عرفها بالله ليدلهم ذلك على نبوته[9] ورسالته.

ثم اختلف في إسماعيل. قال عامة أهل التأويل: هو إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما.[10] وقال بعضهم: هو الذي قالوا: ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ.[11] ولكن لا نعلم ذلك إلا بالخبر عن الله وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

---

[1] ر ع م – هذا.
[2] جميع النسخ: زادوا أو نقصوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[3] ن: بطل.
[4] ر: فهذا.
[5] جميع النسخ: سلمه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[6] ن ع + أيضا.
[7] لم أجده ولكن هناك حديث في نفس المعنى: «إن المصلي يناجي ربه فلينظر أحدكم بما يناجي ربه» (*مسند أحمد ابن حنبل*، ٦٧/٢).
[8] سورة مريم، ٢/١٩.
[9] ر ع م: النبوة.
[10] ن: على نبينا محمد و عليهما.
[11] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ (سورة البقرة، ٢٤٦/٢).

وقوله عز وجل: **إنه كان صادق الوعد**. قال عامة أهل التأويل: سماه **صادق الوعد**، لأنه وعد رجلا أن يقيم عليه وأن ينتظره حتى يرجع إليه فأقام مكانه أياما ينتظره للميعاد حتى رجع إليه. لكن لا يحتمل أن يكون مثل إسماعيل يعد عِدَة ولا يستثني، وقد نهى الله رسوله أن يقول: إنه فاعل كذا غدا حتى يستثني، وهو قوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[١] ويكون قوله:[٢] **صادق الوعد**، أي صِدِّيقا، والصِّدِّيق هو القائم بوفاء كل حق ظهر له. لأن كل مؤمن يعتقد في أصل إيمانه طاعة ربه في كل أمر يأمر[٣] به، والانتهاءَ عن كل نهي ينهاه ووفاءَ كل حق عليه. فسماه **صادقَ الوعد**، لقيامه بوفاء كل حق ظهر له وتجلى. ***والله أعلم***.

وقوله: **وكان رسولا نبيا**، قد ذكرناه.[٤]

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٥٥]

وقوله تعالى: **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة**، أي قومه. **بالصلاة والزكاة**، فإن كانت الصلاة هي الصلاة المعروفة، والزكاة [هي الزكاةَ] المعروفة ففيه أنهما كانتا في الأمم الماضية. وإن كانت الدعاءَ والثناء وما به تَزكو[٥] الأنفس وتَصْلُح فهو على جميع الخلائق ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **وكان عند ربه مَرْضِيًّا**، ظاهر.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[٥٦] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٥٧]

وقوله تعالى: **واذكر في الكتاب إدريس**، هو ما ذكرنا. وقوله تعالى: **إنه كان صديقا نبيًّا**، قد ذكرنا أيضا.[٦]

وقوله تعالى: **ورفعناه مكانا عَلِيًّا**، قال الحسن: **رفعناه**، أي نرفعه في الجنة. وقال أهل التأويل: رفعه إلى السماء الرابعة[٧] فهو ميت[٨] فيها، أو كلام نحو هذا. ولكن عندنا يشبه

---

[١] سورة الكهف، ٢٣/١٨.

[٢] ع: له.

[٣] ن ع: يأمره.

[٤] انظر: تأويل الآية ٥١ من هذه السورة.

[٥] ر: تزكو.

[٦] ن - أيضا. وانظر: تأويل الآية ٤١ من هذه السورة.

[٧] كما أشير إليه في حديث المعراج: «... فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد صلى الله عليه وسلم. قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبا من أخ ونبي» (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٦، وفضائل الصحابة ٧١؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٠).

[٨] ع م: ثبت.

أن يكون رَفعُه إياه في المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعًا، على ما ذكرنا في قوله: وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا.[1]

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين أنعم الله عليهم**، أي بالنبوة والرحمة التي ذكر فيما تقدم. والرحمة هي النعمة. فهذا يرد قول أهل الاعتزال، لأنهم يقولون: لا يخص الله أحدا بالنبوة[2] أو بشيء من الإفضال إلا من يستحق ذلك ويستوجبه. فأخبر الله عز وجل أن ذلك منه إنعام وإفضال عليهم.

من النبيين من ذرية آدم، الأنبياء كانوا من ذرية آدم، ومن ذرية من حُمل مع نوح، ومن ذرية إبراهيم أيضا، ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب، ومن ذرية من هداه الله[3] التوحيد واجتباه للرسالة والنبوة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إذا تُتلَى عليهم آياتُ الرحمن خَرُّوا سُجَّدا وبُكِيًّا**، قال بعض أهل التأويل: هذا في مؤمني أهل الكتاب [مثل] عبد الله بن سلام وأصحابه. إذا تتلى عليهم آيات القرآن بعد ما آمنوا خرُّوا سُجَّدا وبُكِيًّا. ويشبه أن يكون هذا في أولئك الذين ذكر أنه أنعم عليهم كانت لهم آيات في[4] كتبهم فيها سجود إذا تليت عليهم خرُّوا لله سُجَّدا وبُكِيًّا. أو أن يكون لا على حقيقة السجود ولكن على الخضوع له والقبول لحججه وبراهينه التي تليت عليهم. أو أن يكونوا لا يملكون أنفسهم إذا رأوا آيات الله وسلطانه ولكن وقعوا سُجَّدا، على ما أخبر عن سحرة فرعون عند معاينتهم الآيات حيث قال: فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا،[5] و سَاجِدِينَ؛[6] ليس أن سجدوا له، ولكن يُلقَون سُجَّدا لما لا يملكون أنفسهم عند معاينتهم الآيات.

---

[1] سورة مريم، ٥٠/١٩.
[2] ن: بنبوة.
[3] ر ع م- الله.
[4] ع – في.
[5] سورة طه، ٧٠/٢٠.
[6] ﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ (سورة الشعراء، ٤٦/٢٦-٤٨).

قال أبو عَوْسَجَة: **بُكِيًا**، فيه ثلاث لغات: بُكِيًّا وبِكِيًّا وبُكُيًّا، وهو جماعة الباكي. وقوله نَجِيًّا،[1] يقال: فلان نَجِيَ فلان، أي موضع سرِه.[2]

ويحتمل قوله: **إذا تُتْلَى عليهم / آياتُ الرحمن خرُّوا سُجَدا وبُكِيًّا**، أن يكون كناية [٤٦٥و] عن الصلاة، وصفهم عز وجل أنهم كانوا يكونون في الصلاة خاشعين باكين. ثم قال:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [٥٩]

فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، أي خلف من بعد أولئك الذين وصفهم عز وجل[3] بالصلاة لله والخشوع لله فيها والبكاء[4] **خلْفُ أضاعوا الصلاة**، أي جعلوها لغير الله، وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها. فإذا جعلوها وصرفوها إلى غير الذي يصلّي أولئك[5] فقد أضاعوها، لأنهم كانوا يصلون للأصنام الصلاةَ التي كان يصلي أولئك لله. ويحتمل أن يكون قوله: **أضاعوا الصلاة**، [الصلاةَ المعروفة] لأن الصلاة هي آخر ما يُترك ويُضيَع. لأنه روي في الخبر أنه قال: «سينقض[6] عُرى الإسلام عُرْوَةً فعروةً أولها الأمانة وآخرها الصلاة».[7] وقال بعض أهل التأويل: **أضاعوا الصلاة**، إضاعتها تأخيرها عن مواقيتها لا أن تركوها أصلا. فهذا في أهل الإسلام إن ثبت. ***والله أعلم***.

* وقوله: **فخلَف من بعدهم خلْفٌ**، قال بعضهم: الخَلْف بالجزم يستعمل في موضع الذم، [٤٦٥و س ٣٥ والخلَف بالتحريك والنصب في موضع المدح.[8] وقال بعضهم: هما سواء يستعملان[9] جميعا في موضع واحد.* ٤٦٥و س ٣٧]

وقوله عز وجل: **واتَّبَعوا الشهوات**، أي آثروا الشهوات على العبادات وجعلوا الشهوات هي العمدةَ[11] دون العبادات.

---

[1] أي في قوله تعالى: ﴿وقرّبناه نَجيًّا﴾ (سورة مريم، ١٩/٥٢).

[2] ر ع م — سره.

[3] ع — أنهم كانوا يكونون في الصلاة خاشعين باكين ثم قال فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات أي خلف من بعد أولئك الذين وصفهم عز وجل.

[4] ع: والبكا.

[5] أي الذين أنعم الله عليهم.

[6] ر ع م: سينقص.

[7] انظر لمثله: *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٥١.

[8] ر ع م: في موضع الحد.

[9] ر: ويستعملان.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٣ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٥و/سطر٣٥-٣٧.

[11] ر ع م: المعتمدة.

وقوله عز وجل: **فسوف يَلقَوْن غَيًّا**، قال بعضهم: الغي وادٍ في جهنم. لكن هذا لا يجوز أن يقال إلا بالخبر عن رسول الله أنه قال: واد في جهنم.[1] وقال بعضهم: الغيّ العذاب،[2] وقال بعضهم: الغي الشر. وجائز أن يكون سمي جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالغواية باسم أعمالهم غَيًّا. ويجوز تسمية الجزاء باسم سببه كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[3] ونحوه.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٦٠]

ثم استثنى فقال: **إلا من تاب** عن الشرك **وآمن** بالله **وعمل صالحا**. وقوله عز وجل: **فأولئك يَدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئًا**، يشبه أن يكون قوله: **لا يُظلمون شيئًا**، أي لا يُنقصون من حسناتهم التي عملوها في حال[4] إيمانهم لمكان ما عملوا[5] من الأعمال في حال[6] كفرهم، بل يبَدّل سَيِّئَاتِهِم حسناتٍ على ما أخبر تعالى: فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،[7] وقال في آية: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[8] أخبر أنهم إذا آمنوا وانتهوا عن الشرك لا يؤاخذهم بما كان منهم في حال[9] كفرهم. *والله أعلم*.

ثم بين أيَّة جنة فقال:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[٦١]

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده الذين آمنوا **بالغيب**. ثم يحتمل إيمانُهم بالغيب أي بالله، آمنوا به بالخبر وإن لم يروه.[10] ويحتمل الغيب الجنةَ، أي صدّقوا بها وإن لم يروها[11] والنارِ والبعث بالغيب.

وقوله عز وجل: **إنه كان وعده مَأْتِيًّا**، أي كان موعوده آتيا، ولكن ذَكَر **مَأْتِيًّا**، لأن كل من أتاك فقد أتيتَه، فسمَّى لذلك **مَأْتِيًّا**.

---

[1] قال ابن مسعود: «الغي واد في جهنم بعيد القعر». أخرجه الحاكم والطبري؛ ومن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص مثله ومن طريق أبي أمامة مرفوعا مثله وأتم منه (*فتح الباري* لابن حجر العسقلاني، ٣٩١/٨).

[2] ع – وقال بعضهم الغي العذاب.

[3] سورة الشورى، ٤٠/٤٢.

[4] ر: حال؛ رع م + اعنمهم.

[5] ن: لمكان اعملوا.

[6] ر: في حال.

[7] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يُبَدِّل الله سيئآتهم حسناتٍ وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٧٠/٢٥).

[8] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

[9] ر: في حال.

[10] رع م: لم يرده.

[11] رع م: لم يردها.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما**، وقال في موضع آخر: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا،[١] أي لا يسمعون باطلاً ولا ما يكره بعضُهم من بعض، ولا ما يُأثِّم بعضهم بعضا، **إلا سلامًا**. والسلام كأنه اسم كل خير وبركة.

وقوله عز وجل: **ولهم رزقهم فيها بُكْرة وعَشِيًّا**، قال الحسن: إن أطْيَب العيش وأحبه إلى العرب الغَداء[٢] والعَشاء، فأخبرهم الله عز وجل أن لهم في الجنة الغداء[٣] والعشاء. وأطيب العيش إلى العجم لباس الحرير واللؤلؤ، فأعلمهم أن لهم في الجنة ذلك، بقوله: يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ.[٤]

ويقول أهل التأويل: ليس في الجنة بُكْرةٌ ولا عَشِيٌّ ولا ليل ولا نهار، ولكن يُؤتَوْن على ما يحبون من البكرة والعشي.[٥] وعن ابن عباس قال: على مقادير الليل والنهار.[٦] ويشبه أن يكون قوله: **ولهم رزقهم فيها بُكْرة وعَشِيًّا**، ليس على تخصيص وقت دون وقت، ولكن الأوقات كلها، في كل وقت يحبون ويشتهون، كقوله: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ،[٧] وفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ.[٨] ويخرج ذكر البكرة والعشي [على] أن زمان الجنة يكون شبه البكرة من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومثل الوقت الذي يكون بعد[٩] غروب الشمس إلى أن يُظلِم، لأنه أخبر[١٠] أن ظله[١١] ممدود[١٢] بقوله: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ.[١٣]

---

[١] سورة الواقعة، ٥٦/٢٥-٢٦.

[٢] م: الغدا. الغَداء: طعام الغدوة والعَشاء طعام العشي.

[٣] م: الغدا.

[٤] سورة الحج، ٢٢/٢٣.

[٥] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٥٦-٤٥٧ (في الهامش)؛ و*تفسير البغوي*، ٣/٦٢٩.

[٦] لم أجد هذه الرواية عن ابن عباس، ولكن يروي الطبري عن زهير بن محمد أنه قال: "ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب" (*تفسير الطبري*، ١٦/١١٩).

[٧] ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٧١).

[٨] سورة الواقعة، ٥٦/٢٠.

[٩] م: بعده.

[١٠] ن: لأنها خير.

[١١] ر ع: ظلة.

[١٢] ر ن م: ممدودة.

[١٣] ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سِدْر مخضود وطَلْح منضود وظل ممدود﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٢٧-٣٠).

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٦٣]

ثم أخبر أن **تلك الجنة** التي ذَكَر أن فيها كذا هي **التي نورث من عبادنا من كان تَقِيًّا**. يحتمل أن يكون وعد الجنة للبشر كلهم بشرائط شَرَط عليهم، إن وفَوْا بها فلهم الجنة جميعًا وإن لم يفُوا بها فلا. فمن وفَى بشرائطه التي شَرَط يجعل الذي كان وعد للذي لم يفِ،[١] للذي وفَى بذلك،[٢] فهو الميراث الذي ذَكَر. وعلى ذلك يخرج قوله: أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ،[٣] الآية. والوارث هو الباقي عن المُورِث والخَلَف عن الميت.*

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **وما نَتَنَزَّل إلا بأمر ربك**، هذا الكلام منه[٥] لا يكون إلا عن سؤال كان منه، فكأنه[٦] قد كان استبطأ نزولَ جبريل عليه،[٧] فعند ذلك قال له: إنا لا نتنزل إلا بأمر ربك. ثم فيه أنه لم يقل ذلك له إلا بأمر الله، لأن الله أخبر أنهم لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[٨] فلا يحتمل أن يقول له / ذلك من تلقاء نفسه فَيَجْعَلَ ذلك آية في كتاب الله تُتلى. [٤٦٥ظ]

وقوله عز وجل: **له ما بين أيدينا وما خلْفَنا وما بين ذلك**، كأن هذا الكلام موصول[٩] بقوله: **وما نتنزل إلا بأمر ربك**، لأنهما جميعا كانا يعلمان أن له ما بين أيديهم وما خلفهم وما بين ذلك، فدل ذلك أنه موصول بالأول. وجهة الصلة بالأول هو[١٠] أن يقال: ما نتنزل إلا بأمر ربك،

[١] جميع النسخ + إذا وفى.

[٢] وفي شرح *التأويلات*: «فمن وفى شرائط التي شرط يحول الذي كان وَعد للذي لم يف، للذي وفى؛ فذلك هو التوريث» (ورقة ٤٧٩ظ).

[٣] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٥و/سطر٣٥-٣٧.

[٥] أي من جبريل.

[٦] أي كأن النبي عليه السلام.

[٧] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا». فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾، الآية (*صحيح البخاري*، التفسير ١٩/٢؛ والتوحيد ٢٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ١٩).

[٨] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.

[٩] م: موصولا.

[١٠] ع: فهو.

لا نتقدم[1] إلا بأمره[2] ولا نتأخر،[3] ولا نعمل شيئا إلا بأمره. وهو كقوله: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.[4] وأما أهل[5] التأويل [فقد] اختلفوا فيه. قال بعضهم: قوله: **له ما بين أيدينا**، هو الآخرة،[6] **وما خلفَنا**، ما مضى من الدنيا، **وما بين ذلك**، الحال التي نحن فيها. وقال بعضهم: قوله: **له ما بين أيدينا**، الدنيا، **وما خلفَنا**، الآخرة، **وما بين ذلك**، ما بين النفختين، وأمثال هذا. لكن الذي ذكرنا بدءًا[7] أولى وأشبه، إذ هو على الصلة[8] بالأول أن لا نتقدم ولا نتأخر ولا نعمل[9] شيئا إلا بأمره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما كان ربك نَسِيًّا**، هذا يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ما قال بعض أهل التأويل: إن جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال أهل مكة: قد ودّعه ربه وقلاه، فنزل وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى[10] على ما قال المشركون.[11] فيخرج على هذا قوله: **وما كان ربك نَسِيًّا**، على الترك، أي ما كان ربك تركك لما قال أولئك من التوديع والقِلَى.[12] و[الثاني] يحتمل **وما كان ربك نَسِيًّا**، كملوك الأرض، يُطلب خَدَمُهم وخَوَلُهم[13] وقت سهوهم وحالة غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج[14] من يَطلب منهم القيام بها. أي **ما كان ربك** بالذي يسهو ويغفل كملوك الأرض.[15] والثالث **وما كان ربك نَسِيًّا**، بتأخير نزول عن وقت النزول بل أنزل عليك في الوقت الذي هو وقت النزول. فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة، والأول على الترك.

---

[1] ر ع م: لا يتقدم.
[2] ن: لأمره.
[3] ر ع م: لا يتأخر؛ ن: لا نتأخره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠ظ.
[4] سورة الحجرات، ١/٤٩.
[5] جميع النسخ: وأما غيره من أهل التأويل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٠ظ.
[6] ر ع م + هو.
[7] ر: بديا.
[8] ع: صلة.
[9] ر ع م: أن لا يتقدم ولا يتأخر ولا يعمل.
[10] سورة الضحى، ١/٩٣-٣.
[11] ع + فيخرج على ما قال المشركون.
[12] والقِلَى البغض، فإن فتحت القاف مددت، تقول: قَلاه يَقْليه قِلى وقَلاء. قال ابن سيده: قَلَيْته قِلًى وقَلاء ومَقْلِيةً: أبغضته وكَرِهْتُه غاية الكَراهة فتركته (*لسان العرب*، «قلي»).
[13] ع: حولهم. الخَوَل: ما أعطى الله تعالى الإنسان من العبيد والخَدَم (*لسان العرب*، «خول»).
[14] ع - وحوائج.
[15] أي وما كان ربك بالذي يسهو ويغفل، كملوك الأرض وقت سهوهم وغفلتهم ووقت شغلهم بقضاء حوائجهم لا يطلبون خدمهم ويمتنعون عن قضاء حوائج تُطلب منهم القيام بها (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨٠ظ).

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته**، أي اصبر نفسك عليها وعلى طاعته. وقوله عز وجل: **هل تعلم له سَمِيًّا**، أي ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله، إنما هو إله واحد لا راحة لك عن عبادته ولا ما يشغلك عنه. وقال بعض أهل التأويل: هل تعلم أحدا اسمه الله سواه؟ وقال بعضهم: هل تعلم له مثلا وشبيها؟

[٤٦٥ظ س٣٣] * وقال قتادة في قوله: **هل تعلم له سَمِيًّا**، قال: لا سَمِيَّ لله ولا عَدْل ولا مثل، كلُّ خلقِه يُقِر[1] له [٤٦٥ظ س٣٤] ويعرفه ويعلم أنه خالقه.[2] وقال بعضهم: لا يُسمَّى أحد باسمه يعني بالله، وقال بعضهم: بالرحمن.*

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخرج حيا**، هذا الكلام يخرج على وجهين. أحدهما على إنكار البعث: **لسوف أخرج حيا**، أي ما أخرج حيًّا. والثاني على التهزُّء،[4] جوابَ ما قال لهم أهل الإسلام: إنكم تُبعثون وتُحيَون، فقالوا عند ذلك[5] على التهزُّء بهم والسُّخرية.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٦٧]

ثم ذكَّرهم[6] بدْء حالهم حيث لم يكونوا شيئا فخلقهم، فقال: **أوَلا يذْكُر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا**، فإذا[7] قدر على خلقه في الابتداء ولم يك شيئا كان على إحيائه وبعثه بعد ما كان شيئا أقدرَ. ثم أقسم أنهم يبعثون فقال:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[٦٨]

فوربك لنحشُرَنَّهم والشياطين، أي لَنجمعنهم[8] والشياطين الذين أضلوهم، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ،[9] الآية.

---

[1] ن: يفرد.

[2] انظر: تفسير *الطبري*، ١٦/١٢٤.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر٣٣-٣٤.

[4] جميع النسخ + والهزء.

[5] ن + ذلك.

[6] ع: يذكرهم.

[7] ر ن م: فإن.

[8] ر م: لنجعلهم؛ ع: لنجعلنهم.

[9] سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣.

وقوله عز وجل: **ثم لنُحْضِرَنَّهم حول جهنم جِثِيًّا**، قال بعضهم: **جِثِيًّا**، جماعاتٍ، كقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا.[1] وقال بعضهم: **جِثِيًّا**، على الرُّكَب لأن أقدامهم لا تعمل لشدة هول ذلك اليوم.

*وقوله: يَلْقَوْن غَيًّا،[2] قال أبو عَوْسَجَة: الغَيّ الشر. **جِثِيًّا**، قال: جماعاتٍ، والجاثي هو البارك[3] على ركبتيه. والشيعة[4] الصنف من الناس. وقال القُتَبِي: **جِثِيًّا** جمع جاثٍ وفي التفسير جماعات.[5]* [٤٦٥ظ س٣١ ... ٤٦٥ظ س٣٢]

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ثم لَنَنْزِعَنَّ من كل شيعة**، قال بعضهم: الشيعة الصنف، أي من كل صنف، والشيعة الأتباع، كقوله: هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ،[7] أي من أتباعه.

وقوله تعالى: **أيهم أشد على الرحمن عِتِيًّا**، أي تمردا وعنادا. العاتي[8] هو القاسي المتمرد في عُتُوِّه. وقوله: **ثم لَنَنْزِعَنَّ**، أي لنُخرجن، أي نبدأ بهم من كان منهم أشد على الرحمن تمرُّدًا وعنادا، وهم القَادَة والرؤساء منهم، فيُقذَفون في النار أولا، ثم الأَمْثَل فالأمثلُ[9] على المراتب التي كانوا في الدنيا.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[٧٠]

وقوله: **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلِيًّا**، أي أعلم بمن أولى بها صِلِيًّا، أي يصْلَى بالنار، وهم القَادَة والكفرة.*

---

[1] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[2] سورة مريم، ٥٩/١٩.
[3] ر ع م: المبارك.
[4] انظر: الآية التالية.
[5] *تفسير غريب القرآن*، ٢٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر ٣١-٣٢.
[7] ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).
[8] ع: والعاتي.
[9] ر ع م - فالأمثل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٨، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٥ظ/سطر ٣١-٣٢.

﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **وإن منكم إلا واردها**، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية في الكفرة خاصة، واستدل بأول الآية بقوله: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ،[١] إلى آخر ما ذكر. والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين، ولكن إنما يحشر الكفار مع الشياطين،[٢] كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.[٣] ويكون قوله: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا،[٤] على ابتداء منع الورود عليها والنجاة منها. وقال بعضهم: الآية في المؤمنين والكافرين جميعًا، لكن اختُلف في الورود. قال[٥] بعضهم: الورود الحضور [٤٦٦و] دون الدخول، لأن الله عز وجل أخبر أن من أُدخل / النار فقد أخزاه، بقوله: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ.[٦] وقال بعضهم: الورود الدخول فيها، واستدل بقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٧] وبقوله: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ،[٨] الآية. يقول: يدخل الفريقان جميعا فيها، لكنها تصير جامدة وبردا على المؤمنين على ما صارت بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ،[٩] ثم تصير حارّة مُحرِقة للكفار والظَّلَمة. وقال[١٠] الحسن: لا يحتمل أن يدخل أهل الإيمان النار؛[١١] لأن الله عز وجل آمن المؤمنين أن يكون عليهم خوف أو حزن، بقوله: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[١٢] فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن، وقد أخبر أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، دل أنهم لا يدخلونها.

---

[١] سورة مريم، ٦٨/١٩.

[٢] م + ولكن إنما يحشر الكفار مع الشياطين.

[٣] سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣.

[٤] الآية التالية.

[٥] جميع النسخ: وقال.

[٦] سورة آل عمران، ١٩٢/٣.

[٧] سورة الأنبياء، ٩٧/٢١.

[٨] سورة هود، ٩٨/١١.

[٩] ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (سورة الأنبياء، ٦٩/٢١).

[١٠] ر ع م: قال.

[١١] قارن: *تفسير الحسن البصري*، ١١٢/٢.

[١٢] وردت هذه البشارة في آيات كثيرة مثل: سورة البقرة، ٦٢/٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٧؛ وسورة المائدة، ٦٩/٥، وسورة يونس، ٦٢/١٠.

وجائز أن يكونوا واردين جميعا داخلين فيها لا دخولَ تعذيب فيها وعقاب، لأنه ذكر أن ممرّهم جميعا على الصراط لجهنم[١] كالسطح للدار. ومن حلف[٢] أن لا يدخل دارا فتسوَّر بسُورها أو صعد سطحا من سطوحها حنث ويصير داخلا فيها؛ فعلى ذلك جائز أنهم إذا مروا على الصراط نجا أهل الإيمان فمروا به، وزلّت[٣] أقدام الكفار فيها فبقوا فيها. فكان الفريقان جميعا يوصفون بالدخول على الوجه الذي وصفنا.

وقال بعضهم: ورود المسلمين المرور بهم على الجسر من ظهرها،[٤] وورود[٥] المشركين أن يدخلوها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزالُّون والزالّات».[٦] وما ذكر الحسن أنه أمّن المؤمنين أن لا يكون عليهم خوف ولا حزن، فجائز أن يكون الله يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة، فلا يكون لهم خوف ولا حزن. ألا ترى أنه أخبر أنه جعل الملائكة أصحاب النار، بقوله: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[٧] ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن؛ وهم مما أُوعِدوا بها إذا خالفوا أمر الله وعصوه، بقوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٨] الآية. ألا ترى[٩] أنه أخبر أن أهل الجنة يطّلعون على أهل النار في النار ثم لا يخافون ولا يحزنون، بقوله: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ؛[١٠] وهم في الدنيا إذا اطلعوا عليها لا شك أنهم يخافون ويحزنون ويسؤهم ذلك أشدَّ الخوف، ثم في الآخرة لا. فعلى ذلك جائز أن يكونوا يردونها ويدخلونها ولا يُخفيهم ذلك ولا يُحزنهم ولا يَسوءهم. **والله أعلم بذلك.**

---

[١] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الكبرى: «... فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم. فيقوم فيؤذن له. وتُرسَل الأمانة والرَّحِم. فتقومان جنبتَي الصراط يمينا وشمالا. فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم. ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم!..» (صحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢٩؛ وانظر أيضا: صحيح *البخاري*، الرقاق ٥١).

[٢] ع م: خلف.

[٣] ر: وذل؛ ن ع م: وزل.

[٤] جميع النسخ: بين أظهرها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨١و.

[٥] ر م: ورود.

[٦] روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة؟ فقال: «أما في ثلاث مواطن فلا: عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند قراءة الصحف حتى يدري أيأخذ كتابه بيمينه أم لا، وعند الصراط فإن بِجَنْبَتَيها كلاليب وحَسَكٌ. الزالُّون والزالّات يومئذ كثير» (*مسند إسحاق بن راهويه*، ٣/١٣٤٩) والحَسَك: نبات له ثمرة خشنة تَعلَق بأصواف الغنم، واحدته حسَكة (*لسان العرب*، «حسك»).

[٧] سورة المدثر، ٧٤/٣١.

[٨] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.

[٩] ن: ألا يري.

[١٠] سورة الصافات، ٣٧/٥٥.

وقوله عز وجل: **كان على ربك حتمًا مَقْضِيًّا**، أي قضاء واجبا.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٧٢]

ثم نُنَجِّي الذين اتقوا، الشرك أو الفواحش، **ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا** على ركبهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، قد ذكرنا. وقوله: **قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نَدِيًّا**، كان هذا القول من الكفرة خرج جوابَ ما احتج عليهم أهلُ الإيمان بالآيات التي ذَكَر وحِجاجًا[١] عليهم فيقولون: إنكم تقولون: إن الدنيا والآخرة لله،[٢] فقد وسّع علينا الدنيا وضيّق عليكم؛ فعلى ذلك يوسّع الآخرة علينا ويضيّق عليكم كما فعل في الدنيا، إذ لا يجوز أن يوالينا في الدنيا ويعادينا في الآخرة. وعلى هذا قولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٣] فظنوا أنه لما وَسّع عليهم وأَحسن بهم النَّدِيَّ والمجلس كذلك يكونون في الآخرة، فأكذبهم الله ورد عليهم ذلك فقال:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[٧٤]

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثًا ورِئْيًا. أخبرهم بما عرفوا هم أنهم كانوا أهل السعة والزينة ثم أُهلكوا بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربّهم. فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يَهلِكون. فيلزمهم بما ذَكَر أن من وسّع عليه الدنيا وضيَّق على الآخر[٤] إنما يكون بحق المحنة لا بحق المنزلة والقدر؛ وأما الثواب والجزاء فهو بحق القدر[٥] والمنزلة والخذلان.

وقوله عز وجل: **أَثَاثًا**، قيل المتاع والمال، **ورِئْيًا**، أي مَنظرا.[٦]

---

[١] ر: وحجابا.

[٢] كما في قوله تعالى: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ (سورة النجم، ٢٥/٥٣).

[٣] ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُتْرَفُوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤-٣٥).

[٤] ر م: الآخرة؛ ن: آخر.

[٥] ع – وأما الثواب والجزاء فهو بحق القدر.

[٦] ر ع م: منتظرا.

قال أبو عَوْسَجَة: حَتْمًا مَقْضِيًّا،[١] أي واجبا. نَدِيًّا،[٢] أي مجلسا، والأندية[٣] جمع.[٤] والأثاث المتاع؛ ورِئْيًا، منظرا. وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا،[٥] أي نُطيل عذابه. وقال القُتَبِي: نَدِيًّا، أي مجلسا، يقال للمجلس: نديٌّ ونادٍ،[٦] ومنه قيل: دار الندوة التي كان المشركون يجلسون[٧] ويتشاورون في رسول الله. والأَثاث المتاع، والرِئْيُ المنظر والشارة[٨] والهيئة. وقوله: فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا،[٩] أي يمد له في ضلالته.[١٠] [٤٦٦و س٢٣-٤٦٦و س٣٦]

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا**، أي خيرا[١٢] وسعة في الدنيا. **حتى إذا رأوا ما يُوعَدون إما العذاب**، هو العذاب والهلاك الذي وعدهم رسول الله في الدنيا، **وإما الساعة**، القيامة.

وقوله عز وجل: **فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا**، هذا يدل أن قولهم: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا،[١٣] أراد الخَدَم والحواشي حيث قال: **وأضعف جندا**.*

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**، جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية

---

[١] سورة مريم، ٧١/١٩.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ر: والأية.
[٤] ن: جميع.
[٥] سورة مريم، ٧٩/١٩.
[٦] م: ونادي.
[٧] ع: يحسبون.
[٨] م: البشارة.
[٩] الآية الآتية.
[١٠] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٢٣-٣٦.
[١٢] ر ع: خير.
[١٣] سورة مريم، ٧٣/١٩.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٢٣-٣٦.

وابتداء الهداية فهو إنما يزيد [له] الهداية[1] ويهديه ابتداء إذا كان من العبد رغبةٌ[2] في ذلك وبُغية[3] وطلب. إذا كان مهتديا يزيد له الثبات[4] على ما كان عليه في وقت رغبته / وطلبه منه. أو إن لم يكن مهتديا يهديه[5] ابتداءَ هدايةٍ في وقت رغبته وقبوله. على هذا يخرج عندنا ما ذَكَر بحق الزيادة أو بحق الابتداء. ويحتمل[6] قوله: **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**، أي يوفقهم إذا اهتدوا وعرفوا وحدانية الله لأنواع الخيرات والطاعات. [٤٦٦ظ]

وقالت المعتزلة: [الهداية قسمان] الهداية الأولى[7] البيان وهي هداية عامة، والهداية الثانية هي شرح الصدر لها والتوفيق، وهي هداية خاصة تكون[8] في وقت ثان بحق الثواب. فعلى زعمهم يجيء أن لا يكفُر أحد بعد ما هداه الله مرة أبدا، لأنهم يقولون: إذا اهتدى وقبل[9] هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره في الوقت الثاني، فهو أبدا يكون على الهداية والإيمان. فإذا وُجد عن كثير ممن اهتدوا مرةً الكفرُ من بعدُ دل أن تأويلهم فاسد وأن التأويل ما ذكرنا نحن: إنه يزيد لهم الهداية وقتَ رغبتهم وطلبهم الهداية إن كان[10] بحق الزيادة أو بحق الابتداء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مَرَدًّا**. يحتمل **الباقيات**، الأمور الباقيات التي لها البقاء. أي ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل؛ لأن الله تعالى وصف الحق والخير بالبقاء والمكث، ووصف الباطل بالذهاب والتلاشي، بقوله: فَأَمَّا الزَّبَدُ،[11] الآية؛ وقال في آية: مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً،[12] الآية؛ وقال: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ،[13] الآية؛ وقال في آية:

---

[1] ع – فهو إنما يزيد الهداية.

[2] ر ع: رغبته.

[3] ر: وبغيته.

[4] ر: الشباب؛ ع: الثياب.

[5] ر: بهذه؛ ن: يهده.

[6] ن: أو يحتمل.

[7] ر ع م – الهداية الأولى.

[8] ن: يكون.

[9] جميع النسخ: إذا اهتدوا وقبلوا.

[10] أي سواء كان.

[11] ﴿فأما الزبد فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيَمْكُث في الأرض﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٧).

[12] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طَيِّبَة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَهَا كل حين بإذن ربها﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٥).

[13] ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٦).

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا،[١] أي ذاهبًا. فيشبه أن يكون قوله: **والباقيات الصالحات خير**، أي الأعمال التي لها البقاء خير لكم ثوابًا من التي[٢] ليس لها البقاء. ويحتمل **الباقيات**، أي ما أبقى الله لكم في الآخرة من الثواب خير لكم مما أعطى لكم في الدنيا، لأن هذا فانٍ وذاك باقٍ.[٣] *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٧٧] ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٧٨] ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لَأُوتَيَنَّ مالاً وولدا**، قال بعضهم: هذا القول قاله العاص بن وائل السَّهمي[٤] لما حاجّه أهل الإيمان في أمر الآخرة أنها لهم دون الكفرة، فقال لهم عند ذلك: لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَدًا[٥] في الآخرة إن كان ما تقولون أنتم حقا: "إنما نُبعث ونحيا"، كما أوتيتُ في هذه الدنيا.[٦] وقال الحسن: قال هذا القولَ[٧] الوليدُ بن المغيرة،[٨] وهو ما قال تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا.[٩] وكان يطمع أن يزاد[١٠] له في الدنيا أبدًا فقال: كَلَّا، ردا على ذلك.

---

[١] سورة الإسراء، ٨١/١٧.
[٢] جميع النسخ: الذي.
[٣] انظر أيضا: تفسير الآية من سورة الكهف، ٤٦/١٨.
[٤] العاص -أو العاصي- بن وائل بن هاشم السهمي (ت: نحو ٣ قبل الهجرة ٦٢٠م): من قريش، أحد الحكام في الجاهلية. كان نديما لهشام بن المغيرة. أدرك الإسلام وظل على الشرك. يعد من "المستهزئين" ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارا وثنيين (*الأعلام* للزركلي، ٢٤٧/٣).
[٥] ر ع م - وولدا.
[٦] عن مسروق قال: سمعت خبّابًا قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم. فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم. قال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيكه، فنزلت هذه الآية: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ (*صحيح البخاري*، التفسير ٧٧/١٩؛ وانظر أيضا: الإجارة ١٥؛ البيوع ٢٩).
[٧] ر + قول.
[٨] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٣/٢. الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس (ت: ١هـ - ٦٢٢م): من قُضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته... وهَلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودُفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (*الأعلام* للزركلي، ٩٥/٤).
[٩] سورة المدثر، ١١/٧٣-١٦.
[١٠] ر ع م: أن أزيد؛ ن: أن نزيد.

وقال ههنا: **أَطَّلَع الغيبَ** أنه يكون له في الآخرة؟ ذلك على التأويل الأول. أو في الدنيا في وقت آخر، ذلك على تأويل الحسن. **أم اتخذ عند الرحمن عهدا**، أي [أم] له بذلك عند الله عهد؟ **كلا**، ردا على ما ادعى،[1] **سنكتب**[2] **ما يقول**، أي سنحفظ ذلك،[3] **ونَمُدُّ له من العذاب مدًّا**. قال بعضهم: قوله: **ونمد له**، أي نزيد له **من العذاب**، في كل يوم، كقوله: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا.[4] وقال بعضهم: **نمد له من العذاب مدا**، أي نعذبه[5] عذابًا[6] لا انقطاع له.[7] ***والله أعلم***.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **ونرثه ما يقول**، قال بعضهم: أي نرثه المالَ والولدَ[8] الذي قال: لَأُوتَيَنَّ،[9] أي لله ما يقول بأنه له من المال وغيره لا له. وقال بعضهم: قوله: **نرثه**، أنه يعطَى في الجنة ما[10] يعطَى المؤمنون فنرثه عنه ونعطيه[11] غيره. وجائز إضافة الوراثة إليه على إرادة أوليائه، أي يرثه ذلك أولياؤه.[12]

وقوله تعالى: **ويأتينا فردا**، في الآخرة لا شيء معه ولا أهل، كقوله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى.[13] ويحتمل قوله: **ويأتينا فردا**، في الدنيا في وقت لا شيء معه ولا أهل ولا ولد، على تأويل من يقول في قوله: لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا،[14] في الدنيا. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ادعوا.

[2] يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ﴾: «فإن قلت: كيف قيل سَنَكْتُبُ -بسين التسويف- وهو كما قاله كتب من غير تأخير؛ قال الله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [سورة ق، ٥٠/١٨]. قلت: فيه وجهان. أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله: «إذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدِني لِئِيمَة»، أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة. والثاني أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر؛ فجرد ههنا لمعنى الوعيد» (*الكشاف* للزمخشري، ٣/٣٨).

[3] ر ع م – ذلك.

[4] سورة النبأ، ٧٨/٣٠.

[5] ر ن م: نعذب.

[6] ر ع م –عذابا.

[7] ر ع م: بالانقطاع له. انظر لمعنى هذا القسم من الآية: آخر الآية ٧٤ من هذه السورة.

[8] ورِثْتُ فلانا مالا، أرِثُه وِرْثًا ووَرْثًا: إذا مات مُوَرِّثُكَ فصار ميراثه لك (*لسان العرب*، «ورث»).

[9] سورة مريم، ١٩/٧٧.

[10] ع – يعطي في الجنة ما.

[11] ن: ويعطيه.

[12] ر ع م: نرثه ذلك أوليائه.

[13] ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خَوَّلْنَاكم وراءَ ظهوركم﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٤).

[14] سورة مريم، ١٩/٧٧.

*[وقال القُتَبِي:] **ونَرِثه ما يقول**، أي نرثه المال والولد الذي قال: لَأُوتَيَنَّ،[١] وقوله: **ويأتِينا فردا**، لا شيء معه.[٢]* [٤٦٦و س ٣٦ ٤٦٦و س ٣٧]

ثم اختلف أهل التأويل في العهد الذي ذكر أن له عند الله. قال بعضهم: شهادة أن لا إله إلا الله في الدنيا. وقال بعضهم: تقديم العمل الصالح،[٤] وقال بعضهم: الصلاة، وهو قول مقاتل.[٥] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اتخذوا عند الرحمن[٦] عهدا فإن الله يقول يوم القيامة: «من كان له عندي عهدٌ فليقم». فقيل: كيف هو؟ قال: اللهم فاطرَ السماوات والأرض عالمَ الغيب والشهادة! إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، فإنك إن تَكِلْني إلى نفسي تقرِّبْني من الشر وتُباعدْني من الخير[٧] وإني لا أثِقُ إلا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.[٨] ويرفع ابن مسعود هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأول كأنه أشبه، إن ثبت الخبر.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[٨١] ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًّا كَلَّا**، فإن كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا تلك الأصنام والأوثان ليتعزَّزوا بذلك ولا يَذِلّوا[٩] ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا، فظنوا أنهم إن آمنوا تذهب تلك الرياسة والمأكلة عنهم.[١٠] ويحتمل قوله: **ليكونوا لهم عِزًّا**، أي نصرا ومَنَعَة.[١١] فإن كان هذا فهو في الرؤساء[١٢] منهم والأتباع في الدنيا والآخرة. أما في الآخرة [فهو] ما طمعوا بعبادة الأصنام

---

[١] سورة مريم، ١٩/٧٧.

[٢] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٧٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٧٥، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٦و/سطر٣٦-٣٧.

[٤] ر ع م: قدم عملا صالحا.

[٥] قارن: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٦٣٨ ("يقول أم اعتقد عند الرحمن التوحيد").

[٦] ن: الله، ن هـ: الرحمن.

[٧] ر ع م: إنك (ن: إن) لا تكلني إلى عمل يقربني من الشر (ع: البشر) ويباعدني من الخير؛ والتصحيح من *المستدرك* للحاكم، ٢/٤٠٩.

[٨] هذا حديث [عن ابن مسعود] صحيح الإسناد ولم يخرجاه (*المستدرك* للحاكم، ٢/٤٠٩).

[٩] ر ن: ولا يذلون.

[١٠] كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نَتَّبِعِ الهُدى معك نُتَخَطَّفْ من أرضنا﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥٧).

[١١] ر: منعه.

[١٢] ن: الرؤسا.

[التقريب والشفاعة][1] والنصر في الآخرة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى؛[2] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة في الآخرة. وأما في الدنيا [فقد] ظنوا أن آلهتهم التي اتخذوها وعبدوها ينصرونهم في الدنيا، / حيث قالوا: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ،[4] فكيف ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان أو نصرا؟ يقول: **كلا،** لأنهم أذلوا أنفسهم لخشب وحنوا ظهورهم لها، فكفى بذلك ذُلًّا وصَغارا. [٤٦٧و]

وقوله عز وجل: **سيكفرون بعبادتهم،** قال الحسن: سيكفر عُبّاد الأصنام في الدنيا ومن عبدوها[5] في الآخرة أنهم ما كفروا وما عبدوها، كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[6] ينكرون في الآخرة أن يكونوا أشركوا فيه غيره[7] أو عبدوا دونه. وقال غيره من أهل التأويل: سيكفر المعبودون بالعابدين لهم ويتبرءون منهم،[8] وهو كقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ،[9] وقوله: فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ،[10] ونحوه.

وقوله عز وجل: **ويكونون عليهم ضدا،** قال بعضهم: **ضدا،** أي عونا.[11] وتأويل العون هو أن يُلْقَى تلك الأصنام معهم في النار فيحرقون فيها معهم فيزداد لهم بها[12] عذابا، فكان[13] عونا[14] على إحراقهم. وعلى هذا يخرج قول[15] من يقول: الضد البلاء،[16] أي يكونون[17] بلاء عليهم،

---

[1] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.
[2] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[3] سورة يونس، ١٨/١٠.
[4] سورة هود، ٥٤/١١.
[5] ر ن: عبدوه.
[6] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[7] م: وغيره.
[8] انظر: *تفسير البغوي*، ٦٣٧/٣-٦٣٨.
[9] سورة يونس، ٢٨/١٠.
[10] ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾ (سورة النحل، ٨٦/١٦).
[11] كما روي عن ابن عباس (*تفسير ابن عباس المسمى بصحيفة علي بن أبي طلحة*، ٣٣٧).
[12] ر ع م - بها.
[13] جميع النسخ: فكانت.
[14] جميع النسخ - عونا، والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.
[15] ر ع م: وقول.
[16] ع: البلا. كما روي عن ابن زيد، (انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٣/١٦).
[17] م: يكونوا.

على ما ذكرنا. وهو ما قال: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ،[١] الآية، فإذا صاروا حصبا[٢] كانوا بلاء وعونا على إحراقهم. وقال بعضهم: **يكونون عليهم ضدا**، أي قرناء[٣] في النار بعضهم بعضا،[٤] ويتبرأ بعضهم من بعض، ويخاصم بعضهم بعضا ويكذِّب بعضهم بعضا. فذلك كله ضد[٥] عليهم، ضد ما طمعوا منها، لأنهم عبدوها في الدنيا رجاء[٦] أن يكون لهم شفعاء في الآخرة ونصراء[٧] فكانوا لهم على ضد ذلك أعداء. وقال ابن عباس: **يكونون عليهم ضدا**، أي حسرة.[٨] وكله واحد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أَزًّا**، قال بعضهم: **أرسلنا**، أي سلّطنا عليهم، كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ].[٩] وقال بعضهم: **أرسلنا الشياطين**، أي قَيَّضْنَاهم بهم، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا.[١٠] فهما في الحقيقة واحد، لأنه إذا أرسلهم اتصلوا بهم، فإذا اتصلوا بهم قُيِّضوا وقُرِنوا، بعضهم ببعض. وقال الحسن وأبو بكر الأصم وغيرهما: **أرسلنا الشياطين على الكافرين**، أي خلَّينا بينهم وبينهم، و لم نمنعهم[١١] منهم ما ذكر.[١٢] لكن لو كان تأويل الإرسال التخلية وتأويل القيض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار بذلك معنى؛[١٣] إذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين.[١٤] فدل تخصيص الكفار بهذا وأمثاله أن ليس التأويل هو[١٥] التخليةَ بل غيرها،[١٦]

---

[١] ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٧).
[٢] ن: حطبا.
[٣] ع: قرنا.
[٤] كما روي عن قتادة، (انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/١٤٣).
[٥] ر ع م: ضدا.
[٦] ر: وجائز.
[٧] ن: ونصرا.
[٨] قارن: تفسير ابن عباس، ٣٣٧؛ و*تفسير الطبري*، ١٦/١٤٣.
[٩] سورة النحل، ١٦/٩٩.
[١٠] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦.
[١١] ر ع: و لم يمنعهم.
[١٢] ن – ما ذكر.
[١٣] ع: المعنى.
[١٤] جميع النسخ + إن كان تأويل التخلية أنه لم يمنعهم منهم و لم يخلِّ بينهم وبينهم (ر ع م – و بينهم).
[١٥] ر ع م: وأمثاله ليس هو.
[١٦] جميع النسخ: لا غير.

وأنَ تخصيص هؤلاء بهذا وأمثاله من قوله: طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ،[1] وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[2] ونحوه يدل أن[3] هنالك من الله معنى في الكفار ليس ذلك في المؤمنين، وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكافرين. وهو -والله أعلم- إذا علم[4] في المؤمنين الرغبة والإجابة وفّقهم على ذلك وهداهم؛ وإذا علم من الكفار خلاف ذلك وضدّه خذلهم وأضلهم. فذلك تخصيصه إياهم بما ذَكَر. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **تَؤُزُّهم أَزًّا**، قال بعضهم: تُزعجهم إزعاجا،[5] وقال بعضهم: تُشليهم إشلاءً،[6] وتُغريهم إغراءً.[7] وقال الحسن: تحرِّكهم تحريكا.[8] وقال بعضهم: تُقْدمهم إقداما إلى الشر، وقال بعضهم: تأمرهم أمرا، وقال بعضهم: توقعهم إيقاعا ونحوه، وكله واحد.

[٤٦٧و س٢٨] * ثم وجهُ ما ذكر من إرسال الشياطين عليهم والتمكين لهم من الوسوسة في الصدور، أعني صدور المؤمنين، والنزغ[9] في رُوعهم[10] من غير أن يملكوا القهر والقسر على ذلك، وما جعلهم بمحل لا نراهم نحن وهم يروننا على ما أخبر: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ[11] فهو -والله أعلم-[12] أن من علم بحضرته وقُربه عدوًّا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون أحذر وأهيب له ممن لا يعلم ذلك ولا كان بقربه وحضرته عدو. وعلى ذلك ما جعل الله عز وجل من الحَفَظَة والكرام الكاتبين -صلوات الله عليهم- على بني آدم رقباءَ عليهم في قليلِ

[1] سورة التوبة، ٩/٩٣؛ وسورة النحل، ١٦/١٠٨؛ وسورة محمد، ٤٧/١٦.
[2] ﴿وجعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يَفْقَهُوه وفي آذانهم وَقْرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥)، وانظر أيضا: سورة الإسراء، ١٧/٤٦؛ و سورة الكهف، ١٨/٥٧.
[3] جميع النسخ: وان كان هنالك؛ والتصحيح من قول الشارح: «فدل أن هنالك معنى من الله» (ورقة، ٤٨٢و).
[4] م - إذا علم.
[5] كما روي عن قتادة، انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/١٤٤.
[6] ر ع م: تشيلهم اشلا. كما روي عن ابن زيد، انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/١٤٥. والإشلاء: الدعوة والإغراء (*لسان العرب*، «شلو»).
[7] روي عن ابن عباس [تغويهم إغواء (*تفسير ابن عباس*، ٣٣٨)] والضحاك (*تفسير الضحاك*، ٢/٥٦٣).
[8] والأزُّ والهزُّ التحريك، أي تحركهم وتحثهم على المعاصي (*تفسير البغوي*، ٣/٦٣٩).
[9] ر: والنزع.
[10] ر م: ردعهم. والرُّوعُ، بالضم: القلب والعقل، ووقع ذلك في رُوعِي، أي نَفْسي وخَلَدِي وبالي (*لسان العرب*، «روع»).
[11] سورة الأعراف، ٧/٢٧.
[12] جميع النسخ + وذلك.

ما يفعلون ويتفوّهُون وكثيرِه،[١] وإن كان قادرا على حفظ ذلك عليهم والتذكير لهم واحدا بعد واحد، شيئا على إثر شيء، وذلك لِما ذكرنا أن من علم أن عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان أحذر وأهيب ممن لم يعلم[٢] ذلك على نفسه رقيبا. *والله أعلم*.* [٤٦٧و س٣٥]

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **فلا تعجل عليهم**، أي لا تكافئهم على أذاهم إياك ولا تعاقبهم. **إنما نعدّ لهم عَدًّا**، أي أنفاسَهم [التي] يتنفّسون في الدنيا، فهي معدودة تنقضي آجالهم عن قريب، فلا تكافئهم على أذاك[٤] وما يستقبلونك بالمكروه والسوء.*

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْدًا﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وَفْدا**، أي الذين اتقوا مخالفة أمر الله في كل ما لا يغلب عليهم، لأن المؤمن لا يرتكب المعصية إلا لغلبة شهوة، أو لغلبة رجاء إلى مغفرة ربه ونحوه، أو توبة يضمرها بعد[٦] ارتكابها؛ على هذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة ربه. وقوله عز وجل: **إلى الرحمن**، أي إلى[٧] ما وعد لهم الرحمن من الثواب. وقوله: **وفدا**، الوفد في الشاهد هم أهل الكرامة والمنزلة يُبْعَثون لأمور، فكأنه ذكر أن المتقين يحشرون وهم مكرمون معظَّمون ولهم منزلة عند الله وقدرٌ. *والله أعلم*.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٨٦]

وقوله تعالى: / **ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرْدًا**، الوارد[٨] هو طالب الماء، والوِرْدُ الجمع، [٤٦٧ظ] فكأنه قال: **ونسوق المجرمين إلى جهنم**، عِطاشا طُلَّابَ الماء، على ما قاله أهل التأويل.[٩]

---

[١] جميع النسخ: وكثيرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٢و.
[٢] م: لا يعلم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٧و/سطر٢٨-٣٥.
[٤] ر م: ذاك.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٧و/سطر٢٨-٣٥.
[٦] ر ع م: بقدر.
[٧] ر ع م + ان.
[٨] ر – الوارد.
[٩] روي هذا عن أبي هريرة وابن عباس وقتادة والحسن، انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٧/١٦.

والمجرم، قال أبو بكر الأصم: هو الوثّاب في المعصية. وأصل الإجرام الاكتساب، ولهذا[1] قال بعض الناس في قوله: لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ،[2] أي يُكسِبنَّكم. وأصله[3] هو كسب الإثم.

وقوله عز وجل: **ونسوق المجرمين**، فيه أنهم إنما يُساقون على كُرْهٍ منهم إذ ذكر في الكافرين السَّوق وذكر في المؤمنين الجمع والحشر.[4]

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **لا يملكون الشفاعة**، الشفاعة إنما تكون[5] فيمن استوجب العذاب والعقوبة، فأما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فإنه لا معنى لها ولا فائدة. فهو يرد على المعتزلة مذهبهم أن صاحب الكبيرة[6] لا يغفر له، وصاحب الصغيرة مغفور له. فالشفاعة التي ذَكَر لا تخلو إما أن تكون لأهل الكبائر فيَغفِر لهم بالشفاعة فيبطل قولهم، أو لأهل الصغائر فله تعذيبهم.[7] فكيف ما كان فهو يرد قولهم، إذ لا معنى لذكر الشفاعة في المغفورين. وقالوا: إن الشفاعة في الشاهد أن يُذكر محاسن الإنسان عند آخر لِيَعرف محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدرٌ عنده. لكن مثل هذا يجوز لمن يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه؛ فأما الله سبحانه وتعالى هو عالم بذاته يعلم حال كل أحد[8] فلا يحتمل ذلك.

وقوله عز وجل: **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا**، قال بعضهم: [هو] شهادة أن لا إله إلا الله، وقال بعضهم: العمل الصالح، وقال بعضهم: الصلاة، على ما ذكرنا.[9] وأصل العهد هو أن يَشترط[10] عليه شرط الوفاء حتى يفيء[11] بما شَرط عليه، وهو الوفاء بما أمر به ونَهى عنه. ***والله أعلم.***

---

[1] ر ع: ولها.
[2] ﴿ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَآن قوم أن صَدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ (سورة المائدة، ٥/٢)؛ ﴿ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَآنُ قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (سورة المائدة، ٥/٨).
[3] ع - وأصله.
[4] ع: الحشر.
[5] ر م: يكون.
[6] ر: الكبير.
[7] ن: يعذبهم.
[8] ن: كل حال من أحد.
[9] أي في تفسير الآية السابقة برقم ٧٨.
[10] ع: يشرط.
[11] ر ع م - يفيء.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا**، قال بعضهم: الآية[١] في مشركي العرب، لأنهم هم الذين قالوا: الملائكة بنات الله.[٢] لكن أهل الكتاب[٣] قالوا أيضًا: قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[٤] فهو في كل من قال ذلك.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[٨٩]

ثم[٥] قوله: **لقد جئتم شيئًا إدًّا**، يخرج على الإضمار حين أخبر عنهم أنهم قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا،[٦] أن قل لهم يا محمد: **لقد جئتم شيئا إدًّا**، أي عظيما منكرا. أو أن يكون[٧] لما[٨] قالوا ذلك أقبلَ عليهم فقال لهم: **لقد جئتم شيئا إدًّا**،[٩] عظيمًا منكرا. ***والله أعلم***.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[٩٠] ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشَقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هَدًّا أن دعَوْا للرحمن ولدا**، قال بعضهم: مثل هذا إنما يقال على المبالغة في العظيم من الأمور والنهاية من الضيق والشدة على التمثيل. يقول الرجل لأخر: "أظلمتِ الدنيا عليه" و"ضاقت عليه الأرضُ بما رحُبَتْ" ونحوه على المبالغة[١٠] في الضيق والشدة؛ فعلى ذلك هذا ذُكر على المبالغة[١١] والنهاية في العظيم من القول الذي قالوا لله سبحانه. ثم جعل مثل ما قالوا في العظيم لله بما يَعْظُم من المحسوسات في العقول، وهو ما ذكر من انفطار السماوات وانشقاق الأرض وهدّ الجبال،

[١] م – الآية.
[٢] انظر مثلا: سورة الصافات، ٣٧/١٤٩-١٥٣؛ وسورة النجم، ٥٣/٢١-٢٢.
[٣] ر ع م: أهل التأويل.
[٤] سورة التوبة، ٩/٣٠.
[٥] ع – ثم، + في.
[٦] سورة البقرة، ٢/١١٦؛ وسورة يونس، ١٠/٦٨؛ وسورة الكهف، ١٨/٤.
[٧] جميع النسخ: أو أن يكونوا.
[٨] ع: ما.
[٩] ع – إدا.
[١٠] جميع النسخ: على الإبلاغ.
[١١] جميع النسخ: على الإبلاغ.

وهُنَ أصلب الأشياء وأشدها، ليعرفوا عِظم ما قالوا فيه. وهكذا يُعرَف الأمور الغائبة التي سبيلُ معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الأشياء والمشاهدات منها.

وجائز أن يكون ما ذكر من انشقاق الأرض وهدّ الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذَكَر أن يكون فيها، وإن لم يشاهَد ذلك منها ولم يحسّ، كقوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا.[1] وقال قائلون: ذكر هذا في أهل السماوات والأرض[2] أنهم يكونون كما ذكر بما قالوا تعظيما لذلك وإنكارا. ***والله أعلم.***

[٤٦٧ظ س٣٥] *قال أبو عَوْسَجَة: الضد[3] الخصم، والإدّ[4] السوق الشديد. وقوله: شَيْئًا إِدًّا، أي شديدا. والوِرْد،[5] أي يوردهم إياها أي يدخلهم. وقال: الوِرْد النصيب من الماء. وقوله: **هَدًّا**، أي صوتا يَهِدّ،[6] أي يَهْدِم.* [٤٦٧ظ س٣٦]

﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[٩٢] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**، أي ما ينبغي له أن يتخذ ولدا[8] **إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا**، وفي الشاهد لا أحد يتخذ الولد من عبيده. فكيف ينبغي من له ملك السماوات والأرض وكلُّهم عبيده أن يتخذ ولدا من عبيده؟ أو **ما**[9] **ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**، وأسباب الأولاد[10] التي لها[11] يُتخذ الولد ليست فيه، لأن في الشاهد إنما يتخذ الولد لثلاث وقد ذكرنا في غير موضع؛[12] فإذا[13] كان الله سبحانه يتعالى عن ذلك

---

[1] ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربُّه قال ربِّ أَرِنِي أَنظُرْ إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تَجَلَّى ربه للجبل جعله دَكًّا وَخَرَّ موسى صَعِقا﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).

[2] ع + إلا آتي الرحمن عبدا.

[3] انظر: سورة مريم، ٨٢/١٩.

[4] الآية السابقة.

[5] سورة مريم، ٨٦/١٩.

[6] هَدّ يَهِدّ هَدًّا وهَدِيدا، والهَدّة صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط (انظر: *لسان العرب*، «هدد»).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٧ظ/سطر٣٥-٣٦.

[8] ر ع م + أي ينبغي له ولدا.

[9] ر: وما.

[10] ع: أو أسباب الأولاد.

[11] ر ع م: بها.

[12] انظر مثلا: سورة مريم، ٣٥/١٩.

[13] ر ع م: فإن.

كله لم ينبغ له أن يتخذ الولد. وقال بعضهم: في قوله: **إلا آتي الرحمن عبدا**، في الآخرة، أي كلهم يُقرون بالعبودة له يومئذ.

﴿**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا**﴾[٩٤] ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **لقد أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا**، يحتمل قوله: **أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا**، [أن يكون] من عَدِّ أنفسهم وإحصائه، أي لا يخفى عليه شيء. أو أن يكون على الوعيد أن يُحصى أقوالهم وأفعالهم بما سلّط عليهم من الملائكة ما يراقبون ذلك منهم، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[١] وقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ.[٢]*

*وقوله: **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**، أي وحده ليس معه من دنياه شيء.* [٤٦٨و س ٣٠]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، يحتمل هذا وجوها ثلاثة. أحدها خاطب أهل مكة أنكم إذا[٥] آمنتم وعملتم[٦] الأعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباغض والتعادي فيبدّل مكانه المحبة والمودة، كقوله: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[٧] أخبر أنهم صاروا بالإيمان إخوانا مؤلفةً قلوبُهم / بنعمة من الله وفضله. [٤٦٨ظ]

والثاني **سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، في الجنة، أي ينزع عنهم ما في قلوبهم من غِلٍّ وغِشٍّ،[٨] كقوله: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ.[٩]

والثالث **سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، في قلوب الأنبياء والأخيار وأصحاب الدين، لأنهم إنما ينظرون إلى الإنسان لدينه ولخلوص عمله لله وصفائه له لا إلى الدنيا وما تحويه[١٠] يده.

---

[١] سورة ق، ٥٠/١٨.

[٢] ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢).

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات برقم ٨٢ و٨٦ و٨٩ و٩٠، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٧ظ/سطر ٣٥-٣٦.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٦٨و/سطر ٣٠-٣١.

[٥] ع: إذ.

[٦] ر: علمتم.

[٧] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.

[٨] ر: وغشي.

[٩] سورة الحجر، ١٥/٤٧.

[١٠] جميع النسخ: يحويه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٤٨٣و.

وجائز أن يكون على ما رويت [في] الأخبار إن ثبت؛[1] روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا نادى: قد أحببت فلانا فأحبوه»، وكذلك هذا في البغض.[2] وقال كعب [الأحبار]: وجدت في التوراة أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض حتى [لا] يكونَ بدؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض. وكذلك قال في البغض. ثم قال: وكذلك وجدت في القرآن، فقرأ هذه الآية: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا**، يحبهم ويحبِّبهم إلى المؤمنين في صدورهم. فعلى هذا إن ثبت يجب أن يخاف المرء على نفسه إذا رأى الناس لا يحبونه[3] أن يكون ذلك من سوء عمله. ***والله أعلم***.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **فإنما يسَّرناه بلسانك**، قال بعضهم: **يسَّرناه**، [أي] تبليغَ[4] الرسالة على لسانه حتى بلَّغها إلى الفَرَاعِنَة منهم والأكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم بغير الذي هم عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك. يسَّر ذلك عليه حتى بلَّغها إلى أمثال هؤلاء وقَدَر على ذلك من غير أن قدروا على إهلاكه، حيث أخبر أنه عصمه منهم بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[5] وقال بعضهم: يسَّره على لسانه حتى قدر على التكلم به والنطق، لأنه كلام رب العالمين. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يحتمل، لأنه أنزله بلسانه ولسان العرب، فلا يحتمل[6] أن لا يقدروا على التكلم بلسانهم. وقال قائلون: يسره على لسانه حيث جعله بحيث يحفظونه ويقرءونه[7] عن ظهر قلوبهم ليس كسائر الكتب المتقدمة، إنهم كانوا لا يقدرون على حفظها والقراءة عن ظهر القلب. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ع: ثبتت.

[2] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبرئيل: إني قد أحببت فلانا فأحِبَّه. قال: فينادي في السماء، ثم تُنْزَل المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وإذا أبغض الله عبدا نادى جبرئيل: إني قد أبغضت فلانا، فينادي في السماء، ثم تُنْزَل له البغضاء في الأرض» (*سنن الترمذي*، التفسير ٩٦/١٩؛ وانظر أيضا: صحيح *مسلم*، البر والصلة، ١٥٧).

[3] ر م - لا يحبونه.

[4] ن م: بتبليغ.

[5] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[6] ع - لأنه أنزله بلسانه ولسان العرب فلا يحتمل.

[7] ر ع: ويقرونه.

وقوله عز وجل: **لتُبَشِّر به المتقين وتنذر به قوما لُدًّا**، وقال في آية أخرى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[١] وقال في آية أخرى: لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ؛[٢] مرة ذكر النذارة للناس جميعا، ومرة للذين ظلموا خاصة، ومرة للذين اتبعوا الذكر. والأصل في النِّذارة والبِشارة أن البشارة إذا كانت خاصة لأحد فهي له على شرط الدوام على ذلك أبدا؛ وفيها النذارة له إن لم يدم. وكذلك النذارة الخاصة لأحد، هي[٣] له ما دام[٤] بذلك ملتزما، فإن تاب ورجع عن ذلك فله فيها البشارة، على هذا تكون[٥] البشارة الخاصة. والنذارة الخاصة تكون[٦] في كل واحدة منهما للأُخرى.[٧] وأما البشارة المطلقة فهي بشارة لا تكون[٨] فيها النذارة؛ وكذلك النذارة المطلقة لا تكون[٩] فيها البشارة. على هذه الأقسام يخرج البشارة والنذارة. *والله أعلم*.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزًا**، يخوِّف به أهل مكة، بإهلاكه القرون الماضية في الدنيا بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب أولئك الذين من قبلهم، فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل بأولئك. يقول لنبيه: **هل تُحِسّ منهم من أحد**، أي هل ترى وتبصر منهم أحدا، أي لا ترى ولا تبصر منهم أحدا. **أو تسمع لهم رِكْزًا**، قيل: صوتا، وقيل:[١٠] ذكرا، أي لا يُذكرون بعد هلاكهم إلا بسوء. يحذِّر أهلَ مكة لئلا يكذِّبوا رسولهم كما كذب الذين من قبلهم الرسلَ، فيكونوا[١١] كما كان أولئك ويصيروا[١٢] مثلهم.

---

[١] ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[٢] ﴿وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ (سورة الأحقاف، ١٢/٤٦).
[٣] ر ن م - هي.
[٤] ر: للدوام؛ ع م: له دوام.
[٥] جميع النسخ: يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[٦] جميع النسخ و*الشرح*: يكون.
[٧] جميع النسخ: أخري؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[٨] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[٩] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[١٠] م: ويحتمل.
[١١] ر ن م: فيكونون؛ ع: فيكون.
[١٢] جميع النسخ: وصاروا.

قال القُتَبي: اللُّد جمع أَلَدّ وهو الخَصْم الجَدِل، والرِّكْز الصوت الذي لا يفهم.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: الألَدّ هو شديد الخصومة، **هل تُحِسُّ**، هل تراه. **رِكزًا**، أي ذكرًا. والركز أيضا الصوت. وقال: هَدًّا، أي صوتا. إذا انهدمت.

وقال أبو معاذ: وللعرب في البُشْرَى[2] ثلاث لغات: بَشَرْتُه بالتخفيف، فأنا أبشُره؛ وبَشَّرتُه، بالتشديد فأنا مبشِّره؛ وأبْشرتُه، فأنا مُبْشره؛ والرجل مَبشور ومُبشَّر[3] ومُبْشَر.*

وقال الحسن: **قومًا لُدًّا**، قال صُمًّا،[5] صُمَّ آذانِ القلوب. وقال بعضهم: فُجّارًا. وقيل: عُوجًا عن الحق. وأصله ما تقدم ذكره. ***والله أعلم***.[6]

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٦.

[2] م: البشر.

[3] م – ومبشر.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٩٥، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٦٨و/سطر ٣٠-٣١.

[5] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٤/٢.

[6] ن + تمت سورة مريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طه﴾[١] ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٢] ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[٣]

قوله عز وجل **طه**، قال بعضهم من أهل التأويل: **طه**، يا رجل، بالنَّبَطِيَة،[2] وقال بعضهم: بالسُّريانية. وقيل: يا فلان، وقيل: هو اسم من أسماء الله، وقيل: حروف من أسمائه، ونحو ذلك. وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع.[3]

وقوله عز وجل: **ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى**، لا يحتمل أن يكون هذا نزل على الابتداء من غير سبب ولا أمر، لكنه لم يبيّن السبب [الذي] به نزل هذا، فيحتمل أن يكون سببه وجوها. أحدها ما حمل نفسه من الشدائد والمؤَن العظام وأجهد نفسه في ذلك فنزل **ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى**، أي لتَتعب به نفسُك، كقوله: فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى،[4] أي تَتعب. ألا ترى[5] أنه قال: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى.[6]

والثاني أنه لما كفَّ / نفسه عن الشهوات ومنَعها عن جميع[7] ما تهواه من اللذات فقال [٤٦٨ظ] أولئك الكفرة: إنه شقي، حيث رأوه[8] لم يعط نفسه شيئًا من شهواتها ولذاتها.

والثالث أنهم قالوا ذلك لمَا رأوه أنه دعا[9] الفَرَاعِنة والجَبَابِرة إلى دينه واتّباعه وأظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون، وكانت عادتهم القتل وإهلاكَ من يُظهر لهم الخلاف،

---

[1] ن + كلها مكية نزلت بها والله أعلم.
[2] انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٦٥-٥٦٦.
[3] انظر مثلا: تفسير سورة البقرة، ٢/١.
[4] سورة طه، ١١٧/٢٠.
[5] ن: ألا يرى.
[6] سورة طه، ١١٨/٢٠.
[7] ر: جمع.
[8] جميع النسخ: رآه.
[9] ر: دعاء؛ م: دعى.

فخاطر بذلك، فعند ذلك قالوا: إنه شقي حيث يخاطر نفسه، فقال: **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**، على ما يقول أولئك، بل أنزلناه[1] عليك لِتَسْعَد، حيث أخبر أنه عصمه بقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[2]

أو أن لا يفسَّر ولا يُذكر ذلك الأمر والسبب الذي به نزل[3] لأنه لم يبيَّن، ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك السبب، إنما الحاجة[4] لنا إلى معرفة ما ذكر، وهو قوله: **إلا تذكرة لمن يخشى**، أي ما أنزلنا عليك لتشقى بل أنزلناه لتسعد، وأنزلناه ليتذكر به من يخشى، كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ.[5]

وقوله عز وجل: **إلا تذكرة لمن يخشى**، أي عِظَةً لمن يتقي ما به يُخشى.[6] ويحتمل قوله: **لمن يخشى**، كلَّ مؤمن، لأن كل مؤمن يعتقد في أصل إيمانه الخشية منه والاتِّقاء من نِقْمته وعذابه.

﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾[٤]

وقوله عز وجل: **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**، كأن هذا نزل على إثر قول قاله أولئك الكفرة، وهو ما قالوا: إنه ساحر،[7] وإنه مفتر،[8] وإنه شاعر،[9] وإنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[10] ونحوه؛ فقال جوابا لقولهم: **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**، ليس كما يقول أولئك: إنه ساحر،[11] وإنه مفتر،[12] وإنما[13] يعلمه بشر،[14] بل[15] **تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى**. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: أنزله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣و.
[2] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[3] ع: انزل.
[4] ر ع م – لنا إلى معرفة ذلك السبب إنما الحاجة.
[5] سورة يس، ١١/٣٦.
[6] ع – أي عظة لمن يتقي ما به يخشى.
[7] سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨؛ وسورة الذاريات، ٥٢/٥٢.
[8] سورة النحل، ١٠١/١٦.
[9] سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة يس، ٦٩/٣٦؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٨.
[10] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦؛ وانظر أيضا: سورة الفرقان، ٥/٢٥؛ وسورة الدخان، ١٤/٤٤).
[11] ع: سحر.
[12] ن: مفترى.
[13] ع م: وإنه.
[14] ع: لما علمه بشر.
[15] ن ع م – بل.

﴿اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **الرحمن على العرش استوى.** {قال الشيخ رحمه الله:} القول بالكون على العرش -وهو موضع- بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة لا يعدُو من إحاطة ذلك به، أو الاستواء، أو مجاوزته عنه و[1]إحاطته. فإن كان الأولَ فهو إذن[2] محدود محاط به منقوص عن الخلق، إذ هو دونه. ولو جاز الوصف له بذاته بما تحيط[3] به الأمكنةُ لجاز[4] بما[5] تحيط[6] به الأوقات، فيصير متناهيا بذاته مقصِرا عن خلقه. وإن كان على الوجه الثاني فلو زيد على[7] الخلق لينقص[8] أيضا، وفيه ما في الأول. ولو كان على الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ مالا يَفْضُل عنه، مع ما يذم ذا من فِعْل الملوك أن [لا] يفضل[9] عنهم من المقاعد شيءٌ.[10] وبعد، فإن في ذلك تجزئةً بما كان بعضه[11] في ذي إبعاض، وبعضه يفضل عن ذلك. وذلك كله وصف الخلائق، والله يتعالى عن ذلك.

وبعد؛ فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو[12] من المكان للجلوس شرفٌ ولا علوّ ولا وصفٌ بالعظمة والكبرياء، كمن يعلو[13] السطوح أو الجبال، إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر؛ فلا يجوز صرف تأويل الآية إليه، بل فيها ذكر العظمة والجلال، إذ ذكر في قوله: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،[14] وصفه بالعظمة والسلطان والقدرة، فكذلك على تعظيم العرش أي شيء كان [هو] من نور أو جوهر لا يبلغه علم الخلق.

---

[1] ر ع م: أو.
[2] ن ع: إذا.
[3] جميع النسخ: يحيط
[4] ر ع: بمجاز.
[5] م - بما.
[6] جميع النسخ: يحيط.
[7] ر ن م: في الخلق؛ ع: على في الخلق.
[8] جميع النسخ: لا ينقص، والتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[9] ر ع م: أو يفضل؛ ن: أن يفضل، والتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[10] جميع النسخ: شيئا، والتصحيح من *كتاب التوحيد*، ١٠٨.
[11] ع: يعضه.
[12] ر ع م: يعلوا.
[13] ر: يعلوا.
[14] الآية التالية.

وإضافة الاستواء إليه لوجهين. أحدهما على تعظيمه بما ذكر على إثره، ذَكر سلطانه في ربوبيتِه وقدرتِه وخلْقِه بما[1] ذكر.[2] والثاني على تخصيصه بالذكر بما هو أعظمِ الخلق وأجلُّه؛ على المعروف من إضافة الأمور العظيمة إلى أعظم الأشياء، كما يقال: تمَّ لفلانٍ ملكُ بلدِ كذا، واستوى على موضع كذا؛ لا على خصوص ذلك في الحق،[3] ولكن معلوم أن[4] من له ملك ذلك فما دونه أحقُّ به. وعلى ذلك قوله: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي،[5] الآية، بما صارت له أمّ القرى وأَيِس[6] الذين كفروا من دينهم.[7] وكذا ما ذكر من إرسال الرسل إلى الفراعنة وإلى[8] أم القرى لا[9] بتخصيص ذلك، ولكن بذكر[10] عظم الأمر. فمِثْله أمر العرش. وهو كقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا،[11] وقوله: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا،[12] على لُحوق غير بهم.

ويحتمل أن يكون على المنع بوصف المكان، إذ هو[13] أعلى الأمكنة عند الخلق ولا تقدر العقول [فوقه] شيئًا، فأشار إليه ليُعلم علوّه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة. وعلى ذلك قوله: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ،[14] الآية.[15] والنجوى ليس من نوع ما يضاف إلى المكان، ولكن يضاف إلى الإسرار. فأخبر بعلوه عن الأمكنة وتعاليه عن أن يخفى عليه شيء؛ ثم بقدرته وقوته بقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ،[16] أي بالسلطان والقوة؛ وبألُوهيته في البقاع كلها لأنها أمكنة العبادة،[17]

---

[1] ر ن م: ما.
[2] ن: ذكره.
[3] أي الثابت الواقع.
[4] م: أنه.
[5] سورة المائدة، ٣/٥.
[6] ع: وياس.
[7] أي أيس الذين كفروا من استئصال دين المسلمين.
[8] ع: ولى.
[9] ر: ولا.
[10] ع: يذكر.
[11] سورة الأنعام،٦/١٢٣.
[12] ﴿وإذا أردنا أن نُهلِك قرية أَمَرْنا مترَفيها ففسقوا فيها فحَقَّ عليها القول فدمَّرناها تدميرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٦).
[13] ع: هوا.
[14] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رَابِعُهم ولا خمسة إلا هو سَادِسُهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).
[15] ع – الآية.
[16] ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٦).
[17] جميع النسخ: العادة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٣ظ.

بقوله: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ،[1] وبملكِ[2] كل شيء، بقوله: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى،[3] وبقوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛[4] ثم بعلوّه وجلاله، بقوله: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ،[5] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[6] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛[7] فجمع في هذه الأحرف[8] ما فرّق في تلك [الآيات] ليعلم أنه بكل ما سُمِّي به ووُصف كان ذلك له بذاته، لا بشيء من خلقه. وكذلك عزه وشرفه ومجده. جل ثناؤه عن الأشباه ولا إله غيره.

وقال بعضهم: يريد بالعرش الملك،[9] إذ هو[10] اسم ما ارتفع من الأشياء وعلا،[11] حتى سمي به السطوح ورؤس الأشجار.

والاستواء قيل فيه بأوجه / ثلاثة. أحدها الاستيلاء، كما يقال: استوى فلان على كورة كذا، بمعنى استولى. والثاني العلو والارتفاع، كقوله:[12] فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ،[13] وقوله: إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ،[14] أي علوتم. والثالث التمام، كقوله: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[15] أي تم واستقر. وقد قيل: بالقصد، وإلى ذلك وجّه بعض أهل الأدب قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[16] بمعنى خلق، على التمثيل بفعل الخلق فيما يتلو فعلهم فعلا أن يكون بالقصد، وإن كان لا يقال له القصد. **ولا قوة إلا بالله**. [٤٦٩و]

---

[1] سورة الزخرف، ٨٤/٤٣.
[2] ر ن ع: ويملك.
[3] الآية التالية.
[4] سورة البقرة، ١٠٧/٢.
[5] سورة الأنعام، ١٨/٦. جميع النسخ والشرح: وفوق كل شيء (أي مكان وهو القاهر فوق عباده).
[6] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[7] انظر مثلا: سورة هود، ٤/١١.
[8] أي بقوله: الرحمن على العرش استوى.
[9] أي العالم وكل ما سوى الله.
[10] أي العرش.
[11] ر ن: وعلى.
[12] ع: قوله.
[13] سورة المؤمنون، ٢٨/٢٣.
[14] ﴿لِتَسْتَوُوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كُنَّا له مُقرنين﴾ (سورة الزخرف، ١٣/٤٣).
[15] سورة القصص، ١٤/٢٨.
[16] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائْتِيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).

ثم الوجه في ذلك -لو كان على الاستيلاء والعرشُ[1] [هو] المُلك- أنه مستولٍ[2] على جميع خلقه. وعلى هذا التأويلِ [العرشِ][3] المحمولُ[4] غير هذا. يدل على الأمرين قوله: وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،[5] بمعنى الملك العظيم، وفيه إثبات عروش غيره. فذلك يحتمل ما يَحمِل ويَحُفُّ[6] به الملائكة. **والله الموفق**.

وأما على تأويل التمام والعلوّ فهو أن الله تعالى قال: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[7] الآية، فأخبر بخلق ما ذكر في ستة أيام على التفاريق، ثم أجملها في موضع فقال: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ -إلى قوله- ثُمَّ اسْتَوَى،[8] بمعنى خَلْق الممتحَن[9] من خلق الأرض والسماوات، فبهم[10] ظهر تمام الملك وعلا[11] وارتفع؛ إذ هم المقصودون من خلق ما بيّنا. فبذلك تم معنى الملك وعلا،[12] إذ وصل إلى الذين لهم خُلِقوا. وقد قيل ذا في خلق البشر خاصة، بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[13] الآية، وقولِه: سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ،[14] ونحوه.

---

[1] ر ع: والعزيز؛ م: والعز.

[2] ر ع م: مستولي.

[3] كما ورد في قوله تعالى: ﴿الذين يَحْمِلُونَ العرش﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠)؛ و في قوله: ﴿ويَحْمِلُ عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيةٌ﴾ (سورة الحاقة، ١٧/٦٩).

[4] ر: للحمول.

[5] سورة التوبة، ١٢٩/٩.

[6] م: ويخف. لعل المؤلف رحمه الله يشير إلي قوله تعالى: ﴿الذين يَحْمِلُونَ العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠)؛ وقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾ (سورة الزمر ٧٥/٣٩).

[7] ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ... ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٩/٤١-١٢).

[8] ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (سورة الأعراف، ٥٤/٧).

[9] أي الإنس والجن.

[10] ر ع: فيهم.

[11] ر: وعلى.

[12] ر: وعلى.

[13] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢).

[14] ﴿ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نِعَمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٢٠/٣١).

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أن البشر خلق اليوم السابع، فبه التمامُ والعلو؛[١] إذ خلق لهم كل[٢] شيء وهم لعبادة الله، ولُحق بهم الجن بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[٣] الآية، لكن المقصود البشر، إذ تسخير ما ذكرتُ كلِّه إنما يرجع إلى منافعهم. **والله الموفق**.

والأصل عندنا في ذلك[٤] أن الله عز وجل قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[٥] فنفى عن نفسه شِبْه خلقه. وقد بيّنا أنه في فعله وصفته متعالٍ عن الأشباه. فيجب القول بـ**الرحمن على العرش استوى**، على ما جاء به التنزيل وينفى عنه شِبْه الخلق بما[٦] أضاف إليه. وإذ لزم القول في الله بالتعالي عن الأشباه ذاتًا وفعلاً لم يجز أن يفهم من الإضافة إليه المفهوم من غيره في الوجود. **والله الموفق**. وقد ذكرنا هذا في غير موضع من القرآن.[٧]

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[٦]

وفي قوله: **له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**، الوصف له بالسلطان والقدرة والملك على ما ذكرنا.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٧]

وفي قوله: **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**، الوصف له بالعلم في الغيب والسر والعلانية جميعا ليكونوا أبدا على حذَر وخوف ويقَظة في جميع أفعالهم وأقوالهم. وفي الأول ليصرفوا طمعهم ورجاءهم[٨] من الخلق إلى خالقهم وأن لا يُطمع ولا يُرجي غيره. ثم اختلف في قوله: **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**، قال بعضهم: السر ما أسررت به إلى غيرك، وأخفى ما أضمرتَه وأكنَنْتَه في نفسك لم تُسِرَّه إلى أحد. قال قائلون: السر ما أسررت به وحدَّثت به نفسك؛ وأخفى ما علم الله أنه كائن يكون ولم يكن بعد ولم تعلم به.[٩]

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٠٩/٢٤.
[٢] ع + كل.
[٣] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[٤] أي في إضافة الاستواء إلى الله تعالى.
[٥] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[٦] ر ن م: لما؛ ع: إلى.
[٧] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٨] ر ع: ورجاهم.
[٩] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٦٦/٢.

وقال قائلون: السر ما أسره في نفسه؛ وأخفى ما خطر في قلبه وهو لا يضبطه، ونحو ذلك. وأصله في قوله: **وإن تجهر بالقول**، كأنه يقول: **وإن تجهر بالقول** أو تُسِرَّ به[1] **فإنه يعلم السر وأخفى**. *والله أعلم*.

﴿اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى**، قال أبو بكر الأصم: أي من وحّد الله بأسمائه فله الحسنى، وهي الجنة. وقد ذكرنا فيما تقدم.[2]

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[٩] ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا**، ظاهر هذا سؤال واستفهام، لكن المراد منه الإيجاب. ثم اختلف في معنى الإيجاب. قال الحسن وأبو بكر [الأصم]: قوله: **وهل أتاك**، أي لم يأتك حديث موسى وسيأتيك، ثم أخبره وأعلمه بحديثه ونبإه. وقال بعضهم: **هل أتاك**، أي قد أتاك **حديث موسى**، لتخبرهم[3] عما كان في كتبهم ليكون ذلك آية لنبوتك ورسالتك.

وقوله عز وجل: **فقال لأهله امكُثوا إني آنست نارًا**، قيل: رأيت نارا، وقيل: علمت نارا. **لعلي آتيكم منها بقبس**. ليس في هذه الآية بيانُ أن موسى في أي حال كان وفي[4] أي وقت، لكن في موضع آخر بيان ذلك، وهو ما قال: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا.[5] هذا يدل أنه كان في حال السير والسفر [حين] رأى ذلك. وقال في نفس الآية:[6] لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ،[7] فهذا يدل أنه كان في أيام الشتاء والبرد، وحيث قال: لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.

---

[1] ر ع م – به.
[2] انظر مثلا: تفسير سورة يونس، ٢٦/١٠.
[3] ر م: ليخبرهم.
[4] ع: في.
[5] سورة القصص، ٢٩/٢٨.
[6] جميع النسخ والشرح: في آية أخرى.
[7] سورة القصص، ٢٩/٢٨.

قال أبو عَوْسَجَة: **لعلي آتيكم منها بقبس**، والقبس النار، والأقباس النيران. ويقال: قَبَسَ يقبِس قبْسًا، أي جاء بالنار. ويقال: اقتبِسْني نارًا، أي أعطني[1] نارًا؛ واقتبستُ أيضا: تعلمتُ. وهذا من ذاك لأن العلم ضوء وهذا ضوء.[2] ويقال: أقبستُك،[3] أي علَّمتُك. واقتبست، أي سألت[4] النار أو العلم.[5] وقال القُتَبِي: **آنست نارًا**، أبصرت؛ ويكون في موضع آخر علِمت، كقوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[6] أي علِمتم[7] منهم رشْدًا.

وقوله عز وجل: **أو أجد على النار هدى**، هذا يشبه أن يكون قد استقبلته / الطرقُ [٤٦٩ظ] فلم يعلم الطريق الذي له من غيره فقال: **أو أجد على النار هدى**، أي من يدلُّني ويُرشدني على الطريق. أو أن كان[8] قد ضلَّ الطريق وعدل عنه فقال عند ذلك ما قال. ***والله أعلم***.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾[١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فلما أتاها نودي**، أي نداءً[9] وحيٍ، **يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك**. قال بعضهم: إنّما أمره أن يخلع نعليه لأنهما كانا من جلدِ مَيْتَةٍ. وقال قائلون: أمره أن ينزع نعليه ليمس[10] قدَماهُ بركة ذلك الوادي أو يصيبه[11] من يُمْنه. وقال بعضهم: أمره بذلك للتواضع والخضوع له، لأن لبس النعل يخرج مخرج المباهات، فأمر بذلك ليكون أخضع له وأكثر تواضعا. والله أعلم بذلك. وليس لنا أن نفسر ذلك أنه لماذا أمره بذلك، إذ له أن يأمر بخلع نعليه[12] لا لمعنى،

---

[1] ر ع م – نارا أي أعطي.

[2] ر ع م – وهذا ضوء.

[3] ع: اقتبستك.

[4] ر ع م – سألت.

[5] ويقال: قَبَسْت منه نارًا أَقْبِس قَبسًا فأَقْبَسَني أي أَعطاني منه قَبَسًا. وقال ابن الأعرابي: قَبَسني نارًا ومالاً وأقبَسَني علمًا؛ وقد يقال بغير ألف (*لسان العرب*، «قبس»).

[6] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦).

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٧.

[8] ر ع م: وإن كان.

[9] م: ندا.

[10] ن: للمس.

[11] ن: و نصيبه.

[12] ع – تخلع خلعيه.

وليس لنا أن نقول: أمره لهذا أو لعله[١] أمره بذلك لمعنى آخر أو لا لمعنى، فيخرج ذلك مخرج الشهادة على الله تعالى.

وقوله عز وجل: **إنك بالواد المقدس طُوًى**، المقدس[٢] المطهر. ولعله سماه مطهرًا لما لم يُعبد عليه سواه ودونه؛ أو سمّاه مطهرا لمعنى خَصّ به لفضل عبادةٍ أو غيرها على ما خص بِقاعًا بفضل عبادة تُقام فيها من نحو المساجد والحرم وغيره.

وقوله عز وجل: **طُوًى**، قال بعضهم: هو من وَطِئَ الأرض، أي طَأْ الواديَ المبارك حافيا.[٣] وقال بعضهم: **طُوى**، قد قُدِّس مرتين، وهو قول الحسن.[٤] وقال بعضهم: **طُوى**، يقول: يُطوَى مَسيرُه.[٥] نحو هذا قد قالوا، لكن الأصوب أن لا يُفَسَّر إلا بعد حقيقة المعرفة[٦] به، لأنها[٧] أنباء كانت في كتبهم، ذكرت لرسول الله لتكون له حجة ودلالة على رسالته عليهم؛ ففي التفسير خوف دخول الغلط فيه وتغييره،[٨] فإذا تغير لم يصر له عليهم حجة ودلالة على رسالته. لذلك[٩] كان السكوت[١٠] عنه أولى. ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وأنا اخترتك**، إما بالرسالة والنبوة أو بأشياءَ أخرى،[١١] كقوله: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**،[١٢] الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا،[١٣] أخلصه الله لنفسه بأشياء. **وقوله** عز وجل: **فاستمع لما يوحى**، هذا يدل أن النداء الذي نودي كان نداء وحي وهو قوله: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ [يَا مُوسَى].[١٤]

---

[١] ن: و لعله.
[٢] م – طوى المقدس.
[٣] تفسير *الإمام مجاهد*، ٤٦٠ (يقول: «طأ الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا، من بركة الوادي»).
[٤] تفسير *الحسن البصري*، ١١٦/٢. ويقول به مجاهد أيضا. انظر: تفسير *الطبري*، ١٦٩/١٦.
[٥] ر ع:مسيرة.
[٦] ر ع م – المعرفة.
[٧] ر ن م: لأنه.
[٨] جميع النسخ: وتغيير؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٤و.
[٩] جميع النسخ: كذلك.
[١٠] ر ع م: السكون.
[١١] ر ن: أخر.
[١٢] سورة طه، ٤١/٢٠.
[١٣] سورة مريم، ٥١/١٩.
[١٤] سورة طه، ١١/٢٠.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني**، وهو ظاهر، كذلك أَمر رسلَه أوّلَ ما أَمَرهم.[١]

وقوله عز وجل: **وأقم الصلاة لذكري**، قال بعضهم: **أقم الصلاة لذكري**، لتكون ذاكرا لي، لأن أكثر ما يذكر المرأ ربه إنما يذكر في الصلاة، لأن الصلاة من أولها إلى آخرها ذكر الله، ولذلك سمي الصلاة مناجاةَ الرب. أو أن يكون قوله: **أقم الصلاة لذكري**، أي لتذكرني بها يا موسى. وقال قائلون: **أقم الصلاة** إذ[٢] أنت نسيت إذا ذكرتها. وعلى هذا رويت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وقرأ هذه الآية، إن ثبتت.[٣] وجائز أن يكون قوله: **أقم الصلاة لذكري**، أي **أقم الصلاة** لتستوجب بها ذكري. وقال القُتَبِي: **أقم الصلاة لذكري**، أي لتذكرني فيها.[٤]

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إن الساعة آتية أَكَادُ أُخْفِيهَا**، قال الحسن: **أكاد**، صلة، كأنه قال: إن الساعة آتية[٥] أُخْفِيها. وفي حرف أبيّ بن كعب: إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي.[٦] ثم يحتمل قوله: "من نفسي" وجهين. أحدهما أخفيها[٧] من خلقي. ولا يجب أن يفهم من نفسه ذاتُه بالإضافة إليه كما لم يفهم من قوله: رُوحي،[٨] ورُوحنا،[٩] وهو أخفى من الناس ذاته، ولكن فهم منه خلقه؛ فعلى ذلك لا يفهم من قوله: "من نفسي" ذاته. هذا يحتمل. *والله أعلم.*

---

[١] جميع النسخ: أمروا بذلك.

[٢] جميع النسخ: إذا.

[٣] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نسي صلاة فلْيُصَلِّ إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾» (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٣٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣٠٩).

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٧.

[٥] ع + أكاد.

[٦] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٦؛ وكذلك قرأ ابن عباس (*نفس المصدر*، ٢٠١). وفي قراءة ابن مسعود: أخفيها من نفسي فكيف أعلنها لكم (*نفس المصدر*، ٥٩).

[٧] ع + أخفيها.

[٨] انظر: سورة الحجر، ٢٩/١٥؛ وسورة ص ٧٢/٣٨.

[٩] انظر: سورة مريم، ١٧/١٩؛ وسورة الأنبياء، ٩١/٢١؛ وسورة التحريم، ١٢/٦٦.

والثاني أن يكون قوله: «**أكاد أخفيها** من نفسي»، أي من أخيار عبادي، أي أخفيها من أخيار عبادي مع عظيم قدرهم ومنزلتهم عندي من نحو الملائكة والأنبياء والرسل. إذ عادة ملوك الأرض أنهم لا يكتمون سرائرهم من خواصِّهم بل يُطْلعونهم على ذلك. فأخبر عز وجل -والله أعلم-[1] أنه أخفاها من خواصّ عباده وأخيارهم فكيف ممن[2] دونهم؟ فتكون[3] إضافته إياهم إلى نفسه لعظم قدر أولئك وفضل منزلتهم، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ؛[4] والله لا يُنصَر، ولكن إن تنصروا دين الله ينصركم، أو إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وكذلك قوله: يُخَادِعُونَ اللّٰهَ،[5] والله لا يُخادَع،[6] ولكن يخدعون[7] أولياء الله، ونحوه. فعلى ذلك قوله: «أخفيها من نفسي»، أي من خواصِّي[8] وأخيار خلقي. ***والله أعلم***. هذا على إسقاط قوله: **أكاد** وجعلِه صلة.

وأما على إثبات **أكاد**، فهو على وجهين. أحدهما يقال: كاد [بمعنى] أراد، أي أريد [أن] أخفيها، وهو معروف باللغة. والثاني كاد، يقال: قارب، وهو سائغ في اللغة جار، كاد على إرادة مقاربة، [مثل قولك:] كادت الشمس أن تَطلُع أو تَغرب، أي قاربت؛ كِدتُ أن أسقط، أي قاربتُ، وإلا لا تريد[9] السقوط. فإذا كان على هذا فهو قال ذلك -والله أعلم- على التعظيم لها، أي قارب أن يخفيها من نفسه فكيف من غيره؟

وقال ابن عباس قريبا من هذا، أي **أكاد أخفيها** من نفسي فكيف أعلنها لكم؟[10] أي لا أُظهر عليها أبدا غيري.[11] فكأنه استجاز الإخفاء في موضع الإظهار باللغة، نحوَ ما قالوا في قوله: وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ،[12] أي أظهروا. فعلى ما كان الإسرار في موضع الإظهار

[1] ر م - والله أعلم.
[2] جميع النسخ: من.
[3] ر ن م: فيكون.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).
[5] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا﴾ (سورة البقرة، ٢/٨-٩).
[6] ن: والله يخادع.
[7] ر: لا يخادعون.
[8] ع: حواصي.
[9] جميع النسخ: لا يريد.
[10] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٢٠١.
[11] انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٤٣ ("لا أطلع عليها أحدا غيري").
[12] سورة يونس، ١٠/٥٤؛ وسورة سبأ، ٣٤/٣٣.

والكتمان فعلى ذلك رأوا الإخفاء مستعملا في الأمرين جميعًا. قال أبو عَوْسَجَة: **أخفيها**، أي أُظهرها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لتُجْزَى كل نفس بما تسعى**، أي لهذا أخفيها:[١] **لتجزى** / **كل نفس بما تسعى**، لأنها لو كانت ظاهرة يعاينها كل أحد ويعلمها لَمَا كان ذلك جزاءً ولكن كان دفعا؛ لأنه يعاين كل إنسان ما[٢] نزل بهذه النفس بما سَعَتْ من العذاب فيمتنع هو عنه. وإذا رأى كل أحد ثواب هذا بسعيه يرغب في مثله؛ فيكون ذلك كلُّه بحق الدفع لا بحق الجزاء، فأخبر أنه أخفاها للجزاء والمحنة لا للدفع. *والله أعلم*. [٤٧٠و]

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا يَصُدَّنَّكَ عنها**، أي عن الإيمان بها **من لا يؤمن بها**، يعني الساعة. وهو[٣] -والله أعلم- لا يَصُدَّنَّكَ عنها بأسباب ألقاها إليك. وقد يمتنع الإنسان عن الشيء بأسباب تعترض وشُبَهٍ تستقبل إن[٤] لم يقدر على منعه بالتصريح والإفصاح. *والله أعلم*. أي **فلا يَصُدَّنَّكَ** عن الإيمان بها، يعني الساعة، **من لا يؤمن بها واتبع هواه**، في التكذيب بها بالشُّبَه والأسباب التي ذكرنا، **فتردى**، أي فتهلِكَ لو صدّك عنها. فالخطاب وإن كان لرسول الله فهو لكل أحد من المؤمنين على ما ذكرنا في غير آي من القرآن فيما خاطب رسوله به.[٥]

*قال أبو عَوْسَجَة: **فتردى**، أي تهلِك[٦] يقال: أرداه[٧] أي[٨] أهلكه، ويقال: تَرَدَّى الرجل، إذا وقع في البئر أو من فوق حائط، ويقال: رديته، أي ألبسته الرداء،[٩] أو ارتديت، أي لبست الرداء؛[١٠] وتردَّيت، مثله.* [٤٧٠و س٢٤ - ٤٧٠و س٢٦]

---

[١] جميع النسخ: ما أخفيها.
[٢] جميع النسخ: بما.
[٣] ر ع م - وهو.
[٤] ر ع م: وإن.
[٥] ع: بها.
[٦] م: تلك.
[٧] م: أراده.
[٨] ر ع م - أي.
[٩] ر ع م: الردا.
[١٠] ن - أو ارتديت أي لبست الرداء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٤-٢٦.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[١٧] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أَتَوَكَّأُ عليها**، الآية. كان موسى -صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه- لم يَفهم مراده بسؤاله إياه أنه ما أراد بقوله: **وما تلك بيمينك يا موسى**، أنه يسأله عن اسمها أو يسأله عما له فيها، فأجاب لأمرين جميعا: عن اسمها وعما له فيها، حيث **قال هي عصاي أَتَوَكَّأُ عليها وأهُشّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أخرى**. ثم قال الحسن: إنه[1] -والله أعلم-[2] كان يعلم أن في يده عصًا، لكنه أراد أن يقرِّر عنده أنه عصا لا حيَّة، ليُرَى له منها آيةٌ فيعلمَ ذلك. أو أن يريد بذلك تنبيهه وإيقاظه ليعلم أنه وقت ما أخذها أخذها[3] عصا[4] فيعلم أنها إذا صارت حية إنما صارت[5] كذا بالآية التي جعلها له لا أنها كانت يومئذ كذلك حية. ***والله أعلم***.

[٤٧٠و س٢٦ *وقوله: **أتوكأ عليها**، أي استعين بها على المشي.[6] وقوله: **وأَهُشُّ بها على غنمي**، أي أضرب الشجرة حتى ينتثر ورقها فتأكله غنمي.[7] والهَشّ الكريم، والبش من البشاشة. قال: والمآرب الحوائج، والإِرْب أيضا الحاجة، والآراب جميع.[8] ويقال: أرِبت الشيء، قسمته وجعلته إرَبًا إرَبًا،[9] أقساما،[10] أي جزيته أجزاء* ٤٧٠و س٢٨]

[٤٧٠و س٢٨ *وفي قوله: **وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي**، دلالة أن الإنسان إذا استُخبر عن شيء فإن عليه أن يخبر المستخبِر عما يستخبر على الإجابة له وإن كان يعلم أن المستخبِر له عن ذلك عالم بذلك، لأن موسى كان يعلم أن ربه كان أعلمَ[12] بما في يده منه،

---

[1] أي الله عز وجل.
[2] ر ع م - أعلم.
[3] ر ع م - أخذها.
[4] ر ع م: عصى.
[5] ر ع م - حية إنما صارت.
[6] ن: الشيء.
[7] جميع النسخ: غنمه.
[8] انظر أيضا: *لسان العرب*، «ارب».
[9] ر ن م: وجعلته إربا.
[10] ر ع م: أقسما؛ ن: قسما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٦-٢٨.
[12] ع: يعلم.

ولم يقل له حين استخبر عما في يده: ربِّ أنت أعلم به مني، ولكنه قال: **هي عصاي**، إجابة له وتعظيما لأمره. *والله أعلم*.* [٤٧٠و س٣٢]

*وفي قوله: **وما تلك بيمينك يا موسى**، دلالة أن العصا إنما تُمسك باليد[٢] اليمنى.* [٤٧٠و س٢٣]

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾[١٩] ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٢٠] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[٢١]

قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حَيَّةٌ تسعى، ثم يحتمل[٤] جعلُها حيةً وإرائةُ[٥] الآية له منها، لما أن قوم فرعون كانوا أهل بصر وحِذْق في ذلك النوع من السحر فأحب أن يُريهم الآية والعلامة من النوع الذي كان لهم فيه بصر وحذاقة، ليعلموا -بخروجها عن وسعهم وطوقهم- أنها آية وعلامة سماوية وربانية[٦] لا بشرية؛ إذ الأعلام التي جعلها الله آياتٍ وأعلاما لرسله على رسالتهم إنما جعلها ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك أنها سماوية ربانية[٧] لا بشرية من سحر أو كهانة.[٨] *والله أعلم*.

ثم قوله: **خُذها ولا تَخَف سنُعِيدها سيرتها الأولى**، على ما كانت في الحالة الأولى عصًا. كان موسى خاف حين صارت حية، وهو ما قال في آية أخرى: فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا،[٩] فعند ذلك قال له: **خذها ولا تخف**، وأخبره أنه يعيدها عصا[١٠] على ما كانت. *والله أعلم*.*

---

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٨-٣٢.

[٢] ن: اليد.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر٢٣-٢٤.

[٤] ر ع م + جعلها حية تسعى ثم.

[٥] ن: وإراء؛ ع: وإرآ.

[٦] جميع النسخ: وربوبية.

[٧] جميع النسخ: ربوبية.

[٨] جميع النسخ: لا بشرية سحرا ولا كهانة، والتصحيح من *الشرح*، ٤٨٤ظ.

[٩] ﴿وألق عصاك فلما رآها تَهْتَزُّ كأنها جان ولَّى مدبرا ولم يُعَقِّبْ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لَدَيَّ المرسلون﴾ (سورة النمل، ١٠/٢٧).

[١٠] م: عصى.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقات برقم ١٦ و١٧ و١٨، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٠و/سطر ٢٣-٣٢.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **واضمُم يدك إلى جناحك تخرجْ بيضاء من غير سوء آيةً أخرى**، وقال في آية أخرى: وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ،[١] وكان في هذا تفسيرُ الأول. وقوله: **من غير سوء**، قال عامة أهل التأويل: **من غير سوء**، أي من غير بَرَصٍ.[٢] كأنهم ذهبوا إلى أن البياض في الإنسان إذا اشتد به حتى يخالف سائر بدنه لا يكون إلا بالبرص، لذلك قال: **من غير سوء**، أي من غير برص بك. **آيةً أخرى**، سوى آية العصا. وجائز أن يكون قوله: **من غير سوء**، أي من غير آفة وعيب بك وأذى،[٣] لأن التغير إذا وقع في بعض بدن الإنسان لا يكون إلا بعيب وآفة تُحَلّ[٤] به، فأخبر[٥] أن ذلك البياض ليس لآفة بك ولا عيب في بدنك ولا فيه أذى، ولكن آية ليريها منها.[٦] *والله أعلم*.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى**، قال قائلون: الآية في اليد أكبر من الآية في العصا، لأن سحر أولئك كان في العِصِيّ والحبال لم يكن في غيره، فأراهم آية في غير ما لهم [به] علم وبصرٌ ليعلموا أن ذلك ليس بسحر ولكن آية من الله أراها إياهم. وجائز أن يقال: آية[٧] العصا[٨] أكبر من آية اليد، لأن أولئك كانوا أهل بصر وعلم في السحر في العِصِيّ[٩] / [٤٧٠ظ] فخروج عصا[١٠] موسى عما احتمل وسعُهم وما به فيه بصر وعلم يدل على أن ما أَتَى موسى ليس هو بسحر ولكن آية من الله؛ لأن فضل بصر الرجل وعلمه في شيء إنما يظهر بمجاوزته في ذلك عن أهل بصر في ذلك النوع وعلم، لا يظهر ذلك على أهل الجهل في ذلك. فعلى ذلك أمر عصا موسى عليه السلام.

---

[١] سورة النمل، ١٢/٢٧.
[٢] *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٧؛ و*تفسير الطبري*، ١٨٤/١٦.
[٣] ن م: واذا.
[٤] ن: يحل.
[٥] ر ع م: وأخبر.
[٦] أي من اليد.
[٧] ر ع م - والحبال لم يكن في غيره فأراهم آية في غير ما لهم علم وبصر ليعلموا أن ذلك ليس بسحر ولكن آية من الله أراها إياهم وجائز أن يقال آية.
[٨] ن م: العصى.
[٩] ر ع: العصا.
[١٠] ن: عصاه.

وجائز أن يكون قوله: **لنُرِيَك من آياتنا الكبرى** التي ذَكَر في آية أخرى، وهو قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.[١] فالآيات[٢] الكبرى هي التسع التي ذكر في هذه الآية، إذ كان لموسى آيات سوى التسع لكن التسع هي الكبرى.[٣] أو أن يكون ذلك لا على تخصيص آية دون آية[٤] بالكبر والعظم، ولكن وصف الكل بذلك، كقوله: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[٥] هو على وصف آياته كلها بالكبر والعظم، وهو كقوله: لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا،[٦] هو على إثبات النفع في كل واحد منهما على ما في الآخر، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم.*

﴿اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **اذهب إلى فرعون إنه طغى**، الطغيان هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت له.[٧] وكذلك كان لفرعون[٨] قد تعدَّى وجاوز الحد في كل شيء، حتى ادَّعى لنفسه الربوبية حيث قال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٩]

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قال رب اشرح لي صدري**، إن موسى سأل ربه أن يشرح له صدره، وذَكر لمحمد[١٠] أنه شَرح له صدره بقوله: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ.[١١] ثم جائز أن يكون شرْحُ صدورهم[١٢] لتوسّع ما حمِّل عليهم من ثقل النبوة والرسالة لتتسع[١٣]

---

[١] ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠١).

[٢] ر ع م: في الآيات.

[٣] جميع النسخ: أكبر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.

[٤] م − دون آية.

[٥] سورة الزخرف، ٤٣/٤٨.

[٦] ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ (سورة النساء، ٤/١١).

[٧] ر ع م − له. أي للمرء.

[٨] ن + لعنه الله.

[٩] سورة النازعات، ٧٩/٢٤.

[١٠] ن: في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[١١] سورة الانشراح، ٩٤/١-٢.

[١٢] جميع النسخ: صدرهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.

[١٣] جميع النسخ: ليتسع.

صدورهم[1] لذلك ويقدروا على القيام بذلك والوفاء به. أو أن يكون سأله شرح صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيب[2] قومهم [إياهم] حين دعوهم إلى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة، كقوله: قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[3] الآية، أخبر[4] أنه يخاف عند تكذيب[5] قومه ضيقَ صدرِه وثقل لسانه، فسأله لذلك أن يشرح له صدره ويُطلق لسانه. ويحتمل ما قاله بعض أهل التأويل: **اشرح لي صدري**، أي ليّن لي قلبي، لأن الرسل[6] قد امتُحنوا في حال واحدة بشيئين متضادّين: بالغضب لله عند تكذيب قومهم إياهم، والرأفة لهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب. فذلك أمران متضادّان خُصّ الرسل بهما. فجائز أن يكون سأل ربه أن يشرح له صدره ليتسع له الأمران[7] جميعًا: الغضب له والرحمة عليهم.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ويسّر لي أمري**، يحتمل تبليغ الرسالة إليهم والقيام بها. أو سأله[8] التيسير لجميع ما[9] أمره به ونهاه عنه.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾[٢٧] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **واحلُلْ عُقدةً من لساني يفقهوا قولي**. يحتمل ما ذكرنا أنه إذا اشتد به الغضب يكِلّ[10] لسانه ويَثْقُل حتى يمنعه عن النطق به، فيظن ذلك اللعين أنه لخوفٍ صار كذلك. أو أن يكون سأل ذلك لآفة كانت بلسانه ما كان يمنعه عن التكلم به، فسأله أن يَحُلّ تلك الآفة والرُّبَّوِيّة[11] التي كانت به.

---

[1] ر ع م: صدرهم.
[2] جميع النسخ: تكذيبهم.
[3] ﴿قال ربّ إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم عَلَيّ ذنب فأخاف أن يقتُلونِ﴾ (سورة الشعراء، ١٢/٢٦-١٤).
[4] ر ع م + أنهم.
[5] ن: تكذيبه.
[6] ر ع: اللسان.
[7] جميع النسخ: الأمرين.
[8] ع: اساله.
[9] ر ع م: بجميع ما.
[10] م: يحمل.
[11] ر: الربوبية؛ ن: الرتوتية؛ م: الربربية. لعل الربوية مصدر صناعي من الرُّبَّى وهي العُقْدة المحْكمة (*لسان العرب*، «ربب»).

وأما قول أهل التأويل: إنه أخذ بلحية فرعون فلطمه فأراد أن يعاقبه، فقالت له امرأته: إنه فعل ذلك لأنه[١] لا يعقل؛ فأتى بِطَسْتٍ[٢] من جمر وطست[٣] من حُلِيٍّ فهَمّ أن يتناول من الحلي فأهوى جبريل بيده إلى الجمر فأخذه وجعله في فيه؛ فتلك الرُّتَّوِية[٤] التي سأله أن يحُلَّها لذلك.[٥] لكن ذلك لا يعلم إلا بالوحي عن الله أنه كذلك. **والله أعلم**.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾[٢٩] ﴿هَارُونَ أَخِي﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي**، سأل ربه أن يجعل أخاه معه وزيرا له ومشاوره[٦] ليتحمّل عنه بعض ما حُمّل عليه من الأثقال. إذ قيل: الوزير هو الذي يتحمّل عن المَلِك بعض ثِقَل ما حُمِل.

﴿اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[٣١] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **اُشْدُد به أزري**، قال بعضهم: قوتي، ظهري. وقال بعضهم: **اُشْدُد به أزري**، أي عوني، وكذلك ذكر في حرف حفصة.[٧] وقرأ بعضهم: أَشْدُدْ به أزري، على الخبر من موسى، وكذلك في قوله: وأَشرِكْه في أمري. وأما قراءة عامة القراء[٨] فهي[٩] على الدعاء والسؤال.[١٠]

وقال أبو عَوْسَجة: **اشدد به أزري**، أي ظهري. ويقال: آزَرْتُه، أي أعنتُه. ويقال: توازروا، أي تعاونوا. واستَوْزرته، أي استعنت به، ومن هذا أُخذ الوزير. وقال القُتَبِي: **أزرى**، ظهري. ويقال: آزرتُ فلانا على الأمر، أي قوّيته عليه. فأما وازرتُه، فصرتُ[١١] له وزيرا. وأصل الوِزارة من الوِزْر، وهو الحمل، كأن الوزير يتحمل[١٢] عن السلطان بعض الثِقَل ويرفع عنه.[١٣]

---

[١] م: فانه.
[٢] ر ع م: طشت.
[٣] ر ع م: طشت.
[٤] ر: الربوبية؛ ن: الرتوتية؛ م: الربربية.
[٥] انظر: تفسير *الطبري*، ١٦/١٨٦.
[٦] ر ع م: يشاوره.
[٧] لم أجده.
[٨] ر: قرأه عامة القراة.
[٩] جميع النسخ: فهو، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.
[١٠] ع: والسوال.
[١١] ر: نصرت.
[١٢] ع: يحتمل.
[١٣] ع – عنه. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٨.

وموسى[1] سأل ربه أن يُعينه بأخيه ويقوّيه[2] به فيما حمله وأن يُشركه فيما قلّده[3] من الرسالة والقيام بها، فأجابه الله بذلك[4] حيث قَالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ.[5]

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾[٣٣] ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **كي نُسبِّحك كثيرا**، يحتمل **كي نُسبِّحك كثيرا**، أي نصلي لك كثيرا[6] بالجماعة، لأن الصلاة بالجماعة تتضاعف على الصلاة وحده. أو أن يُعِينَ بعضنا بعضا[7] على التسبيح لك والذكر ونحوه.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنك كنت بنا بصيرا**، أي إنك بضعفنا وعجزنا فيما حمّلتنا وقلّدتنا بصيرا، عالما. *والله أعلم*.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **قال قد أوتيت سؤلك يا موسى**، أي أُعطيتَ ما سألت. وكان سأله أشياءَ فأوتي. فقوله: **سُؤْلك**[8] وسُؤَالك[9] ومَسْئَلَتك لغات ثلاث كلها واحد.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾[٣٧] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾[٣٨] ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ولقد مننّا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحَى**، الآية.

---

[1] ر ع م: موسى.
[2] ر ع: وتقوية.
[3] ر: قدره.
[4] ر: لذلك.
[5] ﴿قال سَنَشُدُّ عَضُدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يَصِلُون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتّبعكما الغالبون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٥).
[6] ر ع م – أي نصلي لك كثيرا.
[7] ر ع م – بعضا.
[8] ع – سؤلك.
[9] ر م – وسؤالك.

[٤٧١و] يشبه أن يكون المنة حين أنجاه في ما ابتُلي / بالبرد[١] واشتباه[٢] الطريق حتى قال: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ،[٣] فتلك المنة الأخرى. أو أن يكون المنة التي ذَكَر هي[٤] ما أنجاه الله حيث قتل[٥] ذلك القبطي[٦] فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ الإياس[٧] فتلك المنة التي ذكر. أو ما ذَكَر من الوحي إلى أمه **أن اقذفيه في التابوت**.

وقال بعضهم: **مننَا عليك**، مع النبوة **مرة أخرى**. ثم بيّن النعمة فقال: **إذ أوحينا إلى أمك ما يوحَى**، إلى آخر ما ذَكَر. وإلى هذا ذهب أهل التأويل. وإلا قد كان منه إليه من المِنَن مالا يحصى. ***والله أعلم***.

ثم الكلام في ما أَلهم أمه وأَلقي في رُوعها أن تَقْذِفَه في البحر أنه يسع لها[٨] أن تفعل[٩] ذلك ويحِلُّ أو لا؟ إذ قد يجوز أن يكون من الشيطان مثل هذا، نحو ما قال: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ،[١٠] الآية، فلم يعرفوا وقت ما كلمهم بهذا هو شيطان أو غيره. فعلى ذلك يجوز أن يلقي الشيطان إليها، فكيف وسِع لها أن تعمل ما علمت من الأخطار؟[١١] لكن يجوز أن يكون في ذلك الإلهامِ وما أُلقي إليها آيةٌ ومعنًى عرفتْ بذلك أن ذلك من الله لا من أحد سواه. أو أن يكون الله رفع الحجاب والموانع من قلبها[١٢] وصار لها ذلك كالعيان. أو صارت كالمُضْطَرَة إلى ذلك فوسِع لها ذلك لما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وألقيتُ عليك محبة مني**، قال عامة أهل التأويل: ألقَى عليه محبةً في قلب امرأة فرعون، حيث قالت: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ،[١٣] الآية، لكن ألقى محبة في قلب امرأته

---

[١] ع: بالرد.
[٢] ع: واستباه.
[٣] سورة القصص، ٢٩/٢٨.
[٤] جميع النسخ: هو.
[٥] ر ع م – قتل.
[٦] ن + به.
[٧] ن: اليأس.
[٨] ن: لهذا.
[٩] ر ع م: يفعل.
[١٠] ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكَص على عَقِبَيْه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).
[١١] الخَطَر: الإشراف على الهلاك.
[١٢] ر: قبلها.
[١٣] سورة القصص، ٩/٢٨.

وقلب فرعون أيضًا حتى كان أشفقَ الناسِ عليه وأحبَّهم إليه[1] بعد ما كان يقتل الولدان لسببه[2] ليجده ويظفرَ به. يذكره عز وجل رحمته عليه ومنته له، وهو المنة التي ذكر حيث قال: **ولقد مننا عليك مرة أخرى.**

وقوله عز وجل: **ولِتُصْنَعَ على عيني**، أي ألقيتُ عليك محبة مني ولتُصْنَعَ على عيني،[3] والصنع هو فعل الخير والمعروف، أي ليُصْنَعَ[4] إليك المعروف والإحسان. وقوله: **على عيني**، قال[5] بعضهم: **على عيني**، لِتُغَذَّى[6] على حفظي، يقال: عينُ الله عليك، أي كن في حفظ الله، وهو قول الحسن وقتادة. وقال بعضهم: لتُرَبَّى على عيني، أي على علمي. والأول أشبه.[7]

[٤٧١ظ س١] *قال أبو عَوْسَجَة: **ولِتُصْنَعَ على عيني**، أي تُرَبَّى بعيني. وسئل[8] عن العين فقال: العين العِلم ههنا. والعين في غير هذا المالُ، والعين الأديم المتخرق؟[9] والعين المصدر، من عان يَعِين فهو عائن، والمفعول به معيون إذا أصابه عين.[10] والعين الحقيقة، كقولك: هذا بعينه، أي بحقيقته. قال: والعِينة[11] السَّلَف.[12] ومثله قوله: وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا.[13] **على من يكفُله**، أي يضمُّه ويضمَنه.* [٤٧١ظ س٤]

---

[1] ر ع م – إليه.

[2] ر ع: بسببه.

[3] ر ع م – أي ألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني.

[4] ر ع م: لتصنع.

[5] م: وقال.

[6] ر ع: لتعدى.

[7] قال الطبري: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ﴿ولتصنع﴾ بضم التاء لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وإذا كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به التأويل الذي تأوله قَتادَة، وهو: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾، ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني. وعَنَى بقوله: عَلى عَيْنِي بمرأًى مني ومحبةٍ وإرادة (*تفسير الطبري*، ١٦/ ١٨٩-١٩٠).

[8] ع: سيل.

[9] م: المتحرق. قيل: التعيُّن في الجلد أن يكون فيه دوائر رقيقة مثل الأعيُن، وليس ذلك بقوي. وسِقاء عيِّنٌ ومتعيِّن: إذا رق فلم يمسك الماء (*لسان العرب*، «عين»).

[10] جميع النسخ: بعين.

[11] والعِينةُ: أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به (*لسان العرب*، «جبى»).

[12] انظر لمعاني السلف وقسْمَيه كعقدٍ تجاري: *لسان العرب*، «سلف».

[13] سورة هود، ١١/٣٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر١-٤.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله**، أي من يضمه. [ومنه][١] يسمى كافلَ اليتيم الذي[٢] يضمه ويحفظه، وهو كقوله: أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ،[٣] أي يضمها ويحفظها. فهذا يدل أنه صار[٤] عندهم من أحب الناس إليه[٥] وأشفقهم عليه، حيث قال: **هل أدُلُّكم على من يَكْفُلُه**. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينُها**، حيث قال لها: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ،[٦] وعدها أن يرده إليها فرده.

وقوله عز وجل: **كي تقرَّ عينُها ولا تحزنَ**، أي يذهب[٧] حزنها الذي كان، لأنها قد كانت حزينة بطرحها إياه في اليَمِّ. ألا ترى[٨] أنه قال: إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ،[٩] الآية. هذا يدل أن قوله: **ولا تحزنَ**، أي [كي] يذهبَ حزنُها الذي كان لها.

وقوله: **وقتلتَ نفسا فنجَّيناك من الغم**، يحتمل أن يكون الغم الذي أخبر أنه نجّاه منه هو الخوفَ الذي كان به بقتل[١٠] ذلك القبطي،[١١] حيث قال: إِنِّي أَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ،[١٢] وقوله: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ،[١٣] ونحوه. أو نجّاه[١٤] من أنواع الغموم،[١٥] إذ كان له غموم.

---

[١] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٥ظ.

[٢] ر ن م – الذي.

[٣] ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنتَ لديهم إذ يُلْقون أقلامَهم أيُّهم يَكْفُلُ مريم وما كنتَ لديهم إذ يختصمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٤).

[٤] جميع النسخ: كان (انظر: *الشرح*، ورقة ٤٨٥ظ).

[٥] ر ع م: من أحب إليه الناس.

[٦] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أَرْضِعِيه فإذا خِفْتِ عليه فألقيه في الْيَمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧).

[٧] ر ع م: تذهب.

[٨] ن: ألا يرى.

[٩] ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لَتُبْدِي به لولا أن ربَطْنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٠).

[١٠] ر: يقتل.

[١١] ع: يقتل بعض القبطي.

[١٢] ﴿قال ربِّ إني قَتَلْتُ منهم نفسا فأخاف أن يقتلونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٣).

[١٣] سورة القصص، ٢٨/٢١.

[١٤] ر: يخاف.

[١٥] ر ع: العموم.

وفي الآية دلالة أن لا قصاصَ[1] يجب في شِبْه العَمْد وإن كان الضرب بشيء لا نجاة فيه، لأن موسى صلوات الله على نبينا وعليه كانت له قوة أربعين نفرًا على ما ذُكر، فإنما لَطَمَه لَطْمَة فَقَضَى عَلَيْهِ؛ ثم قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.[2] هذا يدل أنه كان لا يحِلُّ له قتله.[3] ثم قال: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[4] سماهم ظَلَمَة فلو كان يجب[5] القصاص لكان لا يسميهم ظلمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وفتنَاكَ فُتُونا**، قال بعضهم: **فُتُونا**، هو جمع فتنة، أي **فتنَاكَ** فِتَنًا.[6] وقيل:[7] هو مصدر الفتنة، أي ابتليناك ابتلاءً، أي بلاءً على إثر بلاء.[8] ثم يحتمل الابتلاءَ[9] في البلايا والشدائد والغموم التي ذكر أنه نجّاه منها. ويحتمل النعم والخيراتِ، إذ لم يكن الأنبياء في جميع الأوقات في البلاء، ولكن كانوا في وقت في بلاء وشدة وفي وقت آخر في نعمة وخير أو فتنةٍ بهما جميعا على ما أخبر وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.[10]

وقوله: **فلبثتَ سنين في أهل مدين**، هذا –والله أعلم– من المنة التي ذكر حيث قال: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى.[11] **ثم جئت على قَدَرٍ يا موسى**، قال بعضهم: بالنبوة والرسالة. وقال بعضهم: على موعود، أو **على قَدَر**، وقتَ المجيء. فكيف ما كان ففيه أن مجيء العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه، وفيه أنه يجعل الأمور بأسباب وإن كان قادرًا[12] أن يجعل بغير أسباب.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واصطنعتك لنفسي**، أي اخترتك واصطفيتك لرسالتي ونبوتي. فذكر نفسه لأنه بأمره يقوم بأداء ذلك.

---

[1] ن: أن القصاص.
[2] ﴿فَوَكَزَه موسى فقضَى عليه قال هذا من عمل الشيطان﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).
[3] أي لا يحل عنده وفي اعتقاده قتله، فإنما قتله خطأ أو شبه العمد.
[4] سورة القصص، ٢١/٢٨.
[5] جميع النسخ: فلو كان يحل القتل ويجب.
[6] ر ع م: فتونا.
[7] جميع النسخ – وقيل.
[8] ر ع م – على إثر بلاء.
[9] ر ع م – ثم يحتمل الابتلاء؛ جميع النسخ + والفتنة.
[10] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[11] سورة طه، ٣٧/٢٠.
[12] ر م – قادرا.

واصطنعتك،[1] أي استخلصتك لنفسي. فإذا لم يَفهم من قوله:[2] لنفسي، ذاته كيف يفهم [من] وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي،[3] ما يفهم[4] من الخلق؟[5] ولا يَتصور هذا وأمثاله في وهمٍ إلا من اعتقد التشبيه و لم يعرف ربه. وإلا لو عرف ربه حق معرفته لكان لا يتصور / في وهمه تشبيه الخلق به[6] ولا تشبيهه بخلقه. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.[7] [٤٧١ظ س ٣٥] [٤٧٢و] [٤٧٢و س ١]

وقال أبو عَوْسَجَة: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى،[9] أي وقت المجيء. واصطنعتك، أي أخلصتك لنفسي. وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي،[10] أي لا تُقصِرا ولا تَعجِزا.[11] والله أعلم. [٤٧١ظ س ٥] [٤٧١ظ س ٧]

﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **اذهب أنت وأخوك بآياتي**، هو ما ذكرنا. وقوله: **ولا تَنِيَا في ذكري**، أي لا تضعُفا[13] في الدعاء إلى ديني وتوحيدي. في حرف عبد الله بن مسعود: ولا تَهِنَا[14] في ذكري،[15] في البلاغ إلى فرعون أنه طغى. أمرهما أن لا يقصِرا ولا يَعجِزا في تبليغ الرسالة إليه والدعاء إلى دينه حيث قال: اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا.[16]*

﴿اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[٤٣] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٤٤]

/وقوله عز وجل: **فقولا له قولا لَيِّنًا**، لأن القول اللين يكون أقرّ وأثبت في القلوب وأنجع [٤٧١ظ]

---

[1] ن: واصطفيتك.
[2] ن – من قوله.
[3] سورة طه، ٤٢/٢٠.
[4] ر ع م: لم يفهم.
[5] أي كما أنْ لا يسع أن نفهم من قوله: "نفسي" نفسًا مثل نفس الخلائق، كذلك لا يسع أن نفهم من قوله: "عيني" عينا حقيقةً.
[6] ع: وبه.
[7] سورة الإسراء، ٤٣/١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر٣٧ - ٤٧٢و/سطر١.
[9] الآية السابقة برقم ٤٠.
[10] الآية الآتية برقم ٤٢.
[11] ر: لا تقصر او لا تعجز.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية برقم ٤٤ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر١-٧.
[13] انظر: تفسير *الإمام مجاهد*، ٤٦٢.
[14] ن: ولا تنيا؛ ع: ولا تهيا؛ م: ولا تهينا.
[15] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٠.
[16] الآيتان الآتيتان.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقات برقم ٣٩-٤١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر١-٧.

وأقرب إلى الإجابة والقبول من القول الخشن البارد، وخاصة في الملوك والرؤساء؛[1] إذ طباعهم لا تحتمل ذلك ولا ينجع[2] فيهم، بل أكثر صولتهم على من دونهم إنما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهون. فأمر عز وجل رسولَيْه[3] موسى وهارون أن يقولا له: قولا ليّنا، ويُلطِفا معاملته ليكون أقرَّ[4] وأثبت في قلبه وأنجع. ولذلك قال: **لعله يتذكر أو يخشى**. قال الحسن: كل "لعل"[5] من الله فهو على الإيجاب،[6] لأنه قد تَذَكَّر وخشِي، حيث قال: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ،[7] الآية، وحيث قال: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[8] لكن لم ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، لأنه إيمان دفع واضطرار.[9] وقال بعضهم: **لعله يتذكر أو يخشى**، في علومكم. فإن كان على هذا فهو يحتمل الشك، وإن كان على الأول فهو على الإيجاب لا يحتمل[10] الشك.

ثم اختلف في القول اللين. قال ابن عباس:[11] هو قول الله: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى،[12] فتُوَحِّدَ. قال: هذا القولُ اللين.[13] وعن الحسن: **قَولا ليّنا**، أي قَولا حقا، قُولا له: إن لك بدءًا[14] وإن[15] لك مرجعا.[16] وقال بعضهم: **قَولا ليّنا**، قول لا إله إلا الله. وقال بعضهم: أي كَنِّيَاه،[17] ونحوه. وأصله ما ذكره[18] بدءًا.[19]

---

[1] ع: الرؤساء.
[2] ر: تبخع.
[3] ر ع م: رسوله.
[4] ر ع م: أقرب.
[5] ن ع + هو.
[6] نقل أيضا من أبي بكر محمد بن عمر الوراق (*تفسير البغوي*، ٤/١٤).
[7] سورة الأعراف، ٧/١٣٤.
[8] سورة يونس، ١٠/٩٠.
[9] ر: واضطرد.
[10] ر: لا يحصل.
[11] ر + قال.
[12] ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلَى أن تزكّى وأهديَك إلى ربك فتخشى﴾ (سورة النازعات، ٧٩/١٧-١٩). انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٤٤-٣٤٥.
[13] لم أجده عن ابن عباس، ولكن عن ابن مسعود (انظر: *تفسير القرطبي*، ٦/٢٠٠).
[14] ر ن: معادا.
[15] ر ن: إن.
[16] *تفسير الحسن البصري*، ٢/١١٧ (... وإن بين يديك جنة ونارًا).
[17] ر ع م: أي لينا؛ ن: أي ليناه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦و (من التكنية، أي تكلَّما معه بالكناية).
[18] ن: ذكرنا.
[19] ر: بديا.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **قالا ربنا إننا نخاف أن يَفرُط علينا أو أن يطغى**. قال أهل التأويل: قوله: **أن يَفرُط علينا**، أي[1] يَعجَل[2] بالعقوبة من قبل أن يسمع حجتنا، **أو أن يطغى**، بقتلنا بعد ما سمع الحجة منا. وجائز أن يكون أحدُ هذين في الفعل والآخر في القول: **أن يفرط علينا أو أن يطغى**، أيهما كان؛ لأنه قَالَ في الجواب لهما: لَا تَخَافَا[3] إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[4] أي أسمع ما يقول لكما وأرى[5] ما يفعل بكما. فهذا يدل -والله أعلم- أن قوله: **أن يَفْرُطَ علينا أو أن يطغى**، يرجع أحدهما إلى القول والآخر إلى الفعل، لأنه قال في وقت: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[6] ونحوه. ***والله أعلم***.

[٤٧١ظ س٣٥ *وقال القُتَبي: **أن يَفرُط علينا**، أي[7] يَعْجَل ويُقدِم؛[8] الفَرط، التقدم والسبق.[9] وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا فَرَطُكم على الحوض».[10] وهو من السبق. وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: **أن يَفرُط علينا**، أي يعجَل، يقال: فرَط يفرُط فرطًا، أي عَجِلَ. وقال: وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي،[11] أي لا تقصِرا ولا تعجِزا[12] في البلاغ.* ٤٧١ظ س٣٧]

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٤٦]

وقوله: **لا تخافا**، يحتمل على نفي الخوف عنهما وإثبات الأمن لهما،[14] كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[15] ليس على النهي عن الحزن، فعلى ذلك الأول. وقوله عز وجل: **إنني معكما**،

---

[1] ع: أن.
[2] ر ع م: يجعل.
[3] م: قال لا تخافا.
[4] الآية التالية.
[5] ع - أي أسمع ما يقول لكما وأرى.
[6] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.
[7] ع: أن.
[8] م + قالوا.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٩.
[10] *صحيح البخاري*، الرقاق ٥٣؛ و*سنن ابن ماجه*، الزهد ٣٦.
[11] الآية السابقة برقم ٤٢.
[12] ر: ولا تعجز.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٨ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ٣٥-٣٧.
[14] جميع النسخ: على نفي الخوف والأمن منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦و.
[15] ﴿لا تمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفِض جناحك للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٨٨/١٥). وانظر: سورة النحل، ١٢٧/١٦.

في النصر والمعونة لكم والذبّ[1] عنكم والدفع، **أسمع ما يقول وأرى** ما يفعل. وقد كان كل منه إليهما: النصر والمعونة لهما والدفع عنهما.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **فأتياه فقُولا إنا رسولَا ربِك**، يشبه أن يكون قوله: وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي[2] هذا.[3] أي لا تضعُفا في تبليغ الرسالة ولكن قُولا: **إنا رسولَا ربِك فأرسل معنا بني إسرائيل**. لا يحتمل أن يكون أوّلَ ما أتياه قالا أن أرسل معنا بني إسرائيل، بل قد سبق منهما الدعاء إلى توحيد الله والإقرار له بالألوهية والربوبية. فإذا ترك الإجابة فعند ذلك قالا له: **فأرسِل معنا بني إسرائيل ولا تعذِّبهم**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما كأنه كان[4] يمنع بني إسرائيل عن الإسلام وهم أرادوا الإسلام فقال: **أرسل معنا بني إسرائيل**، ولا تمنعهم عن الإسلام. أو كان يستعبدهم فأمره أن يستنقذهم من يديه، كقوله: أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[5] ألا ترى[6] أنه قال: **ولا تعذِّبهم**. وقوله: **قد جئناك بآية من ربك**، وهو ما قال: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ.[7]

وقوله: **والسلام على من اتبع الهدى**. هذا يدل أنه لا يُبْدأ بالسلام على أهل الكفر، ولكن يبدأ بأهل الإسلام. وفيه أن تحية أهل الإسلام هو السلام لا قول الناس: أطال الله بقاءك،[8] ونحوه.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى**، كأنه قال: وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[9] **والعذاب على من كذب وتولَّى**. والسلام هو اسم كل خير وبِرٍ.*

---

[1] ر ع: والدب.

[2] سورة طه، ٢٠/٤٢.

[3] أي يفسَّر بهذه الآية.

[4] ن: كان كأنه.

[5] ﴿وتلك نعمة تمُنُّها عَلَيَّ أن عبَدتَ بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٢).

[6] ن: ألا يرى.

[7] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.

[8] جميع النسخ: بقاك.

[9] الآية السابقة.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين رقم ٤١ و٤٥، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧١ظ/سطر ٣٥ - ٤٧٢و/سطر ١.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[٤٩] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٥٠]

/ وقوله[١] عز وجل: **قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلْقه ثم هدى**، وقال في آية أخرى: [قَالَ فِرْعَوْنُ] وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،[٢] الآية، و رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا.[٣] سأله عن ماهيته[٤] فأجابه موسى عن آثار صنعه في خلقه وأنه رب كل شيء ورب[٥] ما ذَكَر. لم يجبه عما سأله من ماهيته[٦] وكيفيته، حيث قال: **فمن ربكما يا موسى؟** فجوابه عن الماهية:[٧] ربُّنا فلان وأنه كذا. ففيه دلالة أن الله لا يُعرف من جهة الماهية[٨] والكيفية؛ إذ لا ماهية[٩] له ولا كيفية، إذ[١٠] هما أوصاف الخلق، فإنه سبحانه يتعالى عن أن يوصف بشيء من صفات الخلق. [٤٧٢و]

ثم يحتمل قوله: **أعطى كلَّ شيء خَلْقه ثم هدى**، وجوها. أحدها أعطى كل شيء صورته وهيئته؛ أو أنْ أعطى كل شيء جنسه وشكله؛ أو أَنْ أعطى كل شيء[١١] ما به معاشُه وقوامه. أو أن يقال: أعطى كل شيء خلقه[١٢] يكون [بعد الفناء][١٣] صورةً ما قد كان[١٤] ليعلم أنه قادر على بعثهم على الصورة التي كانت.

وقوله عز وجل: **ثم هدى**، فهو على قوله: **أعطى كل شيء خلْقه**، فإن كان التأويل **أعطى كل شيء** صورته وهيئته فقوله: **ثم هدى**، للنجاة؛ وإن كان **أعطى** جنسه وشكله ثم هداه للنسل؛

---

[١] ع + وقوله.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٣-٢٤.
[٣] سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.
[٤] ر: مائية؛ ع م: مائيته. المائية والماهية مصدران مجعولان من "ما" في نفس المعنى؛ ولكن الأخرى -بالتسهيل- شاعت لكونها أسهل للنطق.
[٥] ن: رب.
[٦] ر: مائة؛ ع م: مائيته.
[٧] ر ع م: المائية.
[٨] ر ع م: المائية.
[٩] ر ع م: مائية.
[١٠] ن: ان.
[١١] ن + خلقه.
[١٢] ر ع م – صورته وهيئته أو أن أعطى كل شيء جنسه وشكله أو أن أعطى كل شيء ما به معاشه وقوامه أو أن يقال أعطى كل شيء خلقه.
[١٣] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٦و.
[١٤] ر ع م + معاشه وقوامه؛ ن + ومعاشه وقوامه.

وإنْ كانَ[1] قوله: **أعطى كل شيء**، ما به معاشُهم وقوامهم، ثم هداهم[2] لما يتعيشون به ويقومون به، وهداهم[3] لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[٥١] ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب**، قال بعضهم: إنما سأل فرعون موسى عن القرون الأولى، لأنه سمع من ذلك الرجل المؤمن حين قال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ،[4] ولم يكن لموسى بهم علم فوكَّل علمهم إلى الله، ثم أنزل الله عليه التوراة فبيَّن له فيها أمرهم. وقال بعضهم: سأل فرعون موسى ذلك، لأن موسى أخبر أنه يُبعث وخوَّفه على ذلك، فعند ذلك قال: **فما بال القرون الأولى**، لم يُبعثوا منذ أُهلكوا؟ فقال له ما قال. وقال بعضهم: قوله: **فما بال القرون الأولى**، إنما سأله عن حال القرون الأولى أهم في الجنة أم[5] في النار؟ فقال: **علمها عند ربي**. وقال بعضهم: إنما سأله عن أعمالهم، فما أعمال القرون الأولى؟ فقال: **علمها عند ربي**، أي أعمالهم عند ربي في كتاب، كقوله: كِتَابٌ[6] مَرْقُومٌ،[7] وقوله: سَائِقٌ وَشَهِيدٌ.[8]

[٤٧٢و س٣١] *وقال بعضهم: **فما بَالُ القرون الأولى**، أي ما حالها؟ يقال: أصلح الله بالك، أي حالك.*

وقوله: **في كتاب**، قال بعضهم: الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم. وقال بعضهم: في اللوح المحفوظ. **لا يضل ربي ولا ينسى**، قال: هما[10] واحد، **لا يضل ولا ينسى** ذلك الكتاب.

[1] ر ع م – كان.
[2] جميع النسخ: ثم هداه.
[3] جميع النسخ: وهداه.
[4] سورة المؤمن، ٣٠/٤٠.
[5] جميع النسخ: أو، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ.
[6] ر ع م – كقوله كتاب.
[7] ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سِجّين وما أدراك ما سِجّين كتاب مرقوم﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٧-٩).
[8] ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٠-٢١). قال المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قال بعضهم: السائق الذي يقبض روحه، والشهيد الذي يحفظ عمله. وقال بعضهم: السائق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته، والشهيد الذي يكتب حسناته» (*تأويلات القرآن*، نشر الخيمي، ٥٦٢/٤).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٢و/سطر٣١-٣٢.
[10] أي الضلالة والنسيان.

وقُرِئ: لا يُضِلُّ، أي لا يُضِلُّ [ربي] من خُتم بالهدى؛ ولا يُضَل، أي لا يُضَل ذلك الكتابُ الذي ذَكَر.[١] ليس أنه يرجع إلى قوله: فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى.[٢]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **الذي جعل لكم الأرض مهدا**، هو على قوله: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.[٣] **الذي جعل لكم الأرض مهدا**، أي فراشًا؛ والذي[٤] **سَلَكَ لكم فيها سبُلاً**، والذي **أنزل من السماء ماء**. يذكر نعمه التي أنعمها عليهم. يقول: **جعل لكم الأرض**، بحيث تفترشون وتتعيشون[٥] فيها وتَقِرُّون عليها بعد ما كانت تَمِيدُ بكم. **وسَلَكَ لكم فيها سبُلاً**، أي طرقا تسلكون فيها وتختلفون إلى البلدان[٦] النائية في حوائجكم وما به معاشكم وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قُضيت حوائجكم. **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به**، أي الماء، **أزواجا من نبات شَتَّى**، ما به معاشكم وقوامكم وقوام[٧] أنعامكم على اختلاف ما جعل لكل[٨] دابة من ذلك قوتا وغذاء[٩] لم يجعل ذلك لغيرها. لأن من الدواب ما يأكل النبات، ومنها ما يأكل الحَبّ، ومنها ما يأكل اللحم ونحوه.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[٥٤]

كلوا وارعوا أنعامكم، أي كلوا أنتم ما به قوامكم، **وارعَوْا أنعامكم** فيما به[١٠] قوامها. **إن في ذلك لآيات لأولي النُّهَى**. قال بعضهم: **لأولي النُّهَى**، أي لأولي العقول. وقال الحسن: **إن في ذلك لآيات** للذين يتناهَوْن عما نُهوا عنه.[١١] وقال بعضهم: **لآيات لأولي** الورع.

---

[١] «أي لا يَضل ذلك الكتابُ من ربي ولا يَفقد ولا يَعدم» (*الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ).
[٢] سورة طه، ١٢٣/٢٠. أي ليست هذه الضلالة كالضلالة في هذه الآية بل بمعنى النسيان.
[٣] سورة طه، ٥٠/٢٠.
[٤] ر: الذي.
[٥] م – وتتعيشون.
[٦] ع: البلدان ان.
[٧] ر – وقوام.
[٨] م: الكل.
[٩] ن: وغداء.
[١٠] ع – قوامكم وارعوا أنعامكم فيما به.
[١١] لم أجد عن الحسن ولكن عن الضحاك. انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٦٩/٢.

وأولو النُّهَى[1] هم أهل العقول، لأنه بالعقل يُنهَى وبه[2] يُنتهى وبه يؤمر ويُؤتمَر، فذلك آيات لهم. وكذلك قال القُتَبِي: **لأولي النُّهَى**، أولي العقول، وقال: النُّهْيَة العقل.[3]*

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **منها خلقناكم وفيها نُعِيدكم**، يحتمل قوله: **منها خلقناكم**، وجوها. أحدها منها خلقنا أصلكم، وهو خلق آدم. لكنه أضاف خَلْقَنا إليها[5] وإن لم نُخلَق[6] منها، كما أضاف الإنسان إلى النطفة وإن لم يكن الإنسان منها، لكنه أضاف إليها لأنها أصل الإنسان. فعلى ذلك إضافة خلق أنفسنا إلى الأرض. والثاني نسبَنا إليها لأنا من أول ما ننشأ[7] إلى آخر ما ننتهي[8] إليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الأرض، فنَسَب خلقنا إليه. وهو ما قال: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا،[9] واللباس على هيئةٍ ما هو لم يَنزِل من السماء،[10] لكنه أضاف إليها[11] لأنه كان بأسباب من السماء وأصله منها.[12]

وقال بعضهم: ذُكر أن المَلَك ينطلق فيأخذ من تراب ذلك المكان الذي يُدفن فيه الإنسان فيذره[13] على النطفة التي قضى الله منها الولد فيُخلق من التراب والنطفة، فذلك معنى الإضافة إليها. لكن هذا سمعي لا يعرف إلا بالخبر. فإن ثبت فهو هو، وإلا لا يجوز أن يقال ذلك رأيًا.

[٤٧٢ظ] وقوله عز وجل: **وفيها نعيدكم**، / يحتمل قوله: **وفيها نعيدكم** إذا متم، أي تُقبرون فيها. فيخرج مخرج الامتنان علينا، وذلك لنا خاصة دون غيرنا[14] من الحيوان لئلا نَتأذّى[15] بهم،

---

[1] ر ع م: وأولي النهى.

[2] م - ينهى وبه.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٩.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية برقم ٥٤ فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٢و/سطر٣١-٣٢.

[5] جميع النسخ: إليه. أي إلى الأرض.

[6] ر ع م: لم يخلق.

[7] ن: ينشأ.

[8] ن: ينتهي.

[9] سورة الأعراف، ٧/٢٦.

[10] أي ولم يقل الله عز وجل أنه أنزل اللباس "من السماء". فمعنى الإنزال تصيير الناس بمرتبة عقل يوجدون بها اللباسَ؛ كما في كشف الحديد.

[11] جميع النسخ: إليه.

[12] جميع النسخ: وأصل منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ.

[13] م: يبذره.

[14] ن: غيرها.

[15] م: لئلا يتأذى.

كقوله: ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ.[1] أو أن يكون قوله: **وفيها نعيدكم**، أي تصيرون ترابًا إذا متم. فيخبر عن قدرته وسلطانه، أي من قدر على أن يصيّر الإنسانَ ترابًا بعد أن لم يكن ترابًا لقادر على أن يُصَيِّر إنسانا على ما كان بعد ما صار ترابا. وهو ما قال **ومنها نُخرِجكم تارة أخرى**، أي منها نبعثكم ونُنشِئكم مرة أخرى. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أريناه آياتنا كلها**، ولم يُرِهِ جميع آياته إنما أراه بعض آياته، لكن إن كان المراد منها الإعلام له فقد أعلم[2] الآيات كلَّها، لأنه إذا أراه آية واحدة أو بعض الآيات فرؤية آيةٍ واحدةٍ أو بعضها تدل على إعلام غيرها من الآيات؛ فهو على الإعلام، قد أعلمه كلها. وهو ما قال له موسى: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [بَصَائِرَ].[3] علم اللعين أنها آيات وليست[4] بسحر. أو أن يكون يريد بالآيات كلِّها[5] الآيات التي أرسلها إلى موسى؛ فقد أراه ذلك كلها. **فكذب** بتلك الآيات **وأبى** أن يصدقها ويقبلها[6] فيُسلِم.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**، قد علم اللعين أنه لم يجئهم ليخرجهم من أرضهم ولكنه يريد منهم الإسلام، لكنه أراد أن يُغْري قومه عليه كقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[7] فهذا إغراء منه قومه عليه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نُخلِفُه نحن ولا أنت مكانًا سُوَى**، قال بعضهم: **سُوَى**، المكان الذي نحن فيه الآن وغير هذا المجلس.[8] وقال بعضهم: مكانا عدلا، لا نخلف نحن وأنت ذلك المكان. وقال بعضهم: **مكانا سُوَى**، أي مَنْصَفًا.

---

[1] سورة عبس، ٢١/٨٠.
[2] ع: علم؛ ن + له.
[3] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[4] جميع النسخ: أنها الآيات و ليس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٦ظ.
[5] ر + الآيات كلها.
[6] ر: وبقلها.
[7] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[8] أي في نفس المكان ولكن في وقت آخر.

وقال القُتَبِي: **مكانا سُوَى**، أي وسطا بين فريقين.[1] وقال[2] الكسائي: سُوى وسِوى، يريد به سواء، وهما لغتان إلا أنه يقرأ **سُوَى**. وقال أبو عبيدة: هو مثل قوله طِوًى وطُوًى،[3] وهو النَّصَف.[4]

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **قال موعدكم يوم الزينة**، قال بعضهم: يوم عاشوراء،[5] وقال بعضهم: يوم العيد، وقال بعضهم: يوم سُوقهم؛ لكنا لا نعلم ذلك وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة. وهم قوم قد عرفوا ذلك حيث رضوا بذلك ولم يتنازعوا فيه.

وقوله عز وجل: **وأن يُحشر الناس ضحى**، بينوا اليوم وبينوا الوقت وهو وقت الضحى. **وأن يحشر الناس ضحى**، قال بعضهم: أي نهارًا جِهارًا، كقوله: أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى،[6] نهارًا، يعني جهارًا.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **فتولى فرعون**، أي أقبل على أمره **وجمع كيده**، ليس على الإعراض عما دَعَوا[7] إليه **ثم أتى** بهم. وهو كقوله: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ،[8] أي أقبل على السعي في الأرض بالفساد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قال لهم موسى وَيْلَكم لا تفتروا على الله كذِبا**، هذا يحتمل وجهين.[9] أحدهما **لا تفتروا على الله كذبا**، فيما بَانَ لكم الحق وظهر لكم الحجة[10] باتخاذكم فرعون إلها،

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٧٩ (هنا: "بين قريتين"، إلا أن "بين فريقين" أقرب إلى الصواب. كذا في *تفسير البغوي*، ١٨/٤).

[2] ن: قال.

[3] ر ع م - قوله طوى و.

[4] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٠/٢. وأكثر كلام العرب بالفتح إذا كان في معنى نَصَف وعَدْل، فتحوه ومَدُّوه، والكسر والضم مع القصر عربيان (*لسان العرب*، «سوى»).

[5] ر ن ع: عاشورا.

[6] ﴿أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضُحًى وهم يلعبون﴾ (سورة الأعراف، ٩٨/٧).

[7] ر ع: رعوا.

[8] ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ (سورة البقرة، ٢٠٥/٢).

[9] ع: وجوها وجهين.

[10] ر + فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة.

لأنكم إذا اتخذتم دونه [و] سواه إلها –ولا إله غيره– فقد افتريتم عليه. والثاني **لا تفتروا على الله كذبا**، فيما بَانَ لكم الحق وظهر لكم الحجة،[1] فلا تفتروا على الله كذبا بقولكم: إنه سحر وإنه كذا.[2]

وقوله عز وجل: **فَيُسْحِتَكُمْ بعذاب**، برفع الياء ونصبها جميعا. **فَيُسْحِتَكُمْ**، قال أبو معاذ: يقال: أسحته وسحَته وقهره وأقهره. وقال[3] أهل التأويل: أي يهلككم ويستأصلكم بعذاب. ثم يحتمل ذلك العذاب في الدنيا؛ أوعدهم بعذاب يأتيهم إذا افتروا على الله كذبا بعدما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة. وقوله: **وقد خاب من افترى**، في الدنيا و الآخرة.

*قال القُتَبِي: **فيُسْحِتَكم**، أي يهلككم ويستأصلكم، يقال: سحَته الله وأسحته.[4]* [٤٧٢ظ س١٢]

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[٦٢] ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى**، قال بعضهم: قوله: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى**، أي السحرة فيما بينهم سرًّا من فرعون، فذلك قوله: **وأسرُّوا النجوى**، [أي] من فرعون **وقالوا**[6] **إنَّ هذان لساحران**، يعنون موسى وهارون. وقال بعضهم: **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النجوى** من موسى وهارون، فنجواهم أن[7] قالوا: **إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما**. والأشبه هذا أنهم اعتزلوا قومهم **وأسرُّوا النجوى** عنهم فيما بينهم أنهما كذا.

ثم قوله: إنّ هذان، بالألف،[8] قال أبو عبيدة: هذه لغة قوم من العرب.[9] يقال: مررت برجلان[10] ورأيت رجلان، فهو على تلك اللغة. وقال بعضهم: إنّ هذه الألف لا تسقط في الوُحْدان[11] بحال،

---

[1] ع – باتخاذكم فرعون إلها لأنكم إذا اتخذتم دونه سواه إلها ولا إله غيره فقد افتريتم عليه والثاني لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة.

[2] ر ع م: كذاب.

[3] ر: قال.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٢.

[6] جميع النسخ: فقال لهم.

[7] ع – أن.

[8] قرأ بتشديد النون ابن كثير، وبالياء ساكنة بعد الذال أبو عمرو (انظر: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٩١).

[9] انظر: *مجاز القرآن*، ٢/٢١ (وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الإثنين في موضع الجر والنصب).

[10] ر ع م – برجلان.

[11] ر ع: الوجدان.

يقال: مررت بهذا ورأيت هذا، ونحوه، فهو كالأصل لا يحتمل السقوط في الأحوال كلها: في الوُحْدانِ[1] والتثنية. وقال بعضهم: إنّ هذان لساحران، أي نَعَمْ هذان، وذلك لغة قوم أيضا، يقولون "إنَّ" مكان "نَعَمْ"، كقول القائل في آخر بيته: "فقلت إنَّهْ"،[2] أي نعم. وقال بعضهم: لا، ولكن هذا خطأ[3] من الكاتب.[4] وكذلك روي عن عثمان أنه لما نظر في الكتاب فقال: "إني أرى فيه خطايا فيقوِّمها العرب بألسنتها"،[5] أو كلام نحو هذا.[6]

وقوله عز وجل: **يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما**، هذا القول إنما أخذوه[7] من فرعون حيث قال: يُرِيدُ / أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[8] الآية، وقوله أيضا حيث قال: [٤٧٣و] أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى،[9] علم فرعون أن ذلك ليس بسحر، لكنه أراد أن يُغري قومه عليه لئلا يتبعوه.

وقوله عز وجل: **ويَذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، اختلف فيه. قال الحسن قوله: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي بعَيْشكم أمثلَ العَيْش؛ لأنهم كانوا جبابرة وفراعنة، وكان[10] بنو إسرائيل لهم[11] خَدَما وخَوَلًا، يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم، فكان تَعَيُّشهم[12] بهم، فقال: **ويَذْهَبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي يذهبا بأمثل عيشكم، حيث قال له موسى: فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.[13] قال بعضهم: **بطريقتكم المُثْلَى**، أي يذهبا بدينكم ومذهبكم الأمثل، لأنه يقول: إن الذي يدعوهم هو إليه هو الرشاد، وإن الذي يدعوهم موسى إليه هو باطل وإنه سحر وفساد،

---

[1] ر ع: الوجدان.

[2] أنشدوا لابن قيس الرُّقَيَّات: "بَكَرَتْ عليّ عواذِلي / يَلْحَيْنَنِي وأَلومُهُنَّهْ / ويَقُلْنَ: شَيْبٌ قدْ علا / كَ، وقد كَبِرْتَ، فقلتُ: إنَّهْ." أي إنه قد كان كما تَقُلْن (انظر: *لسان العرب*، «ان»؛ و*تفسير البغوي*، ١٩/٤).

[3] ن: خطاب.

[4] كما أن في مصحفَي زيد بن ثابت وابن الزبير "إنَّ هذين" (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٢٢٨، ٢٣٨).

[5] انظر لتقييم هذه الرواية: *مناهل العرفان في علوم القرآن* للزرقاني، ٣٨٦/١-٣٨٧.

[6] ر: أو نحو هذا؛ ع م: ونحو هذا.

[7] جميع النسخ: أخذوا.

[8] ﴿قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يُخْرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرونَ﴾ (سورة الشعراء، ٣٤/٢٦-٣٥).

[9] سورة طه، ٥٧/٢٠.

[10] ر ع م: وكانوا.

[11] ر ن م - لهم.

[12] ع: يعيشهم.

[13] سورة طه، ٤٧/٢٠.

كقوله: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ،[١] وحيث قال: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ،[٢] وحيث قالوا: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ،[٣] ونحوه. يدَّعي أن ما يدعوهم إليه هو الرشاد وأن الذي يدعو موسى إليه [هو] السحر والفساد. وقال بعضهم: قوله: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي خيارِكم وأشرافِكم والأمثل[٤] منكم.*

وقال [القُتَبِي]: **ويذهبا بطريقتكم المُثْلَى**، أي الأشراف، ويقال:[٦] هؤلاء طريقة قومهم، أي أشرافهم اشتقاقَ الطريقة من الشريف[٧] ويقال: أراد بسنَّتكم ودينكم. و**المُثْلَى** مؤنث أمثل، مثل كبرى وأكبر. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ،[٨] أي حيلكم.[٩] وقال أبو عَوْسَجَة: **بطريقتكم المُثْلَى**، أي بدينكم الأفضل، وهو من الأمثل.*

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **فأَجْمِعوا كيدكم**، حرف الإجماع يستعمل في العزم مرة والاجتماع ثانيا. أما في العزم فما ذكر في الخبر: «لا صوم لمن لم يُجمِع رأيه من الليل»،[١١] أي لمن لم يعزم، على ما روي [نفس] الخبر: «لا صوم لمن لم يعزم من الليل».[١٢] وأما الاجتماع فظاهر.[١٣] فإن كان على الاجتماع فكأنه قال: فاجتمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه؛ وعلى العزم، أي اعزِموا شيئا واحدا واقصِدوا أمرا واحدا لكي تغلبوا. **ثم ائتوا صفًّا**، قال بعضهم:

---

[١] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.
[٢] ﴿قال فرعون ما أُريكم إلا ما أَرَى وما أهديكم إلا سبيلَ الرشاد﴾ (سورة المؤمن، ٢٩/٤٠).
[٣] ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتَذَرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويَذَرَك وآلهتك﴾ (سورة الأعراف، ١٢٧/٧).
[٤] ر ن + فالأمثل.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٢.
[٦] ع: يقال.
[٧] لا يوجد "اشتقاق الطريقة من الشريف" في القتبي (انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠).
[٨] الآية الآتية.
[٩] م: حيلتكم   انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فأخرناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٥-١٧.
[١١] عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». (...) معنى هذا عند بعض أهل العلم: لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان أو في قضاء رمضان أو في صيام نذر إذا لم ينوه من الليل لم يجزه. وأما صيام التطوع فمباح له أن ينويه بعدما أصبح. (*سنن الترمذي*، الصوم ٣٣).
[١٢] *المرجع السابق*.
[١٣] ر ن ع: ظاهر.

جميعا غير متفرقين. وقال بعضهم: ثم **ائتوا صفا**، أي المصلَّى الذي كان موعودَ الاجتماع وهو يوم الزينة.

|٤٧٣و س١٥ *وقال أبو عبيدة: **ثم ائتوا صفًّا**، أي مصلًّى، والصف المصلى.[١] وقال: حكي عن بعضهم أنه قال: ما استطعت أن آتِيَ الصف أمس،[٢] أي المصلَّى.[٣] وقال القُتَبِي: **صفا**، أي جميعا.[٤] ٤٧٣و س١٧| وكذلك غيره من أهل التأويل. وقوله: **من استعلى**، أي غلب.*

وقوله عز وجل: **وقد أفلح اليوم من استعلى**، قيل:[٦] من غلب، كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[٧] أي غلب. وجائز أن يكون قوله: **[من] استعلى**، أي مَن طلب العلو وأراد أن يُسْعَد بما وعد فرعون للسحرة من الأجر إن[٨] كانوا هم الغالبين، كقوله: أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ،[٩] فذلك هو ما طلبوا منه، فأخبر أنهم يظفرون بذلك. هذا إذا كان القول من فرعون. ***والله أعلم***.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾[٦٥] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا**، إنما ألقَوْا بأمر من الله وإذن منه. وقوله عز وجل: **فإذا حبالهم وعصيهم يُخيَّل إليه**، إلى موسى، **من سحرهم أنها تسعى**.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[٦٧]

فأوجس في نفسه خيفةً موسى، وقع في قلبه الخوف، وخاف إذ صنع القوم ما صنعوا من السحر. ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين. أحدهما خاف على ما طُبع البشر عليه من خوف الطبع،

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠؛ و*تفسير البغوي*، ٤/٢٠.
[٢] جميع النسخ: اليوم، والتصحيح من *مجاز القرآن*، ٢/٢٣.
[٣] *مجاز القرآن*، ٢/٢٣.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ٦٣، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣و/سطر١٥-١٧.
[٦] ن: قتل.
[٧] سورة القصص، ٤/٢٨.
[٨] ن: إذا.
[٩] سورة الشعراء، ٤١/٢٦-٤٢؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١١٣/٧-١١٤.

لا خوف غلبة، لأنه قال لهم: مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ.[١] كان يعلم صلوات الله على نبينا وعليه أن تمويهاتِ السحرة[٢] لا تُبطل حجج الله وآياتِه، فدل ذلك أنه خاف خوف الطبع والجِبِلّة، لا خوف القهر والغلبة. أو أن يكون خوفه لِمَا أخذ سحرُ أولئك أعينَ الناس، خاف موسى أن يمنعهم ذلك عن أن يبصُروا ما جاء هو من[٣] الآية والبرهان. وقال بعضهم: خاف أن يشكُّوا فيه فلا يتابعوه، أو يشك[٤] فيه من تابعه. وهو ما ذكرنا قريبا منه. *والله أعلم*.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**، أي الغالب. فإن كان الخوف الذي ذكر خوف طبع وما جُبِل عليه المرء فيكون قوله: **لا تخف**، على تسكين القلب وتثبيته. وإن كان الثاني فهو على البِشارة له والإخبار على أن يمنع سحرُ أولئك عن أن يبصروا ما تأتِي بهم أنت من الآية. *والله أعلم*.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **وألق ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا**، هذا يدل أن سحر أولئك إنما صار بعد ما ألقَوا ما في أيديهم، لم يكن سحرا وقت كونه في أيديهم، وكذلك عصا[٥] موسى إنما صارت آية وحجة بعد ما ألقاها من يده، لم تكن[٦] وقت كونها في يده كذلك، حيث قال: **وألق ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا**، أي تَلْقَمْ وتأكل **ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح** / **الساحر حيث أتى**، أي لا يفلح الساحر حيث أتى بسحره، وإلا قد أفلح سحرة [٤٧٣ظ] فرعون. وفي حرف ابن مسعود "أين أتى".[٧] وقال بعضهم: **حيث** كان. وحيث وحوث لغتان، وهو قول الكسائي.[٨]

---

[١] سورة يونس، ٨١/١٠.
[٢] ر ع م: السحر.
[٣] ع - من.
[٤] ن: أو تشك؛ م: فلا يتابعوا ويشك.
[٥] ر ع م: عصى؛ ن: عصاء.
[٦] ر ع: لم يكن.
[٧] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٠.
[٨] لم أجد عنه، ولكن بعض العرب زعموا أن أصلها الواو (انظر: *لسان العرب*، «حيث»).

[٤٧٣ظ س ٧ *وقال القُتَبِي: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى،[١] أي أضمر خوفا.[٢] وقال غيره: وقع في قلبه. **حيث أتى**، حيث[٣] كان. وقال أبو عَوْسَجَة: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ،[٤] أي يَظنّ. يقال: يخيّل إليّ، أي يُريني فهمي وعلمي أن هذا الشيء كذا وكذا. فَأَوْجَسَ، أي أحس. **تلقف** وتلقّم واحد.* ٤٧٣ظ س ١٠]

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **فألقي السحرة سجّدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى**، لأنهم عرفوا حقيقة ما أتى بهم موسى فعلموا أنه سماوي وأنه آية ليس بسحر، فآمنوا إيمانا لم يرتابوا فيه قط. وهذا يدل أن كل ذي بصر وعلمٍ في شيء يكون أبصر وأعلم في ذلك الشيء من غيره، حيث لم ينظروا لما رأوا ما أتى به موسى وعاينوا وقتا يُنظر[٦] فيه، بل لسرعة معرفتهم ذلك[٧] لم يملكوا أنفسهم، بل أُلْقُوا على وجوههم على ما أخبر حيث قال: **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ** سَاجِدِينَ،[٨] و **سجّدا**.*

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر**، قال بعضهم: يعني موسى، وقال بعضهم: كبيرُ السحرة الذي علّم غيرَه السحر. وقال في آية أخرى: إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا،[١٠] الآية. قد علم فرعون[١١] أن ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به، لكنه أراد أن يُمَوِّه على قومه ويُلَبِّس عليهم أمر موسى وما جاء من الآيات والحجج، لأنه هو الذي ربّاه ونشأ بين ظهرانَيْه وأهله، فعلم أنه لم يتعلم السحر من أحد.

---

[١] الآية ٦٧.
[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٠.
[٣] ر ن - حيث.
[٤] سورة طه، ٦٦/٢٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٧-١٠.
[٦] ر غ م: ينظروا.
[٧] ع + الشيء من غيره حيث لم ينظروا لما رأوا ما أتى به موسى وعاينوا وقتا ينظر فيه بل لسرعة معرفتهم ذلك.
[٨] ﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ (سورة الشعراء، ٤٦/٢٦-٤٨).
* وقعت هناك قطعة من تفسير الآيات ٦٦ و٦٧ و٦٩ فقدمناها إلى هنالك، انظر: ٤٧٣ظ/سطر٧-١٠.
[١٠] سورة الأعراف، ١٢٣/٧.
[١١] ن + لعنه الله.

ثمّ[1] لَمّا فارقه وخرج من عندهم إلى مَدْيَنَ لم يكن هناك ساحر[2] يتعلم منه السحر، لكنه أراد التمويه والتلبيس على قومه. وكذلك أهل مكة حيث نسبوا رسول الله إلى السحر والكهانة والافتراء والجنون وغيره، علموا أنه ليس بساحر ولا كاهن ولا مجنون ولا مفترٍ، لأنه نشأ بين أظهُرهم صغيرا لم يؤخذ عليه كَذِبٌ قطُّ على أحد من الخلائق، فكيف على الله تعالى؟ ولا رأوه اختلف إلى أحد من السَّحَرة والكَهَنة في تعلم ذلك، لكنهم أرادوا بذلك التمويهَ[3] والتلبيس على الناس لئلا يتَّبعوه ولا يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه من دين الله وتوحيده.

ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم الآيات المعجزة[4] ولا الحجج النَّيِّرة كانت أنفسهم وما عليه طُبِعوا من السيرة الحسنة والأخلاق الكريمة الجميلة وما اختاروا من الأمور العظيمة الرفيعة دالةً على رسالتهم ونبوتهم، فكيف وقد جاءوا بالآيات المعجزة والبراهين النَّيِّرة؟ وما طُبع السحرة من السيرة المذمومة والأخلاق الدنية والأمور الخسيسة[5] يدل على كذبهم وافتعالهم،[6] فكيف أشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة، والتمويهِ[7] من الحجة؟ لكنهم أرادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه[8] على قومهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فلأقطِّعِنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلِّبَنَّكم في جذوع النخل**، يشبه أن يكون هذا الوعيد منه في وقتين. أوعدهم أولاً بقطع اليد والرجل من خلاف على الإبقاء،[9] رجاءَ أن ينتهوا عما اختاروا، فإذا لم ينتهوا عنه فعند ذلك أوعدهم بالقتل والصلب. إذ في القتل والصلب إتلاف ما دونه من الجوارح. فإن كان على هذا ففيه أن كل حدٍّ يراد به الإبقاء فإنه لا يُؤتَى على الجوارح كلها. والقطع في السَّرِقة[10] يراد به الإبقاء، لذلك لا يؤتى على الجوارح كلها. وكذلك قُطَّاع الطريق، إذ يراد به الإبقاء لم يُزَدْ على قطع اليد والرجل من خلاف.

---

[1] ر ع م – ثم.
[2] ر ع م – ساحر.
[3] ع: التموية.
[4] ر ع م: والمعجزة.
[5] ن: الحسيمة.
[6] ر ن – وافتعالهم.
[7] ر ع: التموية.
[8] ر ع: التموية.
[9] ر: الإبقاع. أي على إبقاء أنفسهم.
[10] ر ع م + قد.

[٤٧٣ظ س٣٨] *قال أبو عَوْسَجَة: **جذوع النخل**، ساق النخل وأصله.*

وقوله عز وجل: **أيُّنا أشد عذابا وأبقى**، لو ذاق اللعين شيئا من عذاب ربه لم يقل مثل هذه المقالة، ولولا ما عرف من حلم ربه وإلا لم[٢] يتجاسر أن يتكلم بمثل هذا ويُوعِدَهم أن عذابه أشد من عذاب الله تعالى.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات**، أي لن نؤثرك بالربوبية والعبادة لك والطاعة على ما جاءنا من البينات على ربوبية الله وألوهيته وعبادته. وقوله: **والذي فطرنا**، قال بعضهم: **لن نؤثرك**، أيضا على الذي خلقَنا. لكن غيره كأنه أشبه، وهو أن قوله: **والذي فطرنا**، على القسم، أي بالذي فطرنا. كأنهم آيسوه[٣] عن العود إلى عبادته وخدمته.

وقوله عز وجل: **فاقض ما أنت قاض**، ليس على الأمر، لكن على الإياس عن ذلك، أي إنك وإن فعلت بنا ما أوعدت فإنا لا نؤثرك. وقوله عز وجل: **إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**، أي إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتَنا عليه من السحر والله[٤] خير وأبقى**، يحتمل قوله: **والله خير** معبودٍ وثوابه **أبقى** من ثواب غيره. أو أن يكون هذا جواب قوله: **ولتعلمُنَّ أينا أشد عذابا وأبقى**، فيقول: عذاب الله أبقى. ***والله أعلم***.*

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[٧٤] **﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾**[٧٥]

وقوله عز وجل: **إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**، أصل[٦] هذا -والله أعلم-

---

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٧٣، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.

[٢] ع - لم.

[٣] جميع النسخ: اياسوه.

[٤] ر + أعلم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٧١، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.

[٦] م - أصل.

/أن من قبِل من الله حياته بالشكر وطيَّبها بالأعمال الصالحات طيَّب الله حياته وعيشه في الآخرة؛ [٤٧٤و] ومن[١] لم يقبل حياته من الله بالشكر في الدنيا بل كفر بها وخبّثها وقبّحها بالأعمال القبيحة الخبيثة الدنية خبُثت[٢] حياته في الآخرة وعيشه.

وقوله عز وجل: **فأولئك لهم الدرجات العُلَى**، هي ما ترتفع وتعلو؛[٣] والدَّرَكات ما تتسفَّل وتنحدر[٤] في الأرض. والدرجات للمؤمنين في الآخرة لاختيارهم في الدنيا الأعمال الصالحة الرفيعة العالية.[٥] فعلى ما اختاروا في الدنيا من الأعمال الرفيعة العلية[٦] فلهم في الآخرة مقابلَ ذلك الدرجات العلى. وأما الدَّرَكات فهي لأهل الكفر مقابل ما اختاروا في الدنيا من[٧] الأعمال الدنية الخبيثة وأخزاهم كمَثَل: "من زرع بَذْر[٨] الشَّوْك لم يَحْصُد بُرًّا قط".

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[٧٦]

وقوله: **وذلك جزاء من تزكّى**، أي ذلك الذي ذَكَر جزاء من أصلح عمله وأنماه. والزكاة هي النماء[٩] في اللغة. *وقال بعضهم: **وذلك جزاء من تَزَكَّى**، أي آمن، وذلك أنه بالإيمان [٤٧٤و س١٧] تزكو الأعمال وتنمو،[١٠] وبه يثاب عليها ويؤجر.* [٤٧٤و س١٨]

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي**، وهو السير بالليل. وقوله عز وجل: **فاضرب لهم طريقا في البحر يَبَسًا**، أي اضرب بعصاك البحر أَجْعل لهم طريقا في البحر يابسًا، كقوله: فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ،[١٢] الآية.

---

[١] ر م: من.
[٢] ر ع م: خبث.
[٣] جميع النسخ: ما يرتفع ويعلو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٨و.
[٤] جميع النسخ: ما يتسفل و ينحدر.
[٥] ر: الغالية.
[٦] ر ن ع: العلوة.
[٧] ر: عن.
[٨] ر ع: بدر.
[٩] ر ع: النما.
[١٠] ر: تزكوا الأعمال وتنموا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٩، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٤و/سطر١٧-١٨.
[١٢] ﴿... فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (سورة الشعراء، ٦٣/٢٦).

وقوله عز وجل: **لا تخاف دَرَكًا ولا تخشى**، أي **لا تخاف** لُحُوقَ فرعون وجنودِه، **ولا تخشى** غرق البحر. ليس على النهي، ولكن على رفع الخوف عنه، والأمن عن أن يدركهم ويَلحقهم. ألا ترى[1] أنه قال: [قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى] إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ.[2]

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **فأَتْبعهم فرعون بجنوده**، دل قوله: **بجنوده**، على أن كان معه جنود لا جند واحد. وأما العدد فإنهم كانوا كذا وكذا[3] ألفا، وقوم موسى كذا [و]كذا ألفا، فذلك لا يعلم إلا بالخبر. وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة. وقوله عز وجل: **فغشيهم من اليَمِّ ما غشيهم**، أي من الغَرَق والهلاك.

[٤٧٤و س١٨] *وقال القُتَبِي: لَا تَخَافُ دَرَكًا،[4] أي لحاقا،[5] وقوله: **فأتبعهم فرعون بجنوده**، أي لحقهم.*

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **وأضل فرعون قومه وما هدى**، قال بعضهم: **وأضل فرعون قومه وما** هداه الله. وقال بعضهم: وأضل فرعون قومه وما هداهم، حيث قال: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ.[7] وقيل: أضل قومه، وما هدى نفسه.*

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم**، هذا خبر يخبر عما أنعم عليهم ومنَّ على أوائلهم وآبائهم [أي] من حضر[9] رسولَ الله [صلى الله عليه وسلم]. يُذَكِّر هؤلاء بما أنعم ومنَّ على أولئك، وإلا لم يكن هؤلاء يومئذ. وفيه تذكير النعم والمِنَن على الصحابة

---

[1] ن: ألا يرى.
[2] سورة الشعراء، ٢٦/٦١-٦٢.
[3] ن: كذا.
[4] الآية السابقة.
[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٨١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٧٩، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٤و/سطر١٨-١٩.
[7] سورة المؤمن، ٤٠/٢٩.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٣ظ/سطر٣٨.
[9] ر: حصر.

في أواخر أمورهم، لأنه آمنهم في آخر أمرهم من عدوهم وآيسهم[١] عن عود هؤلاء إلى دينهم. وفيه تذكير لنا فيما أنعم علينا ومنَّ في أوائل أمورنا وآخرها. ليس التذكير لبني إسرائيل خاصة، ولكن لنا ولكل من أنعم عليه.

وقوله عز وجل: **وواعدناكم جانب الطور الأيمنَ**، لسنا ندري أن الأيمن هو اسم ذلك الجبل أو سماه الأيمن ليمنه وبركته، وقال عز وجل في آية أخرى: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ؛[٢] أو سماه الأيمن من يمن موسى عليه السلام. فإن كان هو من اليمن والبركة فهو كذلك كان لأنه به كان بدء[٣] وحي موسى عليه السلام.

وقوله عز وجل: **ونزَّلنا عليكم المن والسلوى**، يُذَكِّر هؤلاء ما وسَّع على أوائلهم من الرزق وأخصبَهم،[٤] يستأدي بذلك الشكرَ[٥] على ما أنعم عليهم. وذلك تذكير لنا ولمن وسَّع عليه ذلك، إذ لم يزل علينا يوسِّع الرزق من أول عمرنا إلى آخره.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، أي قلنا لهم:[٦] **كلوا من طيبات ما رزقناكم**. ثم يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قوله: **[من] طيبات ما رزقناكم**، أي من حلالات ما رزقناكم، فإن كان على هذا ففيه دلالة أن قد[٧] يُرزق ما ليس بحلال.[٨] والثاني **من طيبات ما رزقناكم**، أي ما تَطِيب به أنفسُكم. ففيه دلالة أنه يجوز لنا أن نختار من الأطعمة ما هو أطيب، إن كان على ما تستطيب به الأنفس.

وقوله عز وجل: **ولا تطغَوا فيه**، الطغيان هو المجاوزة عن الحدود التي جُعلت. أي **لا تطغَوا** فيما رزقكم من الطيبات وتجعلونه في غير ما جَعل وتتجاوزون عن القدر الذي جَعل.

---

[١] جميع النسخ: واياسهم.
[٢] سورة القصص، ٢٨/٣٠.
[٣] ع: بدو.
[٤] ن: وأخصاهم.
[٥] ن: الشك.
[٦] ع: لكم.
[٧] ر ع م – قد.
[٨] أي لا كما قالت المعتزلة من أن الحرام ليس برزق.

وقوله عز وجل: **فيحِلَّ عليكم غضبي**، برفع الحاء والخفض جميعا: يَحِلَّ، أن ينزل **عليكم غضبي**؛ ويَحُل بالرفع، يجب. وقوله: **ومن يحلِل عليه غضبي فقد هوى**، قيل: **هوى**، هلك، أي من يَجِبْ عليه عذابي فقد هلك. وكذلك قال القُتَبِي: **هوى**، أي هلك، يقال: هوتْ أمُّه، أي هلكت.[1] وقيل: **فقد هوى**، أي سقط في النار، يقال: هوى في موضع كذا.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**، يحتمل قوله: **لغفار لمن تاب**، عن الشرك ورجع عنه، **وآمن** بتوحيده، **وعمل صالحا** فيما بين ذلك، **ثم اهتدى** في حفظ أمره وانتهى عما نُهي. و[الاحتمال] الثاني **لغفار لمن تاب**، عن جميع المناهي، **وآمن**، بجميع ما أُمر، وقوله: **ثم اهتدى**، أي دام على ذلك / وثبت، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.[2] [٤٧٤ظ]

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **وما أعجلك عن قومك يا موسى**، قال بعضهم: إن موسى صلوات الله على نبينا وعليه خرج بنفر من قومه إلى الجبل ليأخذ التوراة فعَجِل حتى خلَّفهم وتركهم وراءه، فعند ذلك قال له ربه: **وما أعجلك عن قومك يا موسى**؟ وقال بعضهم: لم يخرج بنفر، ولكن خرج وحده وترك قومه فأصابهم ما أصاب من الافتتان[3] بالعِجْل الذي اتخذه السامري.

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **قال هم أولاء على أثَري**، هذا على التأويل[4] الأول، أي هم يجيئون **على أثري**؛ وعلى التأويل الثاني: أي تركتهم على ديني و سبيلي. وهو قول الحسن وقتادة.[5]

وقوله عز وجل: **وعجِلتُ إليك رب لترضَى**، أي عجِلت إليك ربي فيما دعوتني إجابةً[6] وطاعة فيما أمرتني، **لترضى**. هذا على[7] التأويل الذي قال: إنه خرج وحده. وعلى التأويل الذي يقول:

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨١.
[2] سورة فصلت، ٤١/٣٠؛ وسورة الأحقاف، ٤٦/١٣.
[3] ر ع: الإفتتا.
[4] ع: تأويل.
[5] لم أجده.
[6] ع + لك.
[7] ع: على هذا.

إنه خرج بنفر، يقول -والله أعلم-: **وعجلتُ إليك رب لترضى**، إذ لم يكن لي سبب ولا معنى يمنعني عن الإسراع إلى ما دعوتني وأمرتني. وهكذا عندنا أن من لزمه أمر الله وفرْضُه لزمه[1] الإسراع والعجلة إلى القيام بأدائه،[2] إذا[3] لم يكن هناك سبب يمنعه عن التعجيل له والقيام به. *والله أعلم*.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **قال فإنا قد فَتَنَّا قومك من بعدك**، الفتنة هي المحنة[4] التي فيها شدائدُ وبلايا. ومعنى الافتتان[5] ههنا هو ما فتنهم بالعِجْل الذي اتخذه السامري؛ جعله[6] جسدًا بدم ولحم -على ما ذكر- ونَفخ فيه الروح وجعل له خُوَارًا.[7] فذلك معنى الافتتان منه[8] إياهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأضلَّهم السامريُّ**، أضاف الإضلال إلى السامري، لأنه كان سببَ إضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم إلى عبادته وقال: هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ،[9] فأضاف الإضلال إليه لما ذكرنا من دعائه إليه والسبب الذي كان منه، وإلا لم يملك أحد[10] إضلالَ أحد. وأضاف الافتتان إلى نفسه لما ذكرنا من جعل العجل جسدانيًّا من لحم ودم وروحانيًّا.[11]

فإن قيل: ما معنى إجراء[12] ما أجرى على يدي السامريّ -مع ضلاله-[13] من الآية؟

قيل: هو -والله أعلم- أنه لو ادَّعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيأ له ذلك، لكنه إنما ادَّعى أنه[14] إله، وآثار العبودية فيه ظاهرة قائمة، يعرفه كل أحد أنه ليس بإله. وأما الرسالة

---

[1] ر م: لزم.
[2] ر ع: بأداء.
[3] ر ع م: فإذا.
[4] ع: المحبة.
[5] ع: الإفتناء.
[6] أي جعل الله العجل.
[7] ر ن ع: خوار.
[8] م: عنه.
[9] سورة طه، ٨٨/٢٠.
[10] جميع النسخ: لم يكن أحد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٨ظ.
[11] جميع النسخ: جسداني من لحم ودم وروحاني.
[12] ن: إجرا.
[13] ر ع: ضلالة.
[14] أي العجل.

فإنه يجوز أن تشتبه[1] على الناس وتلتبس عليهم، فيمنع الله عز وجل من ليس برسول إذا ادَّعى الرسالة[2] إقامةَ دلالة الرسالة، لاشتباهها على الناس. وأما الألوهية فلا يمنع عن إجراء ذلك، لأن آثار العبودة وأعلام العجز فيها ظاهرة يعرفها[3] كل أحد. وهكذا من أتى قرية لم يبلغهم هذا القرآنُ فقرأ هذا القرآن وقال: إني رسول الله إليكم لم يُقْدره[4] الله على قراءته؛ ولو ادَّعى الربوبية به[5] لم يمنع، لأن آثار العجز عن إتيان مثله ظاهرة، وفي الرسالة لا؛ لذلك افترقا.[6] ***والله أعلم***.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا**، الأسف هو النهاية في الغضب والنهاية في الحزن. وهكذا جَبَل الله رسله وأنشأهم على نهاية الغضب لله والأسف له عند معاينتهم الخلاف لله والتكذيب له، كقوله لرسوله:[7] لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[8] الآية، وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[9] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدا حسنا**، على تأويل الحسن: **وعدًا حسنا**، هو الثواب الذي وعد لهم بالدين والسبيل؛ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي،[10] أي على ديني وسبيلي. وقال بعضهم: **وعدا حسنا**، أي عدلا وصدقا حيث وعد لهم أنه يرجع إليهم عند رأس أربعين أو ثلثين ليلة على ما ذكر عز وجل.[11] **أفطال عليكم العهد**، على تأويل الحسن: **أفطال عليكم** عهد ما وعد لكم من الثواب[12] والجزاء على دينه وسبيله حتى نسيتم ذلك؛

---

[1] ر ع م: يشتبه.
[2] ر ع: لرسالة.
[3] ن ع: يعرفه.
[4] ر ن م: يقدره.
[5] ر ع م – به.
[6] ن: إفترقال.
[7] ر م – لرسوله.
[8] ﴿لعلك باخع نفسك أَلَّا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء ٣/٢٦).
[9] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[10] سورة طه، ٨٤/٢٠.
[11] كما أشير في قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعَشْرٍ فتمَّ مِيقَات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي وَأَصلِح ولا تتَّبع سبيل المفسدين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٢/٧).
[12] ر ن م: من دون الثواب.

وعلى تأويل من قال: إن الوعد هو ما وعد أنه يرجع إليهم على رأس كذا، يقول: أفطال ذلك عليكم ومضى وعدى حتى فعلتم ما فعلتم؟ وقوله: **أم أردتم أن يحِلَّ عليكم غضب من ربكم**، أي أم تعمَّدتم الخلاف **فيَحِلَّ عليكم غضبٌ من ربكم فأخلفتم موعدي**؟ يحتمل الموعد الوجهين اللذين ذكرناهما فيما مضى.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا**، برفع الميم وكسره[١] فمن قرأ بمُلكنا برفع الميم، أي بسلطاننا وطاقتنا، أي لم نفعل[٢] بسلطاننا وطاقتنا؛ ومن قرأ بِملكنا بكسر الميم، [أي لم نفعل] بما ملكت[٣] أيدينا. وقال الكسائي: من قرأ بمُلكنا بالرفع،[٤] معناه بسلطاننا؛ ومن قرأ بِملكنا بكسر الميم، ونصبه بمَلكنا، معناهما[٥] ما ملكت أيدينا. وقوله: **ولكنا حُمِّلْنا أوزارا من زينة القوم**، قيل: أثقالا من زينة القوم، أي من حُلِيِّ القِبْط. وقوله: **فقذفناها**، قذفنا ما حُمِّلْنا من حُلِيِّهم. وقوله عز وجل: **فكذلك ألقى السامري**، أي كذلك قذف ما حمل السامري من حُلِيِّهم. وجائز أن يكون قوله: **فكذلك ألقى السامري**، ما أخذ[٦] من قبضة من أثر الرسول كقوله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا.[٧]

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[٨٨]

وقوله: **فأخرج لهم عِجْلًا جسدًا له خُوَارٌ**، أي عجلا جَسَدُه جسد عجل[٨] وليس هو بعجل في الحقيقة. وقال بعضهم: **عِجْلًا جسدًا**، لا يتعيش كما يتعيش العجل المولود من البقر. والأول أشبه.

---

[١] وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة: "بِمَلْكِنا" بفتح الميم، وقرأته عامة قراء الكوفة: "بِمُلْكِنا" بضم الميم، وقرأه بعض أهل البصرة "بِمِلْكِنا" بالكسر. فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر، والآخر اسم. وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك (...) وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يهلك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه. فإذا كان ذلك كذلك فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ (*تفسير الطبري*، ١٦/٢٣٠).

[٢] ن: لم يفعل.

[٣] جميع النسخ: ما ملكت، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٨ظ.

[٤] ر ع م – بالرفع.

[٥] ر ع م + وهو.

[٦] ر ع: ما أحد.

[٧] ﴿قال بصُرت بما لم يبصُروا به فقبَضتُ قبضةً من أثَر الرسول فنبذتُها وكذلك سَوّلتْ لي نفسي﴾ (سورة طه، ٩٦/٢٠).

[٨] ن م – جسد.

[٤٧٥و] وقوله عز وجل: **فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي،**[١] هذا / القول إنما قاله السامري. وقوله عز وجل: **فنسي،** قال بعضهم: نسي السامري حيث قال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، هذا القول إنما قاله السامري؛[٢] فيكون النسيان على هذا التأويل التضييع والترك، كأنه قال: ضيّع السامري بعد ما علم وعرف رب العالمين ونسب الألوهية إلى العجل. وقال بعضهم: إن السامري لما قال: هذا إلهكم وإله موسى، لكن موسى نسي هذا، حيث خرج في طلب غيره. ولا يحتمل أن يقبلوا هذا القول منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري إلها، وقد علموا أنه إنما اتخذه من حُليّ[٣] حُمِّلوها[٤] من القبط. لكنه كان في عقدهم أنه يجوز اتخاذ إله دون إله رب العالمين والعبادة له رجاء أن تقرِّب[٥] عبادتهم تلك الآلهةَ إلى الله. وعلى هذا كانوا يعبدون الأصنام دون الله كقوله:[٦] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٧] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٨] وكذلك قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٩] وكذلك ما اتخذ لهم فرعون من آلهة عبدوها دونه. وإلا لم يحتمل أن يقع عندهم أن رب العالمين هو ذلك العجل، لكنه ما ذكرنا أنهم كانوا يستجيزون[١٠] في اعتقادهم عبادة من دونه، فعند ذلك ردَّ عليهم اعتقادهم فقال:[١١]

---

[١] عن السدي قال: أخذ السامري من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر. قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حُليّ القبط إنما هو غنيمة؛ فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوها. فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة، فجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار. وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل. فلما رأوه قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فنسي، فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي فكذلك ألقى السامري ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحلي حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامري تربته. وقوله: ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾ يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى (*تفسير الطبري*، ١٦/٢٣٣).

[٢] ع – هذا القول إنما قاله السامري.

[٣] ع: حلي.

[٤] جميع النسخ: حملوه.

[٥] ر ن م: يقرب.

[٦] ن: كقولهم.

[٧] سورة الزمر، ٣٩/٣.

[٨] سورة يونس، ١٠/١٨.

[٩] سورة الأعراف، ٧/١٣٨.

[١٠] ر ع: يستجيرون؛ ن – يستجيزون.

[١١] جميع النسخ: فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[٨٩]

أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، أي لا يرون أنْ لا إذنَ في عبادة من يرجع إليه القولُ ويملك النفع والضر -وهو البشر- فكيف أُذِن في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك؟ *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فُتِنْتُم به وإن ربكم الرحمن**. يذَكِّر -والله أعلم- بهذا رسوله أن الذين كذبوك وجحدوا رسالتك لم يكذبوك لجهلهم بالرسالة، ولكنهم لتَعَنُّتهم وعنادهم على ما ذَكَر وأنبأه من قول[1] هارون لقومه لَمَّا عبدوا العجل حيث **قال يا قوم إنما فُتِنْتُم به وإن ربكم الرحمن**، فكأنه يُؤْيِسه عن إيمان أولئك لعنادهم، وهو ما قال: أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ.[2]

وقوله عز وجل: **إنما فُتِنْتُم به**، يحتمل وجهين. أحدها **فُتِنْتُم**، أي صرتم مفتونين بالعجل لصوته وخُوَاره أو بغيره. والثاني **فُتِنْتم**، أي ضَلَلْتم به، أي بالعجل، **وإن ربكم الرحمن**. وقوله عز وجل: **فاتبعوني**، أي أجيبوا لي إلى ما أدعوكم به، **وأطيعوا أمري**، أي ما آمركم به.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**، قال بعضهم: **لن نبرح**، أي لن نزال على عبادة العجل مقيمين **حتى يرجع إلينا موسى**. وقال بعضهم: **لن نبرح**، أي لن نفارق عبادته.

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **لن نبرح**، أي لن نزال.[3]* [٤٧٥ظ س٣٢]

---

[1] ع: قبل.

[2] ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٥).

[3] ع: لن انزال.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٢.

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾[٩٢] ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[٩٣]

[وقوله:] **يا هارون**[1] **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا**، هذا يدل أن قول[2] هارون لهم: إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ،[3] أراد[4] به الضلال، حيث قال له موسى: **إذ رأيتهم ضلوا ألا تَتَّبِعَنِ أفعصيت أمري.** يحتمل **ألا تَتَّبِعَنِ**، أي **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا**[5] أَلَّا صرتَ إلى ما كنت صرتُ أنا، وقد علمتَ إلى أين صرتُ أنا. أو أن يكون قوله: **ألا تَتَّبِعَنِ**، أي ألا تتبع ديني وسنتي، وكانت سنته ومذهبه القتال والحرب معهم إذا ضلوا وتركوا دين الله.[6]

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[٩٤]

فاعتذر إليه هارون فقال: **إني خشيت أن تقول فرَّقتَ بين بني إسرائيل ولم تَرْقُب قولي.** هذا أيضا يخرج[7] على وجهين. أحدهما **إني خشيت**، إن اتبعتك وصرتُ إلى ما صرت أنت تقول لي: **فرَّقت بين بني إسرائيل**، لأنك لو نهيتَهم [بعد ما رجعت إلينا] عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم السبيل لعلهم يتبعونك؛ فحيث لم تفعل فأنت الذي فرَّقت بينهم. والثاني على تأويل القتال والحرب في قوله: أَلَّا تَتَّبِعَنِ... **إِنِّي خشيتُ** لو قاتلتُهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين، فإذا تفرَّقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانَوْا. فترَك القتال لما أطمعوه الإيمان إذا رجع إليهم موسى ونهاهم عن ذلك. فلعل سنته في القتال مع من لم يُطمَع منه الإيمان. هذا على تأويل من يقول بأن هارون اعتزلهم لَمَّا عبدوا العجل مع عشرة آلاف نفر أو أكثر[8] أو أقل، على ما ذكر. وأما الحسن فإنه يقول: كلهم قد عبدوا العجل إلا هارون، فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم.

---

[1] جميع النسخ: ثم قال موسى يا هارون.
[2] ر م: قوله.
[3] سورة طه، ٢٠/٩٠.
[4] ع: وأراد.
[5] ع – ألا تتبعن أفعصيت أمري يحتمل ألا تتبعن أي ما منعك إذ رأيتهم ضلوا.
[6] كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتِّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فَاقْتُلُوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بَارِئِكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٤).
[7] ر ع: يخرج أيضا؛ م – يخرج.
[8] ر ع م: وأكثر.

وقوله عز وجل: **ولم ترقب قولي**، قيل: هو ما قال: وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ،[١] ودل قوله: **لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي**، بأن كان له الشَّعر فكنَّى بالرأس عن الشعر.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[٩٥] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **قال فما خطبك يا سامري**، قال الحسن: ما حجتك يا سامري على ما فعلت؟ ولا حجة كانت له قطّ. وقال غيره: **ما خطبك**، ما شأنك وما أمرك؟ والخطب هو الشأن والأمر في اللغة. وتأويله -والله أعلم- فما شأنك، أي ما الذي حملك على صنيعك الذي صنعت؟

*وقيل: سمي السامري سامريًّا لأنه كان من قبيلة يقال لها السامرة. وقول هارون لموسى: **يا ابنَ أمَّ**، وكان أخاه لأبيه وأمه، قيل: أراد بذلك أن يُرْفِقه عليه فيتركه.* [٤٧٦و س١ ٤٧٦و س٣]

ثم قوله: **بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا**[٣] **به**، بالياء والتاء جميعا.[٤] ثم بين ما الذي بصر هو ما لم يبصروا هم فقال: **فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**. أما عامة أهل التأويل فإنهم يقولون: إنه قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل[٥] فنبذها.[٦] وليس في الآية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا أن ذلك الرسول جبريل أو غيره. ويشبه أن يكون الذي قبضه هو تراب من أثر الفرس على ما قاله أهل التأويل، وقد ذكر في حرف أبي: / "فقبضت قبضةً من أثرِ فرس الرسول".[٧] [٤٧٥ظ]

---

[١] ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخْلُفْنِي في قومي وَأَصْلِح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٢/٧).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٩٧، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ٤٧٦و/سطر١-٣.

[٣] م: لم تبصروا.

[٤] واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، بمعنى: قال السامريّ: بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ" بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بمعنى قال السامريّ لموسى: بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك. والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء مع صحة معنى كل واحدة منهما. وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب، أنّ تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه في جوف العجل، ولم يكن علم ذلك عند موسى ولا عند أصحابه من بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى: "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ" أي علمت بما لم تعلموا به. وأما إذا قرئ ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، فلا مؤنة فيه، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب (*تفسير الطبري*، ٢٣٨/١٦).

[٥] ن: جبرئيل.

[٦] ر ع م: فنبذتها؛ ن: فنبذ بها.

[٧] لم أجده عن أبي، ولكن عن ابن مسعود في إحدى الروايات عنه (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١).

فإن ثبت ما قالوا، وإلا لم نزد على ما ذُكر في الكتاب، لأن هذه الأنباء والقِصص كانت في كتبهم فذكرت في القرآن ليحتج بها رسول الله على أولئك ليعرفوا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى؛ فلو زيد أو نُقِص عما في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج عليهم، بل يوجب ذلك شِبْه الكذب عليهم. لذلك وجب حفظ ما حكي في الكتاب من الأنباء والأخبار من غير زيادة ولا نقصان مخافة الكذب، إلا إن ثبت شيء يذكر عن رسول الله أنه كان، فعند ذلك يقال، وإلا الكفُّ أولى. لما ذكرناه في قراءة[1] الحسن وقتادة: "فَقَبَصْتُ قبصة"[2] بالصاد؛ والقبصة[3] هو الأخذ[4] بأطراف الأصابع، والقبضة هو ما[5] بالكف. فلا يحتمل أن يصح الحرفان جميعًا، لأن الأخذ بأطراف الأصابع دون الكف، فهو خبر يخبر عما في كتبهم، فإما أن يكون ذا أو ذا، فأما أن يكونا جميعا فلا يحتمل، إلا أن يقال: إنه أخذه بأطراف الأصابع ثم رده إلى الكف فحينئذ يكون، أو أن يكون[6] بمرتين.[7] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكذلك سوَّلَتْ لي نفسي**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي **كذلك سوَّلت لي نفسي**: أنك متى تأخذ قبضة من أثر الرسول فتنبذها[8] في الحُلِيّ يَحيى. أو أن يكون سوَّلت له نفسه على ما كان عادتهم وطبيعتهم أنهم لا يعبدون إلها[9] لا يرونه ولا يقع بصرهم عليه حيث قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[10] وكقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[11] فقال:[12] **سوَّلت لي نفسي**، أن أتخذ لهم عجلا يرونه فيعبدونه. أو **سوَّلت لي نفسي**، أن في أخذ قبضة أثر الرسول نبأً[13] عظيما. أو قال ذلك اعتذارا لجميع ما كان منه من أول الأمر إلى آخر[14] أمره. *والله أعلم*.

---

[1] ع: قراة.

[2] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ١١٨/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٢٣٩/١٦؛ وقرأ ابن مسعود و أبيٌ هكذا: (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٧).

[3] ر: فقبضت قبضة بالضاد والقبضة.

[4] ن: ما أخذ.

[5] ر ع م – ما.

[6] ر ع م + ثم.

[7] ر ع م: مرتين.

[8] م: فنبذتها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٨٩و.

[9] ر ع م – إلها.

[10] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.

[11] سورة البقرة، ٥٥/٢.

[12] ع: فقالت.

[13] ع: بناء.

[14] م: آخره.

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **بَصُرت بما لم يَبصُروا به**، يقال: بصرت وأبصرت، بصُر يبصُر بَصَرًا. [٤٧٥ظ س ٣٢
وقبَضت قبضة، والقبضة بأطراف الأصابع.* [٤٧٥ظ س ٣٣]

*وروي في حرف ابن مسعود: "بصرت بما لم يبصروا به إذ جاء الرسول فقبضت قبضة [٤٧٥ظ س ٣٤
فألقيتها".[٢] وفي حرف حفصة: "إذ مرّ الرسول".[٣]* [٤٧٥ظ س ٣٥]

*وقوله: **سوَّلت لي نفسي**، قال بعضهم: شجّعت، وظاهره زيَّنت لي نفسي.* [٤٧٦و س ١]

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**، قال بعضهم: أي لا تزال تقول: **لا مساس**، لا تقول غيره، عقوبة له وجزاء لصنيعه. وقال بعضهم: أن تقول: **لا مساس**، لن تمسَّني[٦] ولا أمَسُّك، أي لا تَمَسّني أبدًا. أخرجه من بين[٧] أظهُرهم لما علم موسى منه.[٨]

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **لا مساس**، أي لا يمسّك أحد ولا يؤذيك.[٩] وقال: **ظِلْتَ عليه**، [٤٧٥ظ س ٣٤
لغةُ سوءٍ،[١٠] وإنما هو ظَلْت وظَلِلْت.* [٤٧٥ظ س ٣٤]

* وفي حرف أبي بن كعب: "إن لك في الحياة أن لا مساس"،[١٢] ليس فيه **تقول**.[١٣] [٤٧٥ظ س ٣٥

---

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٢-٣٣.

[٢] لقراءة ابن مسعود روايات مختلفة، منها: "قبضة من أثر الرسول فنبذتها"؛ ومنها: "قبضات من آثار الرسول"، ومنها: " قبصة فألقيتها"، ومنها: "قبصة من أثر فرس الرسول"؛ كلها بدون "إذ جاء الرسول" (*كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١).

[٣] لم أجده.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٤-٣٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١.

[٦] ر ع م: لم تمسني.

[٧] م + يديهم.

[٨] أي علم الإضلال والإغواء من السامري.

[٩] ر: يؤذنك.

[١٠] ع: سو.

* وقع ما بين النجمتين في أواخر تفسير الآية ٩٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٤.

[١٢] لم أجده.

[١٣] جميع النسخ: أن تقول.

وفي حرف حفصة: "إن لك في الحياة الدنيا أن تقول لا مساس".[1] وقال بعضهم: تأويله لا تخالطِ الناس ولا يخالطونك. قال أبو معاذ: المساس مصدر ماسَّه مِسَاسًا[2] ومُمَاسَّةً، كما[3] يقال: [٤٧٥ظ س٣٨] ضارَّه ضِرارًا وسارَّه[4] سرارًا ومُسَارَّةً.[5] ومن قرأ لَا مَسَاسَ، كان كقِيلك: نَزَالِ ودَرَاكِ.[6]*

وقوله عز وجل: **وإن لك مَوعِدًا لن تُخْلَفَهُ**، يحتمل أن[8] **لك موعدا** لعذابك، **لن تُخْلَفَهُ**؛ يحتمل ذلك في الدنيا والآخرة.[9]

وقوله عز وجل: **وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفا**، قوله: **وانظر إلى إلهك الذي** تزعم أنه إله، لا أنّ موسى سمّى[10] ذلك، وهو كما قال: فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ[11] التي في زعمهم آلهة. وقوله عز وجل: **ظَلْتَ عليه عاكفًا**، فقوله: **ظَلْتَ**، يقال بالنهار، وفي الليل يقال: بات. [٤٧٥ظ س٣٨ * وفي حرف ابن مسعود وأُبيٍ: "وانظر إلى إلهك الذي ظِلْتَ عليه[12] عاكفا [٤٧٦و س١] لنَذْبَحَنَّه ثم لنُحَرِّقَنَّه".[13]*

وقوله عز وجل: **لنُحَرِّقَنَّه ثم لنَنسِفَنَّه في اليَمِّ نَسْفًا**. وفي هذا إثبات آية لموسى حيث قال: **لنُحَرِّقَنَّه**، والعجل الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار إحراقه،[15] وكذلك الحُلِيّ من الذهب[16] والفضة

---

[1] لم أجده.
[2] ر ع: مماسا.
[3] ن ع م - كما.
[4] ع: سار.
[5] ن: أو مسارة.
[6] أي كما أنهما اسما علمٍ للنزول والدرك فمساس أيضا اسم علم للمس.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية ٩٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر٣٥-٣٨.
[8] ر ع م: وإن.
[9] ن: وفي الآخرة.
[10] م: سمى موسى.
[11] سورة الصافات، ٩١/٣٧.
[12] جميع النسخ + وانظر كيف يفعل بإلهك الذي ظلت؛ والتصحيح من *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٦.
[13] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦١، ١٤٦. وأُبيّ قرأ "ظَلِلْتَ"، و "ولنُحَرِّقَنَّه" مكان "ظِلْتَ" و "ثم لنُحَرِّقَنَّه" (انظر: *نفس المصدر*، ١٤٦). والزيادة من *نفس المصدر* (٦١، ١٤٦)؛ و*تفسير الطبري*، (٢٤٢/١٦).
* وقع ما بين النجمتين في أواخر تفسير الآية ٩٧ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٦٥ظ ٣٨/سطر٣٨ - ٤٧٦و/سطر١. ووقعت أيضا ههنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٩٤-٩٥ (انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١-٣)، والآية برقم ٩٦ (انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١-٣)، فقدمناها إلى هنالك.
[15] بحيث يصير رمادا يُذر ويُنسف في البحر (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٨٩ظ).
[16] ر ع م: والذهب.

ليس من طبع النار إحراقهما حتى تصيرا[1] رمادًا، ولكن من طبعهما الإذابة.[2] ثم أخبر أنه محرِقه،[3] فدل أنه آية.[4]

وفي قوله: **لنحرقنه** لغتان.[5] لنُحَرِّقَنَّه -بالتشديد وبرفع النون- وهو التحريق بالنار، ولنَحْرُقَنَّه -بنصب النون- وهو القطع بالمِبْرد.[6] وقال أبو معاذ: من قرأ لنَحْرُقَنَّه -بنصب النون[7] فقد كان العجل من الحُلِيّ فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرَق بالمِبْرد؛[8] ومن قرأ لنُحَرِّقَنَّه -برفع النون والتشديد- يقول: كان لحما ودما فأحرق بالنار [ف]صار رمادًا ثم نُسِف في اليم.

قال أبو معاذ: قال مقاتل بن سليمان: لنُحَرِّقنه برفع النون، بالنار، ثم لنَحْرُقنه بالنصب، بالمبرد.[9] يا سبحان الله! إن كنتَ أحرقته بالنار فما حاجتك إلى المبرد؟ لكنه أراد مقاتل أن يجمع القراءتين والتأويلين في قراءة وتأويل[10] واحد. لكنه عندنا لا يجوز أن يكون العجل من لحم ودم في إحدى[11] القراءتين، وفي الأخرى من الحُلِيّ لا لحمَ فيه ولا دم وتكونَ القراءتان جميعا مُنْزَلتين. وما قاله مقاتل: إنه حُرق بالنار ثم حرق بالمِبْرد حسن، لأن النار لا تُحْرِق العجل إذا كان لحما ودما ولكنها تُذيب، فأُبرد بالمبرد، فعند ذلك نُسِف في اليم.

---

[1] ع: يصيرا.

[2] ع: الادابه.

[3] ر ع: محرقة.

[4] أي فهم موسى بنور الرسالة أن هذا العجل ليس بحيٍّ بل جامد مكوَّن من أنواع المعادن فاستعمل كلمةً لا تُستعمل إلا في الجمادات.

[5] وقوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعةً. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: "لَنُحْرِقَنَّهُ" بضم النون، وتخفيف الراء بمعنى لنحرقنه بالنار إحراقةً واحدة. وقرأه أبو جعفر القارئ: "لَنَحْرُقَنَّهُ" بفتح النون وضم الراء بمعنى لنَبْرُدَنَّه بالمَبَارِد من حَرَقْتُه أَحْرُقُه (*تفسير الطبري*، ٢٤١/١٦؛ وانظر أيضا: *زبدة العرفان* لعبد الفتاح بالوي، ٩٠).

[6] برَد الحديدَ ونحوه من الجواهر: سحله، أي نَحَتَه. والمِبْرَد ما بُرِد به (*لسان العرب*، «برد»، و «سحل»).

[7] كما قرأ ابن محيصن (انظر: *تفسير البغوي*، ٢٩/٤).

[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨١؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٤١/١٦.

[9] ر ع م - قال مقاتل بن سليمان لنحرقنه برفع النون بالنار ثم لنحرقنه بالنصب بالمبرد. قارن: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠/٣.

[10] ر ع م - وتأويل.

[11] م: أحد.

قال أبو معاذ: تقول[1] العرب: نَسَفْتُ البُرَّ[2] أنسِفُه[3] نَسْفًا، إذا أخرجَته المِنْسَفةُ[4] فطيَّرتْ غبارَه. ويقال في المشي: ما زلنا[5] ننسف يومَنا كلَّه نسفا، أي نمشي.

وقال أبو عَوْسَجة: **لَنَنْسِفَنَّه**، أي لنَرْمِيَنَّ به **نسفا**، أي رميا؛ والنسف القلع من الأصل. وصَرْفه: نَسَف ينسِف نَسْفًا.*

﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٩٨]

[٤٧٦و] / وقوله عز وجل: **إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو**، جائز أن يكون موسى لما أحرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك: **إنما إلهكم الله الذي** تعرفونه **لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا**، لا يعزُب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء. فيشبه أن يكون موسى ذكر هذا لهم لِمَا أضمروا هم وأسرُّوا حب العجل في قلوبهم على ما أخبر الله عنهم بقوله: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ،[7] فقال لهم: **وسع كل شيء علمًا**، يعلم ما تسرون وما تظهرون.[8] أو أن يكونوا لا يعلمون أنه يعلم[9] ما يسرون وما يضمرون وما يغيب عن الخلق، ويكون عندهم كملوك الأرض يعلمون الظاهر من الأمور الحاضرة منها ولا يعرفون الباطن منها[10] والغائب، فأخبر أنه عز وجل يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضرة والغائبة. *والله أعلم*.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **كذلك نقُصَّ عليك من أنباء ما قد سبق**، أي هكذا **نقُصُّ عليك من أنباء ما قد سبق**، ليكون آية لرسالتك ونبوتك. أو أن يقول: كما قصصنا عليك هذا النبأ[11] **كذلك نقص عليك** سائر الأنباء.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ن: يقول.
[2] ر ع م: البرد.
[3] ر ع م: أنسفته.
[4] ر ع م: النسفة. والمنسفة الغربال (*لسان العرب*، «نسف»).
[5] ع: ما نزلنا.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات ٩١ و٩٦ و٩٧ فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٧٥ظ/سطر ٣٢ - ٤٧٦و/سطر ١.
[7] سورة البقرة، ٢/٩٣.
[8] ر ع م: وما تظهر.
[9] ر م - يعلم.
[10] ر ع م - ولا يعرفون الباطن منها.
[11] ع: البنا.
[12] ع: النباء.

وقوله عز وجل: **وقد آتيناك من لدنا ذكرا**، قال أهل التأويل: الذكر ههنا القرآن،[١] ألا ترى[٢] أنه قال[٣] على إثره: مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فإنه كذا. وجائز أن يكون قوله: **آتيناك من لدنا ذكرا**، أي شرفا وذكرا يُذكر هو بعده أبدا، ومن اتبعه وأجابه إلى ما دعاه يصير مذكورًا به.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا**، والوِزر الحِمْل. وسميت الآثام حِملا لأن الآثام تُنقِض ظهور أصحابها في النار وتَكْسِرها كالحمل في الدنيا يُنقِض[٤] ظهر صاحبه ويكسره. وهو ما ذكر وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.[٥]

*وقوله: **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا**، يحتمل الإعراض عنه وجهين. [٤٧٦و س١٨ أحدهما **أعرض عنه**، أي كفر به وكذّبه و لم يلتفت إليه. والثاني **أعرض عنه**، أي لم يعمل بما فيه. ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يُخاف أن يكون في وعيد هذه الآية.* ٤٧٦و س٢١]

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **خالدين فيه**، أي في ذلك الوزر، أي لن يفارقهم أوزارُهم أبدَ الآبدين. وقوله عز وجل: **وساء لهم يوم القيامة حملا**، حِمْلَ السوء، حملٌ يورد صاحبه النار. بئس الحمل حمل يورد صاحبه النار! ويقال: بئس ما حَمَلوا على أنفسهم من الأعمال.*

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[١٠٢] ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا**، قيل: يتسارُّون[٨] بينهم ويتكلمون فيما بينهم كلاما خفيا: **إن لبثتم إلا عشرا**.

---

[١] ع + وهو ظاهر.
[٢] ن: ألا يرى.
[٣] ر ع م - قال.
[٤] ر: ينقص؛ ع + على.
[٥] سورة الانشراح، ٩٤/٢-٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١٨-٢١.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٦و/سطر١٨-٢١.
[٨] ع: يتشاورون.

مثل هذا الكلام إنما[1] يقولون تلهُّفًا وتحزُّنًا على ما كان منهم في وقت قليل، لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا. يقولون: كيف كان منا كل هذا العمل في ذلك الوقت القليل؟

ثم اختلفوا في ذلك اللبث الذي قالوا ذلك. قال بعضهم: [ذلك] في الدنيا، استقلُّوا مُقامَ الدنيا لما عاينوا الآخرة. وقال بعضهم: ذلك في القبر. ويستدل من ينكر عذاب القبر بهذه الآية، يقول: لأنهم استقلُّوا مُقامهم في القبور، ولو[2] كان لهم عذاب في ذلك لاستعظموا ذلك واستكثروا، لأن قليل اللبث في العذاب يُستعظم ويُستنكر، لا يُستقَلُّ[3] ولا يُستحقر؛ فلما استقلوا ذلك دل أنهم لا يعذبون في القبور. واستدلوا أيضًا بنفي العذاب فيه بقوله: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا.[4]

ومن يقول بعذاب القبر يزعم أن ذلك إنما قالوا في القبر يقول ذلك بين النفختين،[5] يقول: هم يعذبون ويكونون في العذاب إلى النفخة[6] الأولى ثم يرفع عنهم العذاب إلى النفخة[7] الثانية، عند ذلك يَرْقُدون فيستصغرون مُقامهم للنوم. وقد يستصغر الوقت الطويل ويُستقلُّ في حال النوم على ما ذكر في قصة أصحاب الكهف حين قالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[8] وهم قد أقاموا ثلثمائة سنةٍ وزيادةً. وجائز أن يكون عذاب القبر عذابَ عرض وعذابُ الآخرة عذاب عين، كقوله: اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا،[9] فاستصغروا عذاب العرض واستقلُّوه عند معاينة عذاب العين. ومن يقول: ذلك في الدنيا يقول: تحاقرتْ الدنيا في أعينهم ومُقَامُهم فيها حين عاينوا الآخرة وأهوالها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**، قوله: **أمثلهم**، قيل: أعقلهم، وقيل: أفضلهم، **إن لبثتم إلا يوما**، من كان أبصر وأعلم بأمور الآخرة

---

[1] ع: بما.
[2] ع: ولولا.
[3] ر: لا يستقبل.
[4] سورة يس، ٥٢/٣٦.
[5] ن: النفحتين.
[6] ن: النفحة.
[7] ن: النفحة.
[8] سورة الكهف، ١٩/١٨.
[9] سورة المؤمن، ٤٦/٤٠.

وأهوالها كان أكثر استخفافا بالدنيا واستحقارا لها. وفي حرف ابن مسعود: "نحن أعلم بما يقولون إذ عيل عليهم إذ يقول أمثلهم طريقة".[١] قال أبو معاذ: قوله: "عيل عليهم"، أي اشتبه وخفي وفاتَهم علمُه. وقال: ومنه يقال: عالت الفريضة، تعول عولا، إذا جاوزت السهام فأشكل على الفارض واشتبه. ومنه قيل: عيل صبري.[٢]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفُها ربي نَسْفًا**، يشبه أن يكون / سؤالهم [٤٧٦ظ] عن أحوال الجبال في ذلك اليوم لما بيّن أحوال الناس في الساعة بقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، الآية، وكقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٣] الآية، وصف لهم أحوال الخلق في ذلك اليوم ولم يصف أحوال الجبال والأرض، فعند ذلك سألوه عن أحوال الجبال، فأمر رسوله أن يخبرهم بما ذَكَر أنه **يَنسِفُها ربي نَسْفًا**، وما ذَكَر أيضا في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا،[٤] وقوله: كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ،[٥] ونحوه. فجائز أن يكون ذلك على اختلاف الأحوال، وقد ذكرنا فيما تقدم.[٦]

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾[١٠٦] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **فيذرها قاعًا صَفْصَفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا**، قال بعضهم: **قاعًا صفصفًا**، أي مستوية. والقاع والصفصف واحد. وقال بعضهم: هي الأرض الملساء[٧] التي لا نبات فيها ولا زرع.

---

[١] لم أجده.

[٢] عالني الشيءُ يَعُولني عَولاً: غلبني وثقُل عليّ (...) عِيل صبرُه: أي غُلِب. ويكون رفع وغيّر عما كان عليه، من قولهم: عالت الفريضةُ، إذا ارتفعت (*لسان العرب*، «عول»).

[٣] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/١-٢).

[٤] ﴿إذا رُجّت الأرض رَجّا وَبُسّتِ الجبال بَسّا فكانت هباء مُنْبَثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦). جميع النسخ: هباء منثورا.

[٥] ﴿يوم يكون الناس كالفَرَاش المَبْثُوث وتكون الجبال كالعِهْن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٤-٥). ولكنهما تعلمان بأحوال الناس لا أحوال الجبال.

[٦] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في آخر المجلدات السابقة".

[٧] ر ع: الملسا.

وقوله: **لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا**، قيل: لا واديًا، **ولا أمْتًا**، ولا رابية.[1]

وقال بعضهم: العوج الارتفاع، والأمتُ البسوط.[2] وقال بعضهم: العوج انحناء[3] الأودية، والأمْتُ التِلال.[4] وقيل: لا انخفاضًا ولا ارتفاعًا. والقاع الصفصف هو تفسير **لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا**؛ **ولا ترى فيها عوجا ولا أمْتًا**[5] تفسير قوله: **قاعا صفصفا**.

[٤٧٦ظ س١٥] * قال أبو عَوْسَجة: يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ،[6] أي [من قوله:] أخفى صوتَه.[7] وقوله: أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً،[8] أي أفضلهم. فأما **صفصفا**، قال: القاع الأرض الصَّلْبة[9] التي لا شيء فيها. والصفصف المستوية، والصَّفاصِف جميع. والقيعان جميع القاع. **عِوَج** وعَوَج واحد.[10] **ولا أمتا**، والأمت هو العوج وهو التَّلُّ.* [٤٧٦ظ س١٧]

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **يومئذ يتّبعون الداعي لا عِوَجَ له**، لا خلاف له، ليس كالداعي في الدنيا، منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه.[12] فأخبر أنهم في الآخرة يجيبون الداعي في أي حال كانوا، لا يخالفونه.

وقوله عز وجل: **وخشعت الأصوات**، لا تخشع لكن تنخفض وتلين عند خوف أهلها وترتفع عند الأمن. أو أن يكون خشوع الأصوات كناية عنهم، أي يخشعون ويَذِلُّون لشدة فزَعهم لأهوال ذلك اليوم.

---

[1] *تفسير ابن عباس*، ٣٤٩.
[2] جميع النسخ: الهبوط، والتصحيح من *تفسير الضحاك* (انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٧٠).
[3] ر ع: احنا.
[4] التَّلُّ: ج تِلال وتُلول، الواحدة تَلَّة، من الأرض قطعة أرفع قليلا مما حولها (*المنجد*، «تل»).
[5] ن + هو.
[6] الآية ١٠٣ من هذه السورة.
[7] ر م: صورته.
[8] الآية ١٠٤ من هذه السورة.
[9] ن: السلبة.
[10] ر ع م – واحد. والعَوَج بالتحريك، مصدر قولك: عَوِجَ الشيء، بالكسر، فهو أَعْوَجُ، والاسم العِوَجُ، بكسر العين. وعِوَجُ الطريق وعَوَجُه: زَيْغُه. وعِوَجُ الدِّين والخُلُق: فساده وميْلُه (*لسان العرب*، «عوج»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٩، فنقلناه إلى هنا، انظر: ٤٧٦ظ/سطر١٥-١٧.
[12] ن: ويجيبه.

وقوله عز وجل: **فلا تسمع لهم إلا هَمْسًا**، قيل الهمس الكلام الخفي[١] الذي لا تكاد تسمعه.[٢] وقيل: وقعُ الأقدام ونقلها وهو تحرُّكها.*

[قال أبو عوسجة:] وقوله عز وجل: **وخشعت الأصوات**، أي سكنت. والهمس الخفي.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لا تنفع الشفاعة**، ليس أن يكون لهم شفعاءُ[٤] فلا تنفع، ولكن لا شافع لهم.[٥] **إلا من أذن له الرحمن** بالشفاعة لأحد ورضي له بقول الشفاعة.[٦] إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه، فضلاً[٧] أن يؤذن لأحد بالشفاعة، كقوله: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ[٨] وَقَالَ صَوَابًا.[٩] والثاني **لا تنفع الشفاعة**، إلا من وفّق له[١٠] [الرحمن] بما يستوجب الشفاعة له، **ورضي له قولا**، وسأله ذلك؛ وهو قول الشهادة والتوحيد. فيرجع أحد التأويلين إلى الشفعاء،[١١] إنه لا أحد يشفع لأحد إلا بإذنه ورِضاه بالقول قولِ الشفاعة. والثاني[١٢] يرجع إلى المشفوع له: إنه لا أحد يستوجب شفاعة أحد[١٣] إلا من وفق له الرحمن في الدنيا بالتوحيد وشهادة الإخلاص. ***والله أعلم***.

*وقال بعضهم في قوله: **يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له الرحمن**، في الشفاعة، **ورضي له قولا**، قول لا إله إلا الله مسلما في الدنيا مؤمنا حقا، فذلك الذي رضي والشفاعة تَحِلُّ لهم؛ فأما غيرهم[١٤] فلا يُشفع لهم. وهو ما ذكرنا فيما تقدم.* |٤٧٧و س٧ ٤٧٧و س٨|

---

[١] ن: الحفي.

[٢] ر ع م: لا يكاد يسمعه.

* وقعت هناك قطعة من تفسير الآية السابقة ١٠٧، فقدمناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٧٦ظ/سطر١٥-١٨.

[٤] ر ع م: الشفعا.

[٥] ن + إلا من أذن الرحمن ورضي له قولا.

[٦] ر ع م – لأحد ورضي له بقول الشفاعة.

[٧] ر ع + إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا.

[٨] ر ع م + بقول الشفاعة إنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا.

[٩] سورة النبأ، ٣٨/٧٨.

[١٠] ر ع م: وقوله.

[١١] ع: الشفعا.

[١٢] م – والثاني.

[١٣] ر ع م – أحد.

[١٤] ر ع: فاغيرهم؛ م: فاخبرهم.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧و/سطر٧-٨.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**، يحتمل قوله: **ما بين أيديهم**، قبل أن يخلقوا، **وما خلفهم**، بعد ما خُلقوا وكانوا. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم**، ما قدموا من الأعمال، **وما خلفهم**، ما تركوا وخَلَفوا[١] مِن بعدهم. أو أن يكون قوله: **ما بين أيديهم**، كناية عن الخيرات، أي يعلم ما يعملون من الخيرات، **وما خلفهم** من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم. وجائز أن يكون المراد من البَيْن والخَلْف الأحوال كلها، أي عالم بجميع أحوالهم وبكل شيء يكون منهم. وهو كقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ،[٢] أي لا يأتيه الباطل ألبتة، لأنه ليس للقرآن بيْن ولا خلْف، ولكن المراد ما ذكرنا؛ فعلى ذلك الأولُ. وجائز أن يكون المراد منه ليس البيْنَ ولا الخلْفَ، ولكن [الإخبار] إخبار عن إحاطة علمه بهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا يحيطون به علما**، هذا يحتمل وجهين. **لا يحيطون** بالله علما، ولكن إنما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم الشواهد من خلقه، لأن الخلق إنما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل لهم من الدلالات من خلقه. والإحاطةُ بالشيء إنما تكون[٣] ما كان سبيل معرفته الحسَّ والمشاهدات، فأما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فإنه لا يحاط بالعلم.[٤] والثاني **لا يحيطون به علمًا**، أي بعلمه، كقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ،[٥] وكقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ،[٦] الآية.

[٤٧٧و س٣] *وقال بعضهم: في قوله: **يعلم ما بين أيديهم**، من أمر الآخرة، **وما خلفهم**، من أمر الدنيا، **ولا يحيطون**، يعني الملائكة، **به علمًا**، يقول: هم لا يعلمون من كلامه إلا ما علمهم إياه. فإن كان هذا في الملائكة خاصة فإنه لا يحتمل ما ذكرنا من التأويل في قوله: **وما خلفهم**، من الشرور وما نبذوه وراء ظهورهم، لأنهم مطيعون لله لا يعصونه طرفةَ عين. ويحتمل غيره من التأويلات التي ذكرنا. ***والله أعلم***.* [٤٧٧و س٦]

---

[١] ر ع م – ما تركوا وخلفوا.

[٢] سورة فصلت، ٤١/٤٢.

[٣] ن: يكون.

[٤] جميع النسخ والشرح: به العلم.

[٥] انظر: تفسير الآية السابقة برقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

[٦] سورة الجن، ٧١/٢٦-٢٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧و/سطر٣-٦.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **وعنت الوجوه للحي القيوم**، قيل: عنتْ ذلَّت وخضعت **الوجوه**، وجائز أن يكون ذكر الوجوه كناية عن أنفسهم، لما بالوجوه تظهر[١] الذلة والخضوع، فكنَّى بها عنهم. فإن كان ما أخبر من خضوعهم وذُلِّهم في الآخرة فهو على ما[٢] أخبر من خضوع الخلائق له في الآخرة، وإن كان بعضهم يتكبر في الدنيا. وإن كان في الدنيا فهو على خضوع الخلقة له، خضعت خلقة الخلائق كلِّهم له. وقوله: **للحي القيوم**، قد ذكرنا تأويل **الحي القيوم** فيما تقدم.[٣]

وقوله عز وجل: **وقد خاب من حمل ظلما**، أي **قد خاب** / **من حمل** الشرك؛ والظلمُ ههنا [٤٧٧و] الشرك. **وقد خاب من حمل** ما ذكر من الحِمْل والوزر، وهو ما ذكر في قوله: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾،[٤] أي خاب من حمل ذلك الحمل. *والله أعلم*.*

وقال بعضهم: في قوله: **وعنت الوجوه للحي القيوم**، أي عملت الوجوه **للحي القيوم**، قالوا في تأويل **عنت**: عملت،[٦] أي خضعت له بالعمل الصالح في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع والسجود وغيره، وهو في المؤمنين خاصة. ليس أن يكون تأويل قوله: **وعنت**، أي عملت حقيقة، ولكن من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان التأويل في الآخرة فهو في الفريقين جميعًا، يذلُّون له جميعا ويخضعون في الآخرة وإن كان من بعضهم التكبر في الدنيا.

*قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **وعنت الوجوه**، أي ذلت يقال: عنا يعنو عُنُوًّا.[٧] وقال: ﴿وَلَا هَضْمًا﴾،[٨] أي ظلما، يقال: هضمتُه، أي ظلمته، وأهضمته مثله. وقال أبو عبيدة: الهضم النقصان.[٩] [٤٧٧ظ س١٨]

---

[١] ر ن ع: يظهر.

[٢] ر ع - ما.

[٣] انظر: تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

[٤] سورة طه، ١٠٠/٢٠-١٠١.

* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٠٩ (ورقة ٤٧٧و/سطر٧-٨)، وبرقم ١١٠ (ورقة ٤٧٧و/سطر٣-٦) فنقلناهما إلى مكانيهما.

[٦] ر ن: العمل. قال الفراء: عنت الوجوه نَصِبَتْ له وعمِلت له، وذكر أيضا أنه وضع المسلم يدَيْه وجبهته ورُكبتَيْه إذا سجد وركع (*لسان العرب*، «عنو»).

[٧] عَنَوْتُ لك، خضَعت لك وأطعتُك؛ وعَنَوْتُ للحق عُنُوًّا، خضَعت (*لسان العرب*، «عنو»).

[٨] الآية التالية.

[٩] انظر: *مجاز القرآن*، ٣١/٢ (ولا هضما، أي ولا نقيصه).

٤٧٧ظ س٢٠] وقال: قَاعًا صَفْصَفًا،[١] القاع الأرض التي يعلوها الماء،[٢] وهو قريب مما ذكرنا. **والله أعلم**.*

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[١١٢]

وقوله عز وجل: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**، فيه دلالة أنه قد يستحق [المرء] اسمَ الإيمان بدون الأعمال الصالحات، حيث قال: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**. وفيه أن الإيمان[٤] شرط في قبول الصالحات وجعْلِها طاعة لله، حيث شرط الإيمان[٥] فيه.

وقوله عز وجل: **فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا**، الظلم ههنا على مذهبنا النقصان لا ظلم الجور، لأن الثواب على الأعمال الصالحات[٦] بحق الإفضال لا بحق العدل. فإذا كان على هذا فيخرج قوله: **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف** أن يُنقِصَ من حسناته شيئًا أو يزيد في سيئاته شيئًا. ويجوز في اللغة ذكر الظلم على إرادة النقصان، كقوله في ذكر الجنتين: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[٧] والجنة لا توصف بالظلم الذي هو ظلم جور، فدل أنه أراد بالظلم ههنا النقصان، أي لم تَنقُص بل أتتْ بثمارها وافية وافرة. وإن كان على الظلم الذي هو ظلم الجور فهو على النهي، أي لا تَخَفْ منه الظلم والجور.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **وكذلك أنزلناه قرآن عربيًا**، أي كما ذكرنا أن مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا،[٨] كذلك أنزلناه في القرآن العربي. **وصرَّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون**. حرف "لعل" في جميع ما ذكر في القرآن يحتمل وجهين. أحدهما على الوعد أنهم يتقون، فهو على الإيجاب. والثاني **لعلهم يتقون**، أي ألزمهم أن يتقوا بما صرف فيه من الوعيد. وإن كان على الوعد والإيجاب عنه فهو لمن علم أنهم يتقون.

---

[١] سورة طه، ١٠٦/٢٠.
[٢] قارن: *مجاز القرآن*، ٣١/٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٧ظ/سطر١٨-٢٠.
[٤] ن: للإيمان.
[٥] ن: للإيمان.
[٦] ر ع م – الصالحات.
[٧] سورة الكهف، ٣٣/١٨.
[٨] الآية السابقة.

وإن كان على الإلزام، أي ألزمهم، فهو في الكل. ثم إن كان على الوعد فيخرج قوله: **أو يُحْدِث لهم ذكرًا**، أي ويُحدث لهم ذكرًا،[١] فيكون كقوله: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى:[٢] إذا تذكَّر خشي وإذا خشي تذكَّر. فعلى ذلك إذا اتقى فقد أحدث له الذكر، وإذا أحدث له الذكر اتقى.[٣] وإن كان ألزمهم أن يتقوا فهو على [أن] "أو" [بمعنى] "ثم". قال بعضهم: **ذكرا**، أي عذابا.

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **فتعالى الله الملك الحق**، مثل هذا إنما يذكر على نوازلَ كانت إما قولا أو فعلا، يقال: فتعالى الله عن ذلك، لكن لم يذكر النوازل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تَعجل بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه**، يحتمل ما قاله أهل التأويل: إن جبريل كان إذا أتاه بالسورة وبالآي فيتلوها عليها فلا يفرغ جبريل من التلاوة حتى يتكلم[٤] رسول الله بأولها مخافة أن ينساها، فأنزل الله: **ولا تعجل بالقرآن** فتقرأه من قبل أن يَفرَغ من تلاوته عليك. وقد آمنه عن النسيان بقوله: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى،[٥] الآية، وكذلك لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[٦] الآية. ثم أمره عز وجل أن يسأله أن يزيد له علما. ويحتمل أن يكون قوله: **ولا تَعجل بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه**، أي **لا تعجل** بما ذَكَر من الوعيد لهم في القرآن من قبل أن يأتي وقته، كقوله: فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.[٧] وقوله: **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**، جائز ما[٨] قال أهل التأويل: إنه كان يتلو[٩] مع تلاوة جبريل فقال له: **لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**،

---

[١] ر ع م – أي و يحدث لهم ذكرا.

[٢] ﴿فقُولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (سورة طه، ٢٠/٤٤).

[٣] ع: ابقى.

[٤] ع: تتكلم.

[٥] ﴿سنقرؤك فلا تنسى﴾ (سورة الأعلى، ٨٧/٦).

[٦] ﴿لا تُحَرِّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وَقُرآنَه فإذا قرأناه فاتَّبِع قُرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩).

[٧] سورة مريم، ١٩/٨٤.

[٨] ع – ما.

[٩] ر ع: يتلوا.

إن ثبت عنه أنه كان يتلو[1] مع تلاوة جبريل.[2] وجائز النهي من غير أن كان منه ما ذكروا[3] -والله أعلم- على ما نُهي هو عن أشياءَ من غير أن كان منه ذلك.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**، قال الحسن وعامة أهل التأويل: إن قوله: **نسي**، أي ضيّع وترك[4] ليس نسيانَ السهو، لأنه عوتب عليه وعوقب[5] به؛ ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان، فدل أنه على التضييع والترك ليس / على [٤٧٧ظ] النسيان والسهو، إلى هذا يذهب هؤلاء. لكن يقبح هذا أن يقال في آدم أو في[6] نبي من أنبيائه أو في رسول من رسله -صلوات الله عليهم- أنه ضيّع.

والنسيان عندنا على قسمين. نسيان يكون عن غفلة منه وشغلٍ ما لولا ذلك الشغل منه والغفلة لَحَفِظه وذكَره ولا ينساه؛ وجائز المعاتبة[7] على هذا النسيان، إذ لو كان تكلَّف لكان لا ينساه ولا يقع فيه. ونسيان آخر يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك دفعه، وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه ولا يعاقب به. وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة، إنه جائز أن يكلِّف ويمتحن من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه إياه بعد أن يحتمل عقله إدراك ذلك لو استعمله. فأما من كان عقله لا يحتمل إدراك ما كلَّفه وإن استعمله وأجهد نفسه فيه فإنه لا يكلَّف ألبتة. فعلى ذلك النسيانُ الذي ذَكَر من آدم، جائز أنه لو تكلَّف لحفِظه[8] وذكره، فإنما عوتب لذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولم نجد له عزما**، قال الحسن: أي منعا من الشيطان. وقال بعضهم: حفظا لم يحفظ أمره. وقال بعضهم: صبرا،[9] ونحوه. والعزم حقيقة القصد والقطع على الشيء، وهو ضد النسيان الذي ذكر. وقال بعضهم: العزم هو المحافظة على أمر الله والتمسك به.[10]

---

[1] ر: يتلوا.
[2] ن: مع تلاوته، - جبريل.
[3] ر ع م: ذكر.
[4] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٢٠.
[5] م: وعوتب.
[6] ن + بني آدم.
[7] م: المعاينة.
[8] ر ع م - حفظه.
[9] قارن: *تفسير البغوي*، ٣٤/٤ (قال الحسن: لم نجد له صبرا عما نهى الله عنه).
[10] كما قال عطية العوفي (انظر: *تفسير البغوي*، ٣٤/٤).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى.** {قال:} لولا قول أهل التأويل في صرف[١] سجود الملائكة لآدم إلى حقيقة السجود، وإلا جائز أن يصرف الأمر بالسجود إلى الخضوع له، إذ[٢] السجود هو الخضوع حيث قال: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ،[٣] وقد يؤمر الإنسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **فلا يُخرِجَنَّكما من الجنة فَتَشْقَى**، قال أهل التأويل ليس شقاء الدين ولكن تعب النفس والنَّصَب في العمل.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾[١١٨] ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[١١٩] ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[١٢٠] ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **إن لك ألَّا تجوع فيها ولا تعرَى وأنك لا تظمَأ فيها ولا تضحَى**، أو لا يصيبك الشمس.

وقوله عز وجل: **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أَدُلُّكَ على شجرة الخُلد وملك لا يَبْلَى**، أي لا يفنَى؛ **فأكلا منها فبدت لهما سَوْآتُهما وطفقا يخصِفان عليهما من ورق الجنة**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٤]* وقوله عز وجل: **وعصى آدم ربه فغوى**، كل من عصى ربه فقد غوى؛[٦] العصيان والغواية واحد.

* قال أبو عَوْسَجَة: **وأنك لا تَظْمَأ فيها ولا تَضْحَى**، أي لا تظهر للشمس. والظمأُ [٤٧٨و س٢٣] العطش، والضحى الحر. قال [به] أبو عبيدة.[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: **وطفِقا** وعَلِقا واحد.

---

[١] ر ع م - في صرف.
[٢] ر ع م: و.
[٣] سورة البقرة، ٣٣/٢.
[٤] انظر: تفسير الآية من سورة الأعراف، ٢٢/٧.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقة برقم ١٠٦ و١١١ و١١٢، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٧٧ظ/ سطر١٨-٢٠.
[٦] ن: فغوى.
[٧] لم أجده.

يقال: علِق يعلَق علَقا فهو عالق وطافق.[1] وقال: يقال في[2] الخَصْف: خَصَفْتُ الخُفَّ،[3] إذا أنعلتَ[4] ونعلتَ الخُفّ. ويسمى تلك النعيلةَ، والنعائل جمع.[5] وقال: قوله: مَعِيشَةً ضَنْكًا،[6] أي ضَيِّقة. قال أبو عبيدة: وكل ضَيِّق مَنْزِلُ أو غيره فهو ضَنْك.[7]* [٤٧٨و س٢٧]

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**، قوله: **ثم اجتباه**، يحتمل[9] وجوها. أحدها **اجتباه** للتوبة وهداه لها. أو **اجتباه ربه** للرسالة وهداه لها. أو **اجتباه ربه** للدين وهداه للتوحيد. وهذا جائز عندنا، لأن للتوحيد والإيمان[10] حكمَ التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة، لأنه مأمور بترك الكفر ونفيه في كل وقت. فإذا كان مأمورا بترك الكفر في كل وقت منهيًّا عنه كان مأمورا بالإيمان والتوحيد. فإذا كان ما ذكرنا دل أن للإيمان والتوحيد حكمَ التجدد والحدوث في[11] كل وقت. وإلا ظاهر قوله: **ثم اجتباه ربه**، أنه لم يكن مجتبًى[12] قبل ذلك فاجتباه من بعدُ، لكن الوجه ما ذكرنا من اجتبائه[13] للرسالة واجتبائه[14] للتوحيد والطاعات والخيرات ونحوه. *والله أعلم*.

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى[١٢٣]

وقوله عز وجل: **قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو**، قال الحسن: قوله: **اهبطا**،

---

[1] ع + وذاك.
[2] ر ع م: من.
[3] ع: لخف.
[4] ن: أنعلته.
[5] ن: جميع.
[6] الآية ١٢٤ من هذه السورة.
[7] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٢/٢ (وكل عيش أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٢٨، فقدمناها إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٧٨و/سطر٢٣-٢٧.
[9] ر: ويحتمل.
[10] ن: وللإيمان.
[11] م: وفي.
[12] ر ع م: يجتبي.
[13] ر ع م: اجتباه.
[14] ر ع م: اجتباه.

أي آدم والشيطان، **بعضكم لبعض عدو**، يعني ذرية آدم وذرية إبليس بعضهم لبعض عدو. وقال: فيما قال اِهْبِطُوا[١] عنى آدم وحوّاء[٢] وإبليس.[٣]

والهبوطُ ليس هو الانحدار والتسفُّل من المكان العالي المرتفع، إنما هو النزول في المكان. فجائز أن يكون قوله: اِهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[٤] أراد ذريتهما ذرية آدم وذرية إبليس. وعلى ذلك يخرج قوله: **فإما يأتينكم مني هدى**، يعني الذرية. وجائز أن يكون قوله:[٥] **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**، وقت اتباعه الهدى؛ أو **لا يضل ولا يشقى**، إذا خُتم بالهدى؛ أو **لا يضل** طريق الجنة، **ولا يشقى** في النار. *والله أعلم*.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[١٢٤] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾[١٢٥]

وقوله عز وجل: **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضَنْكًا**، الضَّنْك هو الشدة والضيق. ثم اختلفوا فيه، قال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، في الدنيا وإن كانت في الظاهر واسعة عليه، لأنهم ينفقون ولا يرون لنفقتهم خلَفًا ولا عاقِبة ويرون[٦] الدنيا أنها تدوم، فذلك يمنعهم عن التوسيع في الإنفاق خوفا لنفاد[٧] ذلك المال وبقاء أنفسهم، لما ذكرنا أنهم لا يرون لنفقتهم خلَفًا ولا عوضا ولا عاقبة لها، فذلك الضَّنْك. وقال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، لأنهم يَعصون بما أُعطوا من المال وأُنعموا فيه، لأن توسُّعهم يكون في معصية، فنفي عنهم الانتفاع به كما نفي عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على قيامها لِما ذهبت / منافعها في الطاعة.[٨] وقال بعضهم: **فإن له معيشة ضَنْكًا**، في عذاب القبر،[٩] لكن لا يقال: [٤٧٨و] لمن في القبر: **إن له معيشة ضَنْكًا**، حتى يوصف بالضيق. وعذاب القبر سبيل معرفته السمع،

---

[١] سورة البقرة، ٣٦/٢؛ وانظر أيضا: سورة البقرة، ٣٨/٢؛ وسورة الأعراف، ٢٤/٧.
[٢] ر: حواء؛ ع: حوى.
[٣] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٨٢/١.
[٤] سورة البقرة، ٣٦/٢.
[٥] ر ع م – وجائز أن يكون قوله.
[٦] ر م: ويريدون.
[٧] ر ع: النفاد.
[٨] لعل المؤلف يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة،١٨/٢).
[٩] كما روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ومجاهد (انظر: *تفسير البغوي*، ٣٦/٤؛ و*تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٧).

فإن ثبت السمع وإلا فالترك أولى. وقال قائلون: ذلك في الآخرة -والله أعلم- كقوله: مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ.[1]

وقوله عز وجل: **ونحشره يوم القيامة أعمى**، قال بعضهم: نحشره أعمى عن حججه في دينه.[2] لكن متى كانت له الحجج في الدنيا حتى يَعْمَى[3] عنها في الآخرة؟ وقال بعضهم: **ونحشره يوم القيامة أعمى**، عَمَى الحقيقةِ، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[4] فهو على حقيقة عَمَى البصرِ، وهو أشبه. ***والله أعلم.***

قال مجاهد: قوله: **رب لم حشرتني أعمى**، قال: بلا حجة لي، **وقد كنت بصيرا**، في الدنيا.[5] لكن الأشبه هو ما ذكرنا من حقيقة ذهاب البصر إذ[6] لم يكن للكافر حجةٌ في الدنيا حتى يقول: **وقد كنتُ بصيرا**.

ثم اختلف فيه، قال بعضهم: ذلك بعدما حوسبوا وسِيقُوا إلى النار -نعوذ بالله من النار- فعند ذلك يعمى عليه البصر. وقال بعضهم: لا، ولكن يبعثون من قبورهم ويحشرون عُمْيًا.[7] ***والله أعلم.***

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[١٢٦]

وقوله عز وجل: **قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنْسَى**، أي كما أتتك آياتنا فصيَّرْتَها كالشيء المنسيِ لم تكترث إليها و لم تنظر فيها و لم ترغب فيها، كذلك تصير في النار كالشيء المنسيِ عن رحمته لا يُكترث[8] إليك[9] ولا ينظر في أمرك.[10] أو أن يقول: كما ضيّعت آياتِنا التي أتتك لنجاتك كذلك تُضَيَّع أنت وتترك في النار لا نجاة لك.

---

[1] ﴿وأعتدنا لمن كذَّب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تَغَيُّظا وزفيرا وإذا أُلْقُوا منها مكانا ضَيِّقا مقرَّنين دعَوْا هنالك ثُبُورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١١-١٣). وانظر لمعنى الضَّنك: آخر تفسير الآية ١٢١ في هذه السورة.

[2] كما روي عن مجاهد (انظر: *تفسير البغوي*، ٤/٣٦).

[3] ن: تعمى.

[4] ﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ ومن يُضْلِل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشُرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيا وبُكما وصُمّا مأواهم جهنم كلما خَبَتْ زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٧).

[5] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٨.

[6] ر: إذا.

[7] ر ع م: عميانا.

[8] ع: ولا يكترث.

[9] ن + ولم تنظر فيها و لم ترغب فيها كذلك تصير في النار كالشيء المنسي عن رحمته لا يكترث إليك.

[10] ر ع م: إليك.

﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[١٢٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه**، أي كذلك نجزي كل من أسرف في الدنيا ولم يؤمن بآيات ربه، ليس أحد المخصوصَ بذلك دون غيره، ولكنْ كلَّ مَن هذا صنيعه في الدنيا.

وقوله عز وجل: **ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**، كأنه قد سبق منه الوعيد لهم في الدنيا[1] بعذاب ثم قال: **ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**، من العذاب الذي أُوعِدتم. وإلا فعلى الابتداء لا يقال هذا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **أفلم يهد لهم**، جميع ما ذكر في القرآن مثل هذا: **أفلم يهد لهم**،[2] أَفَلَمْ يَسِيرُوا،[3] أَوَلَمْ يَرَوْا،[4] وأمثاله، كلّه أنه قد بيّن لهم ورأوا ذلك. أي قد بيّن لهؤلاء أنهم قد وافقوا[5] أولئك الذين أهلكهم من القرون الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والآياتِ التي أَتَوا بها وهم آمنون يمشون في مساكنهم. فكيف أَمِن هؤلاء من عذاب الله مع[6] موافقتهم أولئك في جميع صنيعهم؟ أو يقول: أفلم تتبين[7] لهم سنتي فيمن كان قبلهم من القرون الماضية بتكذيبهم الرسل وردِّهم الآيات وهم كانوا آمنين في مساكنهم. فكيف أمن هؤلاء من عذابه وقد ساوَوْا[8] أولئك في جميع صنيعهم وفعلهم، وهما واحد؟

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لأولي النُّهَى**، قال بعضهم: **لأولي النُّهَى**، هم الذين انتَهَوْا عما نهاهم الله عنه، وهم ذووا العقول، وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[9]*

---

[1] ر ع م – في الدنيا.

[2] انظر أيضا: سورة الأعراف، ٧/١٠٠؛ وسورة السجدة، ٣٢/٢٦.

[3] ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٩). وانظر أيضا: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «سير».

[4] ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾ (سورة يس، ٣٦/٧١). وانظر أيضا: المرجع السابق، «رأى».

[5] ع: واقفوا.

[6] ر ع م – مع.

[7] ر: تبين؛ ن: يتبين.

[8] م: اساووا.

[9] انظر مثلا: سورة طه، ٢٠/٥٤.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات السابقة برقم ١١٩ و ١٢١ و ١٢٤، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٤٧٨و/سطر ٢٣-٢٧.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[١٢٩]

وقوله عز وجل: **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجلٌ مسمى**، هو على التقديم والتأخير، أي لولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى لكان العذاب لازما لهم. يقول -والله أعلم-: يُلْزَم كلُّ إنسان بما عمل.[١] والأجل[٢] المسمى الساعة التي قال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[٣] وجائز أن يكون قوله على غير التقديم والتأخير لكنه على الإضمار، أي لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا، ولكن سيلزمهم إلى أجل مسمى، وهو ما ذَكَر في آية أخرى: وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى،[٤] وقوله: **ولولا كلمة سبقت من ربك**، بما يكون بحق الإفضال أو توجبه[٥] الحكمة لكان العذاب لازمًا لهم. وحق الإفضال ما سبق منه من الوعيد أنه يؤخر. ولا يقال فيما كان طريقه[٦] الإفضال: لِمَ تفضلتَ؟ وأصل هذا: **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لِزَامًا**، لولا ما سبق من وعده أنه لا يعذّب هذه الأمة تعذيبَ إهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الآيات، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، وهو ما ذكرنا، وهو قوله: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[٧]

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[١٣٠]

وقوله عز وجل: **فاصبر على ما يقولون**، يصبّر رسوله على أذاهم بلسانهم من السب والنسبة إلى السحر والجنون والافتراء على الله تعالى ونحوه وإن كان وَعَدَه[٨] أنه يعصمه[٩] منهم حتى لا يقدروا على إتلافه وإهلاكه، لأن في حفظ نفسه من الإتلاف والإهلاك آيةً من آيات رسالته، إذ بعثه إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم وعادتهم قتلَ من يخالفهم في شيء وإهلاكَ من يستقبلهم بما يكرهون؛ فدل عجزهم عن إتلافه وإهلاكه وحفظ نفسه / عنهم[١٠] أنه كان ذلك لآيةٍ في نفسه. [٤٧٨ظ]

---

[١] جميع النسخ + قال.
[٢] ن: ولأجل.
[٣] سورة القمر، ٥٤/٤٦.
[٤] ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ (سورة النحل، ١٦/٦١؛ وانظر أيضا: سورة فاطر، ٣٥/٤٥).
[٥] ن: يوجبه.
[٦] ر ع م: طريقة.
[٧] سورة القمر، ٥٤/٤٦.
[٨] ر ع: وعدا.
[٩] ن: بعصمته.
[١٠] ر ن: منهم.

وأما أذاهم إياه باللسان ليس في حفظه عنه آيةٌ، لأن ذلك لو كان كان[1] آية فيهم، وذلك مما لا يؤثر نقصا في نفسه أو شَيْئًا. ألا ترى[2] أنهم قالوا في الله مالا يليق به من الولد وغيره؟ فدل أنه ليس في حفظ نفسه عن أذاهم بلسانهم آيةٌ إنما الآية فيما ذكرنا من حفظ نفسه عن[3] الإتلاف. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك**، قال[4] أهل التأويل: صلِّ[5] بأمر ربك. وتأويل قولهم هذا: صل بأمر ربك، لأنه أمره أن يصلي لله بقوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ،[6] وقوله: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[7] فيكون قوله: **سَبِّحْ**، أي صل بأمر ربك الذي أمرك بقوله:[8] أَقِمِ الصَّلَاةَ. ولولا صرف أهل التأويل التسبيح في هذه الآية إلى الصلاة، وإلا يجوز أن يصرف إلى غيرها من الأذكار في كل وقت. لكن صرفوا إلى الصلاة، لأن الصلاة تشتمل على معان قولا وفعلاً، وسائر الأذكار لا يشتمل إلا على معنى الذكر قولاً؛ فهي أجمع وأشمل لذكره. *والله أعلم*.

ثم قوله: **قبل طلوع الشمس**، قيل: صلاة الفجر، **وقبل غروبها**، صلاة العصر. وقال بعضهم: **قبل غروبها**، الظهر والعصر. وقوله عز وجل: **ومن آناء الليل**، قيل: صلاة المغرب والعشاء.[9] وقوله عز وجل: **وأطرافَ النهار**، قيل: صلاة الفجر والعصر، فهو على التكرار والإعادة تأكيدا، كقوله:[10] حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى،[11] ذكر الصلوات بجملتها ثم خص الصلاة الوسطى[12] بالذكر لمعنى، فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وأطرافَ النهار**، تكرارًا[13] منه لصلاة الفجر والعصر لمعنى. وجائز أن يكون قوله: **وأطراف النهار**، أنه ليس على إرادة وقت دون وقت ولكن يريد به الأوقات كلها. وعلى ذلك يخرج قول من قال في قوله: **وقبل غروبها**، صلاة الظهر والعصر. *والله أعلم*.

---

[1] ر م – كان.
[2] ن: ألا يرى.
[3] ر ن: من.
[4] ر ع م: وقال.
[5] ر: صلى.
[6] سورة هود، ١١/١١٤؛ وسورة الإسراء، ١٧/٧٨.
[7] سورة البقرة، ٢/١١٠؛ وسورة النساء، ٤/٧٧، ١٠٣.
[8] ع: بقولك.
[9] ع: والعشا.
[10] ن: لقوله.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٣٨.
[12] ر ع م – الوسطى.
[13] ع: تكرار.

وقوله عز وجل: **لعلك ترضى**، بالنصب والرفع جميعا،[1] أي يُرضيك ربُّك بما عملت أو تَرضى بذلك.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٣١]

وقوله عز وجل: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجا منهم**، هذه الآية يحتمل وجهين. أحدهما **لا تَمُدَّنَّ عينيك**، أي لا ترغبنَّ في هذه الدنيا ولا تركَنَنَّ إلى ما مُتِّع به هؤلاء من ألوانها وزَهْرتها، وهو كقوله تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،[2] الآية. والثاني قوله: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك**، على حقيقة مد البصر، أي لا تَمُدَّنَّ بصرك إلى أعين الدنيا وإلى ظاهر ما هم عليه من الغرور والتزيين. ولكن انظر إلى الدنيا، إلى ما جُعلت [له] الدنيا وإلى ما فيها من سمومها وتنغيصها على أهلها. فإن من نظر إليها لما فيها من سمومها وتنغيصها لزهَد فيها ورغب عنها؛ ومن نظر إليها وإلى عينها وظاهر ما هي عليها من الغرور والتزيين لاغترَّ بها[3] ورغِب فيها وركِن إليها؛ ومن نظر إلى[4] حقيقة ما هي عليه وجُعلت على ما ذكرنا لزهِد فيها ورغب عنها.

ثم معلوم أن رسول الله لم يكن يمد بصره إلى الدنيا أو يركَن إليها ويرغَب فيها لها؛ وإنما هو ابتداء نهي[5] رسوله. ومعلوم أيضا أنه لو رغب في شيء منها لم يكن يرغب ليتمتع هو به، إنما يرغب ويتناوله ليوسِّع به على أهل الحاجة والفقر. ثم نهاه عن ذلك، فدل أن الزهد فيها والرغبة عنه خير من الأخذ منها والوضع في حق، حيث نهاه عن ذلك على علم منه أنه لا يتناولها[6] ليتمتع[7] هو بها،[8] ويوسِّع[9] على نفسه، ولكن يأخذها ليضع في المحقين لها.

ثم اختلف[10] أهل التأويل في التقديم والتأخير. قال الحسن: هو على تقديم قوله: **منهم**

[1] قرأ تُرْضَى أبو بكر –عن الإمام عاصم– والكسائي (انظر: *زبدة العرفان*، ٩٣).
[2] سورة التوبة، ٥٥/٩.
[3] ر: لاعتر بها؛ ع: لا غبرتها.
[4] ع: على.
[5] ن + نهى.
[6] ر ع م + وها.
[7] ر م: ليمتنع.
[8] ر ع م: به.
[9] ر ع م: ليوسع به.
[10] ن: أخذ.

على قوله: **أزواجًا**، يقول: تأويله **لا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما متَّعنا به** منهم أزواجًا[1] **زهرة الحياة الدنيا**، فعلى تأويلِه أزواجا **زهرة الحياة الدنيا**، أي ألوانا وأصنافا من النبات، فذلك زهرة الدنيا.[2] وقال بعضهم: على غير تقديم، ولكن على سياق ما ذكر في الآية، فعلى هذا يكون تأويل الأزواج، أي رجالا منهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لنفتنهم فيه**، قال أهل التأويل، أي لنبتليهم ونختبرهم، وكأنّ الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء. كأنه أخبر أنه إنما متّعهم بما متّع من زهرة الحياة الدنيا ليمتحنهم[3] فيها بالشدائد، كقوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،[4] الآية، وقال في آية أخرى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[5] وقال: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.[6] ففي هذه الآيات دلالة أن السعة والضيق فيها ليس لفضل أهله ولا لهوانهم، ولكن إنما هو محنة يمتحنهم. فيمتحن بعضهم[7] بالسعة والغناء وبعضهم بالشدة والضيق؛ فالتكلم بأن هذا خير من هذا كلام لا معنى له. مع ما ذكرنا من البيان في قوله: **ولا تمدَّنَّ عينَيْك إلى ما متَّعنا به**، أن الزهد في الدنيا وترْكَ التناول منها حلالاً[8] خير من التناول منها حلالاً ووضعِها موضعها.

وقوله عز وجل: **ورزْق ربك خير وأبقى**، أي ما رزَقك ربك من النبوة والرسالة والتوحيد له والإيمان به، **خير وأبقى**، مما متَّع هؤلاء من ألوان زهرة الحياة الدنيا وأصنافها. وقال بعضهم: **ورزق ربك خير وأبقى**، أي حظك من ربك خير في الخير وأبقى[9] في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا. وقول[10] أهل التأويل: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فاستَسْلف[11] من يهودي / طعاما،[12] [٤٧٩و]

---

[1] ع: أزواجا منهم.
[2] لم أجده.
[3] ن: لنمتحنهم.
[4] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وَتَزْهَق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).
[5] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[6] ﴿وبَلَوْناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[7] ر ع م – بعضهم.
[8] ر ع م: حلال.
[9] ر ع – وأبقى؛ م – في الخير وأبقى.
[10] ر ع م: وهو.
[11] أي استقرض.
[12] ر: طعامه.

فأبى أن يعطيه إلا برهن، فرَهَنَ درعه عنده فنزل[1] قوله: **ولا تَمُدَّنَّ عينيك**، الآية، تعزيةً[2] له عن الدنيا. لكن لسنا نعرف نزول الآية على ما ذكر إلا أن يثبت. ***والله أعلم***.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **وأمر أهلك بالصلاة**، قال بعضهم: أراد بأهله قومه، وقد يسمى قوم الرسل أهله. وجائز أن يكون المراد بالأهل الذين تأهّلهم[3] وكانوا[4] في عياله. وقوله عز وجل: **واصطبر عليها**، أي داوِمْ عليها والْزَمْها. فيه أن الصلاة فرضت على الدوام عليها واللزوم.

وقوله عز وجل: **لا نسألك رزقا**، قال بعضهم: **لا نسألك** جُعْلاً وأجرا على نبوتك ورسالتك. وقوله عز وجل: **نحن نرزقك**، قال بعضهم: لا نسألك[5] للخلق[6] **رزقا**، بل نحن نرزقهم. وقوله عز وجل: **والعاقبة للتقوى**، أي لأهل التقوى، كقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[7]

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[١٣٣]

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه**، سألوه أن يأتيهم بآية من عند[8] ربه على رسالته ونبوته، فقال عز وجل: **أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى**، أي قد أتاهم بينةً على رسالته ونبوته **ما في الصحف الأولى**، لأن الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله، ولم يكن[9] يعرف الكتابة بلسانه فضلا عن[10] أن يعرف غيرها من الكتب التي كانت على غير لسانه. ثم أخبر عن الأنباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها، دل أنه إنما عرف تلك الأنباء والقِصص التي كانت في كتبهم بالله تعالى. فهذا -والله أعلم- تأويل قوله: **أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى**، أي قد أتاهم، على ما ذكرنا.

---

[1] انظر: تفسير *البغوي*، ٣٩/٤. وانظر لمثله: صحيح *البخاري*، البيوع ١٤، والرهن ٢.

[2] ر ع: تعرية.

[3] ر ع + في.

[4] ر ع م: كانوا.

[5] ن: لا تسأل.

[6] جميع النسخ: الخلق.

[7] سورة الأعراف، ١٢٨/٧؛ وسورة القصص، ٨٣/٢٨.

[8] ع - عند.

[9] ن: ولكن لم يكن.

[10] جميع النسخ: من.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١٣٤]

وقوله عز وجل: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله**، أي من قبل رسوله، **لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك**. من الناس من يقول: ليس لله أن يعذبهم تعذيب إهلاك قبل أن يبعث رسولا، ويحتج بظاهر هذه الآية: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً**. وعندنا له أن يهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول إليهم، لأنه تعالى قد أقام عليهم حجة العقل ما لو تأمّلوا ونظروا فيه لعرفوا وأدركوا حق الله عليهم. فإذا كان كذلك فكان إهلاكه إياهم إهلاكًا عن بينة وحجة، لكنه بفضله ورحمته لا يهلكهم بأول آية يرسل عليهم حتى يرسل الآيات إفضالا منه ومنةً. وإلا كان له إهلاكهم بآية واحدة. فيكون قوله: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا** كذا، إنما ذلك لقطع ذلك القول منهم، لا أن كان لهم ذلك القول والاحتجاج بذلك. ولأن قوله: **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا** كذا، يخرج مخرج الامتنان به أنه لم يهلكهم قبل بعث الرسول؛[1] فدل أن له إهلاكهم قبل بعث الرسول لما ذكرنا من إقامة حجة العقل عليهم. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[١٣٥]

وقوله عز وجل: **قل كلٌّ مُتَرَبِّصٌ**، كانوا يتربّصون هلاك رسول الله وانقلاب أمره، ورسول الله يتربص بهم عذاب الله ومواعيده فيهم. قال الحسن: **قل كل متربص فتربصوا**، أي تربصوا أنتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله.

وقوله عز وجل: **فستعلمون مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ ومن اهتدى**، قوله: **فستعلمون**، في الآخرة علم[2] عِيانٍ **مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ ومن اهتدى**: نحن أو أنتم. وفي الدنيا لو تأمّلوا ونظروا لعلموا علم استدلال وإدراك **مَن أصحاب الصراط السَّوِيِّ**. والصراط السوي،[3] قال بعضهم: العدل، وقيل:[4] السوي القيّم.

وفي حرف ابن مسعود وأُبَيّ **ومن اهتدى**: "ومن علَى الهدى".[5] ***والله أعلم***.[6]

---

[1] ر ع م: الرسل.
[2] ن + علم.
[3] ع – والصراط السوي.
[4] جميع النسخ: وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩١ظ.
[5] لم أجده.
[6] ر + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[١]

قوله عز وجل:[3] **اقترب للناس حسابهم**، قال الحسن:[4] أي محاسبتهم. قوله[5] عز وجل: **وهم في غفلة معرضون**. ظاهر هذا أنه نزل في المشركين، لأنها نزلت بمكة وكان أكثر أهلها أهل شرك. لكن لأهل الإسلام في ذلك حظٌّ ونصيب[6] فيما وصفهم بالغفلة عن ذلك والإعراضِ عنه. وأهل الإسلام قد يغفُلون عن الحساب، إلا أن غفلة الكفر غفلة تكذيب وإعراضهم إعراض تكذيب بالحساب والآيات التي أنزلها عليهم، وغفلة أهل الإسلام ليس هكذا،[7] قد آمنوا بالحساب وصدقوا بآياته وعرفوها، لكنهم غفلوا عن الحساب لشهوات مُكِّنت فيهم وغلبت شهواتُهم وأغفلتهم عنه. فمن هذه الجهة كأولئك، فأما من جهة الإيمان به والتصديق بالآيات فليسوا كأولئك.

ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدُّنُوّ[8] والإتيان، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[9] وقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[10] واقترب[11] **للناس حسابهم** وأمثاله، هي قريبة كالمأتية عند الله، لأن الله تعالى

---

[1] ر – سورة الأنبياء؛ ن + كلها مكية؛ ع + وهي كلها مكية؛ م + مكية.
[2] ن + وبه يستعان.
[3] ع: وقوله تعالى.
[4] ن – قال الحسن.
[5] ع: وقوله.
[6] جميع النسخ: وشرك؛ والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٤٩١ظ.
[7] ر ع م: كذا.
[8] ر: والدلو.
[9] سورة القمر، ١/٥٤.
[10] سورة النحل، ١/١٦.
[11] ع – وقوله: أتى أمر الله واقترب.

عرف جملة الأوقات، فهي في جملة ما عرف قريبة كالمأتية. وأما الخلق فإنهم قد استبعدوها،[1] لأنهم إنما يقدّرون ذلك بآجالهم وأعمارهم وما جاوز[2] أعمارَهم، فهو عندهم بعيد ليس بقريب، وهذا إنما يكون بعد ذهاب أعمارهم.

[٤٧٩ظ] وقال قتادة: / ذكر أنه لما نزلت هذه الآية: **اقترب للناس حسابهم**، و أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ،[3] قال ناس من أهل الضلال: يزعم هذا الرجل أن الساعة قد اقترب فتناهَوْا قليلا ثم عادوا إلى أعمالهم.[4] وكذلك قالوا في قوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ، تناهَوْا عنها ثم لما تأخّر[5] ذلك عنهم عادوا إلى ما كانوا من قبل هذا، لأنهم فهموا من قرب الساعة وإتيان أمره وقتا يقرب ومدةً تدنو. فلما مضى ذلك وقع عندهم أن الخبر كذب فكذبوه، لأنهم إنما قدّروه بآجالهم وما عرفوا هم[6] من القرب والدُّنُوّ.

وقوله: **وهم في غفلة معرضون**، ما ذكرنا من غفلةِ[7] تكذيبٍ وإعراض تكذيب بعد ما عرفوا أنها آيات الله. *والله أعلم*.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحْدَثٍ**، قوله: **من ذكر**، [أي] ما يذكرهم ما يأتون وما يتقون؛ أو ما يذكر ما أُوعدوا وخوِّفوا؛ أو **من ذكر**، [أي ما] يذكرهم ما لهم وما عليهم. وقوله: **مُحْدَثٍ**، قال بعضهم: **محدث**، محكمٍ أحكمه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،[8] وأحكمه لما أعجز الخلقَ عن أن يأتوا بمثله.[9] وقال بعضهم: **محدثٍ**، لأن الله أنزل هذا القرآن بالتفاريق، وأحدث إنزاله في كل وقت على قدر الحاجة. فعلى ما نزل بالتفاريق أحدثوا هم[10] يعني[11] الكفرة تكذيبه

---

[1] ر م: استعبدوها.
[2] ن ع: جاوزوا؛ م: جاوزو.
[3] سورة النحل، ١٦/١.
[4] ر: أعمارهم.
[5] ر: لا تأخر.
[6] م: وما عرفوهم.
[7] ن + غفلة.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤١-٤٢).
[9] ر: لمثله.
[10] ر ع م: أحدثوهم.
[11] ر ع م: أعني.

وردَّه على ما ذكر فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ[1] ونحوه. فهو محدث من الوجوه التي ذكرنا، لأن كل موصوف بالإتيان فهو محدث.

وقوله عز وجل: **إلا استمعوه وهم يلعبون**، دل قوله: **إلا استمعوه وهم يلعبون**، أن استماعهم إياه استماع استهزاء به.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **لَاهِيَةً قلوبُهم وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**؟ هذا الذي أسروا فيما بينهم: **هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر**؟ هذا كان نجواهم.

وقوله: **لاهية قلوبهم**، قيل غافلة قلوبهم عن الذكر. **وأسروا النجوى الذين ظلموا**، الذي أسروه هو[2] ما ذكرنا قولُهم: **هل هذا إلا بشر مثلكم أ فتأتون السحر وأنتم تبصرون**، السحر. وفي حرف ابن مسعود وأبيّ: "وأسروا النجوى الذين كفروا منهم." وقال الكسائي: وفي بعض الحروف: **وأسروا النجوى الذين ظلموا**، قال: وفي حرفنا **وأسروا النجوى**، ثم أخبر عز وجل عنهم خبرًا مستأنَفًا فقال: **الذين ظلموا**؛ كقول الله تعالى: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا، ثم قال: كَثِيرٌ مِنْهُمْ.[3] وهذا على كلامين.[4] *والله أعلم.*

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قال[5] ربي يعلم القول في السماء والأرض**، يشبه أن يكون قوله: **يعلم القول في السماء والأرض**، القول الذي أسروا فيما بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم[6]

---

[1] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

[2] ن: وهو.

[3] ﴿وحسبوا ألَّا تكونَ فتنةٌ فعَمُوا وصَمُّوا ثم تاب اللهُ عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون﴾ (سورة المائدة، ٥/٧١).

[4] قارن: *معاني القرآن* للكسائي، ١٩٥.

[5] جميع النسخ: قل. قرأ حمزة والكسائي وحفص "قال"، والباقون "قل" (*السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٤٢٨؛ *وزبدة العرفان* للبالوي، ٩٣). وهذه رويت أيضا عن ابن مسعود وأبي. انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٢، ١٤٧.

[6] جميع النسخ + وقوله.

أفتأتون السحر وأنتم تبصرون. وقولهم:[1] قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ[2] وأمثال ما قالوا فيه ونسبوه إليه. أي قل[3] لهم: **ربي يعلم** ذلك **القول** منكم **في السماء والأرض،** لينتهوا عن ذلك، لأن من يعلم في الشاهد أن أحدا يطَّلع على جميع ما يختاره من القول والفعل ترك ذلك وامتنع عن التفوُّه به والإقدام على ما يختاره. أو أن يكون قال ذلك على الابتداء والاستئناف[4] أنه لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.[5] **وهو السميع العليم،** السميع لقولهم، العليم بأفعالهم.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[٥]

ثم أخبر عن سفههم وقلة نظرهم في قولهم وكلامهم و[عدم] حفظهم عن التناقض[6] فقال: **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر.** في ما نسبوه إلى الشعر والسحر والافتراء وأنه أضغاث أحلام تناقضٌ في قولهم، لأن[7] السحر هو غير الافتراء، والسحر غير أضغاث أحلام. كل حرف من هذه الحروف التي نسبوه إليه يناقض الآخرَ ويبطله. فدل أنهم إنما قالوا ذلك ونسبوه إلى ما نسبوا متعنِّتين مكابرين، لا عن معرفة وعلم قالوا ذلك. إذ تَنَاقَضَ[8] قولهم وكلامهم، إذ[9] السحر لا يدوم ولا يبقى في وقت آخر؛ فإذ عرفوا[10] وعلموا أنه دام وبقى إلى آخر الدهر [فقد ناقضوا].[11] وكذلك ما قالوا من أضغاث الأحلام[12] والافتراء، أعني ما أتى رسول الله بهم.

وبعد، فأنه لو كان ما أتاهم به سحرًا كان ذلك آية وعلامة على صدقه ونبوته، لأن السحر لا يعرفه أحد إلا بالتعلّم.[13] فإذا رأوه نشأ بين أظهُرهم ولم يكن في قومه ساحر حتى يتعلم منه،

---

[1] جميع النسخ + وقوله، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩١ظ.
[2] الآية التالية.
[3] هذا بالنسبة لقراءة قُلْ.
[4] ر ع: والايتناف.
[5] انظر: سورة آل عمران: ٥/٣.
[6] أي لَفت نظرهم إلى تناقضهم.
[7] ع + ذلك ونسبوه إلى ما نسبوا متعنتين.
[8] ع م: يناقض.
[9] ع: إذا.
[10] ر ع م: فإذا عرفوا.
[11] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٩٣و.
[12] جميع النسخ: من أضغاث أحلام، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٣و.
[13] ر ن م: بالتعليم.

ولا اختلف إلى أحد من السحرة يتعلم منهم السحر ثم أتى به لكان ذلك يدل على أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. فكيف وقد أتاهم بالحجج النيّرة الواضحة والآيات المعجزة الخارجة عن وسع البشر وطوقهم؟ لكنهم كابروا وعاندوا في ردها وتكذيبها. *والله الموفق*.

*قال أبو عَوْسَجَة:[1] **أضغاث أحلام**، قال: الضِغث ما لا تأويل له. ويقال: حُلْم وأحلام؛ [٤٨٠ظ س١٣] وقال: حلَم يحلُم حُلْمًا فهو حالم، إذا رأى حُلْمًا، أي شيئًا في النوم. واحتلم يحتلم لا يكون مثل حلُم يحلُم، ويقال من الحِلم: حلُم يحلُم[2] حِلْمًا فهو حليم. ويقال حلَّمته، أي جعلته حليما. والافتراء[3] الكذب. والشاعر إنما سمي شاعرًا لأنه يَشْعُر من الكلام ما لا يشعر[4] به غيره.* [٤٨٠ظ س١٦]

وقوله عز وجل: **فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون**، قد علموا علم حقيقة أنه قد أتاهم بآيات وحجج ما لو تأملوا فيها ولم يكابروا لدلتهم[6] على صدقه ورسالته. وقد عرفوا أنه صادق، لكنه سألوا في قولهم **فليأتنا بآية**، الآية التي تنزل عند المكابرة والعناد، وهي الآية التي نزلت في الأمم الخالية عند مكابرتهم الآيات والحجج، وهو إهلاكهم واستئصالهم، إذ من سنته وحكمه في الأولين الإهلاك والاستئصال عند مكابرتهم الآيات والحجج. وسنته وحكمه في هذه الأمة ختم النبوة بهم وإبقاء شريعة[7] محمد صلوات الله عليه[8] إلى الساعة، وسنتُه / في الأمم [٤٨٠و] الماضية نسخ شرائعهم واستبدال أحكامهم. فإذا كان ما ذكرنا جعل وقت إهلاكهم الساعة، وهو ما قال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ،[9] الآية.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها**، أي ما آمنت قبلهم من قرية سألوا الآية سؤالَ مكابرة وعناد. وقوله عز وجل: **أفهم يؤمنون**، أي لا يؤمن هؤلاء وإن أتاهم بآية،

---

[1] ع: قال بعضهم.
[2] ر ع م – يحلم.
[3] ع: والافترائه.
[4] ن: لا يشعره.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٣-١٦.
[6] جميع النسخ: لدلهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٢و.
[7] م: شريعته.
[8] ن – صلوات الله عليه.
[9] ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾ (سورة القمر، ٤٦/٥٤).

فإنهم لا يؤمنون كما لم يؤمن أولئك المتقدمون، لأنهم يسألون سؤالَ عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء.[1]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، كأن هذا خرج جوابا لقولهم: هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ[2] كذا، وجواب قولهم: أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا،[3] وجوابَ قولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[4] فقال: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا**، أي بشرا، **نوحي إليهم**، إلى عامة الخلق. أي الرسالة في الأمم الذين من قبله إلى عامة الخلق كانت في البشر لم تكن في الملائكة. وإنما كانت الرسالة في الملائكة إلى خواص البشر،[5] وهم الرسل. فعلى ذلك لا يجعل[6] الرسالةَ في هذه الأمة إلى عامة الخلق في الملائكة، ولكن يجعل[7] في البشر على ما جَعَل في الأمم الأولى[8] في البشر. وجائز أن يكون قوله: **وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، أي جعلها في الذكور منهم، لم يجعلها في النساء والإناث، لما لم يستكملن شرائط الرسالة والنبوة. فكان الأول في بيان الجنس، أي لم يَجعل الرسالة[9] إلى عامة الخلق في الملائكة،[10] ولكن جعلها في البشر، والثاني في بيان استكمال شرائط الرسالة واستحقاقها.

وفي حرف ابن مسعود وأبيّ: "وما أرسلنا قبله إلا رجالا نوحي[11] إليهم"، فعلى حرفهما كأنه خاطب به أولئك الكفرة، أي ما أرسلنا قبل محمد إلا رجالا نوحي إليهم. وفي القراءة[12] الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله، أي قل لهم إنه ما أرسل الله من قبلك إلا رجالا يوحي[13] إليهم.

---

[1] ر: واستهذاء.
[2] سورة الأنبياء، ٢١/٣.
[3] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبَعَث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٤).
[4] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقُضِي الأمر ثم لا يُنظَرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨).
[5] جميع النسخ: وإلا كانت الرسالة إلى الخواص في الملائكة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٢و.
[6] ر ع م: لا تجعل.
[7] ر ع م: تجعل.
[8] ن: الالى.
[9] ن: للرسالة.
[10] جميع النسخ: إلى الملائكة.
[11] ن ع: يوحي.
[12] ر: وفي القرأة.
[13] ر م: نوحي.

وقوله: **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**، قال بعضهم: إنما خاطب به مشركي العرب، وأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم أنه لم تُجعل[1] الرسالة فيهم إلى عامة الخلق إلا في البشر. وقال بعضهم: إنما خاطب به من كفر من أهل الكتاب من لا يعرف الكتاب وغيره[2] أن اسألوا[3] أهل الذكر، أي من آمن منهم، ليخبروكم أن محمدا رسول الله إليكم، **إن كنتم لا تعلمون** أنتم أنه رسول الله. وهذا التأويل في رسول الله[4] خاصة، والتأويل الأول في جميع الرسل.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[٨]

وقوله: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام**، قال بعضهم: ما جعلناهم[5] أجسادًا لا أرواح فيها لا يأكلون ولا يشربون، ولكن جعلناهم أجسادا فيها أرواح يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق.[6] وجائز[7] أن يكون قوله: **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام**، من[8] نحو الملائكة والجن، ولكن جعلناهم بشرًا.

وحاصله أنهم كانوا يطعنون الرسل بأشياء. مرةً قالوا: أَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَرًا رَسُولاً،[9] وقالوا: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[10] ونحوه. كانوا لا يرون الرسالة في البشر ولا يرون الرسول[11] أن[12] يكون من نوع المبعوث إليهم،[13] فألزمهم أن رسل الله[14] الذين كانوا من قبل [و] الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ.[15]

---

[1] ع: لم يجعل.
[2] جميع النسخ + بمحمد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٢ظ.
[3] جميع النسخ و *الشرح*: سألوا.
[4] م- وهذا التأويل في رسول الله.
[5] ر ع م: ما جعلنا.
[6] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٧٣/٢.
[7] ر م: فجائز.
[8] ع: ومن.
[9] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[10] سورة الأنبياء، ٣/٢١.
[11] ع – البشر ولا يرون الرسول.
[12] ر ع م – أن.
[13] جميع النسخ: المبعوث إليه.
[14] م: أن الرسل.
[15] الآية السابقة.

ومرة طعنوا[1] الرسل أنهم يأكلون الطعام ويشربون وينكحون ويمشون في الأسواق كغيرهم من الناس، كقولهم: مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ،[2] ونحوه. فألزمهم عز وجل وأخبرهم أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون ويشربون ويمشون ويقضون حوائجهم حيث قال: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**، في الدنيا، وما قال[3] في آية أخرى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً.[4] فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث إليكم هو كسائر الرسل الذين كانوا من قبل، هو ممن كان[5] يأكل ويشرب وينكح وهو رسول وأنه بشر كسائر الرسل وهو رسول الله. على هذا يخرج[6] تأويل[7] الآية.

وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم ومذهبهم، لأنهم يقولون: إن الرسالة لا تكون[8] في الجوهر الكثيف الجسداني الذي يأكل ويشرب ويَفْنَىٰ ويَبِيد؛ إنما تكون[9] في الجوهر البسيط الذي لا يأكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى. فأخبر عز وجل أنه لم يجعلهم جسدًا لا يأكلون الطعام ولا يبيدون، بل جعلهم جسادًا يأكلون ويموتون بقوله: **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ثم صدقناهم الوعد**، أخبر أنه وعد الرسل وعدًا، لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد الذي وعد رسله، لكن في آخره بيان أن الوعد الذي وعدهم كان وعد إهلاك وتعذيب، لأنه قال: **فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**، دل قوله: **فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**، أن الوعد كان وعد إهلاك. فنقول: كان وعد عز وجل الرسل الذين من قبل [٤٨٠ظ] / من إهلاك مَن كذَّبهم، فكان[10] كما وُعدوا وإن تأخر ذلك الموعود من وقت الوعد. فعلى ذلك ما وعدكم محمد من العذاب فإنه نازل بكم وإن تأخر نزوله. *والله أعلم*.

---

[1] ر: طعوا.
[2] سورة الفرقان، ٧/٢٥.
[3] ر م: قاله.
[4] سورة الرعد، ٣٨/١٣.
[5] ر ع - كان.
[6] ع: تخرج.
[7] ن: تأويلاته.
[8] ن: لا يكون.
[9] ن ع م: يكون.
[10] ن: وكأنه.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٠]

وقوله[١] عز وجل: **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذِكْرُكم**، يحتمل قوله: **ذِكْرُكم**، ما يذكِّركم ما تأتون و[ما] تتقون، أو يذكركم ما لكم وما عليكم. وقال بعضهم: **فيه ذِكْرُكم**، أي شرفُكم ونُبْلكم لو اتبعتم. وقال الحسن في قوله: **فيه ذِكْرُكم**: أي فيه دينكم الذي أمسك عليكم به.[٢] وقال غيره: فيه شرفكم ونُبْلكم لو اتبعتموه،[٣] كقوله: وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ،[٤] أي شرف لك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة، قصمنا**، أهلكنا. وأصل القَصْم الكسر. يخوِّف أهل مكة بتكذيبهم[٥] محمدًا[٦] ما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل.[٧]

و[قال أبو عَوْسَجَة:] القَصْم الكسر، والمراد منه الهلاك. قَصَم غيرَه، وانقصم بنفسه، أي انكسر. [٤٨٠ظ س١٦ - ٤٨٠ظ س١٧]

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فلما أحَسُّوا بأسنا إذا هم منها يَرْكُضُون**، قوله: **أحسُّوا**، قال بعضهم: علموا بالعذاب، **إذا هم منها يركُضون**، أي يفِرُّون ويَهْرُبون. وقال بعضهم: يَعْدون، وهو واحد.

*وقال [أبو عَوْسَجَة]: **أحسوا**، أي استيقنوا بعذابنا. ويقال: أحسَسْتُ،[٩] أي وجدت، وأحسست: علمت واستيقنت. يقال: أحسست: قطعت، وتحسَّسْت، أي تخيرت. والمِحَسَّة الفِرْجَوْن. وقال: **يركُضون** يهرُبون.[١٠]* [٤٨٠ظ س١٧ - ٤٨٠ظ س١٩]

---

[١] ر – وقوله.
[٢] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٢/١٢٢.
[٣] ن: لو اتبعتم.
[٤] سورة الزخرف، ٤٣/٤٤.
[٥] ن + تبينا.
[٦] ن + صلى الله عليه وسلم.
[٧] ر ن ع + وقوله عز وجل وأنشأنا بعدها قوما آخرين.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣ فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٦-١٧.
[٩] م: أحست.
[١٠] والحِسُّ: الجَلْدُ. وحَسَّ الدابة يَحُسُّها حَسًّا: نفض عنها التراب، وذلك إذا فَرْجَنها بالمِحَسَّة أي حَسَّها. والمِحَسَّة، بكسر الميم: الفِرْجَوْنُ (*لسان العرب*، «حس»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٧-١٨.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **لا تركُضوا وارجعوا إلى ما أُترِفتم فيه**، أي أُنعمتم، **فيه ومساكِنِكم.** مثل هذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم. وقوله عز جل: **لعلكم تسألون**، قال بعضهم: تعذبون، وقال بعضهم: تحاسبون، وقال بعضهم: **لعلكم تسألون** الإيمان كما سُئِلتموه قبل نزول العذاب. وقيل: **لعلكم تسألون** عن قتل نبيكم، -لأنهم قتلوا نبيهم- تسألون فيم[١] قتلتموه. وقال بعضهم: كان هذا في نازلة -والله أعلم- تلقتهم[٢] الملائكة وهم هارِبُون فارُّون، فقالوا لهم: **لا تَرْكُضُوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون**، استهزاءً بهم. وقال بعضهم: **لعلكم تسألون**، تفقهون.[٣]*

[وقال أبو عَوْسَجَة:] **إلى ما أُتْرِفْتُم فِيهِ**، أي أُنعمتم ومُتِّعتم، والإتراف الإكرام. وقال أبو عبيدة: **يركُضون**، يعْدون.[٥]

وقوله: **لا تركُضوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكِنِكم لعلكم تُسألون**، ليس على الأمر ولكن أي لو رجعتم إلى ما أترفتم فيه. وكذلك: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا،[٦] كذا ليس على الأمر، ولكن لو سرتم فانظروا كذا. فعلى ذلك قوله: **وارجعوا إلى ما أترفتم فيه**، أي لو رجعتم **لعلكم تسألون** الحوائج على ما كنتم تسألون[٧] من قبل. فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء جزاءً لصنيعهم. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**، يُقِرُّون يومئذ بالظلم، لكن لا ينفعهم ذلك، ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العَود إلى دنياهم، كقوله: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي.[٨]

---

[١] ر ع م: فيما.

[٢] ن: تلقيهم.

[٣] انظر: *تفسير الإمام مجاهد*، ٤٦٩.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٥ و١١ و١٢ فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٠ظ/سطر١٣-١٩.

[٥] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٣٥.

[٦] سورة النمل، ٢٧/٦٩.

[٧] م - الحوائج على ما كنتم تسألون.

[٨] سورة الفجر، ٨٩/٢٤.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فما زالت تلك دعواهم**، أي **مازالت تلك**، أي قولهم: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ دعواهم، **حتى جعلناهم حصيدا خامدين**. فإن كان هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله: **حتى جعلناهم حصيدا خامدين**، بالقتل بالسيف والإهلاك؛[١] وإن كان[٢] ذلك في الآخرة فيكون قوله: **حصيدا خامدين**، في النار في الآخرة. *والله أعلم*. **وحصيدا**، أي هالكا وهو محصود؛ **وخامدين** كما يقال: خَمَدت النار إذا طَفِئت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**، أخبر أنه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما لتكون سماءً وأرضا على ما هما عليه ثم تَفنيان وتَبيدان، ولكن خلقهما لعاقبة قصدها، وهي[٣] أن يُمتحن أهلها. لأن من عمل في الشاهد عملاً لا يقصد به عاقبةً يأمل وأمرًا يرجو[٤] فهو في عمله عابثٌ لاغٍ. ولو كان على ما عند أولئك الكفرة بأنْ لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب لكان إنشاؤهما وما بينهما باطلا لَعِبًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[٥] صيّر عدمَ الرجوع إليه خلقُهم عبثا باطلا. وقال الحسن: لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما لحكمة، من نظر إليهما دَلَّاه[٦] على وحدانية منشئهما وسلطانه وقدرته وحكمته وعلى علمه وتدبيره.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتّخذناه من لدنا**، قال بعضهم: **لهوا**، أي زوجة. لكن هذا بعيد،[٧] لأنه احتج[٨] عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة بقوله: أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟[٩]

---

[١] ع: بالإهلاك.

[٢] م – هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالقتل بالسيف والإهلاك وإن كان.

[٣] ر ن م: وهو.

[٤] جميع النسخ: ويرجو أمرا.

[٥] سورة النور، ١١٥/٢٤.

[٦] ر ع م: دالان.

[٧] ن: لكن يبعد.

[٨] ن + به.

[٩] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

فلولا أنهم أقروا وعرفوا أن لا صاحبة له وإلا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة معنًى. ويكون قوله: **لو أردنا أن نتخذ لهوا**، أي[1] ولدا، لأن الناس يتلهَّوْن بالولد فسماه لهوًا لذلك.

قال: **لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **لاتخذناه من لدنا**، بحيث لا يبلغ أفهامكم ولا يدرك[2] علمكم، لأن الولد يكون من جنس الوالدين ومن شكلهما، وسبيلُ معرفته وعلمه الاستدلال[3] لا الحس،[4] فإذا لم يعرفوه بالحس[5] فكيف يعرفون / من هو [٤٨١و] يكون منه[6] لو كان. والثاني أن الغائب إنما يُعرف بالاستدلال بالشاهد، فلو كان له الولد على ما تزعمون لكان لا يعرف، لأنه لا صنع للولد في الشاهد، إذ هو الواحد المتفرد بإنشاء العالم فتذهب[7] معرفة الولد وإدراكه،[8] لو كان على ما تزعمون.

وقوله: **لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا**، ليس على أنه يحتمل أن يكون له الولد أو أن يحتمل أن يتخذ ولدا، ولكن لو احتمل أن يكون لم يحتمل أن يدرك ويعلم. وكذلك يخرج قوله: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا،[9] ليس أنه يحتمل أن يكون فيهما آلهة، ولكن لو احتمل أن يكون فيهما آلهة لفسدتا.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **بل نقذف بالحق على الباطل**، يشبه[10] أن يكون الحق الذي أخبر أنه يُقذف على الباطل القرآنَ الذي أنزله على رسوله، والرسولَ نفسَه، أو الآياتِ التي جعلها لوحدانيته وألوهيته. **فيدمَغه**، أي يُبطل ذلك الذي قالوا في الله ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره مما لا يليق[11] به. **فإذا هو زاهق**، أي هو ذاهب متلاشٍ.[12]

---

[1] ن – لهوا أي.
[2] ع: ولا يدركه.
[3] ن: لاستدلال.
[4] ر ع م: الحسي (بدون "لا").
[5] ر م: فإذا لم يعرفوا هو بالحسي؛ ع: فإذا لم يعرفوا هو بالحس.
[6] ع – منه.
[7] جميع النسخ: فيذهب.
[8] ر م: إدراكه.
[9] سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.
[10] ن: فيشبه.
[11] ع: مما يليق.
[12] جميع النسخ: متلاشي.

وقوله: **ولكم الويل مما تصفون**، من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوه مما لا يليق به.

*قال أبو عَوْسَجَة: **فيدمغه**، أي يبطله. وقال غيره: يهلكه، وهو من قولك: ضربت الرجل |٤٨١و س٢٥ فدمغتُه،[١] إذا وصلت الضربة إلى الدماغ، وإذا كان كذلك مات. فكذلك يدمغ الحق الباطلَ، أي يُهلكه. وقوله: **فإذا هو زاهق**، أي ذاهب وميت. زهق، إذا مات وهلك؛ والزاهق في غير هذا السمينُ.* ٤٨١و س٢٨|

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[١٩]

وقوله: **وله من في السماوات والأرض**، كأنه ذكر هذا جوابًا لقولهم وردًّا على وصفهم إياه بالذي وصفوه فقال: **وله من في السماوات والأرض**، أي له من في السماوات والأرض كلهم عبيده وإماؤه. ولا أحد في الشاهد يتخذ لنفسه ولدا من عبيده وإمائه. فإذا لم تروا هذا في الخلق أنَفًا من[٣] ذلك واستنكافًا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه وأضفتم إليه؟ أو أن يخبر غِناه عن الخلق[٤] بأن له من في السماوات والأرض،[٥] والولد في الشاهد إنما يطلب لحاجات[٦] تسبق،[٧] فإذا كان الله سبحانه وتعالى غنيًّا بذاته بما ذكر أن له كذا لا حاجة تقع له إلى الولد. تعالى الله عما يقول[٨] الظالمون عُلُوًّا كبيرا.

وقوله: **ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون**، يشبه أن يكون ذَكَر هذا لقولهم: الملائكة بنات الله،[٩] فأخبر أنهم ليسوا كما وصفتم، ولكنهم عبيد لي[١٠] لا يستريحون عن عبادتي ولا يَفْتُرُون. أو أن يكون ذكر هذا لمكان من عبد الملائكة واتخذهم آلهة دونه، فأخبر أنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يفترون، ولم يدّعوا هم[١١] الألوهية لأنفسهم، فكيف نسبتم[١٢]

---

[١] ر م: فدمغه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨١و/سطر٢٥-٢٨.
[٣] ن + من.
[٤] ع - أنفا من ذلك واستنكافا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه وأضفتم إليه أو أن يخبر غنائه عن الخلق.
[٥] ع + أي له من في السماوات والأرض.
[٦] ر م: لحاجة. انظر لهذه الحاجات والأسباب: سورة مريم، ٣٥/١٩ من هذا التفسير.
[٧] ن: يسبق.
[٨] ر: يقولوا.
[٩] انظر مثلا: سورة الصافات، ١٥٥/٣٧-١٥٧، ١٦٤-١٦٦.
[١٠] ر ع م + هن؛ ن + فن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٣ظ.
[١١] ر م: ولم يدعوهم.
[١٢] ر: نسيتم.

الألوهية إليهم وعبدتموهم دوني؟ أو أن يكون قال ذلك أنكم إن استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر عنها من هو أرفع منزلة وأعظم قدرًا منكم.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢٠]

يسبحون الليل والنهار لا يفترون، يُنَزِّهون الله و يبرِّءونه عما وصفه الملحدة[١] من الولد وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به. وهذه الآية تنقض[٢] قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا: إن الأعمال لأنفسها مُتعِبة مُنصِبة. ولو كانت الأفعال لأنفسها متعبة على ما ذكروا لكان البشر والملائكة فيها[٣] سواءً، فلما أخبر عنهم أنهم لا يُعْيُون ولا يَفتُرون ولا تُتعبهم[٤] العبادة دل أنها صارت متعبة لصنع غيرٍ فيها لا لأنفسها. وهذه المسألة في خلق أفعال العباد، هم ينكرون خلقها ونحن نقول: هي خلق الله عز وجل [و] كسب للعباد. وقد ذكرنا هذا في غير موضع كلاما كافيًا.[٥]*

[قال أبو عَوْسَجَة:] **ولا يستحسرون**، أي لا يُعْيُون، ومنه حَسِيرٌ ومحسور أيضا. **لا يفترون**، والفتور الإعياء أيضا.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾[٢١]

وقوله: **أم اتخذوا آلهة من الأرض**، قوله:[٧] **أم اتخذوا**، استفهام في الظاهر من الخلق، لكن ذلك من الله على الإيجاب، كأنه قال: قد[٨] اتخذوا آلهة. وكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام فإنه على الإيجاب، لأنه عالم بما كان ويكون، لا يخفى عليه شيء. وأما الخلق فإنه يجوز أن يستفهم بعضٌ من بعض لما يخفى على بعض أمورُ بعض فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم بذلك ***والله الموفق***.

وقوله: **هم يُنْشِرون**، يحتمل[٩] وجهين. أحدهما **هم يُنْشِرون**، أي يخلقون، أي **اتخذوا آلهة** لا يخلقون، كقوله: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[١٠] وكيف اتخذوا آلهة لا يخلقون؟ وإنما يُعرف الإله بالخلق

---

[١] م: الملاحدة.

[٢] ن: تنقص.

[٣] جميع النسخ + شرعا.

[٤] جميع النسخ: ولا يتعبهم.

[٥] انظر لهذا الموضوع: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات، مادة «أفعال العباد».

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٨، فنقلناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨١و/سطر٢٥-٢٨.

[٧] ن م – قوله.

[٨] ن ع م – قد.

[٩] ر ع – يحتمل.

[١٠] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).

وبآثارٍ تكون في الخلق. فإذا لم يكن[1] من هؤلاء خلق كيف اتخذوها آلهة؟ والثاني **هم يُنشِرون**، أي يَبعثون[2] ويُحْيُون. فإن كان على البعث والإحياء فكأنه يقول: كيف اتخذوا من لا يملك البعث والإحياء آلهةً؟ وخلق الخلق [لا] للبعث والإحياء بعد الموت يخرج على غير الحكمة في الظاهر، لأن من بنى في الشاهد بناءً للنقض خاصة لا لعاقبة يقصده به كان غيرَ حكيم في فعله عابثا في بنائه. وكذلك قوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[3] جعل خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثًا. فيخرج هذا على وجهين. **أم اتخذوا آلهة**، أي قد اتخذوا آلهة **من الأرض هم يُنشِرون**. أو لم يتخذوا **آلهة من الأرض** / هم يملكون النشر أو النشور. [٤٨١ظ]
والله أعلم.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، وفي حرف ابن مسعود وأبيّ وحفصة: لو كان فيهن آلهة غير الله لَفَسَدْنَ. ثم يحتمل قوله: **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، وجوها. أحدها **لفسدتا**، أي لم تكونا[4] من الأصل، لأن العرف في الملوك أن ما بَنَى هذا وأثبته يريد الآخر نقْضَه وإفنائه[5] فلم تثبتا ولم تكونا[6] من الأصل لو كان لعدد.

والثاني **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**، لم تكن[7] منافع إحداهما[8] متصلة بمنافع الأخرى للخلق، إذ يمنع[9] كل واحد منهم منافع[10] ما خلق هو من أن تصل إلى الأخرى. فإذا اتصلت منافع إحداهما[11] بالأخرى دل أنه[12] صنعُ واحد وتدبيرُ واحد لا عدد.

---

[1] ر م: لم تكن.
[2] ع – أي يبعثون.
[3] سورة النور، ٢٤/١١٥.
[4] ر ع م: لم يكونا.
[5] ر ع م: وإفناه.
[6] جميع النسخ: فلم يثبتا ولم يكونا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٤و.
[7] جميع النسخ: لم يكن.
[8] جميع النسخ: إحديهما.
[9] جميع النسخ: منع.
[10] ع + مناقع.
[11] جميع النسخ: إحديهما؛ ع+ إحديهما.
[12] ر: أن.

والثالث لو كان عددا لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد في كل عام. فإذا اتسق التدبير وجرى الأمر في كل عام على سَنَنٍ واحد دل أنه تدبير واحد لا عدد، إذ لو كان لعدد لكان يختلف الأمر[1] في كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جَرَى على أمر واحد.

وقال بعضهم: **لفسدتا**، هو قول الله: مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ،[2] على ما هو من عادة ملوك الأرض.

وقوله: **فسبحان الله رب العرش عما يصفون**، من الولد والشريك.

﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[٢٣]

وقوله: **لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**، هذا يحتمل وجوها. أحدها أنه **لا يسأل**، لأن ما يفعل يفعل في ملكه وسلطانه؛ وإنما يسأل من فعل في سلطان غيره وملك غيره. ففي ذلك دلالة أنه لا يجوز التناول في شيء إلا بالأمر[3] والإباحة من مالكه، فيبطل قول من يقول: هو على الإطلاق والإباحة في الأصل.

والثاني **لا يسأل عما يفعل**، لأنه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة، فإنما يُسأل من يحتمل فعلُه السَّفَهَ؛ فأما من لا يحتمل فعله إلا الحكمة فإنه لا يحتمل السؤال لم فعلت، ولماذا فعلت؟

والثالث لو احتمل السؤال **عما يفعل**، لاحتمل الأمرَ والنهي أن افعلْ كذا ولا تفعل كذا، وذلك محال. ولو ثبت الأمر فيه لكان يخرج سؤاله سؤالَ حاجة، لأن من يأمر مَن فوقه بأمر فإنما يكون أمر سؤال حاجة؛ ومن يأمر مَن دونه فيكون أمره أمرًا.

﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[٢٤]

وقوله: **أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم**. فيه دلالة لزوم الدليل على النافي، لأنه لما قال: **هاتوا برهانكم**، كان لهم أن يقولوا: هات أنت البرهان على ما أدعيت من الألوهية؛ ونحن ننكر ذلك [والبيّنة للمُدَّعِي]. فإذا لم يكونوا يقولون[4] ذلك دل أن الدلالة[5] تلزم النافي.

---

[1] ع: لأمر.
[2] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.
[3] ن: بأمره.
[4] ن: فإذا لم يقولوا.
[5] ن: ازالة الالة.

وقوله: **هذا ذكر من مَعِيَ وذكر من قبلي**، أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي.[١] قال بعضهم: هذا القرآن فيه ذكر من معي من الحلال والحرام لهم،[٢] وذكر من قبلي،[٣] أي فيه ذكر أعمال[٤] الأمم السالفة وأخبارهم وما صنع الله بهم وإلى[٥] ما صاروا إليه. أو أن يكون قوله: **هذا ذكر من معي**، أي خبر من معي وخبر من قبلي، فيكون فيه دليل رسالته. لأنه أخبر عن أنباء الأمم السالفة وأخبارهم[٦] على ما ذُكرت في كتبهم من غير أن يعلم[٧] ما في كتبهم يتعلم[٨] منهم أو بنظر[٩] كان منه فيها، ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله.

ويشبه أن يكون تأويل قوله: **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي**، ما ذكر:[١٠] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ،[١١] أي هذا ذكر من معي وذكر الرسل من قبلي ومن معهم، أي بهذا[١٢] الذكر أرسلني إلى من معي وأرسل الذين من قبلي إلى قومهم. *والله أعلم*.

وقوله: **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**، كذلك كانوا لا يعلمون الحق بإعراضهم عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢٥]

وقوله: **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**، أخبر أنه لم يرسل رسولًا من قبلُ إلا بما ذكر من قوله: **أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**. ثم يحتمل قوله:

---

[١] ن – أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي.
[٢] ن – لهم.
[٣] ع – أي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي قال بعضهم هذا القرآن فيه ذكر من معي من الحلال والحرام لهم وذكر من قبلي.
[٤] ر م: الأعمال.
[٥] م: إلى.
[٦] ع م: وأخبرهم.
[٧] جميع النسخ: علم.
[٨] ر ن ع: يتعلم.
[٩] ر ع: ينظر.
[١٠] ع – ذكر.
[١١] الآية التالية.
[١٢] ر: هذا.

فاعبدون، أي وحِّدوني[1] في الألوهية، لا تصرفوا الألوهية إلى غيري، ولا تشركوا مَن دوني في ألوهيتي. أو أن يكون قوله: **فاعبدوني**، أي[2] فاصرفوا العبادة، إليّ[3] ولا تصرفوا العبادة إلى مَن دوني.[4] ***والله أعلم***.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مُكرَمون**. دل قوله: **بل عباد مكرَمون**، أنهم لم ينسبوا الولد إليه ولا قالوا ذلك أنه اتخذ ولدًا على حقيقة الوِلاد، ولكن قالوا ذلك على الصفوة واصطفاء[5] من أضافوا ونسبوا إليه، لأنه أخبر أن الذين قالوا: إنهم ولده من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا، ولكنهم **عباد مكرمون**. ثم أخبر بما أكرمهم فقال:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٢٧]

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، أخبر أنهم لا يتقدمونه في قول[6] ولا فعل إلا بإذن منه وأمرٍ. أو أن يكون قوله: **لا يسبقونه بالقول**، أي لا يأمرون بشيء ولا ينهون عن شيء إلا بإذن من الله وأمر منه. ***والله أعلم***.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**، هذا قد ذكرناه في سورة طه.[7] وقوله: **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**، وقال في آية أخرى: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا،[8] فيكون تأويل قوله: **إلا لمن ارتضى**، أي إلا لمن أذن له. ثم يتوجه / قوله: **إلا لمن ارتضى** إلى الشفيع، [٤٨٢و] أي لا يؤذن لأحد بالشفاعة إلا من كان مَرضِيًّا مُرتضًى دينا وعملا. ويتوجه قوله: **إلا لمن ارتضى**، إلى المشفوع له؛ **إلا لمن ارتضى** عنه الرب مذهبا وعملا حتى لم يدخل في عمله تقصير.

---

[1] ع: وحدوني.
[2] ر ن + إلي.
[3] ن – إلي.
[4] ع – في ألوهيتي أو أن يكون قوله فاعبدوني أي فاصرفوا العبادة إلي ولا تصرفوا العبادة إلى من دوني.
[5] ر: واصطفاة؛ ع م: واصطفات.
[6] م: في قوله.
[7] انظر تفسير الآية ١١٠ من سورة طه.
[8] سورة طه، ١٠٩/٢٠.

ثم الشفاعة إنما جعلت في الأصل للتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير. ثم لا يخلو الذي يُشفع له إما[١] أن يكون صاحبَ الصغيرة فيجوز أن يعذَّب عليها، أو أن يكون صاحبَ كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة، لأنا قد قلنا: إن الشفاعة إنما جعلت لمن منه التقصير في العمل. ففيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن صاحب الصغيرة معفوٌّ عنه الصغيرةُ حتى لا يجوز أن يعذب عليها؛ وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز،[٢] بل هو معذب أبدًا.

وقوله: **وهم من خشيته مشفقون**، هذا -والله أعلم- كأنه صلة قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[٣] الآية، أي من خشية عذابه وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا أمر ولا نهي خوفا منه وهيبةً. *والله أعلم*.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٢٩]

وقوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**، هذا كأنه مقطوع عما سبق وتقدم ذكره غير موصول[٤] به،[٥] لأن ما سبق هو القول منهم أنه اتخذ الرحمن ولدًا. فلو كان على اتصاله بالأول لكان يقول: ومن يقل منهم إني ولد إلهٍ، لأنهم قالوا: اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا،[٦] ولم يقولوا: إنه اتخذ[٧] إلها. فلو كان على الصلة بالأول[٨] والجواب له فهو [كان] يخرج على الجواب لهم: **ومن يقل منهم إني** ولد إلهٍ. لكن كأنهم كانوا فِرَقا. منهم من قال: اتخذ ولدا، ومنهم من عبد دونه الملائكةَ واتخذهم آلهة، فخرج هذا جوابا لذلك فقال: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**، الآية.

فإن قيل لنا في قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٩] وقد عُبد عيسى دونه وعُبد الملائكة دونه، فيكونون[١٠] حصبَ جهنم على ظاهر ما ذَكَر.

---

[١] م: انه.
[٢] ر ع: التجاوز.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ن: عن موصول.
[٥] ع - به.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٢٦.
[٧] ر م + الرحمن.
[٨] ع: الأول.
[٩] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧.
[١٠] جميع النسخ: فيكون.

قلنا: تأويل قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، أي إنكم وما تعبدون من دون الله بأمر الذين[1] عُبدوا وقالوا لهم: اعبدوني، حَصَبُ جَهَنَّمَ. دليله ما ذكر في الآية: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**، أي المشركين. **الظالمين** ههنا المشركون الكافرون.[2]

ثم قال الحسن: في قوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه**، لا يحتمل أن يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم بالطاعة له وترك الخلاف لأمره، لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق أن من قال هذا[3] وإن عظُم قدره عنده وجلَّت منزلته أنه يجزيه بما ذَكَر وأنه[4] مستوجب[5] لذلك. ولكن عندنا المعصية من الملائكة ممكن محتمل، دليله قوله: **ومن يقل منهم إني إله من دونه**، ولأنه قد مدحهم بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[6] الآية، وقوله:[7] لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،[8] الآية، فدل ذلك كله على أنهم مختارون في ذلك غير مجبولين[9] عليه. وقال بعضهم من أهل التأويل: **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**، هو إبليس؛ هو كان منهم، وهو الذي قال ذلك: إني إله من دونه فاعبدوني.[10] *والله أعلم*.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٠]

وقوله: **أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**، قوله: **أولم ير**، يخرج على وجوه. أحدها[11] أن اعْلَمُوا ورَوْا[12] أن السماوات والأرض كانتا كذا.

---

[1] ع: الذين.
[2] جميع النسخ: المشركين الكافرين، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[3] ر ع م: ذلك.
[4] م: أنه.
[5] ر ع م: يستوجب.
[6] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[7] ر: قوله.
[8] سورة الأنبياء، ١٩/٢١.
[9] ن: غير مجبورين.
[10] انظر: *تفسير الضحاك*، ٥٧٣/٢.
[11] ر: أحدهما.
[12] ر م: واروا؛ ن ع: وارأوا.

والثاني لو تفكروا وتأملوا أنهما كذا. والثالث على التنبيه أن قد رأوا[١] وعَلِمُوا أنهما كانتا كذا. وكذلك هذا في كل ما ذكر من قوله: أَوَلَمْ يَرَوْا[٢] إلى كذا، وأَلَمْ تَرَ كذا، فهو كله[٣] يخرج على هذه الوجوه.

ثم يكون قوله: **وجعلنا من الماء كل شيء حيٍ**، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ،[٤] كل هذا كان في قوله: **أولم ير الذين كفروا**؛ كأنه يقول: أو لم يروا كذا، أو لم يروا[٥] ما جعلنا لهم[٦] من أنواع ما ذَكَر.

ثم ذِكْرُ[٧] هذا لهم[٨] يكون[٩] لوجوه. أحدها أن يذكر نعمه عليهم حيث أخبر أن السماء والأرض **كانتا رتقا** ففتق منهما أرزاقهم؛ وذكّرهم أنه جعل بالماء حياتهم، وجعل لهم الأرض بحيث تَقِرُّ بأهلها وتَسْكُن بهم، وجعلها مهادًا لهم وفراشًا بالجبال حتى قدروا على المُقام بها والقرار. ثم قال إنه جعل فيها فِجَاجًا وسُبُلاً ليصلوا إلى حوائجهم وشهواتهم ومنافعهم التي جعلت لهم في البلاد النائية، وذكّرهم نعمه أيضا في حفظ السماء عن أن تسقط عليهم على ما أخبر أنه يمسكهما[١٠] هو بقوله: إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا.[١١] وذكّرهم أيضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار وفي الشمس والقمر من المنافع، يستأدي بذلك كلِّه الشكر على ما أنعم عليهم.

أو أن يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه، أن من قدر على فتق السماء من الأرض وجعْلِ حياة كل شيء في الماء وإمساك السماء وحفْظِها عن أن تسقط / بلا عمد، وما ذكر من خلق [٤٨٢ظ] الليل والنهار وقطع الشمس والقمر بيوم واحد مسيرةَ خمسمائة عام، أن من قدر على كل ما ذُكر لقادر على بعثهم وإحيائهم[١٢] بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا.

---

[١] جميع النسخ: قدروا.
[٢] جميع النسخ: أو لم تروا؛ ولكن ليس هناك آية هكذا (انظر أيضا: *الشرح*، ورقة ٤٩٤ظ).
[٣] م + يرجع.
[٤] هذه هي الآيات التي تلي هذه الآية.
[٥] ر م – أو لم يروا.
[٦] ر ع م: ما جعلناهم.
[٧] ع – ثم ذكر.
[٨] ع – لهم.
[٩] م – يكون.
[١٠] ن: يمسكها.
[١١] سورة فاطر، ٤١/٣٥؛ وانظر أيضا: سورة الحج، ٦٥/٢٢.
[١٢] م: وإحسانهم.

أو أن يذكرهم غناه بذاته وملكه أن من كان هذا سبيله فأنَّى يقع له الحاجة إلى اتخاذ الولد أو الشريك أو الصاحبة؟ ردًّا على ما قالوا: اِتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا[1] وما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً،[2] ونحوه. وبين فساد ذلك كله وبطلانه حيث قال: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا،[3] وقوله: أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ،[4] ونحوه يبين بهذا كله[5] فساد ما ادَّعَوا على الله أنه اتخذ كذا.

ثم اختلف في قوله: **كانتا رتقا**، قال بعضهم: فتَق السماء بالمطر والأرضَ بالنبات؛ فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بألْيَنِ شيء وهو الماء.[6] وكذلك الأرض فتقها بألين شيء وهو النبات مع شدتها وصلابتها. وهو ما ذكرنا من لطفه وقدرته. وقال بعضهم: **كانتا رتقا**، ملتزقتين[7] ففتقهما[8] وجعل بينهما هواء مكانا للخلق. وقال بعضهم: كانت السماء واحدة والأرض كذلك فجعل من السماء سبعا ومن الأرض كذلك سبعا[9] فذلك[10] فتقه إياهما. ***والله أعلم.***

وقوله: **وجعلنا من الماء كل شيء حي**، قال بعضهم: الماء نطفة[11] الرجال، منه يخلق الخلائق. وقال بعضهم: **وجعلنا من الماء** الذي خُلق في الأرض أو أنزل من السماء حياة كل شيء. يُعْلَم حياة خلائق الأرض بهذا الماء، ولكن لا يعلم حياة أهل السماء بماذا؟ ***والله أعلم.***

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وجعلنا في الأرض رَوَاسِيَ أن تَمِيد بهم**، هذا يدل أن الأرض لم يكن من طبعها في الأصل التسفُّل والتسرُّب في الماء على ما قاله بعض الناس؛ لأنه لو كان طبعها التسفُّلَ

---

[1] ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٦).

[2] ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلقون شيئا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نُشُورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣).

[3] سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.

[4] سورة الأنبياء، ٢١/٢١.

[5] ع م – بهذا كله.

[6] انظر: *تفسير الضحاك*، ٢/٥٧٤.

[7] ر – ملتزقتين؛ م: ملتزقين.

[8] ر ع م: ففتقناهما.

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ (سورة الطلاق ٦٥/٢).

[10] ر م: فكذلك.

[11] ع م + نطفة.

والتسرُّب لكانت[1] الجبال تريد[2] التسفل في الماء[3] والتسرب. فإذ[4] لم يكن دل أن طبعها كان الاضطراب والزوال والتحرك والمَيْد بأهلها، لا التسفل[5] والتسرب، ولكن على ما ذكرنا، فأثبتها بالجبال وإن كنا نشاهد بعض أجزائها تَسْفَل وتَسْرَب. وهذا كما نقول: إن بعض العالم متعلق ببعض وإنه لا يخلو عن مكان. وكل العالم لا تعلُّق له به ولا الأمكنة آخذة لها.[6] فعلى ذلك الأرض. أو[7] أن كان طبعها التسفل والتسرب جعلها بحيث تَقِرُّ وتَسكُن بشيء طبعه[8] التسفل[9] أيضا، باللطف.

وقوله: **وجعلنا فيها فِجَاجًا سُبُلًا**، قال بعضهم: الفجاج والسبل واحد، وهي الطرق التي جعلها في الجبال. وقال بعضهم: الفجاج السعة والفُسْحة، والسبل الطرق. وقال بعضهم: الفجاج هي الطرق التي في الجبال، والسبل هي التي في المَفَاوِز.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٣٢]

وقوله: **وجعلنا السماء سقفا محفوظا**، أي محبوسا عن أن تسقط عليهم. وقال بعضهم: **محفوظا** من الشياطين، أي صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملائكة بعد ما كانوا يستمعون من قبل.[10] *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**، قال بعضهم: الفلك السماء، وقال بعضهم: استدارة السماء. وقيل: الفلك المجرى[11] والسرعة،

---

[1] جميع النسخ: لكان.
[2] ر ع م: تدير التسفل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[3] ن – في الماء.
[4] ر م: فإذا.
[5] ر ع م: في التسفل.
[6] يقول الشارح رحمه الله: «ولا يقال: إنا نشاهد لبعض أجزائها أنه يتسرب ويتسفل والجزء يحكي حكاية الكل. لأنا نقول: اعتبار الجزء بالكل باطل في الجملة والإطلاق، فإن بعض العالم متعلق ببعض وإنه لا يخلو عن مكان بل بعضه مكان لبعض، وكل العالم لا تعلق له بالمكان. فعلى ذلك الأرض: ممكن أن يكون بعض أجزائها يتسفل في الماء والهواء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩٤ظ-٤٩٥و).
[7] ن: و.
[8] ر ع م: طبعها.
[9] ر: لتسفل.
[10] يقول الله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيّناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٦-١٨)؛ وانظر أيضا: سورة الصافات، ٣٧/٦-١٥؛ وسورة الملك، ٦٧/٥.
[11] ر م: الجري؛ ع: المجر.

وقيل: الفَلَك فَلْكة كفَلْكَة المِغْزَل، وهو دورانه،[1] وكذلك فَلْكَة الطاحونة، هو ما يدور به الطاحونة، وهي الحديدة التي يدور بها الطاحونة.[2] وقالوا: إن الفلك هو استدارة، وكل شيء دارَ فهو فلك، وهو ما ذكرنا.

وقوله: **يَسْبَحون**، قال بعضهم: يَجْرُون، وقال بعضهم: **يسبحون** يعملون.[3] وكذلك روي في حرف عبد الله: "كل في فلك يعملون".[4]

وظاهر الآية أن يكون هنالك بحر أو نهر[5] فيه يجري الشمس والقمر، وفيه تغربان ومنه تطلعان، لأنه قال: **في فلك يسبحون**، والسِّباحة هي المعروفة عند الناس، وهو ما يسبح المرء في بحر أو نهر. هذا ظاهر الآية، وعلى ذلك جاءت الأخبار. روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خلق الله بحرًا دون سماء الدنيا بمقدار[6] ثلاث فراسخ وهو[7] موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله تعالى، لا تقطر[8] منه قطرة. والبحور[9] كلها ساكنة، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم. ثم انطباقه في الهواء مستوٍ[10] كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب فتجري الشمس والقمر والخُنَّس في ذلك البحر، فذلك قوله: **كل في فلك يسبحون**.»[11] والخُنَّس هي التي تَخْنِس بالنهار وتجري بالليل، والفَلَك دوران العَجَلة في لُجَّة غمرة ذلك البحر. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لَحَرَقَتْ كلَّ شيء في الأرض حتى الصخور،[12]

---

[1] قال ابن عباس: يدورون كما يدور المِغْزَل في القَلْكة، قال مجاهد: فلا يدور المِغْزَل إلا بالفَلْكة ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن، كما قال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سَكَنًا والشمس والقمر حُسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٦) (*تفسير ابن كثير*، ٣/١٧٨). وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فَلْكَة المِغْزَل (*تفسير الطبري*، ١٧/٣١).

[2] والطَّاحُونة والطَّحَانة: التي تدور بالماء، والجمع الطَّواحِينُ (*لسان العرب*، «طحن»).

[3] ر م: يعلمون.

[4] ر م: يعلمون.

[5] ر م: بحرا ونهرا؛ ع: بحرا أو نهرا.

[6] ر ع م: مقدار.

[7] ر ن م: فهو.

[8] ر ع م: لا يقطر.

[9] ر: والبحر.

[10] ن: مستوى.

[11] لم أجده، ولكن -على ما يبدو- يلتئم ببعض معطيات علم الفلك بشرط أن نجعل "البحر" مجازا، ونجعل "ثلاث فراسخ" كناية عن البعد.

[12] ر: الظحور.

ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن به أهل الأرض كلهم يعبدونه[1] من دون الله إلا من عصمه الله.»[2]

وفي بعض الأخبار: الفَلَك ماء مكفوف يجري فيه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار. ويقال: الشمس والقمر والليل والنهار[3] كله دون السماء يدور به الفلك. ومثل هذا قد قيل فيه.[4] والله أعلم بذلك.

وظاهر الآية في الخبر ما ذكرنا أن الشمس والقمر هما اللذان يجريان ويسبحان في ذلك الماء. وعلى تأويل بعضهم أنهما على حالهما لا يجريان، لكن الفلك هو يجري، فيظهران ويَبْدُوَانِ في وقت ويختفيان[5] في وقت[6] آخر. ولو كانا هما اللذان يجريان لكانا على حالة واحدة ويظهران / في الأحوال كلها، لكنا لا نعلم ذلك إلا بالخبر عن الله أنه كذلك. ***والله أعلم.*** [٤٨٣و]

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[٣٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٥]

وقوله: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**، كأن هذا خرج جوابا لقول أولئك الكفرة في رسول الله صلوات الله عليه. والأشبه أن يكون ما أصابهم من الشدائد والفتن والهلاك، كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به أن ذلك إنما يصيبهم به. وقالوا: لولا هو ما يصيبنا من ذلك شيء، فقال جوابا لهم: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**، بل حكمه أن يموت الكل على ما أخبر **كل نفس ذائقة الموت**. فإذا لم يكن لأحد[7] من قبلك الخلد،

---

[1] جميع النسخ: يعبدون، والتصحيح من *الشرح* ٤٩٥ظ.
[2] لم أجده.
[3] ر - ويقال الشمس والقمر والليل والنهار.
[4] يقول الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرَّحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرَّحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء. وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك. وإذ كان كل ما دار في كلامها ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يُقطَع بقوله العذرُ دليلٌ يدل على أيّ ذلك هو ومن أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر كلّ ذلك في دائر يسبحون" (*تفسير الطبري*: ٣١/١٧).
[5] ر ع م: مختفيان.
[6] ر م + ومختفيان في وقت.
[7] ن - لأحد.

بل كلهم قد ماتوا كيف يتشاءمون بك أن ذلك إنما يصيبهم بسببك وشؤمك؟ **أفإن متَّ فهم الخالدون**، أي وإن مت أنت وتخرج من بينهم لا يَخْلُدون[1] هم فيها، لأن من حكمه أنْ **كلُّ نفس ذائقة الموت**. وقوله:[2] **ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم في غير موضع.[3]

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] يذكر آلهتهم بسوء ويعيبها فيهزءون به مكان ما يعيب هو آلهتهم[5] ويقولون: **أهذا الذي يذكُر آلهتكم؟**

ثم يحتمل أن يكون هذا من القادة منهم والرؤساء إغراءً لأتباعهم عليه أنه يذكر آلهتكم بسوء. أو أن يقول بعضهم لبعض إذا ضلوا عنه كقوله: وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ؟[6] الآية.[7]

وقوله: **وهم بذكر الرحمن هم كافرون**، قال بعضهم: كانوا يقولون: لا نعرف ما الرحمن، فيكفرون باسم الرحمن.[8] ويحتمل أن يكون قوله: **بذكر الرحمن**، بنعمة الرحمن وهو محمد عليه السلام، أي يكفرون بنعمته. أو أن يذكر هذا ليُصَبِّر رسوله ويُعزِّيه على تكذيبهم: ليس أياديك إليهم بأكثر من أيادي الرحمن، فهم يكفرون به ويكذبونه ويقولون فيه ما يقولون. فاصبر أنت على أذاهم وما قالوا فيك.[9] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: لا تخلدون.

[2] ر ع م – وقوله.

[3] انظر: تفسير الآيتين من سورة البقرة ٢/١٥٥-١٥٦؛ و"فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات، مادة «البلاء».

[4] جميع النسخ + كان.

[5] ن: المتهم.

[6] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أَتُحَدِّثُونهم بما فتح الله عليكم ليُحَاجُّوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٦).

[7] ن – كقوله وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدِّثونهم الآية، صح هـ.

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

[9] ع – فيك.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٣٧] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٨]

وقوله: **خلق الإنسان من عجل**، وقال في آية أخرى: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا.[١] قال الحسن: عَجُولًا، أي ضعيفا. وضعفه هو أن يضيق صدره ويَحْرَجَ[٢] عند إصابة أدنى شيء حتى يحمله[٣] ضيقُ صدره على أن يدعو على نفسه وعلى مجيئه بالهلاك لضيق صدره، وذلك لضعف[٤] فيه. وعندنا أنه[٥] خلقه عَجُولًا حتى لا يصبر على حالة واحدة، وإن كانت الحالة حالة نعمة ورَخاءٍ حتى يملَّ[٦] عنها ويَسْأَم، ويريد التحول إلى حالة هي دون تلك الحالة، ويرضي بشيء دونٍ؛[٧] لكنه وإن خلَقه على ما أخبر جعل في وسعه[٨] رياضة نفسه حتى يصير صبورًا حليمًا. وهو ما أخبر: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ؛[٩] أخبر أنه خلقه هَلُوعا جَزُوعا[١٠] ثم استثنى المصلين، دل أنه بالرياضة يتحول عن الحالة التي خلقه إلى حالة أخرى وهي حالة الحِلم والصبر. وكذلك ما أخبر وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا،[١١] كان كذلك في الابتداء، لكنه بالرياضة والعادة يصير سخيًّا جَوَادًا. وكذلك ما قال وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ،[١٢] ثم قال: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ،[١٣] أخبر أن الأنفس أُحضرت الشُّحَّ، ثم أخبر أن من يوق شحَّ نفسه فله كذا، دل بهذا كله أنه بالرياضة والعادة يحتمل التحول إلى حالة السخاء[١٤] والجود بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا. فعلى ذلك ما ذكر من العجلة والهلَع والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة إلى أن يصير حليما صبورا في الأمور غير ملول فيها.

---

[١] سورة الإسراء، ١١/١٧.
[٢] جميع النسخ: ويخرج.
[٣] ع: محمله.
[٤] جميع النسخ: لضعفه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٥و.
[٥] ن: أن.
[٦] ع: يملا.
[٧] ع + بشيء دون.
[٨] ر: وسعة.
[٩] سورة المعارج، ١٩/٧٠-٢٢.
[١٠] ر م - جزوعا.
[١١] سورة الإسراء، ١٠٠/١٧.
[١٢] سورة النساء، ١٢٨/٤.
[١٣] ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩).
[١٤] ر ع: السخا.

وليست المحنة إلا الرياضة[1] والعادة، فأمره أن يروِّض نفسه ويعوِّدها القيام بجميع ما أمره الله ويكفَّها عن جميع ما نهي عنه فيعتاد اتِّباع أمره والانتهاء عن نهيه. *والله الموفق*.

وقوله: **سأريكم آياتي فلا تستعجلونِ**، يشبه أن يكونوا سألوا رسول الله الآيات على رسالته أنه رسول، أو سألوه آيات على وحدانية الله وربوبيته، فقال: **سأريكم آياتي**، من الوجه الذي يريد ربي ويبين[2] لكم ذلك، لا من الوجه الذي تريدون أنتم وتسألونه. وقال بعض أهل التأويل: **سأريكم آياتي**، فيما نزل من العذاب فيهم وفي منازلهم، **فلا تستعجلونِ**، أنتم العذابَ[3] على من كان قبلكم من الأمم بتكذيبهم الرسل. فإن سافرتم وضربتم في الأرض رأيتم آثار العذاب فيهم وفي منازلهم، **فلا تستعجلونِ** أنتم العذاب الذي يَعِدكم[4] الرسول. كأنه يُخوِّفهم العذاب ويَعِدهم[5] إياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك ما قال. **ويقولون** أيضا: **متى هذا الوعد** الذي تعدوننا[6] **إن كنتم صادقين** بأنا نعذَّب. وجائز أن يكون الآية فيهم بتكذيبهم الساعة والقيامة وإنكارهم إياها فقال: **سأريكم آياتي** التي تكون قبل وقوعها، **فلا تستعجلونِ** وقوعَها ووجوبها. دليله ما ذكر:

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [٣٩]

لو يعلمُ الذين كفروا حين لا يكُفُّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم يُنصرون.[7]

وقوله: **لو يعلم الذين كفروا**، ما ينزل بهم بوقوع القيامة حتى لا يملكون[8] كفَّها **عن وجوههم، ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**، ما استعجلوا وقوعها. ثم قوله: **لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**،[9] إنما يحيط[10] بهم حتى لا يملكون هم

---

[1] ع م: بالرياضة.
[2] ن: فيبين.
[3] ن - فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون أنتم العذاب.
[4] جميع النسخ: يعد لكم.
[5] جميع النسخ: ويعد لهم.
[6] جميع النسخ: تعدنا، ولكن "تعدوننا" أوفق للسياق.
[7] ر ن ع + وقوله بل تأتيهم بغتة الآية.
[8] ع: حتى يملكون.
[9] ر ع م - ما استعجلوا وقوعها ثم قوله لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون.
[10] ن + يحيط.

دفعها عن أنفسهم، ولا يملك ما اتخذوا أنصارًا وأعوانا في الدنيا دفع ذلك أيضا. وهو كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[1] الآية، وقولِه: / أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[2] [٤٨٣ظ]

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٤٠]

وقوله: **بل تأتيهم بغتة**، أخبر أنها تأتيهم بغتة، أي فُجْأَةً لا يعلم أهلها عن وقت وقوعها. **فتَبْهَتُهم**، قال أهل التأويل: **فتَبْهَتُهم**، أي[3] فتَفْجَأُهم. والبَهْتة كأنها حيرة. يقول: تأتيهم بغتة، فجأةَ فتُحَيّرهم. وهو ما أخبر: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى،[4] وذلك لحيرتهم في أنفسهم. وهي ما ذكر: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[5] الآية. يصيرون حَيارى لشدة أهوالها.

وقوله: **فلا يستطيعون ردَّها ولا هم يُنظَرون**، أخبر أنهم لا يملكون دفعها إذا وقعت بهم، ولا هم ينظرون في وقوعها. إن من ابتُلي بالبلايا في الشاهد فإنما يملك دفعه عن نفسه إما بقوة نفسه، وإما بأنصار وأعوان ينصرونه ويعينونه في دفعه عنه، وإما بالتضرع والابتهال والاستسلام، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا،[6] الآية. فأخبر عز وجل[7] أنهم[8] لا يملكون دفعها بقوى أنفسهم ولا بأنصارهم الذين استنصروا حيث قال: وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ،[9] **ولا هم ينظرون** بالتضرع والاستسلام.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ولقد استُهْزِئ برسل من قبلك**، فيه تصبير رسول الله على ما يستهزئ قومه به،

[1] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[2] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[3] ر م - أي.
[4] سورة الحج، ٢/٢٢.
[5] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتَدّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤-٤٣).
[6] سورة الأنعام، ٤٣/٦.
[7] ن - عز وجل.
[8] ر ع م - أنهم.
[9] الآية السابقة.

لأنه قال: **ولقد استهزئ برسل من قبلك**، أي لست أنت بأول رسول الله[1] استهزأ[2] به قومه. وفيه[3] تخويف أولئك باستهزائهم به بما نزل بأوائلهم باستهزائهم برسلهم.[4]

وقوله: **فحاق بالذين**،[5] قال أهل التأويل: **حاق**، نزل ووجب ووقع، وأمثاله. و قال بعض أهل المعاني: الحَيْق هو ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعل[6] يفعله، كقوله: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ.[7] وقال بعضهم: **حاق**، أي رجع عليهم وأحاط بهم.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[٤٢]

وقوله:[8] **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**، أي من يحفظكم ويحرسكم من عذاب الرحمن؟ وقيل: من يدفع عنكم عذاب الرحمن؟[9] ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما قوله: **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**، أي لو سألتهم: من يكلؤكم من عذاب الرحمن؟ لأقروا[10] لك أن الرحمن هو الذي يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن، لا الآلهة[11] التي يعبدونها. وهو كقوله: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[12] و قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[13] ونحوه،[14] فسيقولون: الله، لا الآلهة التي يعبدونها. فقل أن كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دونه من لا يكلؤكم ولا يدفع عنكم العذاب؟ وقد عرفتم أن الرحمن هو الذي يكلؤكم بالليل والنهار، وهو إله السماوات والأرض، فكيف عبدتم من ليس هو بإله؟ فيخرج على الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم، لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين.

---

[1] ع: رسول.

[2] ن: استهزئ.

[3] ر ع م: فيه.

[4] ر ع م: رسلهم.

[5] ر ع م - بالذين.

[6] ن ع: فعله؛ جميع النسخ + أي.

[7] سورة فاطر، ٣٥/٤٥.

[8] ن: قوله.

[9] ع - وقيل من يدفع عنكم عذاب الرحمن.

[10] ر: لأقرو.

[11] ن: لا آلهة؛ ع: لا اله الهته.

[12] سورة الرعد، ١٣/١٦.

[13] ﴿قل من بيده مَلَكُوتُ كل شيء وهو يُجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٨٨).

[14] انظر: سورة المؤمنون، ٢٣/٨٤-٨٧؛ وسورة العنكبوت، ٢٩/٦٣؛ وسورة الزمر، ٣٩/٣٨.

والثاني يخرج على التذكير والتنبيه لهم، لأنهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون: مَا الرَّحْمٰنُ؟[١] وقوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ.[٢] فيخرج قوله: **قل من يكلؤكم بالليل والنهار**، أي كيف تنكرون الرحمن وتكفرون[٣] به وهو يكلؤكم بالليل والنهار عن عذابه؟

وعلى هذا يخرج **بل هم عن ذكر ربهم معرضون**، أي **بل هم عن ذكر ربهم** الرحمنِ **معرضون**، أي منكرون له. ***والله أعلم***.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**، أي ليس لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا. هو على النفي، أي ليس لهم الآلهة من دونه وإن كان ظاهره استفهاما.

ثم بين موضع الاحتجاج عليهم وهو ما أخبر عن عجزهم حيث قال: **لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون**، أي لا يستطيع الآلهة نصرا لنفسها[٤] إذا أريد[٥] بها سوء، **ولا هم منا يُصحَبون**، أي يُنْصَرون. تأويله أن كيف عبدتم من دونه واتخذتموهم آلهة رجاء شفاعتهم ووسيلتهم حيث قلتم:[٦] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى[٧] ونحوه، وقلتم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ؟[٨] فإذا كانوا لا يملكون نصر أنفسها إن أصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم آلهة دونه؟ فمن كان عن دفع السوء عن نفسه ونصرها عاجزا فهو عن دفعه عن الآخر ونصره أعجزُ.

ثم بين الذي حملهم على ذلك وهو ما قال:

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٤٤]

بل متَّعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمُر، و لم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها،

---

[١] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).
[٢] ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ (سورة الرعد ١٣/٣٠).
[٣] م: ويكفرون.
[٤] جميع النسخ: نصر أنفسهم.
[٥] جميع النسخ: إذا أرادوا.
[٦] جميع النسخ: قالوا.
[٧] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٨] سورة يونس، ١٠/١٨.

فظنوا[1] بما متعهم وآباءهم وأطال عليهم العمر ولم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها[2] أن الله راضٍ عنهم وأنهم على الحق. ولهذا قالوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا،[3] ادَّعوا رضاء الله بما هم عليه وآباؤهم.

ثم بين أنه وإن تركهم وقتا طويلا ومتَّعهم عليه أنه قد نقَّص عما[4] كانوا يملكون هم، حيث غلب عليهم رسول الله على بعض أملاكهم وجعله ملكا للمسلمين. وهو قوله: **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** وجعلناها ملكا للمسلمين. ثم اختلف في تأويل هذا. قال الحسن: **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**، أي اعلموا **أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**، أي نحشرهم يوم القيامة من أطراف الأرض إلى المحشر، فذلك نقصها. وقال غيره:[5] **أفلا يرون** أن رسول الله كلما بُعث إلى أرض ظهر عليها. قال: **ننقصها**، بالظهور عليها أرضا فأرضا.

أفهم الغالبون، أي ليسوا هم الغالبين، ولكن رسول الله هو الغالب عليهم.[6] وقال ابن عباس: **ننقصها**، ذهاب فقهائها[7] وخيار أهلها.[8] وقال قتادة: **ننقصها**، بالموت؛ وكذلك قال عكرمة: **ننقصها من أطرافها**، بالموت، وقال: لو كانت الأرض تنقص لم يوجد للرجل / مجلس يجلس فيه. [٤٨٤و] ونحو هذا قد قالوا فيه.[9]

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[٤٥]

وقوله: **قل إنما أنذركم بالوحي**، هذا -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما خرج جوابا لقولهم: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[10] إنهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون: إنه بشر كيف خُصَّ هو به؟

---

[1] ر ع م – فظنوا؛ ن: ظنوا.

[2] ر ع م – ظنوا بما متعهم وآباءهم وأطال عليهم العمر و لم يأخذهم بالعقوبة بأعمالهم التي عملوها.

[3] ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ (سورة الأنعام، ١٤٨/٦).

[4] ن: على ما.

[5] ن: غير الحسن.

[6] يروي الطبري هذا عن قتادة (*تفسير الطبري*، ٤٠/١٧).

[7] ع: فقائها. ليس المراد بالفقهاء الماهرين في الفقه كعلم، ولكن الحذاق في الدين جملةً، لأن لفظ الفقه يشمل العقائد والعرفان أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿ليتفقّهوا في الدين﴾ (سورة التوبة، ١٢٢/٩) وكما فسّر في قوله: "وخيار أهلها".

[8] *تفسير ابن عباس*، ٣٥٤.

[9] *تفسير الطبري*، ١١٧/١٣.

[10] سورة الشعراء، ١٥٤/٢٦، ١٨٦. لكن الآية الأولى لصالح والثانية لشعيب عليهما السلام. وتوجد أيضا آية لنبينا عليه السلام: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبُهم وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٢/٢١-٣).

فيقول: إني لست أنذركم لأني بشر، ولكن **إنما أنذركم بالوحي** من الله، وأنتم ممن لا تقبلون بِشارة ربي ونِذارته. والثاني قال ذلك لما تقدم منه في الآيات النذارة المرسلة غير مضافة إلى الله فأمره أن يقول لهم: إني فيما أنذرتكم من النِّذَارات[١] لم أنذركم من ذات نفسي، ولكن **إنما أنذركم بالوحي** من ربي. فمعناه -والله أعلم- أي فيما أنذرتكم بما نزل بالأمم[٢] المتقدمة والأنباء التي أخبرتكم عنها مما لم أشهدها ولا أنتم، بل **إنما أنذركم بالوحي**. فذلك موضع الاحتجاج عليهم في إثبات رسالته.[٣]

وقوله عز وجل:[٤] **ولا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما يُنذَرون**، هذا -والله أعلم- يقول: إن الأصم[٥] إذا أريد أن يُدفع عن المهالك لا سبيل أن يُدفع عنها ويُكفَّ بالدعاء[٦] والنداء، ولكن إنما يُكف ويُدفع عن المهالك[٧] بالأيدي والراحات. كأنه قال ذلك لما أكثر دعاءهم إلى ما به نجاتهم فأبوا ذلك ولم يجيبوه، فقال حينئذ ذلك: إنكم لا تسمعون الدعاء والنداء إلى ما به نجاتكم، ولكن تعرفون ذلك بالقتل والسيف. أو أن يقول ذلك: إنكم صم عن الحق حتى لا تسمعونه،[٨] كالأصم[٩] [فإنه] لا يُدعَى ولا يُنادَى لأنه لا يسمع، ولكن يُدعى باليد والإشارة. فعلى ذلك أنتم صُمٌّ عن الحق لا تُدعَون بالنداء ولكن بالذي يُعرَف الدعاء وهو اليد. ***والله أعلم.***

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٤٦]

وقوله:[١٠] **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك**، قال الحسن: **نفحة**،[١١] أي طائفة **من عذاب ربك**، وقال بعضهم: نقمة[١٢] من ربك، وقال بعضهم: عقوبة ربك. وأصل النفحة الرمية، ولذلك سمي نفحة الدابة، أي رَمْيَتها،[١٣] وهو ما ذُكر من رمي الشَّرَر، كقوله: إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ.[١٤]

---

[١] ع: النذارة.

[٢] جميع النسخ: بالأمة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.

[٣] ر م: رسالتهم.

[٤] ن: قوله.

[٥] جميع النسخ: الصم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦ظ.

[٦] ع: بالنداء.

[٧] ن: الهلاك.

[٨] ر ع م: لا يسمعونه.

[٩] ر: كالصم بالسميع والصم بالسميع؛ ن ع م: كالصم بالسمع والصم بالسمع.

[١٠] ن: قوله.

[١١] ع م: نفخة (في ثلاثة أمكنة في هذه الفقرة).

[١٢] ع: نعمة.

[١٣] نَفَحَتِ الدابة تَنْفَح نَفْحًا: رَمحتْ برجلها ورمت بحدّ حافرها ودفعتْ. ونفحة العذاب دفعة منه (*لسان العرب*، «نفح»).

[١٤] ر + وقوله عز وجل ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين؛ ن + قوله ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين. سورة المرسلات، ٣٢/٧٧.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٤٧]

وقوله[١] عز وجل:[٢] **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**. في ظاهر الآية أن الموازين هي[٣] القسط، والقسط هو العدل، لأنه قال: **ونضع الموازين القسط**، فكأنه قال: ونضع الموازين التي توضع في الدنيا ويُعرَف بها حقوق الناس في الآخرة العدلَ الذي به[٤] يعرف حدود الأشياء وأقدارها،[٥] فيكون الموازين العدل ما ذَكَر بقوله: **فلا تُظلَم نفس شيئًا**، أي لا تُنقص من حسناته أو تزاد على جزاء سيئاته، ولكن يُوَفَّى كلُّ جزاءَ عمله. ويحتمل أن يكون قوله: **ونضع الموازين القسط**، على الإضمار، أي **نضع الموازين** التي تكون في الدنيا يوم القيامة بالعدل، لا تُطفِف ولا تَنقص ولا تُخسِر كما تفعلون في الدنيا، ولكن بالعدل[٦] لا تطفِف ولا تَنقص ذلك؛ تُسوِّي وتَستوفي مستويا من غير زيادة ولا نقصان. لأن الزيادة والنقصان إنما تكون في الشاهد لوجوه. إما[٧] للجهالة أو للحاجة أو للجور، فيحمله[٨] ذلك[٩] كله على الزيادة والنقصان؛ والله سبحانه يتعالى عن ذلك كله، لأنه عالم بذاته غني بذاته عادل، فلا وجه للخسران منه والزيادة فيه.

وقوله:[١٠] **وإن كان مثقالَ حبة من خَرْدَل أتينا بها**، أي أتينا بجزائها، أو **أتينا بها**، أي بعينها لا يفوته[١١] شيء ولا يغيب عنه. وليس المراد من ذكر مثقال حبة ومثقال ذرة الذرة والحبةَ، ولكن ذُكر على التمثيل، أي لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر، [هو] غير فائت عنه ولا منسِيّ، ولكن محفوظ محاسَب.

وقوله: **وكفى بنا حاسبين**، لا يَشغله كثرة الحساب وازدحامه، ليس كمن يحاسِب آخر في الشاهد أنه إذا كثُر الحساب عليه وازدحم شغَله ذلك عن[١٢] حفظ الحساب. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن – عز وجل.
[٣] ر: لحي.
[٤] م – به
[٥] ن – وأقدارها.
[٦] ر ع م: العدل.
[٧] ر م – إما.
[٨] م: فيحتمل.
[٩] ر م – ذلك.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر ن: لا يفوت.
[١٢] ع م: من.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٨]

وقوله:[١] **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان**، كل كتب الله[٢] تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر. أما الفرقان[٣] فهو ما يفرِق بين الحق والباطل وبين الشبيه[٤] والواضح، وبين ما يؤتَى ويُتَّقى، وبَيْن ما عليهم و [ما] لهم. والنور ما يتحلى به حقائق الأشياء. والضياء هو ما يظهر به حسن ما تجلى[٥] واستنار.[٦] والروح:[٧] هو ما به حياة كل شيء.[٨] سمي القرآن[٩] روحا لأنه به حياة الدين، وسمي الماء حياة لأنه به حياة الأبدان. والمبارك هو ما يُنال به ويوصل إلى كل خير.[١٠] والذكر هو ما يَذكر ما لهم و[ما] عليهم.

وذكرا، قيل: هو الموعظة. والموعظة، قيل: هي التي تُلَيِّن القلوب وتُوسِّع الصدور وتُفسح؛ ويَخشع[١١] بها الفؤادُ. وعلى هذا الوصف جميع كتب الله الذي وَصف هذا القرآنَ بها.[١٢] ثم بين أنها على الوصف الذي ذكر لمن، فقال: **للمتقين**، وإن كانت هي في أنفسها على الوصف الذي ذكر فإنما[١٣] تتجلى[١٤] بها الشُّبه من الحقائق والحقُّ من الباطل لمن قبِلها وأقبل نحوها، ونظر إليها بعين التعظيم والإجلال. فأما من أعرض عنها فليست لهم على ما ذكر، لكن على ما أخبر بقوله: فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.[١٥] ثم بين مَن المتقون، فقال:

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: كتاب الله.
[٣] ر م – كل كتب الله تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر أما الفرقان.
[٤] جميع النسخ: الشبه، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[٥] جميع النسخ: يتجلى.
[٦] جميع النسخ: أو استنار.
[٧] جميع النسخ: وروح، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[٨] ع – شيء.
[٩] جميع النسخ: القرآن سماه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.
[١٠] جميع النسخ: ويصل إليه من كل خير، والتصحيح من *الشرح*، ٤٩٦ظ.
[١١] جميع النسخ: وتخشع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٦و.
[١٢] ن – بها.
[١٣] ر ع م: فإنها إنما.
[١٤] ن ع م: يتجلى.
[١٥] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩–١٢٥).

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[٤٩]

الذين يخشون ربهم بالغيب. يحتمل قوله: **يخشون ربهم**، أي يخشون العذاب الموعود في الغيب، وهو عذاب الآخرة ونقمتها. إن المؤمنين خافوا العذاب الموعود في الآخرة / فيحذرون [٤٨٤ظ] ما به يحُل ذلك. وأما الكفار فإنهم[١] لم يخافوا العذاب الموعود في الآخرة و لم يصدقوه، إنما يخافون العذاب المعايَن المشاهد، فأما العذاب الموعود في الغيب فلا يخافون. ويحتمل أيضا قوله: **يخشون ربهم**، أي يهابون ربهم ويخافونه وإن لم يروه، لما رأوا من آثار سلطانه وملكه.

وقوله:[٢] **وهم من الساعة مُشفِقون**، ويحتمل هم من أهوال الساعة وأفزاعها خائفون، أو أن يكون قوله: **وهم**، من محاسبة أعمالهم[٣] في الآخرة[٤] **مشفقون**،[٥] خائفون. فحاسَبُوا أنفسهم في الدنيا إشفاقًا على محاسبة أنفسهم في الآخرة.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[٥٠]

وقوله: **وهذا ذكر مبارك أنزلناه**، الذكر المبارك ما ذكرنا. وقوله:[٦] **أفأنتم له منكرون**، ظاهره وإن كان استفهاما فهو في الحقيقة إيجاب. كأنه قال: وهذا ذكر مبارك أنزلناه، وتعرفونه أنه كذلك فأنتم مع هذا له منكرون. يذكر سفههم ويخبر عن عنادهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا إبراهيم رشده**، قال[٧] الحسن: **رشده**، دينه وهداه. وقال غيره: **رشده**، النبوة. ويشبه أن يكون قوله: **آتينا إبراهيم رشده**، حججه وبراهينه التي حاجّ بها قومَه على غير تعليم من أحد. وفيه دلالةُ أن ليس كل رشد وهدًى بيانٌ، لأنه لو كان كله[٨] بيانًا[٩] لم يكن لتخصيص إبراهيم بالرشد كثيرُ معنًى، إذ هو في ذلك البيان وغيرُه من الكفرة والفراعنة سواء.

---

[١] ر ع م: فإنه.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن + أعمالهم.
[٤] ر م - في الآخرة.
[٥] ع - ويحتمل هم من أهوال الساعة وأفزاعها خائفون أو يكون قوله وهم من محاسبة أعمالهم مشفقون.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر م: وقال.
[٨] ر م - كله.
[٩] ر: بيان.

فدل قوله: **آتينا إبراهيم رشده،** أنه يكون من الله للمهتدين فضلُ صنعٍ ليس ذلك في الكافرين، وهو التوفيق والعصمة.

وقوله: **من قبل،** قال بعضهم: من قبل الأوقات التي يُعطَى البشرُ الرشدَ، وهو حال الصغر. ويحتمل قوله: **من قبل،** أي من قبل محمد.[١] وقال بعضهم: من قبل موسى وهارون. ويحتمل **آتينا إبراهيم رشده من قبلُ،** [قبلَ] إيمان أهل الأديان كلها، لأن جميع أهل الأديان[٢] يدَّعون أنهم على دين إبراهيم، فلا يحتمل أن يكون دينه ورشده الذي آتاه الله هو[٣] كل ذلك، بل إنما كان ذلك واحدًا، فوجب النظر فيه والتأمل في ذلك ليظهر الدين الذي كان عليه إبراهيم.

وقوله: **وكنا به عالمين،** يحتمل قوله: **كنا به عالمين،** أي[٤] بالدين[٥] والرشد الذي عليه إبراهيمُ، **عالمين،** من قبل. أو أن يكون قوله: **وكنا به عالمين،** أي كنا بجميع ما يكون من إبراهيم عالمين.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[٥٢]

وقوله: **إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون،** كأنه قال: ما هذه التماثيل التي اتخذتموها أنتم لها عاكفون، أي إنما يُعبد من يُعبد[٦] لفعل يكون من المعبود إلى من يعبده؛[٧] فأما أن يُعبد بما يُفعل بالمعبود فلا يحتمل. وهو ما قال إبراهيم: أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ،[٨] يُسَفِّهُهم ويعيب عليهم لعبادتهم ما ينحتون هم بأيديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق أعمالهم.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[٥٣] ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥٤]

وقوله:[٩] **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين،** قد انقطع حجاجهم لَمَّا قال لهم إبراهيم ما قال وأظهر سفههم، ففزعوا[١٠] إلى تقليد آبائهم فقالوا: **وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم**

---

[١] ن + عليه السلام.
[٢] ع – كلها لأن جميع أهل الأديان.
[٣] ع: وهو.
[٤] ع – يحتمل قوله كنا به عالمين أي.
[٥] ع: بالذي.
[٦] ر م: تعبد.
[٧] ر ع م: يعبد.
[٨] سورة الصافات، ٣٧/٩٥-٩٦.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ع: ففرعوا.

أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، لم ينكر عليهم فعل آبائهم وعبادتهم الأصنام، ولكن أقرّ لهم بصنيع آبائهم، ثم جمعهم وآباءهم[1] وأخبر: **أنتم وآباؤكم في ضلال مبين**، بعبادة الأصنام.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**، لما[2] علموا أن مثل هذا القول لا يقول [به] إلا من كان عنده حجة وبرهان فقالوا: أجئتنا بما تقول بحجة، **أم أنت من اللاعبين**، تلعب بنا[3] وتهزأ. وأخبر أنه جاءهم بالحق وبين لهم ذلك الحق فقال:

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٥٦]

بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن، لا الأصنام التي تعبدونها، أي ربكم رب السماوات والأرض الذي[4] يُعرف بالدلالات والبراهين وآثارِ الصَّنعة في غيره، لا الذي أحدثتم أنتم واتخذتموه. *والله أعلم*.

وقوله:[5] **وأنا على ذلكم من الشاهدين**، يحتمل وأنا على[6] جميع ما قال وكان منه من الحِجَاج وإقامة الحُجَج على ألوهية الله تعالى وتسفيه أولئك في عبادة الأصنام، **من الشاهدين**. أو **من الشاهدين** على خلقها. ويجوز أن يقال: الشاهد المبيّن، وأنا على ذلكم من المبيّنين. *والله أعلم*.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[٥٧]

وقوله:[7] **وتالله لأكيدَنَّ أصنامكم**. إن الأصنام لا يُقصد إليها بالكيد، لكن تأويله –والله أعلم– لأكيدنَّ لكم في أصنامكم. وقوله:[8] **بعد أن تولوا مدبرين**. قال عامة أهل التأويل: إن إبراهيم إنما قال ذلك: **لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**[9] من الأصنام إلى عيدهم[10]

---

[1] ر ع م: وآباؤهم.
[2] ن – لما.
[3] ع – بنا.
[4] ن + هو.
[5] ن: قوله.
[6] م + ذلك.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.
[9] م – بعد أن تولوا مدبرين.
[10] ن: عبيدهم.

لأنهم كانوا يخرجون[١] إلى عيدهم[٢] من الغد، فقال: **لأكيدن أصنامكم**، أي لأكيدن لكم في أصنامكم **بعد أن تولوا مدبرين** منها إلى عيدكم.[٣]

وجائز أن يكون قوله: **لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**، عني وكانوا في ذلك الوقت بحضرة[٤] الأصنام. ألا يرى أنه قال لهم: مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟[٥] ومثل هذا الكلام لا يقال إلا بحضرة الأصنام، لأنه أشار إلى الأصنام فقال: مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟ فقال عند ذلك: **تالله لأكيدن أصنامكم**، أي لأكيدن لكم في أصنامكم **بعد أن تولوا مدبرين** عنّي. على التأويل الأول[٦] يكون توليهم الأدبار عن الأصنام إلى عيدهم،[٧] وعلى التأويل الثاني يكون توليهم الأدبار عن إبراهيم. ***والله أعلم.***

﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**﴾[٥٨]

وقوله:[٨] **فجعلهم جُذَاذًا**، وجِذَاذًا،[٩] / قال بعضهم: قِطَعًا. وقال القُتَبِي: **جُذَاذًا**، فُتَاتًا،[١٠] [٤٨٥و] وكل شيء كسرتَه فقد جذَذْتَه. ومنه قيل للسويق: جذيذ.[١١] والجَذّ هو القطع، والمجذوذ المقطوع، وذلك قوله: غَيْرَ مَجْذُوذٍ،[١٢] أي غير مقطوع.

وقوله:[١٣] **إلا كبيرًا لهم**، لم يكسره **لعلهم إليه يرجعون**، قال بعضهم:[١٤] يقول: **إلى** الصنم الأكبر الذي لم يكسره إبراهيم يرجعون من عيدهم.[١٥] وقال بعضهم: **لعلهم إلى** الحجة **يرجعون**.

---

[١] ع – لأنهم كانوا يخرجون.
[٢] ن: عبيدهم.
[٣] ن: عبيدكم.
[٤] ر: يحضره.
[٥] الآية ٥٢ من هذه السورة.
[٦] ر – الأول.
[٧] ن: عبيدهم.
[٨] ن: قوله.
[٩] قرأه الكسائي جِذاذا بكسر الجيم (انظر: *زبدة العرفان للبالوي*، ٩٤).
[١٠] ر: قتالا.
[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٦.
[١٢] ﴿وأما الذين سُعِدُوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ (سورة هود، ١١/١٠٧).
[١٣] ن: قوله.
[١٤] ر م – قال بعضهم؛ ن + قوله لعلهم إليه يرجعون.
[١٥] ن: عبيدهم.

وقيل: هو أحجُّ القولين، أي من الحجة. وقال بعضهم: **لعلهم إليه يرجعون**، أي يتذكرون. وجائز أن يكون قوله: **لعلهم إليه يرجعون**، أي يرجعون إلى ما يريد أن يكيد لهم في أصنامهم، لأنه إنما يريد أن يكيد لهم إذا رجعوا إلى الأصنام فرأوها مجذوذة.[1] والكيد هو الأخذ على الأمن وكذلك المكر.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٩]

وقوله:[2] **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين**، لو تأملوا [لعرفوا أنهم] كانوا هم الظلمة في الحقيقة، لأنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام رجاء منفعة تكون لهم، حيث قالوا:[3] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[5] فإذا رأوهم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن أنفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعًا أو دفع الضر[6] عن أنفسهم؟ لأن من عجز عن دفع الضر[7] عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره أعجزُ. فهم الظلمة في الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضر[8] مما[9] لا يملك ذلك[10] لنفسه، لكن قالوا ذلك سَفَهًا[11] منهم.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٦٠]

وقوله: **قالوا سمعنا فتًى يذكرهم** بالكيد لهم[12] حين قال: لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ،[13] سمع ذلك القول منه ناس فأخبروا قومهم لَمَّا قالوا: مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا؟[14] فعند ذلك **قالوا سمعنا فتى يذكرهم** بالكيد لهم **يقال له إبراهيم**. وجائز أن يكون قوله: **قالوا سمعنا فتى يذكرهم** بالعداوة.

---

[1] ن: جذاذا.
[2] ن: قوله.
[3] ر: قال وا؛ م: قال و.
[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[5] سورة يونس، ١٨/١٠.
[6] ن: الضرر.
[7] ن: الضرر.
[8] ن: الضرر.
[9] ر ع م: ممن.
[10] جميع النسخ - ذلك؛ والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٩٦ظ.
[11] ر ع م: قالوا سفها ذلك.
[12] ع + يقال له.
[13] سورة الأنبياء، ٥٧/٢١.
[14] الآية السابقة.

وهو حين قال: فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ.[١] أخبر أن أولئك الذين عبدوا الأصنام أعداءٌ له، فالمعبود الذي عبدوه يكون عدوًّا له أيضا،[٢] فاستدلوا بذلك القول منه أنه هو فَعَل بهم ما فَعَل. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[٦١]

وقوله: **قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**، قال بعضهم: على رءوس الناس. وقيل: بحيث ينظر الناس إليه أو بحيث يراه الناس؛ وهو واحد.

وقوله: **لعلهم يشهدون**،[٣] اختلف فيه. قال بعضهم: **يشهدون** عقوبته بما فعل بأصنامهم فيكون نَكَالاً له وزجرًا لغيره عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو.[٤] ولذلك قَالُوا حَرِّقُوهُ،[٥] نكالا له وزجرا لغيره، كقوله: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا،[٦] أي زجرا، وكقوله: فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ.[٧] وقال بعضهم: **لعلهم يشهدون** بفعله الذي فعل بالأصنام، لم يريدوا أن يعاقبوه بلا بينة ولا حجة. وقال بعضهم: **لعلهم يشهدون** أنه قال لآلهتهم ما قال. ***والله أعلم***.

﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[٦٢] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٦٣]

وقوله:[٨] **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**. اختلف في هذا.[٩] قال بعضهم: هذا القول من إبراهيم كَذِبٌ في الظاهر

---

[١] سورة الشعراء، ٧٧/٢٦.

[٢] يقول الماتريدي في تفسير آية الشعراء (٧٧/٢٦): «قال بعضهم: إنهم وآباءهم الذين عبدوا الأصنام من قبلُ عدو له إلا رب العالمين. استثنى رب العالمين؛ يقول: هم عدو لي وأنا بريءٌ منهم إلا من يكون فيكم من يعبد رب العالمين؛ فيكون على الإضمار، أي فإنهم جميعا عدو لي إلا من عبد رب العالمين. وقال بعضهم: يقول: إن العابدين والمعبودين كلهم عدو لي إلا رب العالمين، أي إلا المعبود بالحقيقة الذي يستحق العبادة، فإنه وليي» (*تأويلات أهل السنة*، نشر فاطمة الخيمي، ٥٢٨/٣).

[٣] ع - لعلهم يشهدون.

[٤] ر ع م + وذلك قالوا حرقوه نكالا له وزجرا لغيره عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو.

[٥] سورة الأنبياء، ٦٨/٢١.

[٦] ﴿ولقد علمتم الذين اعتَدَوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قِرَدَة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾ (سورة البقرة، ٦٥/٢-٦٦).

[٧] ﴿فإما تَثْقَفَنَّهم في الحرب فَشَرِّد بهم من خلفهم لعلهم يذَّكرون﴾ (سورة الأنفال، ٥٧/٨).

[٨] ن: قوله.

[٩] م: فيه.

فيما أراد أن يكيد لهم وإن لم يكن في الحقيقة عنده كذبًا. وكذلك ما قال: إِنِّي سَقِيمٌ،[1] وكان صحيحا؛ وقوله: هَٰذَا رَبِّي،[2] ومثل هذا.[3] قالوا: هذا في الظاهر كذب وإن لم يرد[4] هو به في الحقيقة كذبا. وقال بعضهم: إنه إنما قال ذلك على أن يُريهم من نفسه الموافقة لهم في الظاهر ليكونوا للحجج أسمعَ وللبراهين أقبلَ، فيكون تأويله –والله أعلم[5]– لعل كبيرهم فعل بهم هذا. أو أن يقول: أكبيرهم فعل هذا بهم. وكذلك قالوا: في قوله: هَٰذَا رَبِّي.[6] قال بعضهم: ليس [على] هذا، ولا فيه كذب في الظاهر، ولكن قال ذلك على الشرط حيث **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**، أي بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون. علّق فعله بشرط النطق، فإذا كانوا لا ينطقون لم يفعله. وقوله: إِنِّي سَقِيمٌ،[7] أي سأسقم، وكل حي يسقم يوما. وقوله: هَٰذَا رَبِّي، أي أهذا ربي؟ أي[8] ليس هذا ربي. ومثل هذا قد قالوا.[9] ***والله أعلم***.[10]

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦٤]

وقوله:[11] **فرجعوا إلى أنفسهم**، أي رجعوا إلى أنفسهم باللائمة **فقالوا** فيما بينهم: **إنكم أنتم الظالمون**، هذا يحتمل وجوها. **إنكم أنتم الظالمون** حيث نسبتم الفعل بهذه الأصنام والكسر إلى إبراهيم وقلتم: إنه فعل ذلك بهم، وإنما فعل بهم هذا كبيرهم. لِمَا وقع عندهم أن كبيرهم هو الذي فعل بهم. والثاني: **إنكم أنتم الظالمون**، حيث اتخذتم مع كبيرهم آخرين شركاء في العبادة

---

[1] ﴿فنظر نَظْرَةً في النجوم فقال إني سقيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩). يقول المؤلف رحمه الله: «ويذكرون أنه إنما نظر في النجوم لأن قومه كانوا يعلمون بالنجوم ويستعملون علم النجوم. فإن كان ذلك فهو –والله أعلم– أراد أن يُريَ من نفسه الموافقة ليُلزمهم الحجة عند ذلك» (*تأويلات أهل السنة*، نشر الخيمي، ٤/٢٣٦).

[2] أي الكوكب والقمر والشمس. انظر: سورة الأنعام، ٦/٧٦-٧٨.

[3] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: "إني سقيم" ولم يكن سقيما، وقوله لسارةَ: "أختي"، وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا"» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢١).

[4] ع + به.

[5] م – أعلم.

[6] سورة الأنعام، ٦/٧٦-٧٨.

[7] سورة الصافات، ٣٧/٨٩.

[8] ر ع م – أهذا ربي أي.

[9] ن ع: قالوه.

[10] ن + بالصواب.

[11] ن: قوله.

حتى غضب عليهم فكسرهم. أو أن يكون قوله: **إنكم أنتم الظالمون**، يَعنون الأصنام[1] المكسورة: يا هؤلاء **إنكم أنتم الظالمون**، حيث حملتم الكبير على كسركم. والله أعلم بما أرادوا بذلك؛ ولا يجوز لنا أن نزيد أو ننقص في هذه الأنباء المذكورة في الكتاب أو نقطع على جهة دون جهة، لأنها ذكرت ليُحتجَّ عليهم بما في كتبهم. فلو زيد أو نقص [أو] قطع على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم. ***والله أعلم.***

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[٦٥]

وقوله: **ثم نُكِسوا على رءوسهم لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون**، قوله: **نُكسوا على رءوسهم**، للتفكر والنظر في قول إبراهيم حيث قال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.[2] إنما علق فعل الكبير بهم / إن نطقوا. فقالوا: لقد علمت يا إبراهيم ما هؤلاء ينطقون، فكيف [٤٨٥ظ] قلت: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ؟ فإذا[3] كانوا لا ينطقون[4] لم يفعل كبيرهم. ثم قال:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[٦٦]

أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم؟ فإن قيل: إن إبراهيم لم يحتجَّ عليهم أن كيف تعبدون من دون الله ما لا ينطق، ولكن قال: **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم؟**

قيل: قد كان احتجَّ عليهم من ذلك النوع حيث قال: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟[5] وبعد، فإنه قد احتج عليهم بعجزهم عن النطق حيث قال:[6] فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[7] ثم قال ههنا: **أ فتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم**[8] شيئا إن عبدتموهم **ولا يضركم** إن تركتم عبادته.

---

[1] ن: للأصنام.
[2] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[3] ع: إذ.
[4] ر ع م: ينطقون.
[5] سورة الشعراء، ٧٢/٢٦-٧٣.
[6] ن + عز وجل.
[7] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[8] ر ع م – ما لا ينفعكم.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦٧]

أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله. أُفٍ هو كلام كل مستخِفٍ بآخر ومستحقر له في فعله. يقول: **أُفٍ لكم.** فإبراهيم حيث قال ذلك لهم إنما قال استخفافًا بهم وبما عبدوه. **أفلا تعقلون** أن عبادة من لا ينفع ولا يضر لا يصلح[١] ولا يحِلُّ.[٢]

وفي أنباء إبراهيم خصال ليست تلك في غيرها من الأنباء. إحداها[٣] أنه لم يترك صنمًا كان يُعبد[٤] دون[٥] الله إلا وقد نقض ذلك.

والثانية أنه حاجَّ قومه أولاً في فساد مذاهبهم وفساد ما اعتقدوه، ثم[٦] بعد ذلك أقام عليهم حججه وبراهينه، لأنه قال: هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ؛[٧] وقال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ؛[٨] وقال: إِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ،[٩] ونحوه.[١٠] فلما أراهم[١١] فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه، حيث قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا؛[١٢] وقال: اَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ،[١٣] الآية. وهكذا الواجب على كل مُناظرٍ[١٤] أن يبدأ أولا بإظهار فساد مذهب خصمه، فإذا أراه فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقد، ليكون لها أسمعَ وعند إقامتها أقبلَ.

---

[١] ر: ولا يصلح؛ ن – لا يصلح.

[٢] ن: لا يحل.

[٣] ر ع: إحديهما؛ م: إحديها.

[٤] ر: يعبدون.

[٥] ر – دون.

[٦] ن – ثم.

[٧] سورة الأنعام، ٧٦/٦.

[٨] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.

[٩] سورة البقرة، ٢٥٨/٢.

[١٠] ر م – ونحوه.

[١١] م: أراءهم.

[١٢] سورة الأنعام، ٧٩/٦.

[١٣] ﴿الذي خلقني فهو يهدينِ وَالذي هو يُطعِمني ويَسْقينِ وإذا مرضت فهو يَشْفينِ والذي يميتني ثم يُحْيينِ والذي أطمَعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ (سورة الشعراء، ٧٨/٢٦-٨٢).

[١٤] ر ع م: متناظر.

والثالث أنه لم يُبْتَلَ نبيٌّ قط بفرعون[1] مثل فرعونه ولا قومٌ مثل قومه في السَّفَهِ والبغض والهمّ بقتله بالنار. وجائز أن يكون خصوصيته[2] بالخُلَّة لهذه الخصال التي ذكرناها. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[٦٨] ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٦٩]

وقوله: **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**، هذا ظاهر.

وقوله: **قلنا يا نار كوني بَرْدًا وسلاما على إبراهيم**. جائز أن يكون قوله: **كوني بَرْدًا وسلاما**، أي جعلها في الخلقة بردا وسلاما على إبراهيم خاصة، وأما على غيره فهي على ما هي في طبعها من الإحراق والحر. فيكون ذلك من أعظم آيات رسالة إبراهيم ونبوته. أو أن يكون على الوحي والإلهام على ما قاله أهل التأويل: إنه أوحي إليها أن **كوني بردا وسلاما على إبراهيم**. لكنه إن كان على هذا فجائز أن يجعل في سِرِّيَّتها ما تفهم أمره، ويمكن فيها ما تَفْطِن ذلك فلم تُحرقه.[3] وقول أهل التأويل: إنها بردت حتى لم ينتفع بها أهل المشرق وأهل المغرب ثلاثة أيام، فذلك لا يُعلم إلا بالسمع.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **وأرادوا به كيدا**، الكيد[4] هو الأخذ من حيث الأمن. فجائز أن يكونوا كادوه أن حبسوه في موضع ثم جمعوا عليه الحطب من غير أن علم هو ذلك، ثم أوقدوا عليه النار. أو أن يكونوا أخذوه مغافصةً[5] فجعلوه في المَنْجنِيق ثم رموه في النار على ما قال بعض أهل التأويل. أو أن يكونوا كادوه كيدا آخر سوى ذلك لم يذكر، فنحن لا نعلم ذلك.

وقوله: **فجعلناهم الأخسرين**، لا شك أنهم في الآخرة من الأخسرين. وأما خسرانهم في الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران، والله أعلم به.

---

[1] ن ع: لفرعون.

[2] ر: خصوصية.

[3] ن: فلم تخرقه.

[4] ن: إذ الكيد.

[5] غافص الرجلَ مغافصة وغِفاصا: أخذه على غرةٍ فركبه بمَساءة (*لسان العرب*، «غفص»).

وقال بعضهم: في قوله: **وأرادوا به كيدًا**، وذلك أنه لما جُعل في النار أنجاه الله منها وجعلها[1] بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ،[2] وأمره الله تعالى بالخروج إلى الأرض[3] المقدسة فخرج إليها فطلبوه وبعث مَلِكهم إلى أصحاب المَناظر فقال: لا يَمُرّ بكم إنسان يتكلم بالسريانية إلا حبستموه.[4] قال: فحوَّل الله تعالى لسانه بالعبرانية فمرَّ بهم فغُيِّر عليهم فانطلق إبراهيم متوجها نحو أهله، فذلك قوله: **وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين**، أي الأسفلين وأعلاهم إبراهيم صلوات الله عليه.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٧١]

وقوله: **ونجيّناه ولوطا**، دل هذا على أن إبراهيم كان كالمُشْرِف على الهلاك، لأن لفظة النجاة لا يقال إلا فيما كان هنالك إشراف على الهلاك. وفيه أن لوطًا كان معه وإن كان إبراهيم هو الممتحَن في ذلك. وهم كانوا يقصدون قصد إهلاك[5] الرسل والأتباع جميعا.

وقوله: **إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**. قال[6] الحسن: بركته ما ذكر في آية أخرى وهو قوله: وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ،[7] كثيرة المياه والنبت ونحوه. وقال بعضهم: بركته سعته على أهلها. وقال بعضهم: بركته لأنها كانت مكان الأنبياء والرسل، صارت مباركة بهم. وجائز أن يكون صارت مباركة بإبراهيمَ ولوطٍ لما بهم ظهر الإسلام هنالك. *والله أعلم*.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[٧٢]

وقوله: **ووهبنا له إساحق ويعقوبَ نافلةً**، قال بعضهم: النافلة العطية؛ وقال بعضهم: النافلة النفل.[8] وأصل النافلة الغنيمة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[9] أي الغنائم. والولد وولدُ الولد

---

[1] جميع النسخ + عليه.
[2] الآية السابقة.
[3] رع م: أرض.
[4] أي احبسوه.
[5] ع: قصدًا هلاك.
[6] ع: وقال.
[7] ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى رَبْوَةٍ ذات قرار ومَعِين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥٠).
[8] ر م: النافلة الفضل؛ ع – النافلة النفل.
[9] سورة الأنفال، ١/٨.

/ فضل منه وعطية وغنيمة، لأنه سمّى الولد هبة بقوله: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ،[١] وسمّى الوالد مُوهَبا.[٢] وخاصة إبراهيم لم يكن يطمع أن يولد له الولد في ذلك الوقت، فكيف يطمع ولد الولد؟ [٤٨٦و]

وقوله:[٣] **وكلًّا جعلنا صالحين**، يحتمل قوله: **صالحين**، رسلا. أو **صالحين** في كل أمر[٤] وكل شيء.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٧٣]

وقوله: **وجعلناهم أئمة**، قَادَةً في أمر الدين **يهدون بأمرنا**. يحتمل قوله: **يهدون**، أي يدعون الناس **بأمرنا**، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[٥] أي داعٍ. وجائز أن يكون قوله: **يهدون بأمرنا**، أي يهدون الناس إلى ما به أَمَرَ الله وإلى دينه.

وقوله:[٦] **وأوحينا إليهم فعل الخيرات**، دل قوله: **وأوحينا إليهم**، أنهم كانوا رسلا. ثم يحتمل قوله: **فعل الخيرات**، أي بفعل الخيرات.[٧] وقوله: **وإقامَ الصلاة وإيتاءَ الزكاة**، فيه أن الصلاة والزكاة كانتا في شرائع المتقدمين. وقوله:[٨] **وكانوا لنا عابدين**، موحدين، أو عابدين له كل وقت.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[٧٤]

وقوله: **ولوطا آتيناه حكما وعلما**، قال بعضهم: **حكما**، يعني النبوة.[٩] وقال بعضهم: **حكما**، أي الفهم والعقل، **وعلما**. وجائز أن يكون قوله: **حكما**، أي الحكم الذي يحكم بين الناس،[١٠]

---

[١] سورة الشورى، ٤٢/٤٩.
[٢] جميع النسخ والشرح: مواهبا.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن: كلام.
[٥] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قومٍ هَادٍ﴾ (سورة الرعد، ١٣/٧).
[٦] ن: قوله.
[٧] ر م – أي بفعل الخيرات؛ ع: أي لفعل الخيرات.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن + قال بعضهم حكما يعني النبوة.
[١٠] ن: يحكم الناس بينهم.

وعلما، أي العلم الذي كان به يحكم بين الناس. ومن قال: **حكما**، هو النبوة قال: لأن الأنبياء إنما يحكمون بين الناس بالنبوة. فكَنَوا بالحكم عن النبوة. ومن قال بالفهم فهو لأنه إنما يحكم بين الناس بعد ما فهم من الخصوم، وإلا حاصل الحكم هو الحكم بين الناس. **وعلما**، أي العلم الذي به[1] يحكم. أو **علما** فيما بينه وبين ربه. *والله أعلم*.

وقوله: **ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث**،[2] أضاف عمل الخبائث إلى القرية، ومعلوم أن القرية لا تعمل شيئا، لكن معناه: نجيناه من القرية التي كان أهلها يعملون الخبائث. وكذلك ذكر في حرف حفصة. وقوله: **الخبائث**، كل أنواع الخبث من الكفر[3] والتكذيب بالآيات واللواطة وغيرها.

وقوله: **إنهم كانوا قوم سَوْء فاسقين**، أي كانوا قوم سوء في أفعالهم وأعمالهم التي كانوا يعملونها، **فاسقين**، أي خارجين عن أمر الله تاركين له. والفسق هو الخروج عن الأمر، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[4] أي خرج.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٥]

وقوله: **وأدخلناه في رحمتنا**، قال الحسن: **في رحمتنا**، في جنتنا، فسمي الجنة رحمة[5] لأنه برحمته يُدخل فيها وتُدرك. وقال غيره: **في رحمتنا**، أي نعمتنا، ونعمته النبوة، كقوله في عيسى:[6] إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ،[7] بالنبوة. وجائز أن يكون قوله: **في رحمتنا**، أي أعطينا كل أنواع الخير برحمتنا، إذ كل من أصاب خيرا في الدنيا والآخرة إنما يدركه برحمته.

وقوله: **إنه من الصالحين**، من النبيين. أو **من الصالحين**، أي كان يعمل بكل أنواع الصلاح.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[٧٦]

وقوله: **ونوحا إذ نادى من قبلُ**، قال بعضهم: **من قبل** إبراهيم وإسحاق ويعقوب،

---

[1] ع - به.
[2] ع + وكذلك ذكر.
[3] ر: الكفرة.
[4] سورة الكهف، ٥٠/١٨.
[5] ر ع م - كقوله ففسق عن أمر ربه أي خرج وقوله وأدخلناه في رحمتنا قال الحسن في رحمتنا في جنتنا فسمي الجنة رحمة.
[6] جميع النسخ: لعيسى.
[7] سورة الزخرف، ٥٩/٤٣.

لأنه ذكره على إثر هؤلاء.[١] ثم اختلف في ندائه. قال بعضهم: نداؤه هو قوله: فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ،[٢] وقال بعضهم: نداؤه هو[٣] قوله: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.[٤] أو[٥] أن يكون ذلك قولَه: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا وقولَه: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا،[٦] الآية وأمثاله.

وقوله: **فاستجبنا له ونجيناه وأهلَه**؛ أهلُه أتباعه من أهله ومن غيرهم.[٧] وقوله:[٨] **من الكَرْب العظيم**، قال عامة أهل التأويل: **من الكرب العظيم**، هو الغَرَق والهول الشديد الذي كان به. وجائز أن يكون **الكرب العظيم**، هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعائه إياهم إلى دين الله في تِسْعَمِائَةٍ وخمسين عامًا، وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من أنواع الأذى، كقوله: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ،[٩] ونحوِ ذلك من الأذى الذي قاساه منهم؛ فأنجاه من ذلك الكرب. *والله أعلم*.

[٤٨٦و س ٣٣ *قال أبو عَوْسَجَة: الكَرْب واحد وجمعه الكُرُوب، وهو الهموم والشدائد. والكُرْبَة واحدة، والكُرَب جميع، وهو مثل الكُرُوب.[١٠] قال: والأكراب تكون للدلاء، وهي جماعة الكَرَب[١١] وهو حبل يُشَدُّ في عَرَاقَي الدلو:[١٢] خشباتِ الدلو؛ الواحدة عَرْقُوَة.[١٣] قال: والكِرَاب[١٤] الحِراث.* ٤٨٦و س ٣٥]

---

[١] جميع النسخ *والشرح*: لأنه ذكر هؤلاء على إثره.
[٢] سورة القمر، ١٠/٥٤.
[٣] ع: وهو.
[٤] سورة نوح، ٧٠/٥-٦.
[٥] ع: و.
[٦] سورة نوح، ٧٠/٢٦، ٢٨.
[٧] م: وغيرهم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ﴿ويصنع الفُلْكَ وكلما مَرَّ عليه ملأٌ من قومه سخِروا منه قال إن تسْخَروا منا فإنا نَسْخَر منكم كما تسخرون﴾ (سورة هود، ٣٨/١١).
[١٠] ع - وهو الهموم والشدائد والكربة واحدة والكرب جميع وهو مثل الكروب.
[١١] الكَرَبُ: الحبل الذي يُشَدُّ على الدلو، بعد المَنِينِ -وهو الحَبْل الأَوَّل- فإذا انقطع المنين بقي الكَرَبُ. قال ابن سِيدَه: الكَرَبُ حبل يُشَد على عَرَاقي الدلو، ثم يُثْنى ثم يُثَلَّثُ، والجمع أَكْرابٌ (*لسان العرب*، «كرب»).
[١٢] ر ع: الولد.
[١٣] والعَرْقُوَةُ خشبة معروضة على الدلو، والجمع عَرْقٍ، وأصله عَرْقُوٌ إلا أنه ليس في الكلام اسم آخره واو قبلها حرف مضموم (*لسان العرب*، «عرق»).
[١٤] الكِرَابُ: كَرَبَ الأرضَ يكْرُبُها كَرْبًا وكِرابًا: قلبها للحرث وأثارها للزرع (*لسان العرب*، «كرب»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٦و/سطر٣٣-٣٥.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧٧]

وقوله:[١] **ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**، وفي حرف أبيّ بن كعب: ونصرناه على[٢] القوم الذين كذبوا بآياتنا.[٣] والنصر هو اسم لأمرين: اسم للمنع واسم للظفر. فمن قرأ **نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**، أي متَعناه من أن يقتله قومه ويُهلِكوه، والنصر [هنا] المنع، كقوله: فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ،[٤] أي لا مانع لهم. ومن قرأ "على القوم الذين كذبوا بآياتنا"، أي أظفرناه[٥] على قومه، كقوله: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.[٦] وقد كان له الأمران جميعا: المنعُ والظفر.

وقوله: **إنهم كانوا قومَ سَوْءٍ**، ما ذكرنا من أفعالهم وأعمالهم. وقوله: **فأغرقناهم أجمعين**، حتى لم ينج منهم أحد.*

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[٧٨] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل:[٨] **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نَفَشَتْ فيه غنَمُ القوم**، الآية. قال بعض الناس: دل تخصيص سليمان بالتفهيم على أنه لم يُفَهِّم داودَ ذلك، ويدل على ذلك وجوه. أحدها إشراكه عز وجل إياهما جميعا في الحكم والعلم وغيره حين قال: **إذ يحكمان في الحرث**، وقال: **وكُلًّا آتينا حكما وعلما**، ذكر ما كانا مشتركَيْن فيه، وخَصَّ سليمان بالتفهيم، فدل التخصيص بالشيء أحدَهما والإشراك في الآخر على أنه كان مخصوصا به دون الآخر.

[٤٨٦ظ] والثاني أن هذه / الأنباء ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن. فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيدنا[٩] سوى الحكم والعلم، وكنا تعلم أنهما[١٠]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: من.
[٣] *كتاب المصاحف* لابن لأبي داود، ١٤٧.
[٤] ﴿وكأيّن من قرية هي أشَدّ قوة من قريتك التي أخرجَتْك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ (سورة محمد، ١٣/٤٧).
[٥] ع: ظفرناه.
[٦] سورة آل عمران، ١٢٦/٣؛ وسورة الأنفال، ١٠/٨.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٦و/سطر٣٣-٣٥.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر م: لا يفيد.
[١٠] ن: أنها.

قد أوتِيَا[1] حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم، فإذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لأحدهما على أن الآخر لم يكن مُفَهَّمًا ذلك. *والله أعلم*.

والثالث فيه دلالة أن المجتهد إذا حكم وأصاب الحكم[2] أنه إنما أصاب بتفهيم الله إياه وبتوفيقه، حيث أخبر أنه قد آتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم،[3] والتفهيم هو فعل الله حيث أضاف ذلك إلى نفسه.

ثم إن كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالةٌ لأصحابنا فيمن[4] قتل مسلما في دار الحرب أسلم هنالك، أن عليه الكفارة وليست عليه الدية حيث قال: [١] وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا؛ [٢] وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ؛ [٣] فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.[5] ذكر في الأولَيْن الدية والكفارة جميعا، ثم خص الثالثَ[6] بذكر الكفارة دون الدية. فدل التخصيص له بأحدهما على أن ليس عليه الآخر، لأنه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الأول الدية والكفارة ولا يذكر في الآخرَيْن، فيكون ما ذكر في الأول كالمذكور في الآخرَيْن؛ أو يذكر[7] ذلك كله في الكل. فإذ[8] لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كلَّ[9] الواجب في الاثنين على الإبلاغ، وترك في الواحد أحدهما وذكر الآخر فدل تخصيص الثالث بأحد الحكمين على أن ليس عليه الآخر.

---

[1] ع: أوتينا.

[2] ع - وأصاب الحكم.

[3] ع + فدل التخصيص بالشيء أحدهما والإشراك في الآخر على أنه كان مخصوصا به دون الآخر والثاني أن هذه الأنباء ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان يفيد سوى الحكم والعلم وكنا نعلم أنهما قد أوتيا حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم فإذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لأحدهما على أن الآخر لم يكن مفهما ذلك والله أعلم والثالث فيه دلالة أن المجتهد إذا حكم أنه إنما أصاب بتفهيم الله إياه وبتوفيقه حيث أخبر أنه قد آتاهما جميعا العلم هو خص سليمان بالتفهيم.

[4] ع: فمن.

[5] سورة النساء، ٩٢/٤. جميع النسخ هكذا، إلا أن قوله: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وارد في الآية قبل قوله: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلَّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾. لعل المؤلف رحمه الله جعل الأول والثالث في جانبٍ والثاني في جانب آخر، وأخر الجملة الثانية لنفهم المسألة.

[6] جميع النسخ: الثالثة.

[7] ر ع م: لا يذكر.

[8] ر م: فإذا.

[9] ع: لكل.

ثم استدلوا بهذه الآية على جواز العمل والقضاء باجتهاد الرأي. فمنهم من استدل بإصابة المجتهد فيما يجتهد وإن لم يصب هو الحكمَ الذي هو حكم عند الله فيه حقيقةً. وهو قول[1] من يقول: كل مجتهد مصيب فيما عليه[2] من الاجتهاد في[3] تلك الحادثة. وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله. ومنهم من يستدل به بخطإ أحد المجتهدَين وعذره في خطإه، فيذهب إلى أن المقصود مما كلِّف من الحكم في ذلك واحدُ[4] الحكمَيْن المختلفين.[5] فإذا كان المقصود مما كلِّف[6] من الحكم فيه واحدًا[7] فلا يجوز أن يَحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه واحد[8] فيكونان جميعا مصيبَيْن،[9] حيث خص أحدهما بالتفهيم بقوله: **ففهَّمناها سليمانَ**، فلو كانا جميعا مصيبين كانا جميعا مفهَّمَين، فإذا أخبر أنه فُهِّم سليمان ولم يفهَّم الآخر دل أن المصيب هو المفهَّم منهما. وهو قول أبي حنيفة وبِشْرٍ[10] وهؤلاء.[11] ومن استدل بإصابته يستدل[12] بقوله: **وكلا آتينا حكما وعلما**، أخبر أنه آتاهما حكما وعلما،[13] فدل ذلك على أنه لم يكن عليهما غير ما فعلا وحكما فيه وإن لم يصيبا الحكم الذي هو حكم حقيقةً عند الله.

ثم ذَكَر في الآية أنهما **يحكمان في الحرث**، ولم يذكر أنهما حكما بالضَّمان أو البراءة عن الضمان أو كيف كان حكمهما؟ فدل ترك بيان ما حَكما فيه على أن ليس علينا ذلك الحكم،[14]

---

[1] ر م: القول.

[2] أي حيث أدى ما عليه.

[3] ع: وفي.

[4] ع: واحدا.

[5] جميع النسخ: لا حكمين مختلفين.

[6] ر: كلفه؛ ن: كلفا.

[7] ر م: واحد.

[8] ر م: أحد.

[9] ر ع م: مصيبان.

[10] لعله أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي (ت: ٢١٠هـ/٨٢٥م): فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. قال الشريف المرتضى: "يقال: إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه". تنسب إليه الطائفة البشرية منهم. له مصنفات في الاعتزال، منها قصيدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين. ومات ببغداد (الأعلام للزركلي، ٢/٥٥).

[11] ر ع م: وغيرهما. لعل المؤلف يعني فقهاء المعتزلة.

[12] ع – بإصابته يستدل.

[13] ع + أخبر أنه آتاهما حكما وعلما.

[14] ع + إذ بين لنا ذلك الحكم.

إذ يبين لنا ما علينا العمل فيه، وهو العمل بالاجتهاد حيث[١] قال: **ففهَّمناها سليمانَ**، و لم يبين لنا الحكم الذي حكَما فيه، فدل بيان أحدهما وترك بيان الآخر على أن ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانَه. إلا أن أهل التأويل حملوا[٢] حكمهما على الضمان والبراءة.[٣] وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. روي أن ناقة لرجل هاربةً دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه، فكلّم رسولَ الله[٤] فيها،[٥] فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأن حفظ المواشي بالليل على أهلها، وأن على أهل الماشية[٦] ما أصابت ماشيتُهم بالليل. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[٧] «ما أصابت الماشيةُ بالليل فعلى أهلها، وما أصابت بالنهار فليس على أهلها منه شيء».[٨] لكن الخبر إنما جاء في المدينة، وفي المدينة[٩] إنما ترعى[١٠] الماشية في السُّكَك إذ ليس لها مَراعي.

ونحن نقول: إن من أرسل ماشيته[١١] في مكان لا مرعى لها إلا كَرْمُ إنسان أو حائطٌ فأفسدته،[١٢] فإنا نوجب عليه الضمان ضمانَ ما أفسدته.[١٣] وهو كمن يرسل الماء في ملكه في مكان

---

[١] ع: وحيث.

[٢] ن: عملوا.

[٣] ر: والبرأة؛ ن – والبرائة. "عن ابن عباس في قوله: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾ يقول: كنا لما حكما شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم. فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يُبق من حرثي شيئا. فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك فقضى بذلك داود. ومرّ صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال: يا نبيّ الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفي على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كلّ عام. فقال داود: قد أصبت، القضاءُ كما قضيتَ. ففهمها الله سليمان" (*تفسير الطبري*، ١٧/٦٣).

[٤] ن + صلى الله عليه وسلم.

[٥] ع – فيها.

[٦] ر: على الماشية.

[٧] ن: أنه قال صلى الله عليه وسلم.

[٨] عن سعيد بن المسيَّب وحرام بن سعد أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لقوم من الأنصار فأفسدت، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى «أن حفظ الحوائط على أهلها بالنهار وعلى أهل المواشي ما أفسدت المواشي بالليل.» وروينا عن الشعبي عن شُرَيْح أنه كان يضمن ما أفسدت الغنم بالليل ولا يضمن ما أفسدت بالنهار ويتأول هذه الآية ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ وكان يقول: النفش بالليل (*سنن البيهقي*، ٨/٣٤٢).

[٩] ع – وفي المدينة.

[١٠] ن: تدعى.

[١١] ر ع م: ماشية.

[١٢] جميع النسخ: فأفسده.

[١٣] ن ع م: أفسدت.

لا يَقِرّ فيه فتعدَّى إلى ملك جاره فأفسده، فعليه ضمان ما أفسده. فعلى ذلك المواشي، إذا أرسلها في مكان لا مراعي لها ولا قرار إلا حائط آخر فإنه يضمن ما أفسدت[1] منه.

ومن الناس من يجعل الخبر منسوخا بما جاء: «جَرْح العَجْمَاء جُبَارٌ»،[2] لكن الوجه فيه ما ذكرنا. وإنما يكون[3] جرحها جُبارًا إذا تعدت هي من غير إرسال صاحبها، فأما إذا كان بصنع صاحبها فعليه الضمان. **والله أعلم**.

وقال القُتَبِي: **نفشت**، أي رعت ليلاً، يقال: نفشت الغنم بالليل، وهي[4] إبلٌ، نَفَشٌ وأنفاش[5] ونُفَّاش، واحدها نافش؛ وسرَحتْ وسرَبتْ بالنهار.[6] و قال أبو عَوْسَجَة: **نفشت فيه غنم القوم**، يقال:[7] أنفشْنا الغنم إذا أثَّرناها في الليل فرعت، وهو النفش. ونفشت، أي انتشرت بغير علم أهلها. نَفَشَتْ تَنفُشُ نَفْشا[8] فهي نافشة. قال أبو عبيدة: النفش بالليل أن تدخل في زرع فتأكله أو رعت فتأكل.[9]

وقوله: **وسخَّرنا مع داود الجبالَ يُسَبِّحْنَ**، ذَكَر التسبيح هنا[10] في الجبال و لم يذكر في الطير، ولكن ذكر في آية أخرى حيث قال: وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ،[11] أي مسبِّح له. ثم يحتمل أن يكون [٤٨٧و] / تسبيح الجبال ههنا والطيرِ تسبيحَ خلقةٍ، لكنه لو كان تسبيحَ خلقة لكان تسبيحها مع داود وغيره سواءً. وقد ذكر **يُسَبِّحْنَ** مع داود، ليعلم أن الله جعل لهذه الأشياء تسبيحًا يُسَبِّحْنَ الله ويذكرنَه.[12]

---

[1] ر ع م - فعلى ذلك المواشي إذا أرسلها في مكان لا مراعي لها ولا قرار إلا حائط آخر فإنه يضمن ما أفسدت.

[2] «العجماء جرحها جُبَار، والمعدِن جبار، والبئر جبار، وفي الرِّكاز الخُمس» (*سنن أبي داود*، الديات ٣٠؛ وانظر أيضا: *صحيح البخاري*، المساقاة ٤). والجُبارُ الهَدَرُ. يقال: ذهب دَمُه جُبَارًا. ومعنى الأحاديث إنْ تَنفَلِتِ البهيمة العجماء فتصيب في انفلاتها إنسانا أو شيئا فجرحها هدَرٌ، وكذلك البئر العاديّة يسقط فيها إنسان فيَهْلِكُ فدَمُه هَدَرٌ، والمعْدِن إذا انهارَ على حافره فقتله فدمه هدر (*لسان العرب*، «جبر»). والرِّكازُ: قِطَعُ ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن (*لسان العرب*، «ركز»).

[3] ع - يكون.

[4] ر: وهو.

[5] ن: ونفش.

[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٧.

[7] ن: فقال.

[8] ع م: نفش ينفش نفشا.

[9] ن - فتأكل. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٤١/٢.

[10] ن: ههنا.

[11] سورة ص، ١٩/٣٨.

[12] ر ع م: ويذكرونه.

كذلك[١] ما روي في الأخبار أن الطعام سبح في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وروي أنه أخذ حجرًا فسبح في يده؛ وأنه أخذ كذا فسلم عليه، وأمثال هذا كثيرة.[٢] وذلك كله آية لرسل الله[٣] على رسالتهم.

وقوله: **وكنا فاعلين**، أي كنا فاعلين ما نريد. إن أردنا أن يُسَبِّحْنَ يسبحن، وإن أردنا أن لا يسبحن لا يسبحن،[٤] أي **كنا فاعلين** جميع ما نريد، ليس كالخلائق، لأنهم يريدون أشياء لا تلتئم لهم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٨٠]

وقوله:[٥] **وعلَّمناه صنعة لَبوس لكم**، وقال في آية أخرى وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ،[٦] الآية. ثم يحتمل قوله: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أي علمناه السبب الذي به يَلِين[٧] الحديد[٨] فيصنع به ما شاء، كما علَّم غيرَه من الخلق السبب الذي به يلين[٩] الحديد. ويحتمل أن يجعل[١٠] له الحديد ليّنا بلا سبب تسخيرًا له كما سخر[١١] له غيره من الأشياء الشديدة الصلبة، كما أعطَى ولده عَيْنَ الْقِطْرِ حيث قال: وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ.[١٢] وذلك لم يكن لأحد سواه. وكذلك الحديد، ألَانه[١٣] لوالده[١٤] حتى يعمل به ما يشاء[١٥] ما لم يكن ذلك لأحد[١٦] سواه.

---

[١] ع: وكذلك.
[٢] ر ع: كثير. ولكن هذه الروايات لا يدعمها القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نُرسِل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون﴾ (سورة الإسراء، ٥٩/١٧)؛ وقوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليهم الكتاب يُتلى عليهم﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٥٠-٥١).
[٣] ع: لرسول الله.
[٤] ن: لم يسبحن.
[٥] ن: قوله.
[٦] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وَأَلَنَّا له الحديد أن اعمل سابغات وَقَدِّرْ في السَّرْدِ واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٠-١١).
[٧] ر ع: تلين.
[٨] ن ع + له.
[٩] ر ع: تلين.
[١٠] ر ع م: أن جعل.
[١١] ع: يسخر.
[١٢] سورة سبأ، ١٢/٣٤.
[١٣] جميع النسخ: ألان.
[١٤] ع: الوالده.
[١٥] ر ع م: شاء.
[١٦] ر ع: في حديد.

وقوله: **وعلَّمناه صنعة لَبُوس لكم**، قيل:[1] دروع الحديد، **لتُحْصِنَكم من بأسكم**، أي تَقِيكم **من بأسكم**، أي من عدوكم ومن أمر حربكم.[2] وفيه قراءات.[3] **لتحصنكم** بالتاء، و"ليحصنكم"[4] بالياء[5] و"لنحصنكم"[6] بالنون.[7] قال الكسائي: من قرأ بالتاء **لتحصنكم**، أي الصنعةُ تحصنكم **من بأسكم**؛ ومن قرأ بالياء "ليحصنكم"، أي اللبوس يحصنكم **من بأسكم**؛ ومن قرأ بالنون "لنحصنكم" فإنه يقول الله: "نحصنكم"[8] نحن **من بأسكم**.[9]

وقوله: **فهل أنتم شاكرون**، ما أعطاكم من النعم[10] التي ذَكَر من تسخير الجبال له والطير والحديد والرياح وغيره، **فهل أنتم شاكرون** ذلك؟ أي اشكروا له في نعمه. لأن الاستفهام من الله على الإيجاب والإلزام.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[٨١]

وقوله: **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره**، ذكر ههنا عاصفة، وقال في آية أخرى: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ،[11] أي لَيِّنة، فهو يحتمل وجوها. قال بعضهم: كأنها تشتد إذا أراد سليمان وتلين إذا أراد. وقال بعضهم: كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين وقت سيره. ويحتمل أن يكون عاصفة شديدة في الخلقة، لكنها كانت تلين له وترخو، فكأنه يقول: سخَّرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة حتى كانت تلين له.

وقوله: **تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها**، وقال في تلك الآية: تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، حيث قصد، ولا يقصد إلا **إلى الأرض التي باركنا فيها**،[12] لا يقصد غيرها،[13] **وكنا بكل شيء عالمين**.

---

[1] ع + أي.
[2] ر: حزبكم.
[3] ر: قرأة؛ ع م: قراءة.
[4] ن - وليحصنكم.
[5] ع + لتحصنكم من بأسكم أي تقيكم من بأسكم.
[6] ن - ولنحصنكم.
[7] قرأ "ليحصنكم" نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي؛ و"لتحصنكم" ابن عامر وعاصم في رواية حفص؛ و"لنحصنكم" عاصم في رواية أبي بكر (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤).
[8] ع - فإنه يقول الله نحصنكم.
[9] لم أجده عن الكسائي بل هو منقول عن الزجاج (انظر: *معاني القرآن وإعرابه*، ٣/٤٠٠).
[10] ر ع م: النعمة.
[11] سورة ص، ٣٨/٣٦.
[12] ر ع م - وقال في تلك الآية تجري بأمره رخاء حيث أصاب حيث قصد ولا يقصد إلا إلى الأرض التي باركنا فيها.
[13] ر ع م + وقوله؛ ن + قوله.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[٨٢]

[وقوله:] **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك.**[١] ذكر نعمه التي كانت عليهم حيث أخبر أنه سخّر لهما[٢] أشد الأشياء وأصلبها من نحو الجبال والرياح والبحار والحديد، والشياطين أيضا، وهم أعداء[٣] لبني آدم؛[٤] سخّر[٥] الأعداء: الشياطين والرياح.

وقوله:[٦] **وكنا لهم حافظين**، يحتمل وجوها. أحدها **وكنا لهم حافظين** حتى لا يُضلوا الناس. وقال بعضهم: **وكنا لهم حافظين** على سليمان، لئلا يتفرقوا عنه. لأن سليمان كان لا يملك إمساكهم واستعمالهم، لكن الله سخرهم له حتى عملوا له وذلوا له وخضعوا.[٧] والثالث **وكنا لهم حافظين** عن الخلاف له. *والله أعلم.*

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر**، وقال في آية أخرى: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.[٨] ذَكَر في سليمان أنه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخَّرين له، يستعملهم في كل أمر وعمل شاء. وذكر في أيوب على إثر قصة سليمان أنه سلَّط الشياطين[٩] عليه وصار هو كالمسخَّر لهم حيث قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ،[١٠] حتى يعلم أن تسخير الشياطين لسليمان كان له من الله[١١] إفضالا وإنعاما[١٢] لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك ويستحقه، ولا كان من أيوب إليه من العصيان ما يستحق ذلك، وما أصابه من البلاء منه عدل، وكان ما يُعطِي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة. وله أن يعطِي من شاء ما شاء[١٣] ويَحْرِم من شاء ما شاء. ألا ترى[١٤] أنه قال في آخره

---

[١] أي سوى الغوص (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣/٤٠١).
[٢] ن: لها.
[٣] ع: أعدا.
[٤] ر: النبي آدم.
[٥] ر ع م + له.
[٦] ن: قوله.
[٧] ن + له.
[٨] سورة ص، ٤١/٣٨.
[٩] ن: شياطين.
[١٠] سورة ص، ٤١/٣٨.
[١١] ر ع م – من الله.
[١٢] جميع النسخ: إفضال وإنعام.
[١٣] ع – وما أصابه من البلاء منه عدل وكان ما يعطي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة وله أن يعطي من شاء ما شاء.
[١٤] ن: ألا يرى.

لمّا رد عليه ما أخذ منه وكشف عنه البلاء: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا.[1] ولو كان ذلك حقا على الله لم يكن لذكر الرحمة معنى. فهذا يرد على المعتزلة مذهبهم: أن على الله الأصلحَ لهم في دينهم، لأن ما أصاب أيوب من البلايا أضاف ذلك إلى الشياطين حيث قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ،[2] ولو كان ذلك أصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الأصلح له في الدين إلى الشيطان.[3] فدل أنه ليس على ما يذهبون إليه.

ثم قوله: **وأيوبَ إذ نادى ربَّه أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ**، يشبه أن يكون فيه إضمار دعاء، كأنه قال: **أني مسني الضر** فارحمني وعافني **وأنت أرحم الراحمين**. ألا ترى[4] أنه قال: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ،[5] دل أنه على الدعاء خرج. والثاني في قوله: **أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ**، وصرتُ بحال يرحمني من رآني من الخلق **وأنت أرحم** لي من كل **الراحمين**. *والله أعلم*. [٤٨٧ظ]

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [٨٤]

/ وقوله عز وجل: **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر**، هو ظاهر أنه كشف عنه ما أصابه من البلاء في بدنه وأهله حتى عاد إلى الحال التي كان قبل ذلك. وقال بعضهم: أوتي أهلَه في الدنيا ومثل أجورهم في الآخرة. وقال بعضهم:[6] **وآتيناه أهله**، فأحياهم الله، **ومثلهم معهم**. وكانت امرأة أيوب ولدت قبل البلايا[7] أولادًا بنين وبنات فأحياهم الله. وقال بعضهم: **وآتيناه أهله**، أي ما يتأهل به من الأهل والأنصار على ما كان له من قبل. *والله أعلم*.

وقوله: **رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**، يحتمل وجوها. أحدها أن من ابتُلي ببلاء فصبر على ما صبر أيوبُ على بلاء ففرَّجه الله عن ذلك البلاء، فيفرِجه عنه كما فرَّج لأيوب. والثاني يُعلِم أن ما أصابه ليس لأمرٍ[8] سبق منه، ولكن ابتداء محنة من الله امتحنه بها، وله أن يمتحن من شاء بما شاء من المحن.

---

[1] الآية التالية.
[2] سورة ص، ٤١/٣٨.
[3] ر ع م: الشياطين.
[4] ن: ألا يرى.
[5] الآية التالية.
[6] ن – بعضهم.
[7] ر ع م: البلاء.
[8] ر ع: الامر.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٨٥]

وقوله: **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل**، يشبه أن يكون ذو الكفل اسما[١] من أسمائه. وجائز أنه سُمّي ذا الكفل لأمر كان منه. ذُكر أنه كان رجلا صالحا فتكفّل[٢] لنبي بأمر قومه فوفّى ما تكفل به فسمي لذلك ذا الكفل.[٣]

ثم اختلف فيه. قال بعضهم: هو رجل صالح على ما ذكرنا؛ وقال بعضهم: كان نبيا. لسنا نعلم ذلك سوى أنه ذكر أنه **من الصابرين**. سماهم صابرين على الإطلاق، وكذلك سماهم صالحين على الإطلاق.[٤] وذلك -والله أعلم- لأنهم جمعوا جميع أنواع الصبر وجميع أنواع الصلاح: صبروا على ما ابتُلوا وامتحنوا، وصبروا على جميع ما أُمروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع[٥] الخيرات؛ وكذلك الصلاح، سماهم به لما جمعوا جميع أنواع الصلاح.[٦] ***والله أعلم.***

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨٦]

وقوله: **وأدخلناهم في رحمتنا**، قال الحسن: **أدخلناهم في رحمتنا**،[٧] وهي الجنة. وجائز أن يكون جميع ما قالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله[٨] وفضله. وهكذا أن من نال شيئا من الخيرات والطاعات فإنما ينال ذلك كله برحمته. ***والله أعلم.***

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٨٧] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٨]

وقوله: **وذا النون**، قال[٩] بعضهم: ذو النون،[١٠] هو اسم من أسمائه سمي به. وقال بعضهم:

---

[١] جميع النسخ: ذا الكفل اسم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٩٩و.
[٢] جميع النسخ: فكفل.
[٣] انظر: *معاني القرآن وإعرابه*، ٤٠١/٣. قال الزجاج: إن ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم (*لسان العرب*، «كفل»).
[٤] ع - وكذلك سماهم صالحين على الإطلاق.
[٥] ع: الجميع.
[٦] ر م - صبروا على ما ابتلوا وامتحنوا وصبروا على جميع ما أمروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع الخيرات وكذلك الصلاح سماهم به لما جمعوا جميع أنواع الصلاح.
[٧] ر م - في رحمتنا.
[٨] ر م: رحمة الله.
[٩] جميع النسخ: وقال.
[١٠] جميع النسخ: ذا النون.

سماه ذا النون لكونه في بطن النون، وهو الحوت، أي صاحب النون. سمي باسمين مختلفين، أحدهما اسم موضوعٌ، والآخر مشتق من فعله ومما كان به. وهو ما سَمَّى[1] عيسى مرة وسماه مسيحا أخرى، أحدهما اسم موضوع، والآخر مشتق من فعله. وهو مما[2] كان يمسح به المرضى والموتى فيُبرَؤن.[3] وكذلك ذو الكفل[4] يخرج على هذين الاسمين، أحدهما موضوع والآخر مشتق من فعله على ما ذكرنا. **والله أعلم**.

وقوله: **إذ ذهب مُغاضِبًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: **مُغاضِبًا** لربه، أي حزينا له، لأنه كان أراد أن يهلك الله قومه لما أَيِس من إيمان قومه، وقد كثر عنادهم ومكابرتهم، فخرج حزينا لذلك. وقال بعضهم: **مُغاضِبًا** للملِك. وذلك أن قومه قد أسَرَهم عدوهم؛ وقد كان الله أوحى إليهم[5] فقال: إذا أسركم عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني، فإذا دعوتموني أستجب[6] لكم. فلما أُسروا نسوا أن يدعوه زمانا، حتى إذا ذهبت أيام عقوبتهم ونزلت أيام عافيتهم[7] أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن ابعثوا[8] رجلا قويا أمينا فإني مُلقٍ[9] في قلوب الذين أَسَروا قومهم أن يُرسلوهم. -وفي القصة طول غير أنا نختصر- فبعث مَلِكهم يونسَ إلى أولئك الأَسْرَى[10] ليستنقذهم من أيديهم فخرج وائتَمر،[11] لكنه غضب عليه لِمَا اشتدَّ عليه، فذلك[12] قوله: **ذهب مُغاضِبًا** للملِك حيث أمره بالخروج إلى أولئك الأَسْرَى.[13] وقال بعضهم: **ذهب مُغاضِبًا** لقومه. وذلك يخرج على وجوه. أحدها[14] خرج من عندهم لما أيِس من إيمان قومه خرج مَكيدةً لقومه،

---

[1] ع: وخلق ما يسمى.
[2] ن: ما.
[3] ر: فيبرون.
[4] جميع النسخ: ذا الكفل.
[5] أي قبل هذه الأسارة.
[6] ن: استجبت.
[7] م: عاقبتهم.
[8] ع: بعثوا.
[9] جميع النسخ: ملقي.
[10] جميع النسخ: الأسارى.
[11] ع م: وأيتمر.
[12] ع + قوله ذهب.
[13] جميع النسخ: الأسراء.
[14] م - أحدها.

لأن السنة فيهم أنه إذا خرج رسول من بين أظهرهم نزل بهم العذاب. فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا. والثاني خرج إشفاقًا على نفسه لئلا يُقتل، لما أن قومه هموا بقتله، فخرج لئلا يقتل إشفاقا على نفسه، كما خرج رسول الله من بين أظهر قومه لمّا هموا بقتله، لكن رسول الله خرج بإذنٍ ويونس بغير إذنٍ. والثالث خرج من عندهم لما أكثروا العناد والمكابرة وأيِس من إيمانهم خرج ليفرّغ[1] نفسه لعبادته، إذ كان مأمورًا بالعبادة لربه،[2] ودعا قومه إلى ذلك، فلما أيس من إيمانهم خرج لما ذكرنا بغير إذن من ربه، وإن كان[3] في خروجه منفعة له ولقومه، فعوتب لذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **فظن أن لن نَقْدِر عليه**، قال بعضهم: **فظن أن لن نقدر عليه**، أي لن نضيّق عليه ولا نبتليه بالضيق والتشديد[4] لما خرج من عندهم. يقال:[5] فلان مقدور[6] عليه ومُقْتَر، أي مضيَّق،[7] وهو كقوله: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ،[8] أي يضيّق؛ وقولِه: فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،[9] أي ضيَّق عليه رزقه.

وقوله:[10] **فنادى في الظلمات**، قالوا: في ظلمات ثلاث: ظلمةِ الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.[11] وقال بعضهم: التقم الحوتَ حوتٌ آخر فكان في بطن حوت وحوت آخر، وظلمة البحر. فقال: **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**، وحّد ربه ونزّهه عن جميع ما قيل فيه. ثم اعترف بزلته[12] وذنبه فقال: **إني كنت من / الظالمين**، فسمع الله دعاءه وقبل [٤٨٨و] توبتَه، وأخبر أنه كشف عنه الغم الذي كان له حيث قال: **فاستجبنا له ونجيناه من الغم**،

---

[1] ع: ليفرغ.
[2] ع: بالعبادة ربه؛ م: بعبادة ربه.
[3] ع - كان.
[4] ع: والشدائد.
[5] جميع النسخ: فقال.
[6] جميع النسخ: مقدر.
[7] ر ع م + عليه الأمر.
[8] انظر مثلا: سورة الرعد، ٢٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ٣٠/١٧.
[9] ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرَمَنِ وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقَه فيقول ربي أهَانَنِ﴾ (سورة الفجر، ١٥/٨٩-١٦).
[10] ن: قوله.
[11] كما روي عن ابن عباس (انظر: *المستدرك* للحاكم، ٤١٥/٢).
[12] ر ن ع: بذلته.

وأخبر أنه **وكذلك ننجي المؤمنين**، فيُرجى أن من ابتلاه الله بالبلاء والشدة فدعا بما دعا به يونس[1] أن يفرِّجه الله عنه حيث قال: **وكذلك ننجي المؤمنين**. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا بدعوة ذي النون استجيب له».[2]

ثم قال بعضهم: تلقَّن[3] ذلك [الدعاء] من الأرض، [فإنه] لما بلغ إلى قرار الأرض [سمع ذلك من الأرض][4] فقال ذلك. وقال بعضهم: كان رجلا صالحا عابدا، وكان عوّد نفسه ذلك قبل أن يدخل بطن الحوت. فلما دخل فيه فكان[5] يقول فيه على ما كان يقوله[6] من قبل، وهو كقوله: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[7] الآية. قال بعضهم: هذا أنه كان من المسبحين قبل هذا، وإلا للبث فيه إلى ما ذكر. وقال بعضهم: لولا أنه قال هذا القول **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** للبث فيه. فيكون على هذا التأويل **كان من المسبحين**، أي صار من المسبحين، والأول أشبه.

ثم اختلف في قوله: **ونجيناه من الغم**. قال بعضهم: ذلك الغم هو ما ابتلاه الله بالضيق في بطن الحوت والبحر، فنجاه من ذلك الغم. ولكن جائز أن يكون نجّاه من الغم الذي كان[8] سببَ خروجه من بين أظهرهم.

وقول أهل التأويل: إن يونس مكث في بطن الحوت أربعين يوما أو ثلاثة أيام ونحو هذا فذلك لا يعلم إلا بالوحي، فإن ثبت الوحي فهو هو، وإلا ليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة.

وقال القُتَبِي: **وذا النون**، يعني ذا الحوت، والنون الحوت.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: إنما سمي ذا النون لأن الحوت التقمه،[10] والنون الحوت، والنِينانُ الجميع. وقال القُتَبِي: قوله: **فظن أن لن نَقدِر عليه**،

---

[1] ن – يونس.

[2] «دعاء ذي النون إذ دعا به وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له». (*المستدرك* للحاكم، ٤١٥/٢).

[3] جميع النسخ: التقن.

[4] والزيادات من *الشرح*، ورقة ٤٩٩ظ.

[5] ن: كان.

[6] ر ع م: يقول.

[7] سورة الصافات، ١٤٣/٣٧-١٤٤.

[8] جميع النسخ + به.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٧.

[10] ع: النقمة.

أي لن نضيِّق عليه. يقال:[١] فلان مقدور[٢] عليه ومُقتَّر، ومنه قوله:[٣] فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،[٤] أي ضيَّق عليه [في رزقه].[٥] ومنه قوله أيضا: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ،[٦] أي يضيِّق. **والله أعلم**.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٨٩]

وقوله: **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تَذَرْني فردًا**، في الظاهر[٧] نهي، وكذلك قوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا،[٨] وأمثاله يخرج في الظاهر مخرج النهي؛ وقوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[٩] ونحوه يخرج في الظاهر[١٠] مخرج الأمر، لكن الأمر[١١] والنهي إذا كان من العبد للسيد فهو تعوُّذ ودعاء؛[١٢] وإذا كان من السيد للعبد فهو أمر ونهي ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الأمر والنهي. وكذلك سؤال الأمير لرَعِيَّته أمر ونهي، وسؤال الرعية للأمير تضرُّع وتعوذ ودعاء.

ثم قوله: **رب لا تذرني فردًا**، في الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمتُ حيًّا، ولكن أشرِكْ في العبادة والذكر من يعينني على ذلك. وهو كقول موسى: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا،[١٣] ويكون[١٤] قوله: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ،[١٥] أي هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وليا يعينني على عبادتي إياك وذكري وما أنا فيه ما دمتُ حيًّا؛ و يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ[١٦] إذا مت.

---

[١] ع م - يقال.
[٢] جميع النسخ: مقدر.
[٣] ر ع م - قوله.
[٤] سورة الفجر، ١٦/٨٩.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٧.
[٦] انظر مثلا: سورة الرعد، ٢٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ٣٠/١٧.
[٧] ن - في الظاهر؛ + قوله رب لا تذرني فردا في الظالمين.
[٨] سورة آل عمران، ٨/٣.
[٩] سورة آل عمران، ١٩٤/٣.
[١٠] ر ع م - في الظاهر.
[١١] ر ع م - لكن الأمر.
[١٢] ع: ودعاه.
[١٣] سورة طه، ٢٩/٢٠-٣٤.
[١٤] ر ع م - يكون.
[١٥] سورة مريم، ٥/١٩-٦.
[١٦] ر ع م - أي هب لي من لدنك وليا يعينني على عبادتي إياك وذكري وما أنا فيه ما دمت حيا ويرثني ويرث من آل يعقوب.

أو أن يكون قوله: **لا تذرني فردا**، بعد مماتي في قبري، ولكن هب لي من يذكرني ويدعو لي بعد وفاتي ويحيي أمري. وقوله: **وأنت خير الوارثين**، أي وأنت خير من يرث العباد على هذا التأويل؛ وعلى التأويل الأول وأنت خير من يعين على العبادة والطاعة. ***والله أعلم***.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٩٠]

وقوله: **فاستجبنا له**، أي دعاءه، **ووهبنا له يحيى**، قال الحسن: إنه كان يحيى -على ما سماه الله- في الطاعة والعبادة وفي الآخرة، ويحيى[١] في الكرامات والثواب الجزيل، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٢]

وقوله: **وأصلحنا له زوجه**، يخرج على وجهين. أحدهما أن جعلناها بحيث يرغب فيها زوجها ذاتَ هيئة ومنظر، لأنه ذكر في القصة أنها بلغت في السن مِائَةً غيرَ شيءٍ،[٣] والعرف في النساء أنهن إذا بلغن المبلغ الذي ذُكر أنها بلغت زوجة زكريا يكُنَّ من القواعد اللاتي لا يرغب فيها أحد. فأخبر أنه أصلحها وصيَّرها بحيث يُرغب فيها ذاتَ منظر وهيئة.[٤] والثاني **أصلحنا له زوجه**، أي ولودًا بحيث تلد. لأنه لما بشر بيحيى قال: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا،[٥] والعاقر[٦] هي التي لا تلد، فيكون قوله: **وأصلحنا له زوجه**، ولودا بحيث تلد. ***والله أعلم***. هذان الوجهان محتملان. وأما قول من يقول بأن في لسانها بِذَاءً[٧] وطُولًا،[٨] وفي خُلُقها سوءً، فذلك لا يحل أن يقال إلا بثَبَت؛ وهو على خلاف ما ذكرهم ووصفهم حيث قال: **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**.[٩] ثم المسارعة في الخيرات أنه كان لا يمنعهم شيء عن الخيرات. وهكذا[١٠] المؤمن هو يرغب في الخيرات كلها، إلا أن يمنعه شيء من شهوة أو سهو.

---

[١] ن ع: يحيى.

[٢] انظر: سورة مريم، ١٩/٧ من هذا التفسير.

[٣] أي إلا بضع سنين.

[٤] ن: هيئة ومنظر.

[٥] سورة مريم، ١٩/٨.

[٦] ع - والعاقر.

[٧] باذَأْتُ الرجلَ: إذا خاصمته. وقيل: البِذاءُ المُباذأَةُ، وهي المفاحشة. يُقال: باذَأْتُه بِذاءً ومُباذأَةً. والبَذِيُّ: الفاحش من الرجال، والأُنثى بَذِيئةٌ (انظر: *لسان العرب*، «بذأ»).

[٨] جميع النسخ: وطول.

[٩] وإن كان الإصلاح في الشق الأول والثاني أوفق لمعناه اللغوي إلا أن القول الثالث لا يرِدُ بموجب كونها داخلة في "المسارعين في الخيرات"، لأن "المسارعين في الخيرات" هم الذين أوحى الله إليهم وجعلهم قادة لهذه الأمة من لوط إلى زكريا، لا أزواجهم وأولادهم.

[١٠] ع: وهذا.

وقوله:[1] **ويدعوننا رَغَبًا ورَهَبًا**، أي **يدعوننا رغبا** فيما عندنا من جزيل الثواب، **ورهبا** من أليمِ عقابنا. والثاني **رغبا** فيما عندنا من اللطائف من التوفيق على الخيرات والعصمة عن المعاصي، **ورهبا** مما عندنا من النَّقَمات والخِذلان والزيغ.

وقوله:[2] **وكانوا لنا خاشعين**، قال بعضهم: الخشوع هو الخوف الدائم الملازم للقلب لا يفارقه. وقال بعضهم: متواضعين ذليلين لأمر الله. وتفسير[3] الخشوع ما ذكر بقوله: **ويدعوننا رغبا ورهبا**.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٩١]

وقوله: **والتي أحصنت فرجها**، أي عفَّتْ فرجها. وقوله: **فنفخنا فيها من روحنا**، قال أهل / التأويل: إن جبريل[4] أتاها فنفخ في جيبها أو في فرجها. وهذا ليس في الآية، فلا يجوز القول إلا بثَبَت.[5] ولكن قوله: **فنفخنا فيها من روحنا** كقوله في آدم: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي،[6] أي أنشأت فيه من روحي، إذ لم يقل أحد فيه بالنفخ، أي جبريل[7] نفخ فيه. فعلى ذلك قوله: **فنفخنا فيها من روحنا**، أي أنشأنا فيها من روحنا. ***والله أعلم***. [٤٨٨ظ]

وقوله:[8] **وجعلناها وابنها آية للعالمين**، ذكر فيهما[9] آية واحدة، لأنها وَلدت بغير زوج ووُلد هو بلا أب فهو واحد: إذا كانت هي ولدته بغير زوج فيكون بغير أب فهو آية واحدة. والآية فيها ما ذكر: إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛[10] وآية عيسى حين[11] تكلم في المهد فقال: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[12] الآية.

---

[1] ن: قوله.
[2] ن: قوله.
[3] ر ع م: تفسير.
[4] ن م: جبرئيل.
[5] كما أن قوله تعالى: ﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦) يفسر هذه الآية ويفيد بأنه نفخ في فرجها، لأن الضمير المذكَّر في "فيه" راجع إلى "فرجها".
[6] سورة الحجر، ٢٩/١٥؛ وسورة ص، ٧٢/٣٨.
[7] ن م: جبرئيل.
[8] ن: قوله.
[9] جميع النسخ: فيها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٠و.
[10] ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (سورة آل عمران، ٤٢/٣).
[11] ع – حين.
[12] سورة مريم، ٣٠/١٩.

وقال أبو عَوْسَجَة: **أحصنت**، أي عفَّت، ويقال: امرأة حَصان، أي عفيفة؛ ومُحْصَنة، أي قد أحصنها زوجها؛ ومحصَّنة، أي عفيفة؛ وامرأة حاصِن[1] ونسوة حاصنات وحواصنُ. قال: والحصان ذكر الخيل وحُصُن جميع.

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٩٢]

وقوله:[2] **إن هذه أمتُكم أمةً واحدة**، قال بعضهم: **إن هذه** ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملةً واحدة، وشريعة واحدة،[3] يعني شريعة الإسلام. وملة واحدة: ليست بمفترقة. وقال بعضهم: إن هذه دينكم دين واحد،[4] ليس كدين الأمم الخالية أديان مختلفة. أو أن يكون الأمة ما **يُؤَمُّ** إليها ويُقصد، لأن الأمم هي الجماعة وهي المقصودة. وجائز أن يكون إخبارًا عن هذه الأمة على دين واحد وملة واحدة، ليسوا بمختلفين[5] فيه ولا بمفترقين كسائر الأمم الخالية، كقوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا،[6] الآية، وقوله: وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ،[7] الآية. أخبر عنهم أنهم غير متفرقين[8] ونهاهم عن أن يتفرقوا كما تفرَّق الأولون. ألا ترى[9] أنه قال على إثره: **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**،[10] هذا يدل على أنه إخبار عن أهل الإسلام في صدر الأمر أنهم على شيء واحد. وقال الزجاج: **إن هذه أمتكم أمة واحدة**، ما لزموا الحق واتبعوه، وأما إذا تركوا لزومه وتركوا اتباعه فهي ليست بأمة واحدة.[11] ***والله أعلم***.

وقوله: **وأنا ربكم فاعبدونِ**، وقال[12] في آية أخرى: وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ،[13] ليعلم أن العبادة

---

[1] جميع النسخ: حصان، والتصحيح من *لسان العرب*، «حصن».
[2] ن: قوله.
[3] ع – وشريعة واحدة.
[4] ن + واحد.
[5] ن: المختلفين.
[6] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[7] سورة الشورى، ١٣/٤٢. لعل المؤلف يريد أن يشير إلى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (سورة آل عمران، ١٠٣/٣).
[8] م: غير مفترقين؛ ع – غير.
[9] ن: ألا يرى.
[10] الآية الآتية.
[11] *معاني القرآن وإعرابه*، ٤٠٤/٣.
[12] ر ن م: قال.
[13] سورة المؤمنون، ٥٢/٢٣.

والتقوى واحد في الحقيقة، لأن الاتِّقاء هو ما يُجتنب من الأفعال، والعبادة ما يُؤتى من الأفعال.[١] فإذا اجتنب ما يجب اجتنابه فقد أتى بما يجب إتيانه؛ وإذا أتى بما يجب إتيانه فقد اجتنب ما يجب اجتنابه. وهو كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[٢] لأنه بفعله إياها مجتنب عن الفحشاء والمنكر. وجائز أن يكون قوله: **وأنا ربكم فاعبدونِ**، أي فوحِّدونِ على ما قال[٣] أهل التأويل، لأنه إنما خاطب به أهل مكة.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾[٩٣]

وقوله: **وتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم**، أخبر عن الأولين أنهم اختلفوا في دينهم وتفرقوا. **كلٌّ إلينا راجعون**، مَن تفرق ومن[٤] لم يتفرق، كقوله: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ،[٥] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.[٦]

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[٩٤]

وقوله: **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**، فيه دلالة أن لا يَقبل[٧] الأعمال الصالحات إلا بالإيمان، لأنه شرَط في قبولها[٨] الإيمان، كقوله: **وهو مؤمن فلا كفران لسعيه**، أي يُشكر سعيه ويقبل ولا يجحد ولا يكفر، كقوله: وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ،[٩] بالتاء والياء.[١٠] وأصل الكفران الستر، والشكر هو الإظهار. يخبر عز وجل أنه لا يُستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر ويُظهَر.

وقوله:[١١] **وإنا له كاتبون**، أي يَكتُب لهم تلك الحسنات والخيرات، كقوله: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ.[١٢]

---

[١] ر م + والعبادة؛ ع – والعبادة ما يؤتى من الأفعال.
[٢] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.
[٣] ن: قاله.
[٤] ر ع م – من.
[٥] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٤٥/٢؛ وسورة يونس، ٥٦/١٠.
[٦] سورة المائدة، ١٨/٥.
[٧] جميع النسخ + من.
[٨] ر ع م: قولها.
[٩] سورة آل عمران، ١١٥/٣.
[١٠] قرأ "وما يفعلوا" بالتاء كلُّهم غير حفص وحمزة والكسائي والخَلَف العاشر؛ "فلن يكفروه" كذلك (*زبدة العرفان* للبالوي، ٤٢).
[١١] ن: قوله.
[١٢] سورة الأعراف، ١٥٦/٧.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٩٥]

وقوله:[١] وحِرْمٌ **على قرية أهلكناها، وحرام** بالألف أيضا.[٢] ثم قوله: وحرم **وحرام** على قول أهل اللسان واللغة واحد. يقول [القتبي]: حرم عليك كذا وحرام، كما يقال: حِلٌّ وحلال.[٣] وأما على قول أهل التأويل فإنهم يفرقون بينهما ويقولون: حِرْم، حَتْم وواجب **على قرية أهلكناها أنهم لا يَرجِعون**، أو حتم وواجب **على قرية** إهلاكهم بعد ما علم **أنهم لا يَرجِعون**، أي لا يتوبون،[٤] لأنه إنما يهلكهم لما علم منهم أنهم لا يتوبون. أو أن يكون قوله: وحرم **على قرية** أراد الله إهلاكها **أنهم لا يَرجِعون**. وظاهر قوله: **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يَرجِعون**، أن يكون لهم الرجوع، لأنه يقول: حرام أنهم لا يرجعون. ألا ترى[٥] إلى قوله: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ،[٦] وظاهره **أنهم لا يرجعون** حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ،[٧] فعند ذلك يرجعون، لقوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا.[٨] أو أن يكون ذكر هذا **أنهم لا يَرجِعون** لقول قوم، لأن قوما يقولون: إن الخلق كالنبات ينبت ثم يَيْبِسُ[٩] ثم يَنْبُت. فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون. وبعض من الروافض يقولون: يرجع عليٌّ وفلان، فاخبر **أنهم لا يرجعون**، ردًّا عليهم وتكذيبا لخبرهم. لأن القرآن قد صار حجة عليهم وإن أنكروه لما عجزوا عن يأتوا بمثله. والله أعلم بذلك كله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٩٦]

وقوله:[١٠] **حتى إذا فُتِحت يأجوج ومأجوج**، كأنه[١١] -والله أعلم- أضاف فتح[١٢] ذلك السد إلى أنفسهم وهم جماعة، وإلا لست أعرف لتأنيث فتح السد وجها. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.

[٢] ع: وحرام. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص "وحرام"؛ وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر "وحرم" (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤). وقراءة "وحرم" نقل عن ابن مسعود أيضا (انظر: *كتاب المصاحف* لابن لأبي داود، ٦٢).

[٣] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.

[٤] ع: لا يتبون.

[٥] ن: ألا يرى.

[٦] الآية التالية.

[٧] الآيتان التاليتان برقم ٩٦ و٩٧.

[٨] الآية برقم ٩٧ من هذه السورة.

[٩] ر: يلبس.

[١٠] ن: قوله.

[١١] ع + قال.

[١٢] ع: وفتح.

وقوله: **وهم من كل حَدَب**، قيل: الحَدَب الشيء المُشْرِف،[1] وقيل: الحَدَب كل ما ارتفع من الأرض، وقيل: الحَدَب الأَكَمَة. وقيل: **من كل حَدَب**، / من كل جهة ومن كل مكان. [٤٨٩و] **يَنسِلون**، قيل، يُسرعون، وقيل: يخرجون. أخبر أنهم **من كل حَدَب**، أي من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كأنهم لما سُدَّ عليهم ذلك السد وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويرتزقون من هذه العالم تفرقوا في تلك الأمكنة لطلب ما يتعيشون به،[2] فإذا بلغهم خبر فتح السد أتوا من كل جهة وناحية التي كانوا متفرقين فيها **ينسلون**، يسرعون، لأنهم مذ سُدَّ عليهم السد في جَهْد[3] من فتح ذلك السد، فلما فُتح خرجوا مسرعين. وهو ما ذكر وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ.[4]

*وقال القُتَبِي: وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ،[5] أي حرام عليهم أن يرجعوا. [٤٨٩و س ٣٦ ويقال: [حرام] واجب. وقال: هو حِرْم وحرام واحد، كما يقال:[6] حِلٌّ وحلال. وقال: **وهم من كل حَدَب يَنسِلون**، أي من كل نَشَزٍ[7] من الأرض وأكَمَةٍ. **يَنسِلون**، من النَّسَلان، وهو مقاربة الخطو مع الإسراع[8] كمشي الذئب[9] إذا بادر.[10] وقال[11] أبو عَوْسَجَة: الحدَب ما ارتفع من الأرض، الواحدة حَدَبَة. **يَنسِلون**، أي يجيئون.* ٤٨٩و س ٣٩]

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٩٧]

وقوله:[13] **واقترب الوعد الحق**، قوله: **اقترب**، أي وقع ووجب **الوعد الحق**، لأنه قد

---

[1] ر: المشرق.
[2] ع - به.
[3] ر م - جهة.
[4] سورة الكهف، ٩٩/١٨.
[5] الآية السابقة.
[6] ر ع م: كما قال.
[7] ر م: نشر. النَّشْزُ والنَّشَزُ: المَتْن المرتفع من الأرض، وهو أيضا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع أنْشازٌ ونُشُوزٌ (*لسان العرب*، «نشز»).
[8] ع: الاسرع.
[9] ر: الذئيب.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.
[11] ر ن م: قال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٨٩و/سطر٣٦-٣٩.
[13] ن: قوله.

أخبر من قبل هذا الوقت أنه قد اقترب بقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[1] واقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ.[2] وهو كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[3] ليس على القرب ولكن على الوجوب.[4] فعلى ذلك الأول يحتمل أن يكون إخبارًا عن الوقوع والوجوب. وجائز أن يكون على القرب أيضا ويكونَ وجوبها ووقوعها في قوله: **فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**. قوله: **فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا**[5] كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[6] الآية، وكقوله:[7] مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ،[8] الآية.

وقوله:[9] **يا ويلنا**، أي يقولون: **يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا**، كأنهم تذاكروا فيما بينهم إنا **كنا في غفلة من هذا**، ثم تداركوا أنهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا:[10] **بل كنا ظالمين** في ذلك ضالين؛ اعترفوا بالظلم والضلال.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٩٨]

وقوله: **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم**. يقال: إن حرف "مَنْ" يتكلم عن البشر وحرف "ما"[11] إنما يتكلم عما سواهم من العالَم. فإذا كان على هذا الذي ذكروا ما ينبغي لأولئك [الكفرة] أن يفهموا من قوله: **وما تعبدون**، عيسى وعزيرًا[12] والملائكة وهؤلاء[13] ويقولون: هؤلاء عُبِدوا دون الله فهم حصب جهنم على زعمكم.[14] [ولكن] إلى هذا

---

[1] سورة القمر، ١/٥٤.
[2] سورة الأنبياء، ١/٢١.
[3] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[4] ع: الوجوه.
[5] ر ع م – قوله فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا.
[6] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[7] م: كقوله.
[8] ﴿فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الدَّاعِ إلى شيء نُكُرٍ خُشَّعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جَرادٌ مُنتشِر مُهْطِعِين إلى الدَّاعِ يقول الكافرون هذا يوم عَسِرٌ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٦–٨).
[9] ن: قوله.
[10] ر ع م + إنا.
[11] ر م: ونحوه؛ ع: ونحو ما.
[12] ر: وعزير.
[13] ر م: هؤلاء.
[14] انظر: *المستدرك* للحاكم، ٤١٥/٢. وانظر أيضا: تفسير قوله تعالى: ﴿ولما ضُرِب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يَصِدُّون وقالوا أآلِهَتُنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٥٧–٥٨) من *تأويلات القرآن*.

يذهب أهل التأويل ويقولون: ثم نزل قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.[١] قالوا: استثنى من جملة من عُبِد دون الله من سبقت له منه[٢] الحسنى، وهو عزير وعيسى وهؤلاء. لكن قد ذكرنا أنه لا يجوز أن يفهم عن هذا هؤلاء، ولكن الأصنام والأحجار التي عبدوها، كقوله: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ[٣] التي عبدوها. أو أن يكون قوله: **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**، الشياطينَ الذين أمروهم ودعوهم إلى عبادة غير الله، فيكون العبادة لمن دون الله للشيطان حقيقةً، لأنه هو الآمر لهم بذلك والداعي إلى ذلك دون من ذكروا. لأن هؤلاء أعني عيسى وعزيرًا[٤] والملائكة لم يأمروهم[٥] بذلك، فيكون على هذا كأنه قال: **إنكم** والشياطين الذين **تعبدون من دون الله حصب جهنم**. وهو ما ذكر في آية أخرى: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ [فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ]،[٦] وقوله:[٧] فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ.[٨] دل هنا أن القرين هو الشيطان، كقوله: نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[٩]

وقوله: **حصب جهنم**، بالصاد، وقرئ بالطاء "حطب جهنم".[١٠] قال ابن عباس: الحصب بلسان الزنجية هو الحطب.[١١] وقال بعضهم: هو حطب بلسان الحبشة، ويقال أيضا بالضاد "حضب[١٢] جهنم". قال بعضهم: الحَصْب هي من الرمي،[١٣] يَحصِب جهنم بهم، أي يَرمي بهم؛ والحطب هو معروف. والحضب[١٤] هو التهييج، أي تُهيِّج[١٥] النار عليهم.[١٦] وقال الكسائي:

---

[١] سورة الأنبياء، ١٠١/٢١.

[٢] ع: عنه.

[٣] سورة البقرة، ٢٤/٢؛ وسورة التحريم، ٦/٦٦.

[٤] ر: وعزير.

[٥] ر م: لم يأمرهم.

[٦] سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣. ن – وهو ما ذكر في آية أخرى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله.

[٧] جميع النسخ: إلى قوله.

[٨] سورة الصافات، ٥٠/٣٧-٥١.

[٩] ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).

[١٠] كما نقل عن أبي وعلي انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٧، ١٨٨.

[١١] قارن: *تفسير ابن عباس*، ٣٥٥ (قال: "شجر جهنم").

[١٢] ر م: وحضب.

[١٣] حصَبه يحصِبه حَصْبا، رماه بالحصباء أي بالحجارة (*لسان العرب*، «حصب»).

[١٤] الحَضَب: الحطب في لغة اليمن. وقيل: هو كل ما ألقي في النار من حطب وغيره يهيّجها به. والحضب لغة في الحصب. ومنه قرأ ابن عباس حضب جهنم، منقوطة؛ قال الفراء: يريد الحصب (*لسان العرب*، «حضب»).

[١٥] جميع النسخ: يهيج.

[١٦] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤٠٠/٣.

حصبت النار، أي ألقيت فيها الحطب. وعن عائشة "حضب جهنم" بالضاد.[1] وقوله: **أنتم لها واردون**، أي واقعون فيها.

﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٩٩]

وقوله:[2] **لو كان هؤلاء آلهةً ما وردوها**، أي لو كان الذين عبدوا دون الله آلهة على ما زعموا ما وردوا النار.

فإن قيل: إنهم لم يقروا أنها ترد النار بل أنكروا ذلك، فكيف احتج[3] عليهم بهذا: **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها؟**

قيل: إنهم وإن لم يقروا بذلك فقد[4] ألزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب أنها ترد النار لما عجزوا عن إتيان مثله، فقد لزمتهم الحجة، فكأنهم أقروا أنهم واردوها. وهو كقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[5] الآية. هم لم يقروا أنهم يُحيَون بعد ما ماتوا، ولكن لما عرفوا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم[6] فقد لزمهم الإقرار والحجة بالإحياء بعد الموت. فعلى ذلك الأولُ، كأنهم أقروا بأنهم[7] واردون [فيها] بما لزمتهم الحجة. وقوله: **وكل فيها خالدون**، ظاهر.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[١٠٠]

وقوله:[8] **لهم فيها زفير**، قيل: الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه أنين. والشهيق هو الصوت الرفيع[9] الذي فيه أنين.[10] وقيل: الشهيق[11] أول نَهيق الحمار والزفير هو آخر نهيقه.

---

[1] لم أجده.
[2] ن: قوله.
[3] ن + به.
[4] ر م – فقد.
[5] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[6] م + الله.
[7] ر ع: بأنها.
[8] ن: قوله.
[9] ن – الرفيع، صح هـ.
[10] ر ع م: أنين فيه.
[11] يشير المؤلف إلى قوله تعالى ﴿فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير شَهيق﴾ (سورة هود، ١٠٦/١١).

وقوله: **وهم فيها لا يسمعون**، قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره. وقال بعضهم: **لا يسمعون**، لأنهم يكونون صُمًّا بكما عميا في النار، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا.[١]*

*قال أبو عَوْسَجَة: حَصَبُ جَهَنَّمَ،[٣] قال: الحصب والحطب واحد. قال: وما أَكْثَرَ من العرب من يتكلم بهذه اللفظة. قال: ولا أعرف "حضب جهنم" بالضاد. وقال غيره: ما ذكرنا من إلقاء الحطب فيه والتهييج. وقوله:[٤] أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٥] أي داخلون. وقوله: **لهم فيها زفير**، الزفير هو شدة النفس في الصدر، يقال: زَفَرَ يَزْفِرُ زفيرًا.[٦] وقال بعضهم: الزفير هو أنين كل محزون ومكروب، وهو قريب مما ذكرنا. وقوله: لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا،[٧] أي[٨] صوتها، وهو من الحَسّ وهو الصوت [الخفي].[٩] وقال القُتَبِي: حَصَبُ جَهَنَّمَ،[١٠] ما ألقي فيها، وأصله من الحَصْباء[١١] وهي الحِصَى. ويقال: حصبتُ فلانا، إذا[١٢] رميتَه حصْبًا، بتسكين الصاد؛ وما رميت[١٣] به حصَبٌ، بفتح الصاد. وكما تقول: نفضت الشجرة نَفْضا، وما وقع [من ثمرها] نَفَض؛ واسم حِصَى الجِمار حصب.[١٤]* [٤٨٩ظ س١٨ - ٤٨٩ظ س٢٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١٠١]

وقوله: **إن الذين / سبقت لهم منا الحسنى**، قال عامة أهل التأويل: إنه لما نزل قوله: [٤٨٩ظ]

---

[١] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٩٥-٩٦، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٨٩و/سطر ٣٦-٣٩.

[٣] الآية السابقة برقم ٩٨.

[٤] ن: قوله.

[٥] الآية السابقة برقم ٩٨.

[٦] ن + وزفرا.

[٧] الآية الآتية برقم ١٠٢.

[٨] ع م: أو.

[٩] انظر أيضا: *لسان العرب*، «حس».

[١٠] الآية السابقة برقم ٩٨.

[١١] ع: الحصاء.

[١٢] ن م: أي.

[١٣] ع + به.

[١٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٨.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٠٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٨٩ظ/سطر١٨-٢٤.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ،[1] قالت الكفرة: إن عيسى وعزيرًا[2] والملائكة قد عُبدوا من دون الله فهم حصب جهنم؛ فنزل قوله: **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**، استثنى من سبق له الحسنى منه، وهو عيسى وهؤلاء. وكذلك في حرف ابن مسعود: "إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى"،[3] على الاستثناء. روي[4] عن علي رضي الله عنه قال: **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**، الآية، ذلك[5] عثمان وطلحة والزبير، وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير. ثم قال: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ،[6] الآية. ولكن قد ذكرنا الوجه فيه. فإن ثبت أنه نزل بشأن هؤلاء وإلا فهو لكل من سبق له من الله الحسنى. ثم **الحسنى** يحتمل الجنة، كقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى،[7] أي بالجنة، فعلى[8] ذلك قوله: **سبقت لهم منا الحسنى**. ويحتمل **الحسنى** السعادة والبِشارة بالجنة وثوابها.

وقوله: **أولئك عنها مُبعَدون**، يحتمل **مبعدون**،[9] أي لا يعودون إليها أبدًا، ليس على بعد المكان، كقوله: أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ،[10] أي لا يعودون إلى الهدى أبدا. أو أن يكون قوله: **عنها مبعدون**،[11] مكانا، لكن قد ذكر في آية: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ،[12] وقال في آية: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[13] ولا نعلم هذا أنه يُجعل في قُوى أهل الجنة أنهم متى ما أرادوا أن[14] ينظروا إلى أولئك ويروهم يقدرون على ذلك، أو تُقَرَّبُ النار إليهم فينظرون إليهم؟ *والله أعلم*. والأول أشبه أنهم لا يعودون إليها أبدا.

---

[1] الآية السابقة برقم ٩٨.

[2] ع: وعزير.

[3] لم أجده عنه، ولكن عن الربيع بن هيثم (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٢٩٤).

[4] ر ن م – روي.

[5] ر: دال؛ ع: ذاك.

[6] سورة الأعراف، ٤٣/٧؛ وسورة الحجر، ٤٧/١٥.

[7] سورة الليل، ٩٢/٥-٦.

[8] ر: فعل.

[9] ر ع م – يحتمل مبعدون.

[10] سورة إبراهيم، ٣/١٤.

[11] جميع النسخ: مبعدون عنها.

[12] سورة المطففين، ٨٣/٣٤-٣٥.

[13] سورة الصافات، ٥٥/٣٧. هناك آيات تنقل محاورة أصحاب الجنة وأصحاب النار (انظر مثلا: سورة الأعراف، ٤٤/٧-٥١؛ وسورة الحديد، ١٣/٥٧-١٤).

[14] م: أو أن.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[١٠٢]

وقوله: **لا يسمعون حسيسها**، أي صوتها. وهو ما ذكر من الإبعاد، وإذا بَعُدوا منها لم يسمعوا حسيسها. وقوله: **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**، وهو ما قال في [آية] أخرى: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.[١]

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١٠٣]

وقوله: **لا يحزنهم الفزع الأكبر**، أي لا يحزنهم أهوال يوم القيامة وأفزاعها، **وتتلقاهم الملائكة**، أي تلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[٢] الآية. أو[٣] **لا يحزنهم الفزع الأكبر**، أي لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع[٤] والعذاب، ليس كمن رأى في الدنيا إنسانا في بلاء وشدة، أو يعذب بعذاب فإنه يحزن ويهتم بما حل به، فأخبر أنهم لا يحزنون بما حل بالكفرة من العذاب والشدائد.*

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٠٤]

وقوله: **يوم نطوي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب**، كأن هذا خرج على إثر سؤال سألوه على غير ابتداء، لأن الابتداء بمثله على غير تقدُّم أمر لا يحتمل. فكأنه -والله أعلم- لما ذكر أهل النار في قوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إلى قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٦] وذكر أهل الجنة ووصفهم بقوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ،[٧] إلى آخر ما ذكر من قوله: هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ،[٨] فكأنهم قالوا متى يكون ذلك؟ فقال عند ذلك: **يومَ نَطْوِي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب**، أخبر أن السماء تُطْوى كما يُطوَى السجلُّ للكتب.[٩]

[١] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[٢] سورة فصلت، ٣٠/٤١.
[٣] ر ع م: و.
[٤] ع: القرع.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٩٨ و ١٠٠، فقدمناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٨٩ظ/سطر ١٨-٢٤.
[٦] سورة الأنبياء، ٩٧/٢١-٩٨.
[٧] سورة الأنبياء، ١٠١/٢١.
[٨] الآية السابقة.
[٩] ن ع: للكتاب.

ثم ذَكَر في السماء الطيّ مرة والتبديل في آية أخرى[1] بقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] الآية، وذكر الانشقاق في آية، كقوله: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[3] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[4] ونحوه، كما ذكر في الجبال أحوالاً: مرة قال: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[5] وقال في آية أخرى:[6] يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[7] وقال في آية أخرى: هَبَاءً مُنْبَثًّا،[8] وقال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[9] ونحوه. فجائز أن يكون كذلك على اختلاف الأحوال على ما ذكرنا فيما تقدم. ثم تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هَبَاءً مُنْبَثًّا.[10] فعلى ذلك السماوات والأَرَضُونَ يختلف عليها الأحوال على ما ذَكَر، ثم يكون[11] آخرها التبديل كما ذكر: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ.[12]

وفيما[13] ذكر في هؤلاء الآيات من تغيير الجبال والسماوات والأرضين دليل فناء هذا العالم بحملته وأسره، لأن فناء السماوات والجبال والأرض يبعد[14] عن أوهام الخلق، وأما غيرها من الخلائق فإنهم يشاهدون فناءه،[15] فذكر فناء ما يبعد[16] في أوهامهم ليعلموا أن هذا العالم يفنى بأسره ويُستبدل[17] عالمًا آخر يحتمل البقاء للجزاء. **والله أعلم**.

---

[1] ر ن م – أخرى.

[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.

[3] سورة الانفطار، ٨٢/١.

[4] سورة الانشقاق، ٨٤/١.

[5] سورة القارعة، ١٠١/٥.

[6] ر ع م – أخرى.

[7] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).

[8] ﴿إذا رُجَّت الأرض رَجا وَبُسَّتِ الجبال بَسا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦). جميع النسخ: هباء منثورا. ورد قوله: ﴿هباء منثورا﴾ في سورة الفرقان، ٢٥/٢٣، ولكنها متعلقة بالأعمال، لا بالجبال.

[9] سورة النمل، ٢٧/٨٨.

[10] جميع النسخ: هباء منثورا. سورة الواقعة، ٥٦/٦.

[11] ر ن م – يكون.

[12] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.

[13] ر ن م: فيما.

[14] ع: يعبد.

[15] ر ع: فناؤه؛ ن: فناه.

[16] ع: يعبد.

[17] م: ويستدل.

وقوله: **كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نعيده**، هذا أيضا لا يحتمل إلا[١] على تقدُّم ذكر،[٢] فهو محتمل ما ذكرنا مما سبق من ذكر أهل الجنة وأهل النار فقالوا: كيف[٣] يُحيَوْن؟ فقال[٤] عند ذلك: **كما بدأنا أولَ خلقٍ نُعيده**. ثم اختلف فيه، فقال بعضهم: نُطَفًا ثم عَلَقًا ثم مُضَغًا ثم عِظامًا / ثم لحما[٥] ثم يُنفخ فيهم الروح. وقال بعضهم: **كما بدأنا أول خلق نعيده**، حُفَاةً عُرَاةً على ما [٤٩٠و] خُلقوا في الابتداء. وقال بعضهم: **كما بدأنا أول خلق نعيده**، يعني السماوات السبع، يطويها الله فيجعلها سماء[٦] واحدة كما كانت أولاً قبل أن يَخلق منها[٧] ست سماوات والأَرَضِينَ كذلك. وجائز أن يكون ذَكَر هذا إخبارا أنه قادر على أن يعيدهم كما قدر على ابتداء خلقهم.

وقوله: **وَعْدًا علينا إنا كنا فاعلين**، أي[٨] بعثُهم **وعدًا علينا**، لا نخلف ذلك، على ما قال: إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.[٩]

ثم اختلف في **السِجِلّ** وفي قراءته.[١٠] قال بعضهم: السجل، اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: اسم المَلَك الذي يكتب، وقال بعضهم: السجل الصحيفة.[١١] ثم قال بعضهم: من قرأ "السِجِلّ" بالتشديد فهو الصحيفة؛ ومن قرأ "السِجْلِ"[١٢] بالتخفيف هو ملك موكَّل بالصحف اسمه[١٣] السِجْلُ.

---

[١] ع - إلا.

[٢] ع: على ما تقدم ذكر.

[٣] ع - كيف.

[٤] ر م: فقالوا.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العَلَقة مُضْغة فخلقنا المضغة عِظاما فكسَوْنا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٢/٢٣-١٤).

[٦] ع: أسماء.

[٧] ر م: فيها.

[٨] ر: لهي.

[٩] سورة آل عمران، ٩/٣؛ وسورة الرعد، ٣١/١٣.

[١٠] ر: قرأة؛ ن: قرآته.

[١١] «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجلّ في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة مَلك ذلك اسمه» (*تفسير الطبري*، ١١٨/١٧).

[١٢] لم توجد هذه القراءة في القراءات العشرة (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤).

[١٣] ر ع: باسمه.

ويُقرأ "للكِتَاب"[1] و"للكُتُب".[2]

قال أبو عَوْسَجَة: **كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب،**[3] يقال:[4] أسجلت وسجّلت، أي كتبت إسجالاً وتسجيلاً، وسجَلت، أيضا عملت. وسَجَل خلق، يقال منه: سجَل يسجُل سَجْلا. والمساجلة المفاخرة. ويقال: ساجلتُه فاخرتُه. ويقال: أسجلت الكلام فهو مسجَّل، أي أطلقته وأرسلته. *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١٠٥]

وقوله: **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**، قال بعضهم: إن كل كتب الله أنزلها هي زبور؛ **من بعد الذكر**، أي الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ. معناه –والله أعلم– على هذا التأويل: **كتبنا** في الكتب التي أنزلناها بعد ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ **أن الأرض يرثها** كذا. وقال بعضهم: كَتَب الله في الزبور المعروف –وهو زبور داود– بعد ما كتب **من بعد الذكر**، أي التوراة، **أن الأرض**،[5] يعني الجنة، **يرثها عبادي الصالحون**. وكتب ذلك في هذا القرآن فقال: إِنَّ فِي هٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ.[6] وقال بعضهم: **ولقد كتبنا في الزبور**، أي[7] زبور داود، بعد ما كتب في الذكر الذي عنده. وجائز أن يكون قوله: **كتبنا في الزبور**، في بعض كتاب أي في[8] بعض السور **من بعد الذكر**، أي من بعد السورة **أن الأرض يرثها** كذا. وجائز أيضا **كتبنا** في كتاب **من بعد الذكر**، أي من بعد ما ذكرهم ووعظهم، **أن الأرض يرثها** كذا.

ثم اختلفوا في قوله: **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**. قال عامة أهل التأويل: هي الجنة، أخبر أن الجنة إنما **يرثها عبادي الصالحون**، وهو ما ذكر في آية أخرى:

---

[1] م: وتقرأ الكتاب.

[2] ر ع م – وللكتب. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر "للكتاب"؛ والباقون "للكتب" (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٤).

[3] جميع النسخ + قال.

[4] ن: فقال.

[5] جميع النسخ + يرثها.

[6] الآية التالية.

[7] ع + الزبور.

[8] ر ن م – في.

أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ،[١] فيكون هذا تفسيرًا لذلك. وقال بعضهم: **أن الأرض،** يعني أرض بَيْتِ المَقْدِس، **يرثها عبادي الصالحون،** وهو كذلك كان لم يزل بها عباد الله الصالحون إلى يوم القيامة. وجائز أن يكون قوله: **أن الأرض يرثها** أمة محمد، كقول رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم: «زُوِيتْ لي الأرضُ فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربها. وسيبلغ مُلك أمتي ما زُوي لي منها».[٣] فذلك وراثتها وهم عباده الصالحون، كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ، الآية،[٤] أخبر أنها خير الأمم. ***والله أعلم.***

﴿**إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**﴾[١٠٦]

وقوله: **إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين،** يحتمل قوله: **في هذا،** أي فيما ذكر من قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ،[٥] في ذلك **بلاغا لقوم عابدين،** أي لقوم همتهم العبادة، أو لقوم مطيعين موحدين. وجائز أن يكون قوله: **إن في هذا،** فيما تقدم من الآيات، وهو قوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إلى قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[٦] وما ذكر من قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ،[٧] إلى آخر ما ذكر، **إن في** ما ذكر كلِّه **لبلاغا لقوم عابدين.** وجائز أن يكون بلاغا للناس جميعا، كقوله: هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ،[٨] فيكون قوله: **لقوم عابدين،** أي لقوم يلزمهم العبادة. وقال بعضهم: **إن في هذا،** أي في هذا القرآن[٩] **لبلاغا** أُبلِّغهم عن الله **لقوم عابدين.** وفي حرف ابن مسعود: "إن في هذا[١٠] الذكر[١١] لبلاغا[١٢] لقوم عابدين".

---

[١] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١.
[٢] ن: كقوله.
[٣] سنن *ابن ماجة*، الفتن ٩؛ وسنن *أبي داود*، الفتن ١.
[٤] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[٥] الآية السابقة.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧-٩٨.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] سورة إبراهيم، ١٤/٥٢.
[٩] ن ع م - أي في هذا القرآن.
[١٠] ر ع م + أي في هذا.
[١١] ر ن: الذكرى.
[١٢] ع: أي في هذا لبلاغا أبلغهم عن الله الذكرى أبلغهم؛ م - لبلاغا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٠٧]

وقوله: **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**، جائز أن يكون كل رسل الله رحمةً من الله للعالمين؛ وكذلك كل كتب الله رحمةٌ للعالمين، على ما ذكر في عيسى: وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.[1] وجائز أن يكون ذلك[2] لرسول الله صلوات الله عليه خاصة فيكون في وجهين. أحدهما **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**، وما أرسلناك إلا جعلناك رحمة للعالمين. أو أن يقال: وما أرسلناك إلا رحمة منا للعالمين. **والعالمين**، هم[3] الجن والإنس، لأنه بعث إليهم.[4] ثم الرحمة فيه يحتمل وجوها. أحدها تأخير العذاب عنهم. والثاني أنه رحمة حتى إذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والآخرة. والثالث شفاعته لأهل الكبائر في الآخرة، ونحو ذلك.[5]

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٠٨]

وقوله:[6] **قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**، كأنه على الدعاء خرج الأمر، كأنه قال: أمرني ربي أن أخبركم أن إلهكم[7] إله واحد، فاصْرِفوا العبادة إليه ولا تشركوا فيها غيره. أو أن يقول: أوحي إليَّ أن أدعوكم إلى إلهكم الذي هو إله واحد. وإلا كان رسول الله يعلم أنه إله واحد، لكنه خرج على الدعاء والإخبار أنه إله واحد. أو أن يخبرهم أني إلى ما أدعوكم إليه وآمركم به إنما أدعوكم وآمركم بالوحي بما أوحي إلي، لا من تلقاء نفسي؛ كقوله:[8] قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ.[9] *والله أعلم*.

[٤٩٠ظ] وقوله: **فهل أنتم مسلمون**، ظاهره وإن كان استفهاما فهو / على الأمر والإيجاب، كأنه قال: قد أوحي إليَّ أن إلهكم إله[10] واحد فأسلِموا له وأخلِصوا العبادة له، [و]لا تشركوا فيها غيره.

---

[1] ﴿قال كذلك قال ربكِ هو عليَّ هَيِّنٌ ولِنَجْعَلَه آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مَقْضِيًّا﴾ (سورة مريم، ٢١/١٩).

[2] ر ع م – ذلك.

[3] ر ن: هو.

[4] ن: إليهم بعث.

[5] ن – أحدها تأخير العذاب عنهم والثاني أنه رحمة حتى إذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والآخرة والثالث شفاعته لأهل الكبائر في الآخرة ونحو ذلك. (هذه العبارة مكتوبة في الهامش، وفي آخرها لفظ "شرح").

[6] ن: قوله.

[7] ع – أن إلهكم.

[8] ر ع م– كقوله.

[9] سورة الأنبياء، ٤٥/٢١.

[10] ن – إله.

والإسلام هو أن يجعل كلية الأشياء والأعمال كلّها لله عز وجل. ثم هو يكون على وجهين. أحدهما على الاعتقاد: أن يعتقد كلية الأشياء لله لا على تحقيق ذلك الفعل. والثاني على تحقيق جعل الأشياء كلها لله اعتقادًا وفعلا[١] وقولا، منه يخاف ومنه يرجو، لا يخاف غيره ولا يرجو من دونه، فهو حقيقة الإسلام.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾[١٠٩]

وقوله:[٢] **فإن تولوا**، هذا يدل على أن[٣] الأول خرج على الأمر والدعاء حيث قال: **فإن تولوا**، عن الإجابة إلى ما دعوتكم إليه **فقل آذَنْتُكم على سواءٍ**، أي أعلمتكم[٤] على عدل وحق، كقوله: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[٥] أي عدل بيننا وبينكم، فعلى ذلك هذا محتمل أن يكون قوله: **على سواء**، أي على عدل وحق. ويحتمل أيضا **آذَنْتُكم على سواء**، أي علّمتكم حتى صرت أنا وأنتم في العلم على سواء، أي على الاستواء في العداوة والمخالفة وفي كل أمر على الاستواء. وهو كقوله: فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ،[٦] أي انبذ إليهم حتى تكون أنت وهم على الاستواء في العلم بالمنابذة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**، أي ما أدري **أقريب أم بعيد ما توعدون**. ثم يحتمل قوله: **ما توعدون**، الساعة والقيامةَ التي كانوا يوعدون بها،[٧] وهم كانوا يستعجلون بها، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[٨] فيقول: ما أدري أقريب ما توعدون أم بعيد. ويحتمل قوله: **ما توعدون** من العذاب الذي كان يعد لهم أنه نازل بهم في الدنيا، وهم كانوا يستعجلون به، كقوله:[٩] وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[١٠] فيقول: ما **أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**، من العذاب. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: أو فعلا.
[٢] ن: قوله.
[٣] ع – على أن.
[٤] ع: أعملتكم.
[٥] سورة آل عمران، ٣/٦٤.
[٦] ر م + على الاستواء في العداوة؛ ع + أي على الاستواء في العداوة. ﴿وإمّا تخافَنّ من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥٨).
[٧] ن: لها.
[٨] سورة الشورى، ٤٢/١٨.
[٩] ر: قوله.
[١٠] انظر مثلا: سورة يونس، ١٠/٤٨؛ وسورة الأنبياء، ٢١/٣٨.

[٤٩٠و س٣٤ *قال القُتَبِي: **آذنتكم على سواء**، أي أعلمتكم فصرت أنا وأنتم على سواء. وإنما يريد بآذنتكم وأخبرتكم وأعلمتكم ذلك: فاستوينا في العلم،[1] وهو ما ذكرنا.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: ٤٩٠و س٣٥] قوله: **آذنتكم على سواء**، أي كلكم.[3]*

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ [١١٠]

وقوله:[5] **إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**، يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر عن المكر برسول الله والقول فيه بما لا يليق به. يخبر أنه يعلم ما تُظهرون من القول وما تكتمون، أي ما تُسِرُّون من المكر به. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد[6] حيث أخبرهم عما أسرُّوا فيما بينهم من المكر به.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[١١١]

وقوله: **وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**، ذكر أنه ما **أدري لعله فتنة لكم** و لم يبين ما الذي يكون فتنة لهم. لكن بعض أهل التأويل قال: ما أدري ما قلت لكم من العذاب والساعة أن يؤخَّر عنكم لمدتكم ومتاع لكم إلى حين فيصير ما قرَّبتُ لكم من العذاب والساعة فتنةً لكم، فتقولون:[7] "لو كان ما خوَّفَنا به محمد حقا لكان نزل بعد"، فيصير قولي ذلك فتنة لكم. هذا محتمل. ويحتمل وجها آخر، وهو لما قال: وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ،[8] أنه كان خوفهم نزول العذاب بهم، ولكن لم يبيّن لهم الوقت أنه متى ينزل[9] بهم؛ فيقول: ما أدري لعل تخويفي إياكم العذاب على [عدم] بيان وقته فتنةً لكم، لأنه إذا تأخر عنهم العذاب متاعا لهم يأمَنُون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبه فيما خوفهم من العذاب ويكون ما يَأمَنُون[10] من العذاب متاعا لهم،

---

[1] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٨٩.

[2] ر ع م - وهو ما ذكرنا.

[3] ر + والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ ن + والله أعلم؛ ع + والله أعلم بالصواب.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٢، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٠و/سطر٣٤-٣٥.

[5] ن: قوله.

[6] ن + عليه السلام.

[7] ن: فيقولون.

[8] الآية السابقة برقم ١٠٩ من هذه السورة.

[9] ن: نزل.

[10] ر ع م: يؤمنون.

لأنه لو كان وقت نزول العذاب مبيّنا لكانوا[١] أبدا على خوف فيُنَغِّص[٢] ذلك الخوفُ [عيشهم] ويمنعهم عن المتاع، وإن لم يبين لهم الوقت فإذا تأخر عنهم يأمنون ويتمتعون. فيقول: ما أدري لعل تخويفي إياكم فتنة لكم.[٣] أو[٤] لا يجب أن يفسَّر قوله: **لعله فتنة لكم**، أنه أيَّ شيء أراد، وهم قد عرفوا أنه ما أراد به، وليس لنا[٥] أن نفسر ذلك أنه أراد كذا إلا ببيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[١١٢]

وقوله: قل[٦] **رب احكم بالحق**. تعلق أكثر المعتزلة بظاهر هذه الآية في مسائل لهم. يقولون: يجوز أن يُدْعى بدعوات يَعلم الداعي أنه قد أُعطِي ذلك له، من نحو سؤال المغفرة "رب اغفر لي" وهو مغفور، و"رب أعطني كذا" وهو معطًى له ذلك، ويقول: "رب اغفر لي" وهو يعلم أنه لا يُغفَر له، ونحو هذا من المسائل لهم، فيحتجون بظاهر قوله: قل **رب احكم بالحق**، أمر رسول الله أن يدعو به على علم منه أنه لا يحكم إلا[٧] بالحق.

ونحن نقول: إنه لا يجوز أن يدعى بمثل هذا الدعاء على الإطلاق، إلا على اعتقاد معنًى[٨] آخر في ذلك كان لله[٩] فعلُ ذلك،[١٠] فيكون ذلك منه عدلا وحقا، نحو أن يكون قوله: قل **رب احكم بالحق**، أي بالنصر له والظفر على أعدائه، وله أن لا ينصره، ويكون ذلك عدلا منه وحقا. أو أن يكون المراد به **احكم بالحق**، أي بالعذاب الذي هو حكمك على مكذبي الرسل. فأما أن يُعتقد من قوله: **رب احكم بالحق**، ما اعتقد المعتزلة فيحصل الدعاء به: «اللهم لا تَجُرْ»،[١١] و«رب اعدل». ومن عرف ربه هكذا فهو ليس يعرف حقيقته.

---

[١] جميع النسخ: لكان.
[٢] ر ع م: فينقض.
[٣] ر ع م: لكم فتنة.
[٤] ر ع م: إذ.
[٥] ر م - لنا؛ ن + إلى.
[٦] قرأ حفص "قال"، والباقون "قُلْ" (*زبدة العرفان* للبالوي، ٩٥)؛ و جميع النسخ اتخذ القراءة الثانية أساسا وجرى تأويل المؤلف عليها.
[٧] ر - إلا.
[٨] ع: ومعنى.
[٩] ع: كأنه لله.
[١٠] ن: تلك.
[١١] ر ن ع: لا تجره.

وقال أبو عبيدة في قوله: **رب احكم بالحق**، أي[1] **رب احكم** بحكمك وهو **الحق**. وهو محتمل مستقيم. وقد ذكرنا هذه المسألة وأمثالها في ما تقدم.[2]

وقوله: **وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون**، أمر رسوله أن يستعين بالله على ما يقولون من تكذيبهم إياه فيما يدعو ويعد.*

[1] ع- رب احكم بالحق أي.

[2] انظر مثلا: تفسير سورة الأعراف، ٨٩/٧.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٠٩، فقدمناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٩٠و/سطر٣٤-٣٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج[1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **يا أيها الناس اتقوا ربكم**، قد ذكرنا تأويله في غير موضع.[3] وقوله: **إن زلزلة الساعة شيء عظيم**، قال الحسن: إن[4] بين يدي الساعة آياتٍ تحجُبْن التوبة وقبول الإيمان. منها الزلزلة التي ذكر، ومنها طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال / والدابة، [٤٩١و] وخروج يأجوج ومأجوج، وأمثاله.[5] وهو كقوله: أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا.[6] وجائز عندنا أن تكون هذه الآيات غاية لقبول التوبة، والإيمان يُقبل إلى ذلك الوقت ولا يقبل بعد ذلك وإن تابوا وآمنوا. أو أن يكون قوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لأنهم لا يؤمنون لما [أنهم] تشغلهم[7] تلك الآيات عن ذلك فلا يؤمنون، لأن تلك الآيات تعم الخلائق كلهم المؤمنَ والكافر[8] جميعا، فلا يَعرِف المبطل والضالُّ أنه على الضلال والباطل فيرجعَ إلى الهدى والحق، ليس كعذاب ينزل على قوم خاص، لأن ذلك[9] يَعرف أولئك أنه إنما ينزل بهم خاصة لما فيهم من التكذيب والعناد.

---

[1] ن + ذكر أن سورة الحج كلها مكية إلا ثلاث آيات هذان خصمان اختصموا وغيرها.

[2] ع: تعالى.

[3] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر المجلدات السابقة «الاتقاء، التقوى».

[4] ر: أي.

[5] عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادِروا بالأعمال ستا: طلوعَ الشمس من مغربها، والدجالَ، والدخان، ودابة الأرض، وخُوَيْصَة أحدكم، وأمرَ العامة.» (تفسير *الطبري*، ٨/٧٦).

[6] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك...﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).

[7] جميع النسخ: يشغلهم.

[8] ر: والكفر.

[9] ع: ذاك.

وإذا كانت الآيات عامة لم يعرف أهل الضلال أنهم على باطل وأنه إنما ينزل بسببهم، لما يرونه أنه قد عم الخلائق كلها. فقوله: لَا يَنْفَعُ،[1] لأنهم لا يؤمنون، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[2] أي لا يكون له من يشفع، ليس أن يكون لهم شفعاءُ فيشفعون فلا تقبل[3] شفاعتهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: لَا يَنْفَعُ، لأنهم يُشغَلون عن الإيمان فلا يؤمنون فلا ينفع لهم على ما ذكرنا.

ثم اختلف فيه.[4] قال بعضهم: **زلزلةَ الساعة** قبل الساعة وقبل القيامة. وقال بعضهم: **إن زلزلة الساعة**، هي الساعة، وصفها بالشدة والفزع فقال:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[٢]

[قوله:] **يوم ترونها تَذْهَل**، أي تُشغَل[5] **كل مُرضعة [عما أرضعَتْ]**، لشدة أهوالها وأفزاعها. **وتضع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها**، هذا على قول من يقول: **إن زلزلة الساعة** قبل الساعة يكون على التحقيق، أي **تذهل** عما أرضعت وتضع حملها، لأنها تكون في ذلك الوقت مُرضعًا أو حاملاً[6] فتذهل لأهوال[7] ذلك وأفزاعها عن ولدها، وتضع ما في بطنها، كقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[8] الآية. فذكر هؤلاء لأن من أصاب شيئا من البلاء في هذه الدنيا يفزع[9] إلى هؤلاء، فيخبر أن في ذلك اليوم يَفِرّ بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهَوْله لشغله بنفسه. وعلى قول من يقول: **إن زلزلة الساعة** هي الساعة فيخرج قوله: **تَذْهَل كل مُرْضِعَة عما أرضَعَتْ**، الآية، على التمثيل،[10] أي تذهل عما أرضعت أن لو كانت[11] مرضعة، وتضع حملها أن لو كانت حاملا لشدته وهوله. ***والله أعلم***.

[1] سورة الأنعام، ٦/١٥٨.
[2] سورة المدثر، ٧٣/٤٨.
[3] ع: فلا يقبل.
[4] ن + قال.
[5] ر: لا تشغل.
[6] جميع النسخ: وحاملا.
[7] ر ع: الأهوال.
[8] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلِّ امْرِئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٧).
[9] ر ع: يفرغ.
[10] ع: عن التمثيل.
[11] ر: كان.

وقوله:[١] **وترى الناس سُكَارَى وما هم بسُكَارَى**، أي من مُكِّن له وقُوِّي يرى الناسَ كأنهم سكارى وما هم بسكارى. وإلا لم يجز أن يراهم[٢] سكارى وليسوا هم بسكارى في الحقيقة. وإنما قلنا: إنه يرى من مُكِّن له وقُوِّي، وإلا لو كانوا كلهم سكارى لكان[٣] لا يراهم سكارى، لأن السَّكْرَانَ لا يرى من كان في مثل حاله[٤] سكران. أو أن[٥] يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه[٦] ذلك الهول الذي يكون في غيره. أو أن يكون ذلك[٧] على التمثيل ليس على التحقيق.

وقول أهل التأويل: [إن الله تعالى] يقول لآدم [عليه السلام][٨] في ذلك: "قم فابعث بَعْثَ النار." فيقول: "يا رب كم؟" فيقول: "من كلّ ألفٍ تسعَمائة وتسعة وتسعون[٩] في النار، وواحد في الجنة." ويروون[١٠] الأخبار في ذلك عن رسول الله. فإن ثبت ما روي عنه في ذلك، وإلا الكف عن مثله أولى، لأنه سيحزن[١١] حيث يؤمر أن يتولَّى بعث ولده إلى النار من غير أن كان[١٢] ما يستوجب[١٣] هذه العقوبة.

قال القُتَبِي: **تذهَل**، أي تَسْلو[١٤] عن ولدها وتتركه.[١٥] وقال أبو عَوْسَجَة: **تذهل**، أي تنسى، يقال: ذهل يذهل ذُهُولًا، وأذهلته،[١٦] أي أنسيته. وقال غيره: [تذهل] أي تشغل. والحَمْل بالنصب ما في البطن والحِمْل بالخفض[١٧] ما على الظهر. والزلزلة الرجفة، يقال: زُلْزِلت، أي حُرِّكت وتزلزلت، أي تحركت.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ن ع: أن تراهم.
[٣] ع: وكان.
[٤] ع: لحاله.
[٥] ر ن م – أن.
[٦] ع – فيه.
[٧] ع: ملك.
[٨] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٥٠٢ظ.
[٩] جميع النسخ: وتسعين.
[١٠] ع: ويردون.
[١١] ر: يحزن؛ ن: يخزن.
[١٢] ع – أن كان.
[١٣] أي ولده.
[١٤] قال أبو زيد: معنى سَلَوْتُ، إذا نسي ذكره وذَهِل عنه (*لسان العرب*، «سلا»).
[١٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
[١٦] ع: أذهلته.
[١٧] ن: بالحفض.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[٣]

وقوله:[١] **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**، ذكر المجادلة في الله و لم يبين فيمَ جادلوا، وقد كانت مجادلتهم من وجوه. منهم من جادل في مشيئة الله تبارك وتعالى، ومنهم من جادل أن هذا العالم مُنْشَأ أم لا،[٢] ومنهم من جادل في وحدانية الله تعالى واحد أو عدد، ومنهم من جادل في بعث الأنبياء وإرسال الرسل، ومنهم من جادل في إنزال[٣] الكتب، ومنهم من جادل في دين الله تعالى المدعوِّ إليه. وبمثل هذا قد كثرت مجادلاتهم فيما ذكرنا. وكل ذلك كان مجادلة بغير علم، لأنهم لو تفكروا في هذا العالم ونظروا فيه حق النظر لعرفوا أن لهذا[٤] العالم مُنْشِئ، وأنه واحد لا عدد، وأنه عالم قادر بذاته، وأنه بعث الرسل والكتب؛ وعرفوا أيضا أنه يبعث هذا العالم ويحييهم، وأنه قادر على ذلك، لكنهم لم يتفكروا و لم ينظروا فيه حق النظر فجادلوا فيه بغير علم.

وقوله:[٥] **ويتَّبع كلَّ شيطان مَريد**، يحتمل أن يكون قوله: **ويتَّبع كلَّ شيطان مَريد**، الشيطانَ المعروفَ نفسَه، يتابعه في[٦] كل ما يدعوه. وجائز أن يكون أراد أنه يتبع كل[٧] من يعمل عمل الشيطان، وهم القادة الذين كانوا يدعون إلى اتباع ما يدعو الشيطان ويوحي إليهم، كقوله:[٨] وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[٩] أخبر أن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوكم، فذلك معنى قوله: **ويتبع كل شيطان مَريد**. وقوله: **مَريد**،[١٠] قيل: فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر في آية أخرى: مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ.[١١] قال بعضهم: كل متمرد في العناد والمكابرة فهو مارد. وقال بعضهم: المارد / هو[١٢] المجاوز عن جنسه في عُتُوِّه وتمرُّده، ولذلك سمي الذي لا لحية له أمردَ لخروجه ومجاوزة أجناسه ورجاله. والمارد بالفارسية سِتَنْبَه. [٤٩١ظ]

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م: أو لا.
[٣] ع: إرسال.
[٤] ع: هذا.
[٥] ع + عز وجل.
[٦] م – في.
[٧] م – كل.
[٨] ر م – كقوله.
[٩] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[١٠] ر ع م – وقوله مريد.
[١١] ن + المارد. ﴿إنا زَيَّنَّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب وحِفْظاً من كل شيطان مارد﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٦-٧).
[١٢] ر م: وهو.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٤]

وقوله:[١] **كُتب عليه أنه من تَوَلَّاه فأنه يُضِلُّه**، قال بعضهم: كُتب على الشيطان[٢] أن من تَوَلَّاه واتبعه أن يُضلَّه، **ويهديه**، أي يدعوه **إلى عذاب السعير**. وهو ما قال في آية أخرى: أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.[٣] وقال بعضهم: كتب على من تولَّى الشيطان واتَّبعه أنه[٤] يُضلُّه، أي يدعوه إلى ما به ضلاله وهلاكه.

وقوله: **كُتِب**، قيل: حُكم؛ وقيل: قُضي. وكتب يحتمل الإثبات، أي أُثبت في أم الكتاب أن من تولى الشيطان واتبعه أنه[٥] يضله. وقد ذكر إضلال الشيطان في غير موضع.[٦]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٥]

وقوله:[٧] **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**، أي خلقنا أصلكم من تراب، وخلقنا أولاده من نطفة ثم من علقة الآية. تأويله -والله أعلم- أن كيف تشُكُّون[٨] في البعث وتنكرونه وليس سبب إنكاركم البعث إلا أن تصيروا ترابا أو ماء في العاقبة، وقد كنتم في مبادئ أحوالكم ترابا وماء، فكيف أنكرتم بعثكم إذا صرتم ترابا؟ أو أن يكون معناه أن كيف أنكرتم البعث وقد رأيتم أنه يقلِّبكم من حال النطفة إلى حال العلقة ومن العلقة إلى المضغة، ولا يقلّب من حال إلى حال بلا عاقبة لقصد. فلو لم يكن بعثٌ كما تزعمون

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] جميع النسخ: على الشياطين.
[٣] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ (سورة لقمان، ٢١/٣١).
[٤] ر ن ع: أن.
[٥] ع: أن.
[٦] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" في أواخر مجلدات هذا الكتاب.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ع: تشكوه.

لكان خلقكم وتقليبكم من حال إلى حال عبثا على ما أخبر أن خلق الخلق لا[1] للرجوع إليه عبثٌ، لقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[2] صير خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثا، فعلى ذلك الأولُ. أو أن يكون تأويله -والله أعلم- **فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**، إلى آخر الآية، ولو اجتمع حكماء البشر وعلماؤهم لِيَعرفوا السبب الذي خلق البشر من ذلك التراب أو من النطفة ما قدروا عليه وما وجدوا للبشر فيه أثرا ولا معنى البشرية فيه. فمن[3] قدر على ابتداء إنشاء هذا العالم من التراب أو من النطفة من غير سبب[4] يوجد فيه ولا أثرٍ لَقادرٌ على إعادتهم. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من الابتداء، فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

وقوله:[5] **مُخَلَّقةٍ وغيرِ مُخَلَّقةٍ**، قال بعضهم: **مُخَلَّقةٍ**، أي مخلوقة خلْقا **وغيرِ مُخَلَّقةٍ**، أي غير مخلوقة خلقا [بل] نطفة على حالها. وقال بعضهم: **مُخَلَّقةٍ**، أي تامة، **وغيرِ مُخَلَّقةٍ**، أي غير تامة خلقا. وهو الأشبه، لأن التشديد إنما يُذكَر لتكثير الفعل[6] والتخفيف لتقليله. فكأنه قال: **مُخَلَّقةٍ**، أي قد أتم خلقها من الجوارح والأعضاء، **وغيرِ مُخَلَّقة**، أي غير تامة خلقا بل ناقصةٍ.

وقوله: **لِنُبَيِّن لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**، كان قوله: **ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء** موصولا بقوله: **ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة**، ثم **نُقِر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**، من ستة أشهر إلى سنتين أو ما شاء الله. **ثم نخرجكم** من الأرحام بعد الإقرار فيها **طفلا**، قال بعضهم: **ثم نخرج** كلًّا منكم **طفلا**. وقال بعضهم: اسم[7] الطفل يُجْمَع ويُفْرَد. **ثم لِتَبلُغوا أشُدَّكم**، قال بعضهم: الأشُدُّ هو ثلاث وثلثون سنة، وقال بعضهم: هم من ثماني عشرة[8] إلى ثلثين سنة. وأصل الأشُد هو من اشتداد كل شيء وتقَوِّي كل شيء منه من الجوارح والأعضاء، وكل ما رُكِّب فيه من العقل وغيره. ثم عند ذلك يُبَيِّن لهم ويكون قوله: **لِنُبَيِّن لكم**،[9] بعد هذا كله إذا بلغوا المبلغ الذي[10] يعرفون تقليبه إياهم من حال إلى حال على ما ذكر.

---

[1] ر: إلى.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[3] ر: ومن؛ ن: فيمن.
[4] ر م: مسبب.
[5] ع + عز وجل.
[6] جميع النسخ: لتكثير خلقها الفعل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
[7] ر ع م: واسم.
[8] ر + سنة.
[9] ر – ويكون قوله لنبين لكم.
[10] ن: الذين.

ثم يحتمل قوله: **لنُبَيِّن لكم** وجوها. أحدها يبين قدرته وسلطانه أن من قدر على تحويلهم من حال التراب إلى حال الإنسانية والبشرية، ومن حال النطفة إلى حال العلقة ثم إلى آخر ما ذَكَر قدر على البعث والإحياء بعد ما صاروا ترابا. أو يبين عِلْمه في الظلمات الثلاث كان الولد فيها[1] أن كيف قلَّبه من حال إلى حال في تلك الظلمات، ليعلموا أنه لا يخفى عليه شيء. أو يبين حكمته وتدبيره في خلق الإنسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكماء من البشر والعلماء لِيعرفوا المعنى الذي به خُلق الإنسانُ منه وصار به بشرًا ما قدروا عليه ولا عرفوا السبب الذي به صار كذلك، ليعلموا أنه حكيم بذاته، وعالم قادر بذاته لا بتعليم غيره ولا بإقدار غيره. فمن كان هذا سبيلَه لا يُعجِزه شيء، ينشئ الأشياء من الأشياء ولا من الأشياء على ما شاء وكيف شاء.

وقوله:[2] **ومنكم من يُتَوَفَّى**، أي من **يُتَوَفَّى** قبل أن يبلغ أشُدَّه، دليله قوله: **ومنكم من يُتَوَفَّى**، أي من قبل أن[3] يبلغ ذلك المبلغ[4] وهو الأشُدُّ. **ومنكم من يرد إلى أَرْذَلِ العُمُر**، أي إلى وقت يُستَقْذَر منه ويُستَخْبَث، ليس كالصغير، لأن الصغير والطفل ما يؤمل منه في العاقبة المنافع والزيادات، هذا لا يرجى منه ولا يؤمل منه العاقبة. كلما مر عليه وقت كان أضعفَ في عقله ونفسه، ولا كذلك الصغير. وهو / ما قال: خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً [٤٩٢و] ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً.[5] قال القُتَبِي: **أَرْذَل العُمُر**، أي الخرَف والهرم.[6] وقوله: **لكيلا يعلم بعد علم شيئا**، أي لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا.

ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال: **وترى الأرض هامدة**، قال بعضهم: مَيِّتة، وقيل: خاشعة، وقيل: يابسة، وقيل: بالية.

وقوله:[7] **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزتْ ورَبَتْ**،[8] قال الزجاج: **وربت**،[9] من الزيادة والنماء.[10]

---

[1] انظر: سورة الزمر، ٦/٣٩.
[2] ع + عز وجل.
[3] ع: أي.
[4] ر - البلغ.
[5] ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (سورة الروم، ٥٤/٣٠).
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
[7] ع + عز وجل.
[8] ر ع - وربت.
[9] ن - قال الزجاج وربت.
[10] يقول: ومن قرأ "وربت" فهو من ربا يربو، إذا زاد على أي الجهات؛ ومن قرأ "وربأت" بالهمز فمعناه ارتفعت (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤١٣/٣).

وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: يقال: ربا يربو، أي زاد وهو من الرِّبَا. وربأت من الارتفاع، ربا يربو رَبْوَةً، كقوله: وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.[1]

ثم أضاف الاهتزاز والزيادة إلى الأرض وهي لا تهتز ولا تربو، إنما يربو ويهتز ما يخرج منها من النبات، لكن أضاف ذلك إليها لما بها كان اهتزاز ذلك النبات وبها كان النماء،[2] فأضيف إليها. أو إن كان من الارتفاع والرَّبْوَة فهي ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر.

وقوله:[3] **وأنبتت من كل زوج بهيج**، قيل: البهيج الحسن. يخبر في هذا كله[4] قدرته وسلطانه أن من قدر على إحياء الأرض بعد ما كانت يابسة ميتة لَقادرٌ على إحياء الموتى بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا. وقوله:[5] **من كل زوج بهيج**، أي من كل جنس حسن يُهَيِّج به أي يُسَرُّ،[6] وهو فعيل بمعنى فاعل. يقال:[7] امرأة ذات خلق باهج.

وقال أبو عَوْسَجَة: الهامد البالي، يقال: همد الثوب إذا بَلِيَ؛ والهامد أيضا الخامد، خَمَدت النار تخمُد خُمُودًا. وقال بعضهم: قوله: **ورَبَتْ**، أي أضعفت النبات.[8]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٧]

وقوله:[9] **ذلك بأن الله هو الحق**، أي ذلك الذي تقدم ذكره من الساعة وزلزلتها[10] وأهوالها وما ذُكر من خلق الإنسان وتقليبه من حال إلى حال وما ذكر من البعث والإحياء وإحياء الأرض بعد ما كانت هامدة هو الحق. ذلك بأن أمره هو الحق، أي كائن لا محالة. ألا ترى أنه قال: **وأنه يُحيِي**[11] **الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.**

---

[1] ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى رَبْوَةٍ ذات قرار ومَعِين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥٠).
[2] ر ع: النما.
[3] ع + عز وجل.
[4] ر ع م: كل.
[5] ع + عز وجل.
[6] ر: بهيج أي يسير؛ ع: يهيج أي يسر؛ م: يهيج أي يسير.
[7] ر ع: فقال.
[8] ع: وبات.
[9] ع + عز وجل.
[10] ر م: وزلزالها.
[11] ع – الإنسان وتقليبه من حال إلى حال وما ذكر من البعث والإحياء وإحياء الأرض بعد ما كانت هامدة هو الحق ذلك بأن أمره هو الحق أي كائن لا محالة ألا ترى أنه قال وأنه يحيي.

هذا كله يدل أن قوله: **ذلك بأن الله هو الحق** في تحقيق البعث والإحياء بعد الموت وأنه[١] لا يعجزه شيء وأنه قادر بذاته عالم.

وقال بعضهم: **ذلك**، يقول: هذا الذي فعل وظهر من صنعه يدل على **أن الله هو الحق** وغيره من الآلهة التي يعبدونها باطل، **وأنه يُحيِي الموتى** في الآخرة، لا الآلهة التي يعبدونها، **وأنه على كل شيء قدير** على ما يشاء. وهو ما أخبرنا. وقال الحسن: الحق[٢] هو اسم من أسماء الله تعالى، سمي به لأنه يحكم بالحق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٨]

وقوله:[٣] **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**،[٤] حسي، **ولا هدى**، أي ولا ببيان دليلي[٥] من جهة العقل، **ولا كتاب منير**، أي ولا وحي ينير[٦] ما يجادل فيه ويخاصم.[٧] ويحتمل أن يكون قوله: **بغير علم**، أي بغير إذعان ممن عنده العلم، **ولا هدى** ولا استسلام[٨] لمن عنده الدليل، ولا خضوع لمن عنده كتاب منير.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٩]

وقوله:[٩] **ثانِيَ عِطْفه**، قال بعضهم: لَاوِيَ عُنُقِه إلى معصية الله. وقال بعضهم: ناظرًا[١٠] في عِطفه، أي في جانبه،[١١] ومثل هذا. لكن حقيقته تخرج على وجهين. أحدهما على التمثيل والكناية عن إعراضه عن دين الله الحق والصُّدود عنه، كقوله: اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ[١٢] وقولِه: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[١٣]

---

[١] ع: فانه.
[٢] ر ع م – الحق.
[٣] ع + عز وجل.
[٤] ر ع م + يحتمل قوله بغير علم.
[٥] ر: لا بيان دليلي؛ ع م: لا بيان دليل.
[٦] ع: منير.
[٧] ع: فيخاصم.
[٨] ع: والاستسلام.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] جميع النسخ: ناظر.
[١١] ع: جالبه.
[١٢] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).
[١٣] ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٤).

ونحوه[1] على التمثيل والكناية عن الإعراض عن الحق والصدود، لا على حقيقة الانقلاب على الأعقاب. فعلى ذلك جائز قوله: **ثانِيَ عِطْفِه،** يخرج على التمثيل والكناية[2] عن الإعراض عن الحق. وجائز أن يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم تكبرا وتجبُّرا منه عليهم.

[٤٩٢ظ س٢٩ *وقال القُتَبِي: **ثاني عطفه،** أي[3] يتكبر معرضا.[4] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: **ثاني عطفه،** أي متكبرا متجبرا. والعِطْف في الأصل الجانب، والأعطاف جميع.* ٤٩٢ظ س٣٠]

ثم بين أنه لِمَ يفعل فقال:[6] **لِيُضِلَّ عن سبيل الله،** أي ليُضل الناس عن سبيل الله.[7]

ثم أخبر ماله في الدنيا بصنعه فقال: **له في الدنيا خزي،** قال بعضهم: الخزي هو العذاب الذي يفضحه، وأصل الخزي الهوان والذل. وهم لما أعرضوا عن عبادة الله ودينه بُلُوا بعبادة الأصنام واتباع الشيطان، فذلك الخزي لهم في الدنيا.

ثم أخبر ماله في الآخرة من الجزاء[8] فقال: **ونُذيقُه يوم القيامة عذابَ الحريق.** وعامة أهل التأويل يصرفون الآية إلى واحد منهم وهو النضر[9] بن الحارث،[10] ويقولون: **له في الدنيا خزي،** لأنه أُسر يوم بدر فضرب عنقه وقُتل صبْرًا، فذلك الخزي له. والحسن يقول: هذا الخزي لجميع الكفرة، لأنه لم يزل هذا صنيعَهم منذ كانوا، فلهم الخزي في الدنيا الخَسْف والحَصْب[11] على ما كان في الأمم الخالية.

---

[1] ع: ونحو.
[2] ر + والكناية.
[3] ر ع م – أي.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر٢٩–٣٠.
[6] ع م – فقال.
[7] ر ع م – أي ليضل الناس عن سبيل الله.
[8] ع: من الجزا.
[9] ع: نضر.
[10] النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف (ت ٢ هـ/٦٢٤م): كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها. وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم. ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا. وكان إذا جلس النبي مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فارس ورُسْتَم وإسفنديار ويقول: أنا أحسن منه حديثا، إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. وقيل: هو أول من غنّى على العُود بألحان الفرس. وشهد وقعة بدر صاحب لواء المشركين فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة (*الأعلام* للزركلي، ٣٣/٨؛ وانظر ترجمة قُتَيْلَة بنت النضر بن الحارث في *الإصابة* لابن حجر، ٣٧٨/٤).
[11] ع: والخصب.

﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١٠]

وقوله:[١] **ذلك بما قدَّمت يداك**، ليس على تقديم الأيدي على التحقيق[٢] ولكن على التمثيل، لما بالأيدي يقدَّم، فذكر[٣] اليد لذلك على ما ذكرنا من انقلاب الأعقاب.[٤]

وقوله:[٥] **وأن الله ليس بظَلَّام للعبيد**، لأنه لا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا يأخذه بذنب غيره.[٦]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١١]

وقوله:[٧] **ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ**، اختلف في قوله: **على حَرْفٍ**. قال بعضهم: **يعبد الله على حَرْفٍ**، أي على شك يمتحن ربَّه على أنه إن[٨] أعطاه طمعه وأملَه في هذه الدنيا حقق له الألوهية والعبادة، وإن لم يجد طمعه وأمله لا يحقق[٩] له ذلك ويقول: ليس هو بإله، إذ لو كان إلها لأعطاه[١٠] ما يطلب منه. / على هذا الشك يعبد بالامتحان. وقال [٤٩٢ظ] بعضهم: **على حرف**، أي على شرط، أي يعبده على شرط الإعطاء، يقول: إن[١١] أعطاني أملي عبدته، وإن لم يعطني ذلك لم أعبده.[١٢] يكون عبادته على هذا الشرط. وقال بعضهم: **يعبد الله على حرف**، أي على حال واحدة وعلى[١٣] جهة واحدة، ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين جميعا: حالة الظاهر وحالة الباطن، وحالة الضراء والسراء،[١٤]

---

[١] ن: قوله؛ ع + عز وجل.
[٢] ر ع: ليس على تحقيق تقديم الأيدي.
[٣] ع: وذكر.
[٤] ع: عاما بانقلاب الأعناق.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: غير.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ر ع م - إن.
[٩] ع: لا يتحقق.
[١٠] ع: لاعطاء.
[١١] ع - إن.
[١٢] ع: لم يعبده.
[١٣] ر م: على.
[١٤] ع: وحالة الضرا والسرا.

وحالة السعة والشدة على ما تَعبّده الله، كقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]،[1] ونحوه.[2] عبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبّده الله. والمنافق إنما يعبده على حالة السعة والخصب، لأنه ليس يعرف ربه حق المعرفة، فإنما يعبد السعة والرخاء. وأما المؤمن فإذ[3] عرف ربّه عبَده في الأحوال كلها، لما عرف نفسه عبدا لسيده ولم ير للعبد سعة تركِ العبادة لمولاه في كل حال،[4] ورأى للمعبود حق استعباده[5] واستخدامه في كل حال: في حال الضيق وحال السعة. أو أن يكون رأى بما يصيبه من الشدائد والبلايا بتقصيرٍ كان منه وتفريط، فعبده[6] في الأحوال كلها. أو لما عرف ورأى[7] نعمة ربه عليه كثيرة ورأى شكر تلك النعم عليه لازما فعبده في الأحوال كلها شكرا لتلك النعم. وأما أولئك لم يروا لله على أنفسهم نعَمًا قائمة[8] عبدوه على الجهة التي ذكرنا. [و] كانوا فرقا: من الكفرة من يعبد الله في حال الشدة والضيق، ولا يعبده في حال السعة والرخاء، كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا،[9] ونحوه. ومنهم من كان[10] يعبده في حال السعة والرخاء، وهو ما ذكرنا من أمر المنافق. وأما المؤمن فهو يعبده في الأحوال كلها لما رآه معبودا حقيقة على ما ذكرنا.

[٤٩٢ظ س٣٠] *وقوله: **من يعبد الله على حرف**، قال: لا يدري أحق هو أم باطل، وهو الشك. يقال: إني من هذا الأمر على حرف، أي على شك لست بمستيقنٍ. وقال القُتَبِي: **على حرف**، على وجه واحد، وعلى مذهب واحد.[11] وقال قتادة: على شك، على ما ذكرنا. وقال أبو عبيدة: **على حرف**، أي لا يدوم، ويقول: إنما أنا على حرف،[12] أي لا أثق بك، ونحو هذا. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم.* [٤٩٢ظ س٣٣]

---

[1] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[2] ع: ونحو.
[3] ر ن م: فإذا؛ ع: فإن.
[4] ر ع م: في حال.
[5] ع: حق استبعاده.
[6] ر ع م: وعبدوه؛ ن: فعبدوه.
[7] ر ن: لما رأى وعرف.
[8] جميع النسخ: قائما.
[9] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[10] ع – كان.
[11] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١ (بدون "وعلى مذهب واحد").
[12] رم: أنا حرف.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر ٣٠-٣٣.

وقوله:[١] **وإن أصابته فتنة**، قد ذكرنا أن الفتنة هي المحنة التي فيها بلاء وشدة. وقوله: **انقلب على وجهه**، وقال بعضهم: هو على التمثيل على ما ذكرنا في قوله: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[٢] وقولِه: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.[٣] وقال بعضهم: على تحقيق انقلاب وجهه، لأنه كان عبادته ظاهرة لم يكن يعبده[٤] في الباطن في حال السعة. فلما أصابته الشدة ترك عبادته ظاهرة على ما كان باطنه، فهو انقلاب وجهه. ***والله أعلم.***

*وقوله:[٥] **انقلب على وجهه**، أي رجع[٦] إلى دينه.* [٤٩٢ظ س ٣٤]

وقوله:[٨] **خسر الدنيا والآخرةَ**. أما خسران الدنيا لأنه فات عنه ما كان يأمله بزوالها، وخسران الآخرة ظاهرٌ: العذاب والشدائد. وجائز أن يكون خسران الدنيا هو[٩] خضوعه لمن لا يضر ولا ينفع بالعبادة[١٠] للأصنام. **ذلك هو الخسران المبين**، لأنه خسر في الدارين جميعا أملَه وطمعه. ***والله أعلم.***

﴿**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾[١٢]

وقوله: **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**، قيل: إن الآية في المنافقين، وهم كانوا لا يعبدون الأصنام لكن ذُكر أنهم يعبدون على حرف. والعبادة[١١] على حرف ليست بعبادة لله،[١٢] إنما هي عبادة للشيطان. فأخبر أنه يعبد[١٣] ما لا يضره إن ترك العبادة له، ولا ينفعه إن عبده. يدل على ذلك قوله عز وجل: **ذلك**[١٤] **هو الضلال البعيد**، لأنه عبد من لا يضره إن[١٥] لم يعبده، ولا ينفعه إن عبده. فذلك هو الضلال البعيد.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] سورة الأنفال، ٨/٤٨.
[٣] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.
[٤] ع: يعبد.
[٥] ر ع م - وقوله.
[٦] ر م: يرجع.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر ٣٤.
[٨] ع + عز وجل.
[٩] ع: عن.
[١٠] ر ع م: للعبادة.
[١١] ر ع م - الأصنام لكن ذكر أنهم يعبدون على حرف والعبادة.
[١٢] ر ع م: بعبادة الله.
[١٣] ن: يعبده؛ ع: يعيد.
[١٤] ر ع م - قوله عز وجل ذلك.
[١٥] ع: إذ.

﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[١٣]

وقوله:[١] **يدعو لَمَنْ ضرُّه أقرب من نفعه**، قال بعضهم: قوله:[٢] **يدعو**، تأويله: من يضُرُّه **أقرب من نفعه**. وقال بعضهم: قوله: **يدعو لَمَنْ ضرُّه أقرب من نفعه**، هذا إن عبده ضره عبادته إياه في الآخرة والأولى، حيث قال: ما لا يضره[٣] إن ترك عبادته في الدنيا، ولا ينفعه إن عبده. ***والله أعلم***.[٤]

وقوله عز وجل: **لبئس المولى ولبئس العشير**، قال بعضهم: **لبئس المولى**، أي[٥] الولي،[٦] **ولبئس العشير**، يعني الصاحب، كقوله: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[٧] أي صاحبوهن بالمعروف.[٨] وقال بعضهم: **لبئس المولى**، أي الولي وهو الشيطان، **ولبئس العشير**، أي القرين الذي لا يفارق. وقال القُتَبِي: أي الصاحب والخليل،[٩] وهو ما ذكرنا، كله واحد. وقال أبو عَوْسَجَة: **العشير** الرفيق الذي تُعاشره وتصاحبه وتخالطه، **والعشير** الزوج أيضا.*

وقال بعضهم: قوله: **يدعو لَمَنْ ضرُّه** في الآخرة **أقرب من نفعه**.

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ر م - قوله.

[٣] ن - ما لا يضره.

[٤] يقول الشارح: «ذكر في الآية الأولى ﴿يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره﴾، أي لا يضره إن يترك عبادته ولا ينفعه. وذكر في الآية الثانية يدعو لمن كان أضراره أقرب من الانتفاع؛ فيكون المراد في الآخرة، والآية الأولى يراد بها في الدنيا، حتى لا يختلف الآيتان، والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٠٤و). ويقول جار الله الزمخشري: «فإن قلت: الضرر والنفع مَنفِيّان عن الأصنام مُثْبَتان لها في الآيتين، وهذا تناقض. قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم. وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادًا لا يملك ضرًا ولا نفعًا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به. ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾. أو كرر يدعو، كأنه قال: يدعو ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾، ثم قال: ﴿لمن ضره﴾ بكونه معبودًا ﴿أقرب من نفعه﴾ بكونه شفيعًا، ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾. وفي حرف عبد الله: "من ضره" -بغير لام-» (*الكشاف*، ٧٨/٤). وتوجيهُنا: كلا النفع والضر في كلا الآيتين في الدنيا لا في الآخرة، ولكن المدعوَّين مختلفان. المدعُوّ في الآية الأولى "ما"، وفي الثانية "من"؛ وهذا يعني أن المدعوّين "ما" هي الأصنام التي لا نفع لها ولا ضر؛ والمدعوِّين "من" هم رؤساء الكافرين الضارين والنافعين، أي المَلأ والمُترَف كما قال: ﴿لبئس "المولى" ولبئس "العشير"﴾. وضرُّهم أقرب من نفعه، أي نفع الدين. إذ ليس الدين قويا والمسلمون أقوياء وأغنياء أثناء إنزال هذه الآيات. وهذا أنسب لقراءة "لَمَن" بفتح اللام. وباختصار: يدعو الأصنامَ الذين لا يضرهم ولا ينفعهم لأن هناك رؤساء أقوياء وأغنياء (المحقق).

[٥] ع: إلى.

[٦] ر ع م + وهو الشيطان.

[٧] سورة النساء، ١٩/٤.

[٨] ر ع م: المعروف.

[٩] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١.

* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٩-١٢، فنقلناها إلى محالّها؛ انظر: ورقة ٤٩٢ظ/سطر٢٩-٣٤.

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[١٤]

وقوله:[١] **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد.** المعتزلة كذّبت هذه الآية والآيةَ التي تلي هذه الآية، وهي قوله: وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ،[٢] لأنهم يقولون: أراد إيمان جميع الخلائق، ثم لم يفعل ذلك؛ وأراد جميع الخيرات والكفَّ عن الشرور، ثم لم يقدر على وفاء ما أراد. ويقولون: لا صنع له في أفعال العباد، ولا تدبير.[٣] فعلى قولهم لم يفعل الله مما أراد[٤] واحدا من ألوف. ويقولون: إن الله أراد هدي جميع الخلائق، لكنهم لم يهتدوا؛ وهو أخبر أنه يهدي من يُريدُ، وهم يقولون: يريد هدى الخلق كلِّهم فلم يهتدوا.[٥] ونحن نقول: من أراد الله هداه اهتدى، وما أراد أن يفعل فعل. / وهو ما أخبر [٤٩٣و] فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ؛[٦] أخبر أنه يفعل ما يريد. فيخرج[٧] قولهم على أحد الوجهين: إما على الخُلْف[٨] في الوعد، وإما على الكذب في القول والخبر. فنعوذ بالله من السرف في القول.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[١٥]

وقوله:[٩] **من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يُذْهِبَنَّ كيدُه ما يَغِيظُ.** تأويل الآية عندنا يخرج على وجهين. أحدهما من كان يظن أن لن ينصر[١٠] الله محمدا –صلوات الله عليه– ثم نصره فغاظه نصرُه إياه فيدوم غيظه، **فليمدد بسبب**، أي بحبل **من السماء**، فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذي غاظه نصره [و] يستريح مما غاظه.[١١]

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] بعد الآية التالية.
[٣] ر م: فلا تدبير.
[٤] ع: ما أراد.
[٥] ع: فكلهم لم يهتدوا.
[٦] سورة هود، ١١/١٠٧؛ وسورة البروج، ٨٥/١٦.
[٧] ر + على؛ ع + هذا على.
[٨] ر ع م: على الخلاف.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] ر ع م: أن لن ينصره.
[١١] م: ما غاظه.

والثاني يخرج على الوعد له[1] بالنصر والخير أنه ينصره، يقول: **من كان يظن** أن ما وعد له من النصرة لا يفعل ذلك له ولا ينصره ولا يُنجِز ما وعد **فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع**، أي ليحبس ما وعد له من النصر إن غاظه ما وعد لِيُذهب غيظَه الذي غاظه. فعلى[2] هذا التأويل يكون السماء سماء الأصل، أي يحبس السبب الذي ينزل من السماء.

وقال[3] بعضهم: قوله: **من كان يظن أن لن ينصره**، أي[4] لن يرزقه **الله**، يجعله[5] صلة قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[6] لأنه يجعل الآية في أهل النفاق. يقول:[7] من كان يظن من أهل النفاق أن الله لا يرزقه إذا كان في ذلك الدين الذي كان فيه ودام[8] فليمدد بما ذكر. وقال مجاهد: **كيدُه ما يَغيظُ**، قال: ذلك خيفةَ أن لا يُرزق. وأهل التأويل صرفوا السماء إلى سقف البيت ويقولون: القطع الخَنْق.

وقال القُتَبِي: **من كان يظن أن لن ينصره الله**، أي لن يرزقه الله؛ وهو قول أبي عبيدة. يقال: مطر ناصر وأرض منصورة، أي ممطورة. وقال المفسرون: **من كان يظن أن لن ينصره الله** محمدا، **فليمدد بسبب**، أي بحبل **إلى** سقف البيت **ثم ليقطع**، أي ليختنق، **فلينظر هل يُذْهِبَنَّ كيدُه**، أي حيلتُه غيظَه، أي ليجهَدْ جُهْدَه.[9]

وقال أبو عَوْسَجَة: **فليمدد بسبب**، قال هذا شيء لا يكون ولا يُقدَر عليه، وهذا ذم للمقول فيه لأنه جعل السماء سماء[10] الأصل. وقوله:[11] **فليمدد**، أي يَمُدَّ يدَه. وقوله: **[بسبب]** والسبب في الأصل الحبل، أي يَعْلَق سببا فيرتقي في السماء، والسَّب الخِمار وسُبوب جميع، أي خُمُر. قال: والسبب الحبل بلغة هذيل. وقوله: **ما يغيظ**، هو شدة الغضب.

---

[1] ر ع م – له.
[2] ع + ذلك.
[3] ر ع م: قال.
[4] ن: أن.
[5] ر: ويجعله.
[6] سورة الحج، ١١/٢٢.
[7] ع – من كان يظن أن لن ينصره أي لن يرزقه الله يجعله صلة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف لأنه يجعل الآية في أهل النفاق يقول.
[8] ع: ودوام.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١.
[10] ر: سما.
[11] ع + عز وجل.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾[١٦]

وقوله: **وكذلك أنزلناه آيات بينات**، أي مثل هذا وهكذا[١] **أنزلناه آيات بينات** يبين ما لهم وما عليهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١٧]

وقوله:[٢] **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا**، أما الصابئون فإن الناس اختلفوا فيهم. قال أهل الكلام: هم الثنوية، و[٣] قال أهل التأويل: هم عُبَّاد الملائكة. وقد ذكرنا أقاويلهم فيه في سورة المائدة، فتركنا ذكره ههنا لذلك.[٤]

والذين أشركوا، قيل:[٥] مشركو العرب، وهم عبدة الأوثان والأصنام.

وقوله: **إن الله يَفصِل بينهم يوم القيامة**، يحتمل قوله: **يفصل بينهم**، أن يحكم بين هؤلاء **يوم القيامة** لاختلافهم في الدنيا، كقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، ثم قال: فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ،[٦] أي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة.[٧] فالفصل[٨] بينهم يوم القيامة هو الحكم الذي ذكر في هذه الآية. ويحتمل قوله: **يفصل بينهم يوم القيامة**، في المقام، يبعث هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار، فذلك الفصل[٩] بينهم. وجائز أن يكون قوله: **يفصل**، أي يبين لهم الحق من الباطل حتى يقرون جميعا بالحق ويؤمنون به، لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ.

وقوله:[١٠] **إن الله على كل شيء شهيد**، من أعمالهم وأفعالهم وإقرارهم[١١] وأقوالهم وجميع ما كان منهم.

---

[١] ع: أو هكذا.
[٢] ر + تعالى؛ ع + عز وجل.
[٣] ر ع م – قال أهل الكلام هم الثنوية و.
[٤] انظر: تفسير سورة المائدة، ٦٩/٥.
[٥] ر ع + هم.
[٦] ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (سورة البقرة، ١١٣/٢).
[٧] ن – يوم القيامة؛ ع – أي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة.
[٨] ع: فالفضل.
[٩] ع: الفضل.
[١٠] ع + عز وجل.
[١١] ع + وأفعالهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١٨]

وقوله:[١] **ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض**، حرف "من" في ظاهر اللغة واللسان إنما يعبر به عن المُمتحَن من البشر[٢] والجن والملائكة، وأما الموات فإنه لا يعبر به عنه، وإنما يعبر عنه[٣] بحرف "ما"، لكن ذكر في آخره -وهو قوله: **والشمس والقمر والنجوم والجبال**، الآية- ما يدل أنه أراد الكل: الممتحَن والموات جميعا، حيث قال: و[٤] **كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب**، وإلا ظاهره[٥] ما ذكرنا أنه إنما يعبر بـ"من" عن الممتحن[٦] وبحرف "ما" عن الكل. وجائز[٧] أن يكون عند الاجتماع يذكر باسم الممتحن على ما يذكر عند اجتماع الذكر والأنثى باسم الذكور.

ثم ما ذكر من سجود هذه[٨] الأشياء يخرج على وجوه. أحدها سجود خلقة، يسجد كل شيء ذُكر بخلقته لله على ما ذكرنا في التسبيح.[٩]

والثاني سجود عبادة، وهو سجود كل ممكن منه السجودُ[١٠] وتركه، وهو سجود الممتحن.

والثالث سجود[١١] بذل ما جَعل في هذه الأشياء من المنافع لا يتأتى[١٢] بذلُها لأحد [لكونها مسخرة لمنافعهم][١٣] من الماء والشمس والقمر[١٤] والشجر والدواب وكل شيء.

---

[١] ن: قوله؛ ع + عز وجل.
[٢] ع: ومن البشر.
[٣] ع – وإنما يعبر عنه.
[٤] ع – قال و.
[٥] م: والظاهر.
[٦] ن: الممتحنين.
[٧] ر م – جائز.
[٨] ر: وهذه.
[٩] انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٤).
[١٠] ر م – السجود.
[١١] ر ع: سجوده.
[١٢] ر ع م: لا تأتى؛ ن: لا يأتى.
[١٣] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٤ظ.
[١٤] ر ع م – والقمر.

والرابع ما ألْهم هذه الأشياءَ من الطاعة لله[1] والخضوع له. ألا يرى أنه قال: اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ؛[2] ألا يرى أنه ألهم الدواب معرفة إتيان المصالح لهم واتقاء[3] المهالك، فجائز أن يعرفْنَ طاعته والخضوع له. **والله أعلم.**

وقوله:[4] **وكثيرٌ من الناس،** في الجنة،[5] **وكثير حقّ عليه العذاب** في النار.[6] **ومن يُهِنِ اللهُ فما له من مكرم،** هذا يحتمل / وجهين. أحدهما من خذله الله وطرده[7] عن عبادته وبابه فما له من مكرم، كقوله: وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.[8] أو أن نقول:[9] ومن أهانه الله في النار بالعذاب فما له من مُنْجٍ[10] ينجيه عن ذلك. [٤٩٣ظ]

إن الله يفعل ما يشاء، هذا على المعتزلة، لأنهم يقولون: شاء أشياء فلم يفعل، وهو يقول:[11] **يفعل ما يشاء.**

﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[١٩]

وقوله:[12] **هذان خصمان اختصموا في ربهم،** اختلفوا في تأويله. قال بعضهم: نزل هذا في ستة نفر بارزوا. ثلاثة من المسلمين: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، وثلاثة من المشركين: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فذلك[13] اختصامهم. وقال بعضهم: اختصم[14] أهل الإسلام وأهل الكتاب في الدين. قالت اليهود والنصارى: نحن أولى بالله منكم يا معشر المسلمين! لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم.

---

[1] ع: بالله.
[2] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).
[3] ع: باتقاء.
[4] ع + عز وجل.
[5] ع: بالجنة.
[6] ر: بالنار؛ ع م - في النار.
[7] ع: فطرده.
[8] سورة الرعد، ٣٣/١٣.
[9] جميع النسخ: أو أن يقول.
[10] ر ع م: منجي.
[11] ر ع م: فهو.
[12] ع + عز وجل.
[13] ع: وذلك.
[14] ر ع م - اختصم.

فقال المسلمون: بل نحن أولى بالله، آمنا بكتاب الله[1] وكتابكم ونبينا[2] ونبيكم وبكل كتاب أنزله الله، ثم كفرتم أنتم نبينا وكتابنا[3] وبكل نبي كان قبل نبيكم.[4] فأنزل[5] الله تعالى ما فَصَل بين المؤمنين وأهل الكتاب فقال: **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا**، بمحمد وبالقرآن[6] -وهم اليهود والنصارى- **قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار**، إلى آخر ما ذَكَر. وقال في المؤمنين: إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[7] الآية. وقال بعضهم: **هذان خصمان اختصموا في ربهم**: النارُ والجنة. فقالت[8] النار: جعلني الله للعقوبة[9] للعُصاة والفَسَقَة؛ وقالت الجنة: جعلني الله للرحمة للأنبياء والأولياء، ونحوه. لكن متى يكون للنار مخاصمة؟ وكذلك الجنة. وهو بعيد. وقال بعضهم: اختصم المسلم والكافر في البعث.

وجائز أن يكون اختصامهم ما ذُكر من أول السورة إلى هذا الموضع. من ذلك قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[10] وقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[11] وقوله:[12] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا،[13] يكون اختصامهم بين هؤلاء الذين ذكرهم في هذه السورة، وهم أهل الإسلام وأهل الكفر. في الآية بيان ذلك، حيث قال: **فالذين كفروا قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار**، وقال في المؤمنين: إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.[14] ثم جائز أن يكون هذا هو الفصل الذي ذَكَر في الآية الأولى حيث قال: إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[15] يُنزِل أهل الإسلام في الجنة وأهلَ الكفر[16] في النار. ***والله أعلم.***

---

[1] ر ن ع: بكتابنا.
[2] ع - ونبينا.
[3] ن: وبكتابنا.
[4] وعبارة *الشرح* هكذا: وبكل شيء كان قبل نبيكم، (ورقة ٥٠٤ظ).
[5] ع: وأنزل.
[6] ع: بالقرآن.
[7] سورة الحج، ٢٢/٢٣.
[8] جميع النسخ: قال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٤ظ.
[9] ع: بالعقوبة.
[10] سورة الحج، ٢٢/٣، ٨.
[11] سورة الحج، ٢٢/١١.
[12] ع + وقوله.
[13] سورة الحج، ٢٢/١٧.
[14] سورة الحج، ٢٢/٢٣.
[15] الآية السابقة.
[16] م: الكفرة.

وقوله:[١] **قُطِعت لهم ثياب من نار**، كقوله: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ،[٢] الآية، وقوله: **يُصَبُّ من فوقِ رءوسهم الحميم**. قيل: الحميم الماء الحار الذي انتهى حره غايته.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٢٠]

وقوله: **يصهر به ما في بطونهم**، قال القُتَبِي: **يُصْهَر**، يذاب؛ يقال: صهَرت النار الشَّحْمة. والصُهارة، ما أذيب من الألْيَة.[٣] وكذلك قال: الصُهارة ما يبقى من الشحم والألية إذا أذيبا. يقال: صهَرتُ الشحم، أي أذبت،[٤] أصهُره صَهْرًا.

* قال أبو معاذ: معنى[٥] قوله: **يُصهَر به ما في بطونهم**، أي يذاب ما في بطونهم خاصة. [٤٩٣ظ س٢٥ وأما الجلود فإنها تُحرق، لأن الجلد لا يُصْهر ولا يَنصهر. وقال: هذا مثل قول العرب: "أتيته فأطعمني واللهِ ثَريدًا،[٦] واللهِ لبنا قارصا -أي حامضا-[٧] واللهِ وإزارًا[٨] ورداءً،[٩] واللهِ وحُمْلَانا[١٠] فارها"، تضمر لكل شيء[١١] فعلا يشاكله.[١٢] وفي القرآن مثله كثير،[١٣] وكذلك في اللسان.* ٤٩٣ظ س٢٨]

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢١]

ولهم مَقَامِعُ من حديد، قال بعضهم: المقامع الأعمدة من الحديد، وهو قول أبي معاذ. وقال بعضهم: المقامع شِبْه العِصِيّ، الواحدة مِقْمَعة.*

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] سورة إبراهيم، ١٤/٥٠.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١.
[٤] ر: اذيب.
[٥] ر ع م: يعني.
[٦] م: ثريد.
[٧] ر: خامضا.
[٨] ر: فإزارا.
[٩] ن ع + أي.
[١٠] الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة (*لسان العرب*، «حمل»).
[١١] ع: كل شيء.
[١٢] تقديرها: سقاني لبنا وألبسني إزارا ورداء وأركبني حملانا.
[١٣] كقوله تعالى: ﴿وعلى الله توكلت فأجمِعوا أمركم وشركاءكم﴾ (سورة يونس، ١٠/٧١) أي وادعوا شركاءكم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٣ظ/سطر٢٥-٢٨.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٩٣ظ/سطر٢٥-٢٨.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢٢]

وقوله:[١] **كلما أرادوا أن يخرُجوا منها من غَمٍّ أُعيدوا فيها**. قال بعضهم: وذلك[٢] أن جهنم إذا جاشت ألقت مَن فيها إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فيعيدهم الخُزّان فيها بالمقامع ويقول[٣] لهم الخَزَنَة: **ذوقوا عذاب الحريق**. وقال بعضهم: إن في جهنم دركاتٍ فإذا اشتد العذاب بهم ينقلبون من الدركة السفلى إلى الدركة العليا[٤] ويصعدون، ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها، كقوله: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.[٥] وقال بعضهم: إن النار تضربهم بلَهَبها فترفعهم[٦] حتى إذا كانوا في أعلاها ضُربوا بمقامع من حديد، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير[٧] لهبها. والله أعلم بذلك.[٨]

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢٣]

وقوله:[٩] **إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**، أي من تحت[١٠] أهلها. وهو كما ذكر في آية أخرى: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ.[١١]

وقوله:[١٢] **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا**، ذَكَر هذا -والله أعلم- لقوم رغبوا في هذه الدنيا بالتحلي بما ذَكَر وتفاخروا به فيها، وهو ما ذكر: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ.[١٣] وإلا قلَّ[١٤] ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر[١٥] إلا النساء[١٦] خاصة. فأما إن ذكر للنساء

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م - وذلك.
[٣] ع: وتقول.
[٤] جميع النسخ: من دركة السفلى إلى دركة العليا.
[٥] سورة المدثر، ١٧/٧٣. أي أكلفه مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصّعّد فيه ثم يهوي أبدا (انظر: *تفسير الجلالين*، ٧٧٦).
[٦] ر ع: فرفعهم.
[٧] ر ع م: زفر.
[٨] ن - بذلك.
[٩] ع + عز وجل.
[١٠] م: من تحتها.
[١١] سورة الأعراف، ٤٣/٧.
[١٢] ع + عز وجل.
[١٣] ﴿فلولا أُلقِي عليه أسورَةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ (سورة الزخرف، ٥٣/٤٣).
[١٤] ن م: وإلا أقل.
[١٥] ع – وتفاخروا به فيها وهو ما ذكر فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب وإلا قل ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر.
[١٦] ر: النسان.

أو لقوم تفاخروا به في الدنيا فقد وعَد[1] لهم في الآخرة ذلك [قولُه:] وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.[2] وقوله: **ولؤلؤا**، قال الكسائي: من قرأ "ولؤلُؤٍ"[3] بالخفض فهو يخرج على وجوه.[4] أحدها **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب** ومن لُؤْلُؤٍ.[5] والثاني **يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب**،[6] **و**يحلون فيها من لُؤْلُؤٍ[7] حليةً سوى الأساور. ومن قرأ بالنصب **ولؤلؤا**، أي يُحَلَّوْن / فيها لؤلؤًا. [٤٩٤و]

وقوله: **ولباسهم فيها حرير**، وكذلك ذكر في الخبر: «هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.»[8]

*وقال أبو عَوْسَجَة: **يُحَلَّوْن فيها**، من الحَلْي من الذهب والفضة. تقول: حَلَّيْتُ[9] المرأةَ، [٤٩٤ظ س١٩ أي اتخذت لها[10] حُلِيًّا. ويقال: حَلِيَ الشيء يَحْلَى حَلْيٌ، إذا حسن. ويقال: حَلِيَ بعينه إذا حسن في عينه.[11] ويقال: حَلَا[12] الشيء يحْلُو حلاوة فهو حُلْوٌ. ويقال: تحلَّيت، إن شئت جعلته أكلت حلاوته وإن شئت جعلته من الحَلْي. ويقال: حلأْتُ الإبلَ عن الماء،[13] أي منعت. ويقال: حلَّيت الشيء وأحليته، أي جعلته حلوا.* ٤٩٤ظ س٢٢]

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٢٤]

وقوله: **وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد**، جائز أن يكون هذا في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فهو[15] قول التوحيد وشهادة الإخلاص. وأما في الآخرة

---

[1] جميع النسخ: فوعد.
[2] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[3] جميع النسخ: ولؤلؤ. قرأه "ولُؤْلُؤٍ" ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي والخَلَف (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٥).
[4] ر ع- على وجوه.
[5] جميع النسخ: ومن لؤلؤ.
[6] ر ع م – والثاني يحلون فيها من أساور من ذهب.
[7] جميع النسخ: من لؤلؤ.
[8] «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.» (صحيح *البخاري*، الأطعمة ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، اللباس ٥).
[9] ن: حلت.
[10] ر ع م – لها.
[11] ع – إذا حسن في عينه.
[12] ن ع م: حلى.
[13] ع: على الماء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر١٩-٢٢.
[15] جميع النسخ: هو.

فكقوله:[1] دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] فهو القول الطيب الذي هُدوا إليه. وقال[3] بعضهم: قوله: **وهُدُوا إلى الطيب من القول**، هو القرآن؛ **وهُدُوا إلى صراط الحميد**، الإسلام وشرائعه. وقال قتادة: أُلهِموا التسبيحَ والتحميد كما أُلهِموا النفسَ. وقال: **الطيب من القول** هو كل قول[4] حسن.

وقوله: **الحميد**، يحتمل **صراط الحميد**، أي صراط الله، كقوله: صِرَاطِ اللهِ.[5] ويحتمل أن يكون نعت ذلك الصراط، أي صراطٍ حميد. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله:[6] **إن الذين كفروا ويصُدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام**، قوله: **كفروا**، هو خبرٌ ماضٍ؛ وقوله: **ويصُدّون**، خبرٌ مستقبلٌ، فنَسَقَ المستقبلَ على الماضي. قال الزجاج [في تأويله]: إن الكافرين والصادّين[7] عن سبيل الله. **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب [أليم]**. وعندنا تأويله **إن الذين كفروا** قبل أن يبعث محمد **ويصدون** الناس **عن سبيل الله** إذا بعث محمد. ثم يحتمل قوله: **والمسجدِ الحرامِ**، أي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام،[8] أي كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للإسلام والسؤال عنه. والثاني إخراجهم منه كقوله: وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ.[9]

وقوله:[10] **الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ**، ظاهرُ هذا أن يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواءً هو المسجد الحرامَ، لأنه قال: **جعلناه للناس سواءً**. لكن أهل التأويل صرفوا ذلك إلى مكة وقالوا: **سواءً العاكفُ فيه والبادِ**، في النزول في المنازل.[11] وظاهره ما ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: كقوله.
[2] سورة يونس، ١٠/١٠.
[3] ع: قال.
[4] م - قول.
[5] ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥٢-٥٣).
[6] ع + عز وجل.
[7] يقول الزجاج: «لفظ يصدّون لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى ﴿الذين كفروا﴾ الذين هم كافرون. فكأنه قال: إن الكافرين والصادين» (*معاني القرآن وإعرابه*، ٣/٤٢٠).
[8] ر م - أي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام.
[9] ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٧).
[10] ن: قوله.
[11] ع: في المناز.

ثم يحتمل أن يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا، ليس كسائر المساجد التي لها أهل، إنَ أهلها أحق بها من غيرهم؛ وأما المسجد الحرام فإن الناس فيه[١] شرعا سواءٌ العاكف فيه والبادي. ويحتمل أن يكون ذكر هذا في[٢] المسجد الحرام أن الناس فيه سواءٌ[٣] ليعلموا أن الحكم في سائر المساجد كذلك، إن الناس فيها سواء: أهلها وغير أهلها. ***والله أعلم.***

وقوله: **ومن يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ**، قال بعضهم: الإلحاد فيه هو الشرك فيه[٤] والكفر، وقال: الإلحاد هو كل المعاصي. وأصل الإلحاد هو العدول والميل عن الطريق. وتأويله ومن يلحد فيه إلحادَ ظلم نذقه كذا. وقال[٥] بعضهم: من همَّ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْه كذا.

ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذَكَر وجوها. أحدها ليعلموا أن كثرة الخيرات وتضاعُفها مما لا يعمل في إسقاط المساوئ فيه وهدمها، لما روي أن صلاة واحدة بمكة تعدل كذا كذا صلاةً في غيرها من الأماكن،[٦] وكذلك [كل] حسنة فيها.

والثاني خُصَّت بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خُصت تلك البقعةُ بتضاعف الحسنات.

والثالث أن أولئك ادعوا أنهم أولى بالله من غيرهم لنزولهم ذلك المكان، فأخبر أن من يرد فيه بكذا[٧] أذاقه[٨] بكذا؛[٩] ليس تخصيص ذلك المكان بما ذكر والعفوُ في غيره ولكن بما ذكرنا.

وقال بعضهم: معناه من يرد فيه إلحادًا بظلم، والباء زائدة، ومثله قوله: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ،[١٠] معناه تُنبت الدهنَ. وروي في الخبر[١١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احتكار الطعام بمكة إلحاد.»[١٢] وكذلك روي عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما. وجائز أن يكون

---

[١] ر ع م - فيه.
[٢] ر ن م - ذكر هذا في.
[٣] ر م - سواء.
[٤] ر م - فيه.
[٥] ر ن م: قال.
[٦] لم أجده ولكن ورد حديث في فضل الصلاة في المسجد الحرام: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام.» (*سنن ابن ماجة*، الصلاة، ١٩٥؛ وانظر أيضا: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٢٧).
[٧] ن - بكذا.
[٨] ر ع م: بكذا نذقه.
[٩] ر ع م - بكذا.
[١٠] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٠.
[١١] ر م: روي بالخبر.
[١٢] *سنن أبي داود*، المناسك، ٩٠.

ما ذكرنا من التغليظ والتشديد وتضاعُفِ العقوبة، ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما تتضاعف عليهم العقوبة إذا ارتكب فيه مأثما أو الحد[1] فيه. وجائز ما ذكرنا. وقد كره قوم بيع رِباع[2] مكة[3] وإجارتها بقوله: **سواء العاكف فيه والباد**. وعلى ذلك رويت الأخبار بالنهي عن ذلك. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مكة مُناخ[4] لا يباع رِبَاعها ولا يؤاجر بيوتها.»[5] وعن عمر[6] رضي الله عنه: «يا أهل مكة! لا تتخذوا لدُورِكم أبوابا ليرِد البادي حيث شاء.»[7] ونهاهم أن يُغلقوا[8] أبواب دورهم.

وليس في ظاهر الآية ذكر مكة؛ إن في الآية ذكر المسجد حيث قال: **والمسجدِ الحرامِ الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ**. وإنما[9] ذكر ذلك في المسجد الحرام[10] خاصة. وقال أبو حنيفة رحمه الله: أكره إجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر. فأما المقيم والمجاور فلا يرى[11] بأخذ ذلك منهم بأسا، وهو[12] قول محمد.

[٤٩٤ظ س٢٢] *وقال القُتَبِي: **سواءً العاكفُ فيه والباد**، أي المقيم[13] والبادي -وهو الطارئ من البدو- سواءٌ فيه: ليس المقيم فيه بأولى من النازع إليه.[14] قوله: **ومن يرد فيه بإلحاد**، أي من يرد فيه إلحادا، -وهو الظلم والميل عن الحق- فزيدت الباء، كما يقال: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ،[15] وهو ما ذكرنا.[16]* [٤٩٤ظ س٢٤]

---

[1] ر ع م: وألحد.

[2] رَبَع بالمكان يَرْبَعُ رَبْعا: اطمأنَّ. والرَّبْع: المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأيّ مكان كان. وجمعه أَرْبُع ورِباع ورُبُوع وأَرْباع (*لسان العرب*، «ربع»).

[3] ر م: البيع رباع مكة.

[4] أي الموضع الذي تناخ فيه الإبل (*لسان العرب*، «نوخ»).

[5] *المستدرك* للحاكم، ٥٣/٢.

[6] ر ع م: عن عمر.

[7] انظر لمزيد من المعلومات: *فتح الباري*، ٤٥٠/٣-٤٥٢.

[8] م: أن يعقلوا.

[9] ن ع: إنما.

[10] ن – الحرام.

[11] ر م: فلا نرى.

[12] ع: وره هو.

[13] ن + فيه؛ ع + الذي.

[14] نزَع إلى وطنه أي يَنْجَذِبُ ويميلُ (*لسان العرب*، «نزع»).

[15] سورة المؤمنون، ٢٠/٢٣.

[16] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١-٢٩٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر٢٢-٢٤.

*وقال أبو عَوْسَجَة: **العاكف** المقيم، **والبادي** من كان في البادية. والإلحاد الميل عن الحق، ومنه اشتق اللحد، لحد القبر.* [٤٩٤ظ س٢٥] [٤٩٤ظ س٢٦]

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢٦]

وقوله:[٢] **وإذ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت**، قال بعضهم: **بوَّأنا**، أي هيَّأنا له[٣] مكان البيت لينزل فيه، والتَّبوِئَة الإنزال. كأنه قال: **بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت**، أي أنزلنا إبراهيم[٤] مكان البيت ليتخذ فيه بيتا؛ وقلنا له: **لا تشرك بي شيئا**. وهكذا بُعث الأنبياء جميعا: بعثوا أن لا يشركوا بالله وأمروا أن يدعوا الناس إلى ترك الإشراك بالله تعالى.

وقوله: **وطَهِّرْ بيتِيَ للطائفين** وادعوا[٥] الناس أيضا إلى أن لا يشركوا بالله شيئا. ثم يحتمل قوله: **وطَهِّرْ بيتِيَ للطائفين**، ومن / ذَكَر، أي طهره من الأصنام[٦] والأوثان التي فيه، لئلا يُعبَد فيه[٧] [٤٩٤ظ] غيره. وجائز أن يكون قوله: **طهِّر بيتِيَ**، عن جميع الخبائث وعن كل أنواع الأذى من الخصومات والبياعات وغيرها. وذلك للمسجد[٨] الحرام ولغيره من المساجد يطهَّر ويجنَّب جميع أنواع الأذى والخبث والفحش.

وقوله:[٩] **للطائفين والقائمين والرُّكَّع السُّجود**، قال أهل التأويل: **للطائفين**،[١٠] هم القادمون من البلدان؛ **والقائمين**، المقيمين هنالك؛ **والرُّكَّع السُّجود**، المصلين. ويحتمل قوله: **للطائفين**، لكل طائف به؛ **والقائمين**[١١] لكل [قائم][١٢] عاكف نحوه؛ -والعكوف هو المُقام للعبادة- **والقائمين**،

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر٢٥-٢٦.

[٢] ع + عز وجل.

[٣] جميع النسخ: هيأناه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٥ظ.

[٤] ر م- إبراهيم؛ ع: لإبراهيم.

[٥] ر: وادعو.

[٦] ن - من الأصنام.

[٧] ر م - فيه.

[٨] ر ن ع: المسجد.

[٩] ع + عز وجل.

[١٠] ع - للطائفين.

[١١] جميع النسخ + والعاكفين.

[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٥ظ.

لكل قائم[1] عاكف نحوَه؛ **والرُّكَّع السُّجود**، لكل راكع[2] وساجد نحوه، أي لكل مصلٍ. وهذا أشبه، ***والله أعلم***.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢٧]

وقوله:[3] **وأذِّن في الناس بالحج**،[4] يحتمل وجهين. أحدهما على الإعلام أن أعلِم الناس أن لله[5] عليهم الحجَّ بالبيت، كقوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[6] الآية.

والثاني **وأذِّن في الناس بالحج**، أي اُدع الناس ونادِهم[7] أن يحجوا البيت. قال أهل التأويل: لما أمر الله إبراهيم أن ينادي في الناس بالحج فنادي فأسمع الله[8] صوته ما بين المشرق والمغرب حتى أسمع صوته ونداءه[9] من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فقالوا: "لبيك!"[10] ومن حجَّ بيته فهو الذي أجاب بإبراهيم لَمَّا ناداهم بالحج. لكن لا نعلم[11] ذلك إلا بالخبر عن رسول الله أنه كان ما ذكروا، وإلا السكوت عنه وعن مثله أولى.

وقالوا: إن قوله: **وأذِّن في الناس بالحج**، موصول[12] بقوله: **وإذ بوَّأنا لإبراهيم**، الآية. وجائز أن يكون قوله: **وأذِّن في الناس بالحج**، لرسول الله أو لكل رسول بعث ويكون الأمر[13] بذلك في كل زمان. والله أعلم بذلك.

وقوله: **يأتوك رجالا**، أي على الأرجل مُشاةً، **وعلى كل ضامر**، أي يَضْمُر ويذهب سِمَنُه لبعد المضرِب، وهو ما ذكرنا.[14] **يأتين من كل فج عميق**، أي من كل طريق بعيد.

---

[1] ر: قائمين.

[2] ر م – لكل راكع.

[3] ع + عز وجل.

[4] ن + هذا.

[5] ع: الله.

[6] ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (سورة آل عمران، ٣/٩٧).

[7] ع: وناديهم.

[8] ع: فسمع الله.

[9] ن ع: ونداه.

[10] انظر: *تفسير ابن عباس*، ٣٦١؛ و *تفسير الإمام مجاهد بن جبر*، ٤٧٩.

[11] ر ن ع: لا يعلم.

[12] جميع النسخ: موصولا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.

[13] جميع النسخ: بعث الأمر، والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.

[14] ن ع: ما ذكر.

ثم قوله: **وأذِّن في الناس بالحج،** على الدعاء والأمر، فيكون في قوله: **يأتوك رِجالا،** دلالة لزوم الحج على المُشاة. كأنه قال: مُرْهم يحجون مشاةً على الأرجل وركبانا. وإن كان على الإعلام فهو على الوعد والخبر[١] أنهم يأتون على الأرجل مشاة وعلى الدواب.

وقوله: **يأتين من كل فج عميق،** أضاف الإتيان إلى الدواب، لأنهم[٢] بالدواب يأتون فأضاف إليها لذلك، *والله أعلم.**

[قال القُتَبِي:] وقوله: **وعلى كل ضامر،** أي رُكبانًا على ضُمْره[٤] من طول السفر. **من كل فَجٍّ عميق،** أي بعيد غامض.[٥]* [وقال أبو عَوْسَجَة:] **وعلى كل ضامر،** أي على[٧] كل بعير ضامر، أي خميص البطن. **يأتوك رِجالا،**[٨] تقول: رَجِلَ الرَّجُلُ يَرْجَل [رَجَلاً و] رُجْلَة فهو راجل.[٩] والفجّ الطريق، العميق البعيد. يقال: عمُق، أي بعُد يعمُق عُمْقًا فهو عمِيقٌ.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٢٨]

وقوله:[١٠] **ليشهدوا منافع لهم،** قال الحسن: يشهدون مشاهد[١١] فيه فيذكرون الله فيها ويكتسبون أشياء تنفع لهم في الآخرة، فذلك منافع لهم التي يشهدونها. وقال غيره من أهل التأويل: **منافع لهم،** التجارات والمنافع التي كانوا يكتسبونها إذا خرجوا للحج. وقال بعضهم: التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة، وهو مثل الأول. وجائز أن يكون قوله: **ليشهدوا منافع لهم،** الأرزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة ما لو لم يشهدوها لم يسُق الله[١٢] ذلك إليهم.

---

[١] ر ع م: والجزاء.

[٢] ر ع: لأنه.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٢٣ و ٢٥، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر ٥-٢٦.

[٤] ر ع م: ضمر.

[٥] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩١-٢٩٢.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٢٥، فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٤ظ/سطر ٢٥-٢٦.

[٧] ن – على.

[٨] ع + أي.

[٩] إذا كان يمشي في السفر وحده ولا دابة له يركبها (*لسان العرب*، «رجل»).

[١٠] ع + عز وجل.

[١١] ر ن ع: مشاهدا.

[١٢] ع – الله.

لأن من الأرزاق التي جعلت لهم في البلدان[1] ما يساق إلى أهلها وهم في مُقامهم وأمكنتهم، ومن[2] الأرزاق ما يساق أهلها إليها[3] ما لو لم يأتوها لم يُسَق ذلك إليهم. فجائز ما ذكر من المنافع هو[4] ما غاب عنهم من المنافع والأرزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة إذا خرجوا للحج نالوها، وإذا لم يخرجوا له لم ينالوا. وقال بعضهم: **ليشهدوا منافع لهم**، أي مَتَاجِرَهم وقضاءَ[5] مناسكهم.

وقوله:[6] **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**، اختلف فيه. قال الحسن: هو يوم النحر خاصة.[7] وجائز إضافة الواحدة إلى الجماعة، كقوله: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا.[8] وإنما جعل في السماء الدنيا، وكما يقال: تَوارى فلان في دُور بني تميم، وإنما توارى في دار من دورهم، ومثل هذا كثير؛ وذلك جائز في اللغة.[9] وقال بعضهم: الأيام المعلومات هو يوم النحر ويومان بعده. وقال بعضهم: المعلومات والمعدودات[10] هي أيام التشريق[11] جميعا. / وقال بعضهم: [٤٩٥و] الأيام المعلومات هي الأيام العشر،[12] لأنها هي أيام الذكر فيها. وجائز أن يكون قوله: **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**، كناية عن الذبح.[13] وأيام الذبح[14] ثلاثة،[15] يوم النحر ويومان بعده. ألا ترى أنه قال: **على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها**، ذكر الأكل[16] ولم يذكر الذبح، فذلك يدل على أن قوله: **ويذكروا اسم الله**، كناية عن الذبح. وإنما كان كناية عنه لأنه بالذكر يقوم الذبائح ولا يخلو منه دونه. *والله أعلم*.

---

[1] ن + التي جعلت لهم في البلدان.

[2] ر ع م: من.

[3] ن: إليها أهلها.

[4] ر ع م: وهو.

[5] ع: وقضاهم.

[6] ع + عز وجل.

[7] قارن: *تفسير الحسن البصري*، ١٤١/٢ (فإنه يقول: "الأيام المعلومات أيام العشر").

[8] ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾ (سورة نوح، ١٥/٧١-١٦).

[9] ر ن: في اللسان.

[10] في قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ (سورة البقرة، ٢٠٣/٢).

[11] ن ع: التفريق.

[12] ر ع م: أيام العشر.

[13] ر: الزبح؛ ع: الذبائح.

[14] ر: وأيام الزبح؛ ع – وأيام الذبح.

[15] م + أيام.

[16] ر م: الكل.

وقوله: **فكلوا منها**، قال بعضهم: من الأضاحي، لأن التناول من الأضاحي[١] كان لا يحل، فخرج ذلك مخرج رخصة التناول منها والحل. لكن الأضاحي لا يحتمل، لأن الوقت ليس هو وقت الأضاحي ولا أماكنها، إنما هو وقت دم المتعة والقِرَان ودم التطوع. وفيه إباحة التناول من دم المتعة والقِران.

وقوله: **وأطعموا البائس الفقير**، قال بعضهم: **البائس**، من البؤس وهو ما اشتد به من الحاجة والشدة. وقال بعضهم: **البائس**، الذي سألك؛ **والفقير**، المتعفف الذي لا شيء له. وقال بعضهم: **البائس** هو الذي به زَمانَةٌ،[٢] **والفقير** الصحيح الذي لا شيء له. وهو مثل الأول.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢٩]

وقوله:[٣] **ثم ليقضوا تَفَثَهم**، قال بعض أهل الأدب: التفث لا يعرف في لسان العرب ما يراد به. وقال الحسن: التفث هو[٤] التقشف، وهو ترك الزينة.[٥] يدل على ذلك ما روي أنه [صلى الله عليه وسلم] سئل عن الحاج فقال: «كل أَشْعَثَ[٦] تَفِل».[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: التفث في الأصل الوسخ، يقال: امرأة تَفِثَة، إذا كانت خبيثة الريح.[٨] وهو قريب مما قال الحسن: إنه ترك الزينة. وأهل التأويل يقولون: التفث هو حلق الرأس وقَصّ الأظفار والشارب والرمي والذبح[٩] ونحوه. وقال بعضهم: **ثم ليقضوا تَفَثَهم**، المناسك كلها. وروي في الخبر: «من وقف من عرفة بليل وصلى[١٠] معنا بجمْع[١١] فقد تم حجُّه وقضى تفثَه.»[١٢] ظاهر قوله:[١٣]

[١] ن + لأن التناول من الأضاحي.

[٢] الزَّمانة: المرض الذي يدوم زمانا طويلا، وضعف بكِبَر سِنّ أو مطاولة علة (*المعجم الوسيط*، «زمن»).

[٣] ع + عز وجل.

[٤] ر ع م: وهو.

[٥] قار ن: *تفسير الحسن البصري*، ١٤١/٢ (فإنه يقول: "حلق الرأس").

[٦] تشعَّث الشيء تفرق. والأشعث: الوَتِدُ، صفة غالبة غلبة الاسم، وسمي به لشَعَثِ رأسه (*لسان العرب*، «شعث»).

[٧] *سنن ابن ماجة*، المناسك ٦. التَّفِل: الذي قد ترك استعمال الطيب، من التَّفَل وهو الريح الكريهة (*النهاية* لابن الأثير، «تفل»).

[٨] ع: الرمح.

[٩] ر: والزبح؛ م: الذبح.

[١٠] ر ع م: وصل.

[١١] ر ع م: الجمع. وجمع: موضع بمزدلفة.

[١٢] «من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفاتٍ قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تمّ حجه وقضى تفثه.» (*سنن أبي داود*، المناسك، ٦٩؛ وانظر: *سنن الترمذي*، الحج والعمرة، ٥٦؛ وانظر أيضا: *تأويلات القرآن*، ٤٠٥/١).

[١٣] ر ن م - قوله.

«قضى تفثه»، أي نُسُكَه. وجائز أن يكون قوله: «قضى تفثه»، أي جاء وقت الزينة، وهو وقت الحلق[١] واللباس، *والله أعلم*.

وقوله:[٢] **وليُوفُوا نذورهم**، أي لِيُوفوا ذبح ما أوجبوا ذبحه. ذكر مما ساق من الهدي لمتعته ولِحِجَّته، الأكل منه لقوله: فَكُلُوا مِنْهَا،[٣] ولم يذكر الأكل فيما أوجب[٤] بالنذر. فكذلك يقول أصحابنا: إنه[٥] يجوز له التناول من هدي المتعة والقِران، ولا يجوز التناول مما كان وجوبه بالنذر[٦] والكفارة، بل عليه أن يتصدق بالكل. وهو ما قال: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[٧] *والله أعلم*.

وقوله:[٨] **وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق**، هو طواف الزيارة، وهو طواف يوم النحر؛ وهو الفرض عندنا. ولا يحتمل ما قال[٩] بعض الناس: إنه طواف الصَّدَر، لأن الله تعالى قال: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[١٠] وحجُّ البيت هو الطواف بالبيت لا غير، وطواف الدخول وطواف الصَّدَر ليس على أهل مكة ذلك الطَّوافان، وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس. فدل ما ذكرنا على أن قوله: **وليطَّوَّفوا بالبيت العتيق**، هو طواف الزيارة، وهو حج البيت الذي قال الله [فيه]: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.

وقوله:[١١] **بالبيت العتيق**، قال بعضهم: سماه عتيقا، لأنه أعتقه الله عن الجبابرة[١٢] عن أن يتجبروا عليه. وكم من جبّارٍ قد صار إليه[١٣] ليهدمه فمنعه الله عن ذلك.[١٤] وقال بعضهم: سماه عتيقا،

---

[١] ر: الحلق.
[٢] ع + عز وجل.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ر م: مما.
[٥] ن: أن.
[٦] ع: النذر.
[٧] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحصِرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦).
[٨] ر ن م – وقوله.
[٩] ر ن ع: قاله.
[١٠] سورة آل عمران، ٣/٩٧.
[١١] ع – وقوله.
[١٢] ن: من الجبابرة.
[١٣] ع: له.
[١٤] كما أشير إليه في سورة الفيل.

لأنه رُفع[١] إلى السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق. والبيت العتيق عندنا هو الذي بناه إبراهيم صلوات الله عليه وأسّسه. ويكون قوله: **وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق**، الذي أسس إبراهيم، لا بالبيت الحادث الذي أحدث الناس. ألا يرى أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة: «لولا أنّ قومك حديثُ عهدٍ بالإسلام، وإلا رددت[٢] البيت على أساس إبراهيم، وجعلت له بابين: بابا يُدخل فيه وبابا يُخرج منه.»[٣] وروي في بعض الأخبار -يرويه عبد الله بن الزبير قال- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما سمى البيتَ العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار.»[٤] فإن ثبت هذا فهو هو.

﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٣٠]

وقوله:[٥] **ذلك ومن يُعَظِّم حرمات الله**، قوله: **ذلك**، جائز أن يكون الذي تقدم ذكره[٦] من قوله: يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، إلى آخر ما ذكر،[٧] **ذلك** الذي ذكر، **ومن يُعَظِّم حرمات الله**. وجائز أن يكون لا على ذلك، ولكن حرف يذكر عند ختم قصة والفراغ منها مبتدأ، لا على ربط شيء. نحو قوله: هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ كذا؛[٨] هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا.[٩] قوله: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ يصح دون ذكر "هٰذَا"، لكنه ذكر على ختم الكلام[١٠] الأول وابتداء آخر. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **ذلك ومن يُعَظِّم حرمات الله** كذلك.

---

[١] ر ع م: ترفع.

[٢] ع: ردت.

[٣] عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجَدْرِ أَمِنَ البيت هو؟ قال: «نعم». قلت: فما بالهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصّرت بهم النفقة.» قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: «فعل ذاكِ قومكِ ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، لولا أن قومك حديث عهد بالجاهليّة فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه في الأرض» (*صحيح البخاري*، التمني، ٩، الحج ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٠٢).

[٤] «إنما سمى الله البيتَ العتيقَ لأنه أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جَبّار قط.» (*المستدرك* للحاكم، ٣٨٩/٢).

[٥] ع + عز وجل.

[٦] ع: ذكر.

[٧] سورة الحج، ٢٧/٢٢-٢٨.

[٨] ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾ (سورة ص، ٤٩/٣٨).

[٩] ﴿هذا وإن للطاغين لَشَرَّ مَآب﴾ (سورة ص، ٥٥/٣٨).

[١٠] جميع النسخ: كلام، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.

وقوله: **ومن يُعَظِّم حرمات الله فهو خير له عند ربه**، كأنه قال: **ومن يُعَظِّم حرمات الله** وخرج للحج وأنفق المال وأتعب النفس فما له عند ربه من الثواب فذلك **خير له** من حفظ ماله وحفظ نفسه. وإلا لا شك أن من عظَّم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها.

وقوله: **وأُحِلَّت لكم الأنعام**، وفي حرف ابن مسعود: "وأُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم من المحرمات"[1] من الميتة والدم / وما ذكر في سورة المائدة،[2] وقد ذكرنا هذا. [٤٩٥ظ] *والله أعلم*.

وقوله: **فاجتنبوا الرجس من الأوثان**، جائز أن يكون قوله: **فاجتنبوا الرجس**، وهم **الأوثان**. وجائز أن يكون قوله: **فاجتنبوا** عبادة **الأوثان**، فإنها[3] رجس. وليس فيه أن غير الأوثان ليس برجس، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[4] ليس فيه أنه يحل قتل الأولاد في غير خشية الإملاق. فعلى ذلك هذا.

وقوله: **واجتنبوا قول الزور**، يحتمل كل قولٍ زورٍ. ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشريك[5] وما لا يليق به.

﴿حُنَفَاءَ لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣١]

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ[6] **حُنَفَاءَ لله**،[7] تأويله -والله أعلم- واجتنبوا قول الزور وكونوا **حُنَفَاءَ لله غير مشركين به**.[8] وقوله: **حُنَفَاءَ**، قد ذكرنا.[9] وجائز أن يكون قوله: **غيرَ مشركين به** تفسير قوله: **حنفاءَ لله**، أي كونوا مخلصين لله في جميع أموركم غيرَ مشركين به في ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] لم أجده.
[2] أي ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به والمنْخَنِقة والمَوْقُوذَة والمُتَرَدِّيَة والنَّطِيحَة وما أكل السَّبُع إلا ما ذكَّيتم وما ذُبح على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[3] جميع النسخ: فإنه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[4] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[5] ع: والشرك.
[6] الآية السابقة.
[7] ع: والشرك.
[8] ع: والشرك.
[9] انظر: تفسير سورة البقرة، ١٣٥/٢-١٣٦.

وقوله:[1] **ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطَفُه الطير أو تَهْوِي به الريحُ في مكانٍ سَحيق**، يحتمل ضَرْبُ مَثَلِ مَن أشرك بالله بالساقط من السماء واختطافِه الطيرُ و هُوِيَ الريح[2] [به] **في مكان سحيق** وجوها.[3] أحدها ما وَصَف وضَرَب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات، نحو ما قال: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ،[4] ونحو ما قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً،[5] الآية. ضرَب مَثَلَ الكفر بشيء لا قرار له ولا ثبات. فعلى ذلك مثله بالساقط من السماء تخطفه الطير أو تهوي به الريح، لا يدري أين هو ولا أين يطلب إن أراد[6] طلبَه، ولا يظفر به، فعلى ذلك الكافر.

والثاني ضَرَب مثله بالساقط من السماء، وهي أبعد البقاع في الأوهام لا ينتفع من[7] سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه. فعلى ذلك الكافر لا ينتفع بشيء من محاسنه، ولا يبقى نفسه ينتفع بها لبعده[8] عن دين الله.

والثالث من سقط[9] من السماء أثَّر سقوطه منها في نفسه وفي جميع جوارحه، وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى برؤه وصحته. فعلى ذلك الكافر يظهر آثار الكفر في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هذا مثل ضربه الله[10] لمن أشرك به في هلاكه وبُعده من الهدى. والسحيق البعيد، وهو قريب مما ذكرنا.

والسحيق هو المكان البعيد. يقال: سحُق المكان يسحُق سُحْقا فهو سحيق، إذا بعد. [٤٩٥ظ س ٢٤ والسحق أيضا الشيء الخَلَق. يقال: أسحق الثوبُ وسحَق يسحَق سَحْقا وأسحق فهو[11] مُسحِق. والسَّحوق النخلة الطويلة. ٤٩٥ظ س ٢٥]

---

[1] ع + عز وجل.
[2] جميع النسخ: أو تهوي به الريح، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[3] ر: وجوبها.
[4] سورة إبراهيم، ٢٦/١٤.
[5] سورة النور، ٣٩/٢٤.
[6] جميع النسخ: أرادوا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦و.
[7] ن: بمن.
[8] ع: البعده.
[9] ر ع م - من سقط.
[10] ع: لله.
[11] ر م - فهو.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٤٩٥ظ/سطر ٢٤-٢٥.

﴿**ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[٣٢]

وقوله: **ذلك**، هو ما ذكرنا في قوله: [ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ،[١] فهو مثل قوله:][٢] هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ،[٣] [وقوله: هٰذَا] ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ.[٤] وقوله: **ومن يُعَظِّم شعائر الله فإنها من تقْوَى القلوب**، تأويله -والله أعلم- أي **ومن يعظم شعائر الله** بالجوارح فذلك التعظيم من تقوى القلوب. وهكذا الأمر الظاهر في الناس أنه إذا كان في القلب شيء من تقوى أو خير ظهر ذلك في الجوارح؛ وكذلك الشر أيضا إذا كان في القلب ظهر في الجوارح.[٥]

وقوله: حُرُمَاتِ اللهِ[٦] **وشعائر الله**، قال بعضهم: هما واحد، وهي المناسك. وقال بعضهم: الحرمات هي جميع محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها. وقد ذكرنا تأويل **شعائر الله** في سورة المائدة.[٧]*

وقوله: **أو تَهْوِي به الريحُ**، أي تذهب به. يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا،[٩] أي ذهب بنفسه.

﴿**لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾[٣٣]

وقوله: **لكم فيها**، أي فيما ذكر من الشعائر **منافع إلى أجل مسمًّى ثم مَحِلُّها إلى البيت العتيق**. قال بعضهم: **لكم فيها منافع**، من ظهورها وألبانها وأصوافها **إلى أجل مسمى**، أي إلى أن تُقلَّد وتُهدى، **ثم محلها** إذا قُلِّدت وأُهدِيت **إلى البيت العتيق**. وكذلك يقول أصحابنا: إن من أوجب بَدَنَة أو أهدى بَدَنَة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها إلا في حال الاضطرار. فإذا بلغت مَحِلَّها وذُبحت حل الانتفاع بلحمها. ومنهم من قال في قوله: **لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**، إلى وقت مَحِلِّها من الركوب بظهرها وحلب اللبن وجَزّ الصوف وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل. ويُروى في ذلك خبرا، روي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ساق بَدَنَة فقال: «اركبها»، فقال: "إنها بدنة"، فقال: «اركبها»، فقال: "إنها بدنة يا رسول الله"؛

---

[١] سورة الحج، ٣٠/٢٢.

[٢] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.

[٣] سورة ص، ٥٥/٣٨.

[٤] سورة ص، ٤٩/٣٨.

[٥] كما ورد في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٧؛ *سنن ابن ماجة*، الفتن ١٤).

[٦] سورة الحج، ٣٠/٢٢.

[٧] انظر: سورة المائدة، ٢/٥.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك، انظر: ورقة ٤٩٥ظ/سطر٢٤-٢٥.

[٩] جميع النسخ: هواء.

قال: «اركبها»، قال: "إنها بدنة يا رسول الله"، فقال: «اركبها ويلك!»[١] وبه يقول بعض الناس يبيحون الانتفاع بالهدايا والقلائد قبل أن تُنحر وتذبح. لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطرّة إليها، ففي مثل ذلك يجوز[٢] الانتفاع بملك غيرٍ ببدل. فعلى ذلك بالهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما نقصها ركوبه بها.[٣] وجائز أن يكون قوله: **لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**، إلى أن تَهْلِك[٤] أو تهلكوا[٥] أنتم، كقوله: وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ،[٦] أي إلى وقت هلاكها. فعلى ذلك الأول.

ثم يكون قوله: **ثم مَحِلُّها إلى البيت العتيق**، -والله أعلم- ابتداء سؤال، سُئل عن محل الهدايا والقلائد، فقال عند ذلك: **مَحِلُّها إلى البيت العتيق**، ***والله أعلم***. والأول أشبه وأقرب لما ذكرنا.

وقوله: **إلى البيت العتيق**، ذكر البيت[٧] العتيق، ومعلوم أنه لم يُرد به نفس البيت، ولكن إنما أراد به البقعة / التي فيها البيت، لأن الدماء لا تُرَاقُ في البيت، إنما تُرَاقُ في تلك البقعة التي [٤٩٦و] هو فيها الحرم وكله[٨] مَنْحر ومذبح. وأراد[٩] بقوله: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[١٠] نفس البيت. ألا ترى أنه قال ههنا: بِالْبَيْتِ، فإنما يطاف به؛ وقال هنالك: **إلى البيت**، أضاف إليه، دل أنه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت، ***والله أعلم***.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[٣٤]

وقوله:[١١] **ولكل أمة جعلنا مَنْسَكا**، قال بعضهم: المنسك الموضع الذي يعبدون وينسُكون فيه ويصيرون إليه لعبادتهم. ومن ثمة يقال[١٢] للرجل العابد: ناسك. ولذلك[١٣] قال من قال منسكا،

---

[١] صحيح البخاري، الحج ١٠٢؛ وسنن أبي داود، المناسك ١٨.
[٢] ع - يجوز.
[٣] ن - بها.
[٤] أي البدن.
[٥] جميع النسخ: أو تهلكون.
[٦] ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٦).
[٧] ر م: بيت.
[٨] ع: لكرم كله.
[٩] ر ع م + به.
[١٠] سورة الحج، ٢٢/٢٩.
[١١] ع + عز وجل.
[١٢] ر: يقاله.
[١٣] م: وكذلك.

أي متعبَدًا[1] يصيرون ويخرجون إليه للعبادة. وقال: المنسك الدين، وقال: الشريعة. وقال بعضهم: المنسك المنحر والمذبح. وجائز أن يسمى في اللغة الذبح نُسُكا، كقوله: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[2] وهو الذبح، وقولِه: [قُلْ] إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]،[3] ولو كان النُسُك عبادة كذكر الصلاة -وهي عبادة- لكان لا يذكر النسك، فدل أنه أراد بالنسك الذبح.

وقوله: **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**، دل قوله: **ليذكروا اسم الله**، أن ذكر اسم الله من شرط الذبيحة، حيث ذكر[4] اسم الله ولم يذكر[5] الذبح، ففهموا من ذكر اسم الله الذبح، دل أنه من شرط جوازه وحله؛ سوى الشافعي، فإنه لم يفهم ما فهم الناس والأمم جميعا، حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة.[6]

وقوله: **فإلهكم إله واحد**، كأنه ذكر قوله: **ولكل أمة جعلنا منسكا**، لقوم أنكروا الذبائح فقال: **ولكل أمة جعلنا منسكا**، أي ذبحا ذبحوه وذكروا اسم معبودهم عليه. ثم أخبر أن معبودهم واحد، **فله أَسْلِموا**، أي أَخْلِصوا ذلك كلَّه. **وبشر المخبتين**، قال: المتواضعين، وقال بعضهم: المطمئنين، وقال بعضهم: الخاشعين، وقال بعضهم: كل مجتهد في العبادة هو[7] المخبت؛ ويقال: المخلصين. وتفسير المخبت ما ذكر على إثره حيث قال: اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،[8] الآية. ومن قال: المخبت المطمئن، قال:[9] والخَبْتَة الطمأنينة. قوله: **منسَكا** ومنسِكا، فيه لغتان. قال الكسائي: من قرأ مَنْسِكًا بكسر السين،[10] فهو من نسك ينسِك؛ ومن قرأ منسكا بالنصب فهو من نَسَك ينسُك.

---

[1] ر ع م – متعبداء ن: عيدا.
[2] سورة البقرة، ١٩٦/٢.
[3] سورة الأنعام، ١٦٢/٦.
[4] ر + ذكر.
[5] جميع النسخ: ولم يذكروا، والتصحيح من *الشرح*، ٥٠٦ظ.
[6] ع – حيث ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح ففهموا من ذكر اسم الله الذبح دل أنه من شرط جوازه وحله سوى الشافعي فإنه لم يفهم ما فهم الناس والأمم جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة.
[7] ع: وهو.
[8] الآية التالية.
[9] ع: وقال.
[10] قرأه هكذا حمزة والكسائي والخَلَف (*زبدة العرفان* للبالوي، ٩٥).

ثم لا خلاف بين أهل العلم في أن البُدْن التي تساق والهدايا[١] التي تُقلَّد في الحج والعمرة لا يجوز أن تُنحر في غير الحرم. إنما اختلفوا في المُحْصَر إذا أراد أن ينحلَّ[٢] أين يَنحر ويذبح هديه الذي يحِلُّ به؟ وقد ذكرنا أقاويلهم واختلافهم في سورة البقرة.[٣] ولم يختلف في أن معنى قول الله: ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[٤] يدخل فيه الحرم كله على ما ذكرنا وعلى ما رويت[٥] [في] الأخبار. روي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرفة كلها موقف، ومِنىً[٦] كلها مَنْحَر، [وكل المزدلفة موقف] وكل فجاجِ مكة طريق ومنحر.»[٧] وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل عرفة موقف، وكل مِنىً[٨] منحر.»[٩] وفي الأخبار: «في كل أيام التشريق ذبح.»[١٠] وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الجمرة فرمى بها، ثم أتى المنحر فقال: «هذا المنحر و مِنىً[١١] كلها منحر.»[١٢] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إنما المنحر بمكة، ولكنها نُزِّهت عن الدماء»[١٣] ومِنَى بمكة.

﴿اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣٥]

وقوله:[١٤] الذين **إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**، أي خافت وفَرِقت خوفا منه، **والصابرين على ما أصابهم**، من المصائب والرزايا، **والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**، هذه الآية قد ذكرنا تأويلها في سورة الأنفال.[١٥]

---

[١] ع: الهدايا.
[٢] ر ع م: أن يحل.
[٣] انظر: تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ر: على رويت؛ م: على رواية.
[٦] جميع النسخ: ومنا.
[٧] سنن *ابن ماجة*، المناسك ٧٣؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٦٥.
[٨] جميع النسخ: منا.
[٩] سنن *الترمذي*، الحج، ٥٢.
[١٠] سنن *البيهقي*، ٢٣٩/٥.
[١١] جميع النسخ: ومنا.
[١٢] سنن *الترمذي*، الحج، ٥٢.
[١٣] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٤٥٥/١.
[١٤] ع + عز وجل.
[١٥] انظر: تفسير سورة الأنفال، ٢/٨-٣.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله**، قال بعضهم: من فرائض الله، وقال الحسن: من دين الله. والأشبه أن يكون قوله: **من شعائر الله**، أي من مَعَالِم دينه[١] وعبادته ونُسُكه، لأن الشعائر هي المعالم في اللغة، خُصَّت بها المناسك دون غيرها من العبادات، فجعلها معالِمَ[٢] لها. والبَدَنَة سميت بدنة لما تعظُم في أنفسها وتَبْدُن. ويقال للرجل إذا عظم في نفسه: بَدَنَ فلان. وظاهر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البَدَنَة تُجزئ عن سبعة، والبقرة تجزئ عن سبعة.» أن البدنة هي الجزور والإبل حيث قال: «البدنة تُجْزئ عن سبعة، والبقر تجزئ عن سبعة.»[٣] فرَّق بين البدنة والبقرة[٤] بالذكر. ***والله أعلم.***

وقوله:[٥] **لكم فيها خير**، قال بعضهم: المنافع الحاضرة من الركوب والحَلْب والحمل عليها بعد ما قُلِّدت وأُوجِبت هديا. وقال بعضهم: **لكم فيها خير**، إلى أن تقلَّد،[٦] فإذا قلِّدت فلهم الأجر في الآخرة. وكأن هذا أشبه أن يكون قوله: **لكم فيها خير**، أي الأجر في الآخرة، لأن الانتفاع بها لا يحل إذا أُوجِبت بدنة إلا في حال الاضطرار، لأنه[٧] قال في آية أخرى: لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ.[٨] وفي الانتفاع بها إحلال[٩] شعائره. لذلك قال أصحابنا: لا ينتفع بالبدن. وما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا يسوق بدنة فقال له: «اركبها» فقال: "إنها بدنة يا رسول الله." فقال له النبي: «اركبها» فقال: "إنها بدنة"، فقال: «اركبها ويحك!» -وفي بعض الأخبار: «ويلك!»[١٠]- وهذا عندنا لما رأى بالرجل الحاجة الشديدة إلى ركوبها، وهو ما ذكرنا [من] أن الانتفاع بها يجوز في حال الاضطرار،

---

[١] ر م: من عالم دين الله.
[٢] جميع النسخ: معالما، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.
[٣] سنن *ابن ماجة*، الأضاحي ٤؛ وسنن *أبي داود*، الضحايا ٦.
[٤] ر م: والبقر.
[٥] ع: عز وجل.
[٦] ر: إلى أن تلقد.
[٧] ع: لأن.
[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائرَ الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القَلَائِدَ ولا آمِّينَ البيتَ الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾ (سورة المائدة، ٥/٢).
[٩] ع: احلال.
[١٠] صحيح *البخاري*، الحج ١٠٢؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ١٨.

ولا يجوز في حال الاختيار، إذ الانتفاع بالمحرمات يجوز في حال الاضطرار. فعلى ذلك بالبُدْن التي جعلت / مَعَالِمَ[1] للمناسك، *والله أعلم*. [٤٩٦ظ]

وقوله: **فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ**، دل هذا أن ذكر اسم الله من شرط الذبيحة، لأنه لم يذكر الذبح بنفسه، ولكن إنما ذكر[2] اسمه. فلولا أنهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها ونحرها وإلا لم يكتف بذكر اسمه دون ذكر الذبح، فدل أنهم إنما عرفوا ذلك به وأنه من شرط جوازها. *والله أعلم*. وقوله: **صَوَافّ**، فيه لغات ثلاث. إحداها صَوَافِي[3] بالياء، وهو من الإخلاص لله والصَّفْو له. والثانية صَوَافِن بالنون، وهو مِن عَقْل ثلاث قوائم منها وتَرْكِ أخرى مطلقةً.[4] والثالثة صوافٍ[5] [كجَوَارٍ] بالتنوين، أي قياما مصطفَّة. وكأن جميع ما ذكر يراد [به] أن يجمع فيها من الإخلاص له وعقل القوائم والقيام. وكذلك جاءت السنة والآثار. وفي حرف ابن مسعود: "صوافِنَ" بالنون.[6] وتأويله ما ذكرنا. وظاهر الآية يدل على القيام، لأنه قال: **فإذا وَجَبَتْ جنوبُها**، وقوله: **وجبت**، أي سقطت، والسقوط إنما يكون من القيام. فدل أنها تُنْحَر قياما لا مضطجعة، *والله أعلم*.

وقوله: **فكلوا منها**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ.[7] الْبَائِس الفقير،[8] من سألك؛ هذا قول بعض. وقال بعضهم: البائس المعروف بالبؤس، والفقير المتعفف الذي لا يسأل. وقال بعضهم: البائس المسكين، والفقير فقير. وقال بعضهم: البائس الضرير.

و[أطعِموا] القانع [و]المعتر. قال[9] بعضهم: **القانع**، هو الراضي[10] وهو من القناعة. وقال بعضهم: هو السائل وهو من القُنُوع. **والمُعْتَر**، الذي يعترُّ بك[11] ولا يسأل؛ **والقانع** هو الجالس في بيته، ونحوه.

---

[1] جميع النسخ: معالما.
[2] ر ع م + ذكر.
[3] كما في حرف أبي بن كعب وحرف أبي موسى (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٨، ٢١١).
[4] صَفَنَت الدابة: قامت على ثلاث وثَنَتْ سُنْبُكَ يدها الرابع. الصافن من الخيل القائمُ على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر (*لسان العرب*، «صفن»).
[5] ر ع م: صوافا.
[6] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٦٣.
[7] سورة الحج، ٢٨/٢٢.
[8] ع – البائس الفقير.
[9] جميع النسخ: وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٦ظ.
[10] ر: الرضي.
[11] أي يُلِمُّ بك لتعطيه.

وقال القُتَبِي: **القانع**، السائل، يقال: قنَعَ يقنَع قُنوعا، ومن الرضا قنِع يقنَع قناعة. **والمُعْتَرّ**، الذي يعترُّ بك ولا يسأل. يقال: اعترّني[1] وعرّني[2] وعَرَاني واعتَرَاني.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **القانع**، السائل، والقُنُوع السؤال، والقناعة من الرضا. يقال: منه[4] قنِع يقنَع قناعة. ويقول: قنّعته، أي أرضيته؛ وقنّعته، أي غطّيت رأسه بالقِناع ونحوه. ويقال من المعترِ: اعترّ اعترارًا، واعترى[5] يعتري، وعرا يعرو، كلها واحدة. وقال:[6] **صوَافّ**، أي قياما مصطفّة. وقال: ويكون صافن[7] وصوافن، أي قائما على ثلاث قوائم. يقال: صفَن الفرس يصفُن صُفونا، إذا قام على ثلاث قوائم. وقوله: **وجبت جنوبها**، أي سقطت إلى الأرض. يقال: وجب يجب وجوبا فهو واجب، إذا سقط. ووجبت الشمس، إذا غابت. قال: وهذا كله من الصوت، يقال: سمعت وَجْبة، أي صوتا.[8] وقال: **مَنْسَكا**، أي موضعا ينسكون إليه للعبادة. وعن ابن عباس قال: **القانع**، الذي يقنع بما أعطيته؛ **والمعترّ**، الذي يُريك نفسه ولا يسأل.[9]

وقوله:[10] **كذلك سخّرناها لكم**، أي البُدْن التي ذكرناها. ثم يحتمل ما ذكر[11] من تسخيره إياها لنا وجهين. أحدهما **كذلك سخّرناها**، أي كما سخرناها لكم لركوبها والحمل عليها وأنواع الانتفاع بها في حال الحياة، **كذلك سخّرناها لكم**، ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك، **لعلكم تشكرون** له على ذلك. أو أن يكون قوله: **كذلك سخّرناها لكم**،[12] أي مثل الذي وصفته لكم كل ذلك من تسخيره[13] إياها لكم. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: اعتراني.
[2] ر ع م – وعرني.
[3] ن ع: واعتراني وعراني. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٣.
[4] ن: من.
[5] ن: أو اعترى.
[6] ع: قال.
[7] م: صوافن.
[8] ع: صورا.
[9] قارن: *تفسير ابن عباس*، ٣٦١ (قال: القانع المتعفف، والمعتر السائل).
[10] ع + عز وجل.
[11] ر ن – ما ذكر.
[12] ر ع م – ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون له على ذلك أو أن يكون قوله كذلك سخرناها لكم.
[13] ر م: تسخيرها.

﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٧]

وقوله: **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لن يقبل الله ذلك إلا ممن[١] كان من أهل التقوى؛ لا يقبلها من أهل الكفر، لأنهم قد كانوا ينحرون البُدْن في الجاهلية على[٢] ما ذكر،[٣] فأخبر أنه لا يقبل ذلك إلا ممن[٤] كان من أهل التقوى. وهو كقوله: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.[٥] والثاني أن يكون قوله: **لن ينال الله**، أي لن يُرفع إلى الله إلا الأعمال الصالحةُ الزاكية وما كان بالتقوى؛ وأما ما كان غيرها فإنه لا يُرفع ولا يصعد بها. وهو ما قال **ولكن يناله التقوى منكم**. وقال بعض أهل التأويل: ذكر هذا، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البُدْن نضحوا بدمائها حول البيت ويقولون: "هذا قربة إلى الله." فأراد المسلمون أن يصنعوا مثل صنيعهم فنزل: **لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخَّرها لكم**، قد ذكرنا[٦] [في التسخير] ما ذكرنا.

وقوله:[٧] **لتُكبِّروا اللهَ على ما هداكم**، أي لِتَصِفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم من أسباب تسخير البُدْن التي بها يوصل إلى الانتفاع بها من أنواع الانتفاع،[٨] إذ لولا ما هدانا الله وعلّمنا من الأسباب التي بها تُسخّر وتذلل، وإلا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها ولشدتها وصلابتها. والثاني بأن يكون قوله: **على ما هداكم**، من أمر الدين والهدى.

وقوله: **وبشر المحسنين**، يخرج قوله: **المحسنين**، على وجوه. أحدها محسنين إلى أنفسهم، أو المحسنين[٩] إلى إخوانهم، أو الذين حسن أفعالهم وصلح أعمالهم.[١٠] فأما **المحسنين** إلى الله فلا يحتمل. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: من، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
[٢] ر ن م – على.
[٣] ر ع م: ذكرنا.
[٤] جميع النسخ: من والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
[٥] سورة المائدة، ٢٧/٥.
[٦] ن – قد ذكرنا.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ن – من أنواع الانتفاع.
[٩] م: لا المحسنين.
[١٠] ن: عملهم.

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٣٨]

وقوله:[١] **إن الله يدافع عن الذين آمنوا**، وفي بعض القراءات:[٢] "إن الله يَدْفَعُ عن الذين آمنوا" بغير ألف.[٣] وتأويل "يدفع"، أي يدفع **عن الذين آمنوا** جميعَ شرور الكفرة وأذاهم. وتأويل **يدافع**، أي يدافع الكفار عنهم وينصر[٤] المؤمنين عليهم. وكأن قوله: **يدافع عن الذين آمنوا**، إنما نزل بمكة وعدًا[٥] للذين آمنوا هنالك النصرَ والدفع عنهم في حال قلتهم وضعفهم وكثرة[٦] أولئك / الكفرة وقوتهم. وهنالك كانوا كذلك أعني بمكة قليلا ضعفاء. ويكون نزول [٤٩٧و] قوله: **إن الله لا يحب كل خَوَّان كفور**، بالمدينة، لأنه هنالك كان أهل خيانة،[٧] لأنهم كانوا أهل كتاب[٨] اؤتُمِنوا[٩] على رسالة محمد وأشياء فخانوهم وكتموها، و لم يكن يومئذ بمكة أحد منهم. إنما كانوا جميعا أهل شرك، فيشبه أن يكون ما ذكرنا. أو[١٠] يكون قوله: **إن الله لا يحب كل خَوَّان كفور**، بإزاء ما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١١] فأخبر أنه **لا يحب كل خَوَّان كفور** على [خلاف] ما يقولون، بل يبغضهم.

وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنه ينصرهم ويدفع عنهم أذاهم وشرهم وأنهم خَوَنَة، فكان على ما أخبر، فدل أنه بالله عرف ذلك.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله:[١٢] **أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا**، قال بعض أهل التأويل: إن المشركين كانوا لا يزالون يؤذون أصحاب رسول الله ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتالهم[١٣] بعدُ،

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر: القرأت.
[٣] قرأه هكذا ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٦).
[٤] ر م: بنصر.
[٥] جميع النسخ: وعد، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧و.
[٦] ر: وكثيرة.
[٧] ر م: أهل الخيانة.
[٨] ع: أهل الكتاب.
[٩] ن: واوتمنوا؛ م: تمنوا.
[١٠] ع: أو أن.
[١١] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[١٢] ع + عز وجل.
[١٣] ر: وابتعاثهم.

فلما هاجروا إلى المدينة أمروا بقتالهم بقوله: **أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا**. قال بعضهم: إنه[١] لم يكن لهم الأمر بقتالهم ولا الإذن[٢] حتى أذنوا وأمروا بذلك[٣] فقال أولئك: لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا؟ فأخبر أنهم أذنوا وأمروا بالقتال معهم، والله أعلم بذلك. وظاهره أنه كان هنالك منع عن القتال حتى أُذنوا وأُمروا ولكن لا ندري لأية جهة كان ذلك، ***والله أعلم***.[٤]

وقوله: **وإن الله على نصرهم لقدير**، ظاهر على ما أخبر.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٤٠]

وقوله:[٥] **الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**، قال بعض أهل التأويل: أخرج الكفار أصحاب رسول الله من مكة بغير حق بأن قالوا: ربنا الله،[٦] وآمنوا به ووحّدوه، لهذا ما أخرجوهم. وقال بعضهم: على التقديم والتأخير، يقول: كأنه قال: أُذِنَ لِلَّذِينَ[٧] ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حق أن يقاتلوهم إلا أن يقولوا ربنا الله، فإذا قالوا ذلك يُرْفَع عنهم القتال، لأن أهل مكة كانوا لا يُقرّون بالله ولا يؤمنون[٨] به، فإذا قالوا ذلك وأقروا[٩] أنه ربهم رُفع عنهم القتال. وأما من يقر به ويصدقه لكنه ينكر رسالة محمد ونبوته، فما لم يقرّ بها ولا يصدق بها فإن القتال لا يرفع عنهم. ومن يقرّ به ويصدقه بأنه رسوله إلا أنه ينكر الشرائع فإنه يقاتَل حتى يُقِرَّ بها ويصدق بها، فإذا أقر بها رُفع عنهم القتال. وذلك كله روي في الخبر أنه قال[١٠] صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله،

---

[١] ع م: انهم.
[٢] ع: ولا إذن.
[٣] ر ن م: حتى أمروا بذلك وأذنوا.
[٤] ع – فقال أولئك لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فأخبر أنهم أذنوا وأمروا بالقتال معهم والله أعلم بذلك وظاهره أنه كان هنالك منع عن القتال حتى أذنوا وأمروا ولكن لا ندري لأية جهة كان ذلك والله أعلم.
[٥] ع + عز وجل.
[٦] ر ع م – الله.
[٧] الآية السابقة.
[٨] م: ولا يؤمنوا.
[٩] ع + به.
[١٠] ر + محمد.

فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها.»[1] وفي خبر آخر: «حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا.»[2] وفي خبر آخر: «حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة، إلى آخر ما ذكر.»[3] فالأول للذين لا يقرون بوحدانية الله، فإذا أقروا به رفع عنهم القتال. والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة، فإذا آمنوا بها رفع عنهم القتال. والثالث في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله، لكنهم ينكرون الشرائع، فإذا أقروا بها رفع عنهم القتال. كانوا أنواعا ثلاثة على ما ذكرنا، فجاء في كل فريق ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **ولولا دَفْعُ الله الناس بعضَهم ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ**، إلى آخر ما ذكر؛ وقال في آية أخرى: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ،[4] وفي موضع آخر: لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[5] ونحوه. قال بعضهم: دفع بالنبيين عن المؤمنين، ودفع بالمجاهدين عن القاعدين، ما لو لم يدفع لهُدِّمَت كذا وما ذَكَر، أي دفع بالأخيار عن الأشرار؛ وبالأَخْيَرَ عن الأَدْوَن، وإلا لهُدِّمت وفسد ما ذكر. وقال بعضهم: لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي، وبمن يصوم عمن لا يصوم، وبمن يحج عمن لا يحج، وبمن يُزكِّي عمن لا يُزكِّي، وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل، وإلا لفسدت الأرض ولَهُدِّمت الصوامع وما ذَكَر. وعلى ذلك روي[6] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه صلى بأهل دمشق صلاة الصبح، فقال: "لو يعلم الناس ما في هذه الصلاة من الخير لحضروها" ثم قال: "لولا أن الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها، وبالغُزَاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قُبُلا"، أو كلام نحو هذا. وقال الحسن: إن في الصوامع والبِيَع والكنائس من الرهبان والأحبار[7] من[8] يتمسك بالإسلام وشرائعه،

---

[1] صحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٠٤.

[2] ع + وفي خبر آخر حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا. صحيح *البخاري*، الإيمان ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.

[3] صحيح *البخاري*، الإيمان ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.

[4] سورة البقرة، ٢/٢٥١.

[5] غير أن الموضوع مختلف في هذه الآية: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ (سورة المؤمنون، ٧١/٢٣).

[6] ر – روي.

[7] ن: والأخبار.

[8] ر ن م + من.

فيدفع بهم عمن لا يتمسك منهم.[١] وقال بعضهم: لولا دَفْعُ الله بأهل هذا الدين، أي الإسلامِ عن الأديان[٢] كلها لكان كذا. وقال بعضهم: دَفَع بالمسلمين عن مسجدهم، وبالنصارى عن بِيعَتهم، وباليهود عن كنيسهم. إلى هذا ذهب أهل التأويل والمتقدمون.

ولو قيل غير هذا كان أشبه وأقرب، وهو أن الله خلق هذا الخلق وجعل[٣] بعضهم عونا لبعض ورِدْءًا في أمر المعاش والدين جميعا، وجعل منافع بعضهم[٤] متصلة ببعضٍ ما لو كلَّف كلًّا[٥] القيام بنفسه فيه[٦] لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك؛ نحوَ أن لم يكلِّف[٧] أحدا القيام بجميع ما يحتاج إليه من الحِراثة والزراعة والحصاد والدِّياس[٨] والتَّذْرية[٩] والطَّحن والخَبْز وغيره ما لو كلِّف واحدا القيامَ[١٠] بنفسه بذلك كله لهلَك، ولكن جعل / بعضهم عونا لبعض وردءًا لهم ولانتفاع [٤٩٧ظ] بعضهم ببعض. وكذلك الغزل والنسج والخِياطة والقطع والغسل، كلُّه على هذا القياس ما لو كلف كلًّا[١١] بنفسه القيام بذلك كله[١٢] لهلكوا، فإذا هلكوا[١٣] هلك ما لهم خُلق من السماوات والأرض وما فيهما وما سخِّر لهم. وقال بعضهم: دَفَع بما يذكر أهل المساجد في المساجد من اسم الله عن أهل الصوامع والبِيَع والكنائس. وهو قريب ما ذكرنا[١٤] من قبل.[١٥]

---

[١] لم أجده.

[٢] ر م – أي الإسلام عن الأديان.

[٣] ر م: وقال.

[٤] ر ع م: بعضهم منافع.

[٥] ر: واكلا.

[٦] ع: بذلك كله.

[٧] ر ن ع: أن يكلف.

[٨] الدائس الذي يَدُوسُ الطعامَ ويَدُقُّه ليُخرِجَ الحَبَّ منه، وهو الدِّياسُ، وقلبت الواو ياء لكسرة الدال (*لسان العرب*، «دوس»).

[٩] ذَرَت الريحُ الترابَ وغيرَه تَذْرُوه وتَذْريه ذَرْوًا وذَرْيًا وأَذْرَتْهُ وذَرَّتْه: أطارَتْه وأَذْهَبَتْه. ومن هذا تَذْرِية الناس الحِنْطَة، وأذْرَيتُ الشيء، إذا ألقَيته مثل إلقائك الحَبَّ للزَّرع (*لسان العرب*، «ذرو»).

[١٠] ر م – واحدا القيام.

[١١] ر م – كلا.

[١٢] ع – ولكن جعل بعضهم عونا لبعض وردءا لهم ولانتفاع بعضهم ببعض وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف كلا بنفسه القيام بذلك كله.

[١٣] ر ن م: ولو هلكوا.

[١٤] ن: ما ذكرنا.

[١٥] قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود –وهي كنائسهم– ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا، لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب» (*تفسير الطبري*، ١٧/١٢٦).

ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات. قال[1] بعضهم: الصوامع للراهبين،[2] والبِيَع للنصارى، والصلوات الكنائس التي تكون[3] لليهود، والمساجد للمسلمين. وقال بعضهم: الصوامع للراهبين والبيع للنصارى و[4] الصلوات للصابئين. وقال القُتَبِي: الصوامع للصابئين، والبِيَع للنصارى، **وصلواتٌ** بيوت صلوات اليهود، والمساجد للمسلمين.[5] وقال أبو عوسجة: الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى، مصلاهم، والصلوات لليهود وهي شبه[6] البيعة على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله:[7] **ولينصرَنَّ الله من ينصرُه**، أي من نصر دين الله نصره الله، أو[8] من نصر أولياء الله نصره. وقال الحسن: مِن حُكمِه أن من نصر[9] اللهَ نَصَرَه. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع.

وقوله: **إن الله لقوي عزيز**، يحتمل **قوي** لنصر أوليائه، **عزيز** لانتقام أعدائه. أو[10] أن يكون قوله: **لقوي عزيز**، أي قوي فيَتضعُف كل قوي من دونه عند قواه، ويَذِلّ كل عزيز عند عزه. أو[11] **قوي**، لا قوي سواه،[12] **عزيز**، لا عزيز سواه.

وفي [قوله:] **ولولا دَفْع الله الناس بعضهم ببعض لهدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات** وما ذكر دلالةُ ترك هدم الكنائس والبيع وما ذَكَر، والنهيُ عن هدمها، لأنه ذكر الصوامع والبيع. وعلى ذلك تركت الكنائس والبيع في أمصار المسلمين لم تُهْدم. ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك، وإنما[13] يمنعون عن إحداث البِيَع والكنائس في أمصار المسلمين وقراهم، وأما العتيقة منها فإنهم يتركون ذلك.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ر ع م: وقال.
[2] ع: للبراهين.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] ر ع م – الصوامع للراهبين والبيع للنصارى و.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٣.
[6] ع: أشبه.
[7] ع + عز وجل.
[8] ر م – من نصر دين الله نصره الله أو.
[9] ر م: نصره.
[10] ر: و.
[11] ن م: و.
[12] ن: به بسواه.
[13] ع: إنما.
[14] جميع النسخ: وذلك، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٧ظ.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٤١]

وقوله:[١] **الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوُا الزكاة** إلى آخره، قال بعضهم: هذا نعت من الله لأصحاب رسول الله ومن تبعه ومدحٌ لهم بالدوام على دين الله الذي[٢] قبلوه وأخذوه في حال الخوف بعد ما مكَّن لهم في الأرض وآمنهم من ذلك الخوف الذي كان في الابتداء، وأخبر أنهم داموا على ذلك و لم يتركوا ما كانوا عليه، بل زاد لهم حرصا على ذلك وجهدا. وكذلك الآية التي ذكرت[٣] في سورة النور، وهو قوله: وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، إلى آخر الآية.[٤] فإن كان التأويل هذا فهو يرد على الروافض قولهم ومذهبهم، لأنهم يقولون: إنه[٥] لما وُلِّي أبو بكر [بإجماعهم عليه][٦] ارتدُّوا جميعا[٧] وتركوا[٨] الدين الذي اختاروه. فالآيتان[٩] تدلان على نقض قولهم: "إنهم ارتدوا." لأن الله عز وجل أخبر أنه مكَّن لهم في الأرض واستخْلَفهم ووعد لهم الجنة. وإنما ارتد من كان إسلامه بالقهر والغلبة، فإذا مكَّن لهم تركوا ذلك. وقال بعضهم: إن الآية وإن كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة أمرٌ، أنِ افعلوا كذا إلى آخر ما ذكر. وهو كقوله:[١٠] **ولله عاقبة الأمور**. يحتمل قوله: **عاقبة الأمور**، أي ترجع إليه الأمور في الآخرة، كقوله: وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.[١١] وجائز أن يكون قوله: **عاقبة الأمور**، أن تكون[١٢] عاقبة الأمور لأوليائه من النصر والقهر على أعدائه. فالمراد بالإضافة إليه أولياؤه، كقوله: إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[١٣] أي إن[١٤] تنصروا أولياءه أو[١٥] دينه ينصركم. ***والله أعلم.***

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ر ن: الذين.

[٣] جميع النسخ: ذكر.

[٤] ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكِّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليُبدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمنا﴾ (سورة النور، ٥٥/٢٤).

[٥] ع: إنما

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٨و.

[٧] أي صاروا مرتدين على زعمهم.

[٨] ع: وتركوه.

[٩] ع: في الآيتان.

[١٠] ن + وقوله ولله عاقبة الأمور؛ م + وقوله.

[١١] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢١٠/٢؛ وسورة آل عمران، ١٠٩/٣.

[١٢] جميع النسخ: أن يكون.

[١٣] سورة محمد، ٧/٤٧.

[١٤] ع – إن.

[١٥] ن ع + تنصروا.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾[٤٢] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾[٤٣] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٤٤]

وقوله:[١] **وإن يكذِّبوك فقد كذَّبت قبلهم قومُ نوح**، الآية، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **وإن يكذِّبوك** فيما أخبرتَ لهم وذكرت من التمكين والثبوت على الدين ووعدتَ[٢] لهم الجنة **فقد كذَّبت**[٣] الأمم الذين[٤] من قبلك رسلَهم إذا أخبروا لهم بشيء أو وعدوا لهم بنصر أو نحوه.[٥] وجائز أن يكون قوله: **وإن يكذِّبوك**، في الرسالة وفيما تخبر عن الله تعالى من الأخبار. يصبِّر رسوله: لست أنت بأول مكذَّب في الخلق، ولكن قد كذب الأقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة. وهو ما قال: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ،[٦] الآية.

وقوله: **فأمْلَيْتُ للكافرين ثم أخذتُهم فكيف كان نكيرِ**، أي لم يعاقب الله قوما كذبوا رسلهم[٧] وقت تكذيبهم الرسل،[٨] بل أمهلهم حتى اغتروا بتأخير العذاب عنهم وزاد[٩] لهم تكذيبا وعنادا، فعند ذلك أُخذوا وعوقبوا بالتكذيب. وهو ما أخبر عنهم، وهو كقوله: لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ.[١٠]

قال الحسن: إن الله لم يهلك قوما بأول التكذيب، ولكن أمهلهم قرنا فقرنًا وقوما بعد قوم ورسولا بعد رسول، فعند ذلك إذا علم منهم أنهم لا يؤمنون أهلكهم. وإن كان يعلم في الأزل من يؤمن منهم ومن لا يؤمن، حتى يعلم عِلمَ ظهور وعلمَ ابتلاء أنهم لا يؤمنون، وهو كقوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ،[١١] على ظهور في الخلق، وإن كان يعلم علم باطن وخفيٍ.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ع: ووعد.
[٣] ر ع م + لهم.
[٤] ع: الذي.
[٥] ر: بنصروا ونحوه.
[٦] سورة هود، ١٢٠/١١.
[٧] ن ع: رسولهم.
[٨] ن ع: الرسول.
[٩] أي الله عز وجل.
[١٠] ﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهُوا عنه ويَتَنَاجَوْن بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حَيَّوْك بما لم يُحَيِّك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ (سورة المجادلة، ٨/٥٨).
[١١] ﴿ولنبلُوَنَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[٤٥]

وقوله:[١] **فكأيِّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة،** لم يهلك الله عز وجل أهل قرية إهلاك استئصال وتعذيب إلا بعد عناد أهلها وظلمِ شركٍ،[٢] كقوله: وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا / ظَالِمُونَ،[٣] وكقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ،[٤] وأمثاله كثيرة[٥] على ما ذكرنا. [٤٩٨و]

وقوله: **فهي خاوية على عُرُوشها،** فإذا ذهبت السُّقُف وبقيت الحيطانُ **فهي خاوية على عروشها.** وقال بعضهم: **خاوية،** خَرِبة ساقطة حيطانها على سقوفها. وقال الحسن: العريش كل ما ارتفع من الأرض وعلا. يقال: عريش،[٦] وعروش جميع.[٧] وهكذا كان ما أهلك الله من القرى؛ منها ما أهلك أهلها وترك القرى والبنيان[٨] على حالها لأوليائها. من ذلك فرعون وقومه[٩] وغيرهم[١٠] من الأقوام. ومنها ما أهلك القرى بأهلها لم يترك منها شيئا من نحو قَرَيَات لوطٍ وثمودَ وعادٍ وهؤلاء.[١١] وقال بعضهم: العروش[١٢] هي أجذام[١٣] البنيان والشجر،[١٤] وكأنها أسطوانة. وأصل الخاوية خلاؤها عن الأهل. وكذلك قوله: **وبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ،** عطَّلها أهلها ليس بها أحد، لا أنها[١٥] خَرِبت على ما ذكرنا[١٦] من إهلاك أهلها.

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر: ترك.
[٣] سورة القصص، ٥٩/٢٨.
[٤] سورة هود، ١١٧/١١.
[٥] جميع النسخ: كثير.
[٦] ر ع م: عرش.
[٧] ر م: جمع.
[٨] ن: والبينات.
[٩] ر: وقوله.
[١٠] جميع النسخ: وغيره، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٨ظ.
[١١] ع: وهود.
[١٢] ر ع م: العرش.
[١٣] جِذْم كل شيء: أصله. والجمع أجْذام وجُذُوم. وجذْم الشجرة: أصلها وكذلك من كل شيء (*لسان العرب*، «جذم»).
[١٤] ر م: هي أجذام الشجر. أي أصولها (انظر: *الشرح*، ورقة ٥٠٨و).
[١٥] ع: إلا أنها.
[١٦] ر: على ذكرنا.

وقوله: **وقصرٍ مَشِيدٍ**، قال بعضهم: **مشيد**، مُجَصَّص، والشِّيد الجصّ. وقال بعضهم: **مشيد**، أي مرتفع. والمُشيَّد بالتشديد المطول المرتفع. قال القُتَبي: المَشِيد: المبني بالشِّيد وهو الجص، والمُشيَّد المطول. ويقال: هما سواء، وهو مطول.[1] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة، أو قريبا منه.[2]

وكأنه ذكر هذا لأهل مكة لوجهين. أحدهما أن كانت لهم قرية فيها قصور مشيَّدة مُحَصَّنة يتحصنون بها، يخبر أن من كان قبلكم [كان] أشد قوةً وأكثر حِصْنا وقصورًا، فلما كذَّبوا رسلهم لم ينفعهم ذلك ولكن نزل بهم العذاب. فعلى ذلك أنتم يا أهل مكة، إذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك. أو أن[3] يكونوا آمنين فيها مطمئنين، فقال: إن أولئك قد كانوا آمنين مطمئنين في قُراهم كأمْنِكم، ثم نزل بهم ما نزل، فأنتم وإن كنتم آمنين فينزل بكم ما نزل بأولئك. وهو ما قال عز وجل: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً،[4] الآية. ***والله أعلم.***

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٤٦]

وقوله: **أفلم يسيروا في الأرض**، هلا ساروا في الأرض، **فتكون لهم قلوب يعقلون بها**، ينظروا فيعرفوا[5] ما حلَّ بأولئك بالتكذيب، فيمتنعوا[6] عنه. **أو آذان يسمعون بها**، أي أفلم[7] يسيروا[8] فيستمعوا إلى الأخبار التي فيها ذكر هلاكهم وما نزل[9] بهم بالتكذيب والعناد. لأن ما حلَّ بالأولين إنما يُعرف ذلك بأحد أمرين:[10] إما بالمعاينة بالنظر إليهم،

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٤.

[2] ر م - منه.

[3] ر: وأن.

[4] ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[5] ر ع م: ليعرفوا.

[6] ر ن م: فيمتنعون.

[7] جميع النسخ: لم.

[8] ر ع م: أي يسيروا.

[9] ع: وما ترك.

[10] ن: بأحد الأمرين.

وإما بالسماع من الأخبار. أو أن يكون قوله: **أفلم يسيروا في الأرض**، أي[1] قد ساروا في الأرض، لكن لم تكن **لهم قلوب**، عقول أو أفهام **يعقلون بها** ما نزل بأولئك بالتكذيب فيعتبروا بذلك؛ ولا كانت لهم آذان يسمعون ما حل بهم. أي كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر، وآذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع، لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم وأسماعهم نفى ذلك عنهم. وهو ما قال: **فإنها لا تَعْمَى الأبصار**[2] الظاهرة **ولكن تَعْمَى القلوب التي في الصدور**. وهو ما نَفَى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها؛ صُمّ بُكْم عُمْي.[3]

وقال بعضهم: هذه الآية في شأن عبد الله بن زائدة ابن أم مكتوم الأعمى،[4] معناه أن العَمَى عَمَى القلب[5] ليس عمى البصر. وهو كان أعمى البصر لا أعمى القلب.[6] هذا معناه إن ثبت، *والله أعلم*.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤٧]

وقوله: **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده**، أي لن يخلف الله وعده الذي وعد في نزول العذاب أنه[7] ينزل بهم لا يتقدم ولا يتأخر عن ميعاده.

وقوله: **وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون**، قال عامة أهل التأويل نحو ابن عباس والضحاك والمجاهد وهؤلاء: إنها هي الأيام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها أجلا لها،

---

[1] ر ن م - أي.

[2] ن + الأبصار.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

[4] عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ت ٢٣هـ/٦٤٣م): هو ابن أم مكتوم الأعمى المؤذن. أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد مصعب بن عمير؛ وقيل: قدِمها بعد بدر بيسير. وكان يؤذِّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مع بلال. وكان النبي يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته وفي مسيره إلى حجة الوداع. حضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة، وقتل بها شهيدا. وقال الواقدي: رجع من القادسية إلى المدينة، فمات ولم يسمع له بذكر بعد وفاة عمر بن الخطاب (انظر: *أسد الغابة* لابن الأثير، ٤/٢٦٣؛ *والأعلام* للزركلي، ٥/٨٣).

[5] ر: عمى القلوب.

[6] جميع النسخ: عمى البصر لا عمى القلب، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٨و.

[7] ر م: أي.

يُعدّ كل يوم من تلك الأيام كألف سنة. وإلى هذا صرف عامة أهل التأويل، فلا نعلم[١] لذلك[٢] وجها.[٣] وقال بعضهم: **وإن يوما عند ربك**، من عذابهم في الآخرة، **كألف سنة مما تعدُّون**، في الدنيا، اليومُ الواحدُ ألفُ سنةٍ. ووجه هذا أن الوقت القصير القليل يجوز أن يصير مديدا طويلا لشدة العذاب والبلاء، نحو ما قيل لهم: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ.[٤] قصّروا[٥] مُقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون هذا لا للتوقيت والمدة، إذ الآخرة مما لا غاية لانتهائها، وكل شيء لا نهاية له[٦] فذكر الوقت له يخرج مخرج التمثيل لا التوقيت، كقوله: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[٧] وقال: عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[٨] ليس على التحديد لها والتوقيت، ولكن على ما خرج عن الأوهام ذكَر ذلك ومثّلها بها، فعلى[٩] ذلك الأول. ***والله أعلم***.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٤٨]

وقوله:[١٠] **وكأيّنْ من قرية أمليْتُ لها وهي ظالمة**، أي أمهلت لها[١١] لم آخُذْها وقت ظلمهم، **ثم أخذتُها** من بعد، **وإليّ المصير**.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤٩]

وقوله:[١٢] **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**، هو ظاهر، قد ذكرنا في غير موضع.

---

[١] ع: فلا نعم.
[٢] ر ع م: ذلك.
[٣] ع م – وجها.
[٤] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٢-١١٣. جميع النسخ: ﴿كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾، ولكن لا يوافق مع قصد المؤلف رحمه الله ولا سياق العبارة.
[٥] جميع النسخ: قصر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.
[٦] م – وكل شيء لا نهاية له.
[٧] ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢١).
[٨] ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٣).
[٩] ن: فعل.
[١٠] ع + عز وجل.
[١١] ر ع: أو أمهلت؛ م: أو أمليت.
[١٢] ع + عز وجل.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٥٠]

وقوله:[١] **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**، لذنوبهم ومعاصيهم. **ورزق كريم**، قال بعضهم: سماه رزقا كريما، لأن من رُزق ذلك وأُعطي يَكرُم ويعظم قدره. وقال بعضهم: سماه كريما، لأن الكريم هو الذي يُقضَى عنده الحوائج / والحاجات، فعلى ذلك هذا الرزق: [٤٩٨ظ] من ناله وأصاب قضى عنده الحوائج، لذلك سمى كريما. ***والله أعلم.***

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٥١]

وقوله:[٢] **والذين سعوا في آياتنا معاجزين**، وفي بعض القراءات[٣] "مُعَجِّزين".[٤] قال بعضهم: **معاجزين**، مُثَبِّطين مبطِّئين، يبطِّئون[٥] الناس عن اتباع النبي. والأشبه عندنا أن يكون قوله: **معاجزين**، سابقين فائتين، لكنه على الإضمار، كأنه قال: **والذين سعوا في آياتنا معاجزين** على ظن منهم أنهم سابقون فائتون عن عذابه، **أولئك أصحاب الجحيم.**

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٢]

وقوله:[٦] **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍ إلا إذا تمنَّى**، أي تلا، **ألقى الشيطان في أُمْنِيَّته**، قيل: في تلاوته وقراءته،[٧] الآية.

قال عامة أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم **إذا تمنى**، أي تلا في صلاته أو حدّث نفسه[٨] **ألقى الشيطان** على لسانه عند تلاوته وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، حتى إذا أتى[٩] إلى قوله:

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ع + عز وجل.

[٣] ر: في بعض القرات؛ م: في بعض القرآآت.

[٤] قرأه هكذا ابن كثير وأبو عمرو (انظر: *زبدة العرفان* للبالوي، ٩٦)؛ وفي حرف أبَيّ كذلك (انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ١٤٨). "معجزين" بمعنى أنهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان بالقرآن (*تفسير الطبري*، ١٧/١٣٠-١٣١).

[٥] ع: يتمطيئون.

[٦] ع + عز وجل.

[٧] ع: وقراته.

[٨] أي تفكر في شيء في نفسه (انظر: *الشرح*، ورقة ٥٠٨ظ).

[٩] ن: انتهى.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى:[1] "تلك الغَرانِيق العُلَى وشفاعتهن[2] ترتجي."[3] وذكروا[4] أنه أتاه على صورة جبريل[5] فألقى عليه ما ذكروا، ثم أتاه جبريل[6] فأخبر[7] النبيَّ بذلك فقال له: إنه لم يُنزِل عليه قط شيئا مثله، وأمثال ما قالوا. لكنه [غير صحيح، لأنه][8] لو كان ما ذكر هؤلاء كيف عرفه في المرة الثانية أنه جبريل[9] وأنه ليس بشيطان؟ ولا يؤمَن أن يَلْبِس عليه في وقت آخر في أمثاله.

وقال قتادة: إنه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يذكر[10] اللهُ آلهتهم[11] بعيب،

---

[1] سورة النجم، ٥٣/١٩-٢٠.

[2] ر ع م: شفاعتهن.

[3] ر ع م: ترجى. قال ابن حجر العسقلاني: «وقد أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق ... وقد تجرّأ أبو بكر بن العربي -كعادته- فقال: "ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها." وهو إطلاق مردود عليه. وكذا قول عياض: "هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نَقَلَته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده." وكذا قوله: "ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية." قال: "وقد بين البزّار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله. وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه." ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتدّ كثير ممن أسلم، قال: "ولم يُنقل ذلك." انتهى. وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً. وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح؛ وهي مراسيل يَحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعيّن تأويل ما وقع فيها مما يستنكر. وهو قوله: ﴿ألقى الشيطان﴾ على لسانه "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى." فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس منه؛ وكذا سهوًا، إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد، لمكان عصمته.» (*فتح الباري*، ٨/٤٣٩. وانظر: الحاشية الآتية من قريب).

[4] ر م: وتذكروا.

[5] م: جبرئل.

[6] ن: جبرئيل.

[7] ر ع م: فأخبره.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.

[9] ن: جبرئيل.

[10] جميع النسخ: أن يذكر، ولكن الواقع -أي ذكر اللهِ الآلهة بعيب على الدوام- والروايات المختلفة حول هذه الآية الكريمة تعضد ما قلنا؛ كما روى الطبري عن محمد بن كعب القُرظي قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يَسُرّه، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما غلُظ عليه من أمرهم؛ حين حدّث بذلك نفسه وتمنى وأحبه (*تفسير الطبري*، ١٧/١٣١-١٣٢).

[11] ع: الهتم.

فلما قرأ تلك الآية: وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ، قال: "إنهن الغَرانِيق العُلَى وإن شفاعتهن تُرتَجَى[1] عندهم"، يعني به عند أولئك الكفرة. وهم على ذلك كانوا يعبدونها.[2] وقال الحسن: إنه أراد بقوله: "تلك الغَرانِيق العُلى وشفاعتهن ترتجى" الملائكةَ، لأنهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء أن يشفعوا لهم يوم القيامة، فأخبر أن شفاعة الملائكة تُرتَجَى.[3] وهذان التأويلان أشبه من الأول.

والأشبه عندنا أن يكون على غير هذا الذي قالوا.[4] وهو أن قوله: **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنَّى ألقَى الشيطان في أُمْنِيَّتِه**، أي عند تلاوته القرآن[5] [ألقى الشيطان] في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجُّونه فيشَبِّهون بذلك على الأتباع ليتبعوهم. وهو نحو قولهم: إنه يُحَرِّم ما ذبحه الله ويُحِلُّ ما ذبح هو بنفسه؛[6] ونحو قولهم عند نزول قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[7] فقالوا: إن عيسى وعُزَيْرًا[8]

---

[1] ر ن م: ترجى.

[2] كما أشير إليه في آيات كثيرة حول نفي الشفاعة وماهية عبادة المشركين مثل: سورة البقرة، ٢/٢٥٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/٤٣؛ وسورة النجم، ٥٣/٢٣-٢٦.

[3] كما أشير في قوله تعالى: ﴿وكم من مَلَكٍ في السماوات لا تُغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٢٦).

[4] هناك آراء أخرى. قال ابن حجر العسقلاني: «وقد سلك العلماء في ذلك مسالك. فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سِنَة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته. وهذا أخرجه الطبري عن قتادة. ورده عياض بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم. وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره. ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ الآية (سورة إبراهيم، ١٤/٢٢). قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة. وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعَلِقَ ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا. وقد رد ذلك عياض فأجاد. وقيل: لعله قالها توبيخا للكفار. قال عياض: وهذا جائز، إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولاسيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا. وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله ﴿ومناةَ الثالثةَ الأخرى﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوا فيه﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦). ونسب ذلك للشيطان، لكونه الحامل لهم على ذلك. أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.» (*فتح الباري*، ٨/٤٣٩-٤٤٠).

[5] ع + أو في تلاوته القرآن.

[6] قال المؤلف رحمه الله في تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/١٢١: وقال بعضهم من أهل التأويل: ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكَرِ اسم الله عليه﴾ حين قالوا: ما قتلتم وذبحتم أنتم فتأكلونه، وما قتل ربكم (أي الميتة) فتحرمونه وأنتم تُعظِّمون ربكم (*تأويلات أهل السنة*، نشر الخيمي، ٢/١٦٩).

[7] سورة الأنبياء، ٢١/٩٧.

[8] ن – وعزيرا.

والملائكة عُبدوا دون الله فهم حصب جهنم إذن؛[١] ونحو صرفهم قوله: الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ،[٢] إلى حساب الجُمَّل،[٣] وأمثال هذا مما حاجُّوا رسول الله وجادلوه به، فأخبر أنه ينسخ مجادلتهم ومحاجتهم رسوله وأنه يُحكِم آياته،[٤] حيث قال عند قولهم: "إنه يُحِل ذبيح نفسه ويُحرِّم ذبيح الله" فبين أنه لم حرُم هذا و لم حلّ الآخرُ، وهو قوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ،[٥] ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه،[٦] فبين أنه إنما حل هذا بذكر اسم الله عليه، وحرم الآخر بترك ذكر اسم الله عليه. وبيّن في قولهم: إن عيسى عُبد دون الله والملائكة عبدوا دونه،[٧] فهم ليسوا بحصب[٨] جهنم حيث استثنى أولئك فقال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[٩] الآية. وأبطل[١٠] مجادلتهم ومحاجتهم بصَرْفهم[١١] الآية إلى حساب الجُمَّل بقوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ،[١٢] الآية. فهذا -والله أعلم- تأويل قوله: **فَيَنسَخُ الله ما يُلْقِي الشيطان ثم يُحكِم الله آياته**، نسخ ما ألقى الشيطان في قلوب أولئك الكفرة ما به جادلوه وأحكم آياته بما ذكرنا.

ثم إن ثبت ما ذكر ابن عباس وعامة من ذكرنا حيث قالوا: جرى على لسانه ذلك، فجائز عندنا جرْيُ الخطأ به على لسان من عُصم، إذا عرف السامع منه[١٣] مذهبه ودينه الذي يدين به عرف أن ما جرى على لسانه جرى[١٤] غلطا وخطأ، نحو من يعتقد مذهبا وينتحل نِحْلَة[١٥] فجرى على لسانه خلاف ما يُعرف منه [من] الاعتقاد، يُعرَف أنه جرى على لسانه غلطا.

---

[١] ن: إذا. انظر: *المستدرك* للحاكم، ٢/٤١٥. وانظر أيضا: تفسير سورة الزخرف، ٤٣/٥٧-٥٨.

[٢] سورة البقرة، ٢/١-٢.

[٣] انظر: تفسير الآية ١-٢ من سورة البقرة.

[٤] ر ع م: آيته.

[٥] سورة الأنعام، ٦/١٢١.

[٦] ﴿وما لكم ألّا تأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٩).

[٧] ع: دونهم.

[٨] ن: بحضب.

[٩] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١. ولكن المؤلف رحمه الله كان لم يقبل وجه الاستثناء (انظر: تفسير سورة الأنبياء، ٢١/٩٨).

[١٠] جميع النسخ: فأبطل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٠٩و.

[١١] ر ع م: فصرفهم.

[١٢] سورة آل عمران، ٣/٧.

[١٣] ن: من منه.

[١٤] ر م - على لسانه جرى.

[١٥] م: نخلة.

فعلى ذلك الذي ذكره أهل التأويل، إن ثبت ما ذكروا عنه أنه قال ذلك. والأشبه فيه ما ذكرنا من إلقاء الشيطان في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه، كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[1] الآية.

وقال القُتَبِي: **إلا إذا تمنى**، أي تلا القرآن، **ألقى الشيطان في أمنيته**،[2] أي[3] في تلاوته.[4] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة. وقال: أمانيّ -مشددةً- جميع. وقال غيرهم: **إذا تمنى**، إذا حدَّث [نفسَه]، **في أمنيته**،[5] في حديثه. قال بعضهم: **تمنى** و **أمنيته** هو من تمنّي النفس، كقوله: وَلَا تَتَمَنَّوْا،[6] الآية، ونحوه. وهو قول الحسن: **تمنى** كبعض ما يتمنّى[7] الناس من الدنيا. وقال قتادة: **تمنى**، ما ذكرنا من تمنّي النفس أن يذكر آلهتهم التي كانت تُدعَى وترتجى[8] شفاعتهن، على ما ذكرنا.[9] *والله أعلم*.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٥٣]

وقوله:[10] **ليجعل ما يُلْقِي الشيطانُ فتنة للذين في قلوبهم مرض**، هذا على[11] تأويل القوم **ليجعل ما يُلقِي الشيطان** في قلوب أولئك الكفرة **فتنة للذين**[12] ذَكَر، لما ظنوا لعله[13] لا يقدر الإجابة لهم ولا يحضره ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم. / *والله أعلم*. **في قلوبهم مرض**، [٤٩٩و] كأنهم هم المنافقون، لأنه هم الموصوفون المسمَّوْن بهذا الاسم، كقوله: وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.[14]

---

[1] سورة الأنعام، ١٢١/٦.

[2] ع - قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه كقوله إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم الآية وقال القتبي إلا إذا تمنى أي تلا القرآن ألقى الشيطان.

[3] ر: و؛ ع: أو.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٤.

[5] ر ع م: وفي أمنيته.

[6] ﴿ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ (سورة النساء، ٣٢/٤).

[7] ر م: تمنى.

[8] ر م: وترجى.

[9] لم أجدهما ولكن انظر لرواية -عن محمد بن كعب القرظي- تشرح لمثل هذه الأقوال: *تفسير الطبري*، ١٣١/١٧-١٣٢.

[10] ع + عز وجل.

[11] ر م - على.

[12] ع + في قلوبهم.

[13] ر: العلة.

[14] سورة الأحزاب، ١٢/٣٣.

وقوله: **والقاسيةِ قلوبُهم**، كأنهم هم[1] الرؤساء المكابرون المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون بقساوة[2] قلوبهم، كقوله: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً.[3]

وقوله: **وإن الظالمين لفي شقاق بعيد**، يحتمل، أي لفي عناد ومكابرة[4] بعيد عن الإجابة له، أو **بعيد**، لاستماع الحق وقبوله. وقيل: **شقاقٍ**، أي خلاف **بعيد**، أي لا يرجعون إلى الوفاق[5] أبدا.[6]

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٤] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[٥٥]

وقوله:[7] **وليَعْلَم الذين أوتوا العلمَ أنه الحق من ربك فيؤمنوا به**، وقوله:[8] **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه**، هذه الآية كالآيات التي ذكرناها فيما تقدم. من ذلك قوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،[9] الآية ونحوها من الآيات التي وصف أهل التوحيد بالقبول لها والخضوع والإقبال إليها، ووصف أهل الكفر بالرد والتكذيب. فعلى ذلك قوله: **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك**، علم الذين أوتوا العلم أن القرآن ومحمدا الحق من ربك، لأنهم نظروا إليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع له فأقروا به، فزاد لهم بذلك هدى ورحمة وشفاء؛ وأولئك نظروا إليه[10] بالاستخفاف والهوان[11] والتكذيب، فزاد لهم بذلك رجسًا وضلالا وقساوة.[12]

---

[1] ر ن م – هم.
[2] ر ع م: لقساوة.
[3] سورة البقرة، ٧٤/٢.
[4] ر: وفي مكابرة.
[5] ن + البعيد.
[6] ن – أبدا.
[7] ع + عز وجل.
[8] ع + عز وجل.
[9] ﴿فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩–١٢٥).
[10] ع – إليه.
[11] ر م: والهواء.
[12] م: وفسادا.

وقوله: **عذابَ يوم عقيم**، قال بعضهم: هو يوم بدر، وقال بعضهم: هو عذاب يوم القيامة، وهو شديد. وجائز أنه سماه عقيما، لأنه لا يرجي النجاة منه ولا الخير؛ وكذلك سميت المرأة التي لا تلد عقيما، لما لا يرجى منها الولد.

*قال القُتَبي: قوله: **فتُخْبِتَ له قلوبُهم**، أي تخضَع وتذِلَّ،[1] وهو ما ذكرنا في قوله: وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.[2] وقال: **عذاب يوم عقيم**، كأنه عقُم عن أن يكون فيه خير أو فَرَجٌ للكافر. وقال أبو عَوْسَجَة: **عذابُ يومٍ عقيم**، شديد. وهو ما ذكرنا.* [٤٩٩و س٢٦] [٤٩٩و س٢٨]

﴿اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٥٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٥٧]

وقوله:[4] **الملك يومئذ لله يحكم بينهم**، قال الحسن: الملك في الأحوال كلها لله في الدنيا والآخرة، لكن تأويل قوله: **الملك يومئذ لله**[5] هو يحكم بينهم دون الخلائق، لأن في الدنيا من قد حكم غيرَه، فأما يومئذ فالحكم له. وعندنا[6] تخصيص الملك له يومئذ[7] بالذكر -وإن كان الملك في الأيام كلها لله- لأنهم جميعا يُقِرّون[8] له بالملك يومئذ، لا أحد ينازع، وفي الدنيا من قد ادعى الملك لنفسه. وهو ما ذكره[9] في قوله: وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا،[10] وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ،[11] وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[12] ونحوه. فعلى ذلك[13] هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين**، ظاهرٌ تأويله.

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٤.
[2] سورة الحج، ٣٤/٢٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٩٩و/سطر٢٦-٢٨.
[4] ع + عز وجل.
[5] ن ع م + أي الحكم يومئذ لله.
[6] ر ن م: عندنا.
[7] ر ع م: يومئذ له.
[8] ن: ليقرون.
[9] ن: ما ذكرنا.
[10] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[11] سورة آل عمران، ٢٨/٣؛ وسورة النور، ٤٢/٢٤؛ وسورة فاطر، ١٨/٣٥.
[12] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢١٠/٢؛ وسورة آل عمران، ١٠٩/٣.
[13] ع: ملك.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا**، أما أهل التأويل فإنهم صرفوا تأويل الآية إلى الغزاة[١] والمجاهدين في سبيل الله قتلوا أو ماتوا حَتْفَ أنْفِهم[٢] فإن[٣] لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمُدْخل المَرضِيّ. وظاهره أن يكون في الذين هاجروا إلى رسول الله. فإن كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا: "ارتد عامتهم،" حيث شهد الله لهم بالجنة والرزق الحسن والمُدْخل المَرضِيّ، قُتلوا أو ماتوا حتف أنفهم،[٤] فلا يحتمل أن يكون منهم ما قالوا.*

وقوله: **لَيَرْزُقَنَّهم الله رزقا حسنا**، قيل: هو الجنة، لأنه إنما ذُكر بعد الموت والقتل، فلا يكون رزق حسن إلا في الجنة، يستحسنها كل طبع وعقل.

وقوله: **وإن الله لهو خير الرازقين**، أخبر أنه خير الرازقين[٦] وإن لم يكن رازق سواه، لأنهم كانوا يطمعون[٧] ويطلبون الرزق والسعة من عند مَن سواه، حيث كانوا يعبدون مِن دونه طمعا في السعة، فأخبر أنه هو الرزاق، ومنه يُطمَع الرزق والسعة، لأنه هو المالك لذلك. وهو ما قال أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[٨] وإن لم يكن خالق سواه.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[٥٩]

وقوله:[٩] **لَيُدْخِلَنَّهم مُدْخلًا يرضَوْنه**، وهو الجنة أيضا، يرضى بها كل طبع وعقل. **وإن الله لعليم حليم**، **عليم** بما صنع بأوليائه أعداؤه، أو ما صنع هو بأوليائه؛[١٠] **حليم**، حيث أخر الانتقام من أعدائه، لم ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا بأوليائه. *والله أعلم*.

---

[١] ع: إلى القراة.

[٢] ن م: حتف أنفسهم. مات فلان حَتْفَ أنفِه أي بلا ضرب ولا قتل؛ وقيل: إذا مات فجأةً (*لسان العرب*، «حتف»).

[٣] ع: فإنهم.

[٤] ن م: حتف أنفسهم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٥٤ و٥٥ فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٩٩و/سطر ٢٦-٢٨.

[٦] ن - أخبر أنه خير الرازقين.

[٧] ع: يطعمون.

[٨] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٤/٢٣).

[٩] ع + عز وجل.

[١٠] ع - أعداؤه أو ما صنع هو بأوليائه.

﴿ذٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٦٠]

وقوله:[١] **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه جائز في اللغة ذكر حرف "ذلك" وحرف "هذا" على الابتداء وإن كان هو[٢] مما يخبَر به عن غائب، نحو قوله: هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ،[٣] هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا،[٤] يستقيم ذكره بدون ذكر "هذا" وهو أن يقول: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ كذا، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ كذا، فعلى ذلك هذا. أو أن يكون ذكرُ ذلك صلة ما سبق من ذكر الأنباء والأخبار. يقول: **ذلك** الذي ذكرتُ لك وأنبأتك[٥] **من عاقب بمثل ما عوقب به**.

ثم اختلف في سبب نزول هذه الآية. قال بعضهم: هي في القصاص. إن[٦] من قتل وليَّ آخر فاقْتُصَّ منه، ثم إن / المقتص منه بَغَى على ولي المقتول فقتله، لَيَنْصُرَنَّه على من بُغِي عليه. وهو ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ، ثم قال: فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ كذا،[٧] لكن ذَكَر ههنا الاعتداء بعد ما أخذ المال وعفا؛ وفي الأول ذَكَر البغي بعد القصاص، وهو واحد، في المعنى.[٨] وقال بعضهم: نزل في المؤمنين والمشركين، وذلك أن المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدَوْا عليهم، ثم إن المسلمين ظَفِروا بهم فعاقبوهم جزاء عقوبتهم. ثم إن المشركين بغوا على المؤمنين، فوعد الله لهم النصر عليهم بعد البغي.[٩] وقال بعضهم قريبا من هذا، وهو أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ومن آمن منهم ويعاقبونهم في أشهر الحج، ولم يكن للمؤمنين إذنٌ بقتالهم في ذلك الوقت فيقاتلوهم[١٠] مكافأة لهم،

[٤٩٩ظ]

---

[١] ع + عز وجل.

[٢] ر ع م – هو.

[٣] سورة ص: ٤٩/٣٨.

[٤] ﴿هذا وإن للطاغين لَشَرَّ مَآب﴾ (سورة ص، ٥٥/٣٨).

[٥] ر: وأنباوك.

[٦] ر ع م – إن.

[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القَتْلَى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).

[٨] ر ع م: في معناه.

[٩] ن: بعد ما بغى.

[١٠] جميع النسخ: فقاتلوهم.

فأخبر الله عز وجل ووعد لهم النصر إذا بغى أولئك[1] عليهم من بعد. فعلى هذا التأويل يكون وعدُ النصر[2] لهم إذا بَغى أولئك عليهم من بعد. وعلى التأويل الأول يكون لهم الوعد بالنصر بعد ما بغى أولئك على هؤلاء. والله أعلم بذلك.

وقوله: **إن الله لعفو غفور**، للمؤمنين بقتالهم أولئك في أشهر الحج، حيث كان لم يأذن لهم بالقتال. أو **إن الله لعفو غفور**، إذا تابوا ورجعوا عما فعلوا. ***والله أعلم***.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٦١]

وقوله:[3] **ذلك بأن الله يُولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**، قد ذكرنا أن حرف "ذلك" يستقيم ذكره على الابتداء والاستئناف[4] على غير صلة. وجائز أن يكون صلة قوله: لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ،[5] أي ذلك النصر لمن ذَكَر، لأن من قدر على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل قادر على ما وعد من النصر لهم.

وقوله: **وأن الله سميع بصير**، **سميع** لأقوالهم، **بصير** لحوائجهم. والسميع يقال: هو المجيب، أي مجيب لدعائهم؛ **بصير** بما يكون من الأعداء. أو أن يكون على الابتداء في كل[6] أمر. وكذلك قوله:[7] ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ،[8] ما ذكرنا. وقال بعضهم: **ذلك بأن الله**، أي هو الذي يفعل هذا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٦٢]

وقوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، قال الحسن: الحق هو اسم من أسماء الله، به يعطي وبه[9] يحكم بين الخلق[10] وبه يقضي ونحوه. وجائز أن يكون قوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، أي عنده يتحقق ما يطمع في العبادة ويُطلَب، إذ هو المالك[11] لذلك.

---

[1] م – أولئك.
[2] م: وعدا للنصر.
[3] ع + عز وجل.
[4] ع م: والايتناف.
[5] الآية السابقة.
[6] ع: في ذلك.
[7] ر ع م – قوله.
[8] الآية التالية.
[9] م: ويحكم.
[10] ر م: بين الحق.
[11] ع + الذي.

وقوله: **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**، أي ما يطمعون[١] بعبادةِ مَن دونَه باطلٌ، وهو الأصنام التي عبدوها رجاء الشفاعة،[٢] أو طمعا في السعة، فأخبر أنها لا تملك ذلك وإنما يملك[٣] ذلك الله.

وقوله: **وأن الله هو العلي الكبير**، أي من عنده يطلب العلوّ، ومن عنده[٤] يطلب ويطمع الرزق والسعة والشفاعة والنصر والظفر والإجابة، لا من عند هؤلاء الأصنام التي يعبدونها. يذكر سفههم بعبادتهم الأصنام من دون الله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٦٣]

وقوله: **ألم تر**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ألم تر**، إنما هو حرف تعجيب يعجّب رسولَ الله جميعَ ما يفعل من أفعاله [عز وجل].[٥] وقال بعضهم: **ألم تر**، هو حرف إيضاح الحجج[٦] وإنارة براهينه، كقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[٧] ونحوه. وأصله أن ظاهره وإن كان استفهاما فهو في الحقيقة تحقيق وإيجاب. **ألم تر**، أي قد رأيت وقد أُخبرتَ.[٨] وهكذا جميع ما خرج الظاهر في الكتاب مخرج الاستفهام فهو في الحقيقة إيجاب وإلزام.

ثم في قوله: **أن الله أنزل من السماء ماء فتُصْبِح الأرض مُخْضَرَةً** وجهان من الاستدلال على منكري البعث. أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على إنزال الماء من السماء وشقِ الأرض وإخراج النبات منها مع لِينه وضَعفه وصلابة الأرض وشدتها قادرٌ[٩] على إحياء الخلق بعد الموت، ولا يحتمل أن يُعجِزه شيء. والثاني حيث قدر على إحياء الأرض بعد موتها[١٠] ويُبْسِها لَقادرٌ على البعث والإحياء. وقد عرفوا أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه، إذ يقدر[١١] على الإعادة من لا يملك على الابتداء إذا عرف الابتداء.

---

[١] ر ن م: تطمعون؛ ع: ما تطعمون.
[٢] ر: رجاء الشفاء؛ ن: رجا الشفاعة.
[٣] ر م – يملك.
[٤] ر م: من عنده.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٠و.
[٦] ن: الحج.
[٧] سورة الفرقان، ٤٥/٢٥.
[٨] ن: وأخبرت.
[٩] ن: قدر.
[١٠] جميع النسخ: بعد مواتها.
[١١] ر: أو يقدر؛ م: ويقدر.

وقوله: **إن الله لطيف خبير**، قال الحسن: اللطيف، في الشاهد إنما يقال على وجوه ثلاثة. أحدها أنه يقال للشيء لطيف لرقته، وذلك عن الله منفي. والثاني يقال[1] لطيف لما يتأتّى له الأشياء ولا يَصعُب عليه. والثالث اللطيف هو الرحيم الرءوف. وهذان الوجهان يضاف إلى الله، والأول لا يجوز[2] إضافته إليه. **خبير**، عليم.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٦٤]

وقوله:[3] **له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد**، يخبر أن له ما في السماوات وما في الأرض وأنهم عبيده وإماؤه، وأنه لم يخلقهم لحاجة نفسه، ولكن إنما خلقهم لحاجة أنفسهم، حيث أخبر أنه الغني بذاته. والثاني يخبر أنه لم يأمرهم و لم ينههم ولا امتحنهم لمنافع تكون له، ولكن لمنافع الممتحَنين. **الحميد**، هو المحمود في أفعاله،[4] أو **الحميد**، الحامد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٦٥]

وقوله:[5] **ألم تر أن الله سخّر لكم ما في الأرض والفُلْكَ تجري في البحر بأمره**، يذكِّرهم نعمه ليستأدي[6] به شكره، لأنه أخبر أنه سخّر لهم ما في الأرض من أنواع المنافع ليعلموا أنه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سُدًى، لأن من كان خلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا متروكا سُدى؛ ويخبر أنه أعطى لهم الأسباب التي بها يصلون إلى منافع الأرض مع شدتها وصلابتها، والأسبابَ التي بها يصلون إلى منافع البحر، وهي الفلك التي خلقها لهم ليصلوا بها إلى منافع البحر. حيث خلق الخشب / قارّةً على وجه الماء غير متَسَرِّبة وغيرَه من الأشياء [التي] من طبعها[7] التسفُّلُ والتسرُّب في الماء من[8] الحديد والحجر ونحوهما من الأشياء، ليعرفوا فضله ورحمته أن كيف ثبت وقَرَّ هذا على وجه الماء، و لم يثبت الحديد والحجر ونحوه. [٥٠٠و]

---

[1] ر ع م - يقال.
[2] م: يجوز.
[3] ع + عز وجل.
[4] جميع النسخ: في فعاله.
[5] ع + عز وجل.
[6] ر ع م: ليتأدى.
[7] ن + من.
[8] ع - من.

ثم ثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب، إذ السفن لا تخلو عن الحديد وبه يقوم السفن، ثم لم يتسرب. *والله أعلم.*

وقوله: **ويُمْسِكُ السماءَ أن تَقَعَ على الأرض إلا بإذنه**، أي يمسك السماء لا بالأسباب ولا بالأشياء[1] التي يمسك الأشياءَ في الشاهد. وهو ما قال: إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، الآية.[2] وقوله: **إن الله بالناس لرءوف رحيم**، أي من رأفته ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾[٦٦]

وقوله:[3] **وهو الذي أحياكم ثم يميتكم**، هذا قد ذكرناه. وقوله: **إن الإنسان لكفور**، جائز أن يكون قوله: **إن الإنسان**، أي الكافر، **لكفور** للبعث، أي جاحد له، أو **لكَفُور**[4] لربه في نعمه التي أنعمها عليه،[5] حيث ذكر أنه سخرها لهم في قوله: سَخَّرَ لَكُمْ[6] كذا، لأنه ينظر في النعم إلى أسبابه والحيل التي يحتال، لا إلى فضل ربه وإفضاله في تلك النعم. لذلك صار كفورًا لربه في نعمه. وأما المؤمن فأنه ليس ينظر إلى الأسباب والحيل فيها، ولكن ينظر إلى فضل الله وإفضاله وإنعامه عليه فيها فيكون شكورًا له فيها غير كفور.[7] والكافر ينظر إلى ما ذكرتُ لذلك كان ما ذُكِر.

وعلى المعتزلة [دليل] في قوله: **إن الإنسان لكفور**، لأنه يقول: هو[8] الذي سخر الفلك؛ وهم يقولون: لم يسخِّر الفلك، ولكن إنما سخَّر الخُشُب التي منها تُتَّخذ[9] الفلك، لأنهم لا يرون لله في فعل العباد تدبيرا ولا صنعا، وهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا. وهم داخلون في ظاهر هذه الآية على الوجه الذي ذكرنا.

---

[1] ن: وبالأشياء.
[2] سورة فاطر، ٤١/٣٥.
[3] ع + عز وجل.
[4] ر ع م: والكفور؛ ن: أو الكفور.
[5] ر: عليهم.
[6] الآية السابقة.
[7] ن + له.
[8] جميع النسخ: هذا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٠ظ.
[9] ن: يتخذ.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[٦٧]

وقوله:[١] **لكل أمة جعلنا مَنْسَكًا**، اختلف في المنسك. قال بعضهم: **منسكا**، أي جعلنا لكل أمة دينا يُدعون إليه، أي كل أمة تُدعى إلى دين واحد وهو دين الإسلام، وهو قول الحسن. وقال بعضهم: **لكل أمة جعلنا منسكا**، أي شريعة، فهذا على الاختلاف، أي جعلنا لكل أمة شريعةً على حدةٍ **هم ناسكوه**. ذلك كقوله: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.[٢] وقال عامة أهل التأويل: **منسكا**، أي ذبائح[٣] وعيدًا. قالوا: ذكر هذا -والله أعلم- لأن من الناس من ينكر أن يكون الذبح شريعة الله، فأخبر أن الذبح سنة الله وشريعته في الأمم كلها ليس على ما قالت الثَّنَوية.

وقوله: **فلا يُنَازِعُنَّكَ في الأمر**، على تأويل[٤] من يقول: إن المنسك هو الدين، أي لا يُخَالِجَنَّكَ في نفسك أن الذي أنت عليه هو دين الله، وادع الناس إليه. وعلى تأويل من يقول: هو الذبح، يقول: **فلا يُنَازِعُنَّكَ**، أي لا يَصُدَّنَّكَ عن الذبح من ينكر ذلك، كقوله: وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ.[٥]

وقوله: **وادع إلى ربك**، أي ادع إلى توحيد ربك، أو أن يكون قوله: **وادع إلى ربك**، إلى عبادة ربك وانههم عن عبادة مَن دونَه.

وقوله:[٦] **إنك لعلى هدى مستقيم**، هذا يدل أن التأويل الذي ذكرنا في المنسك -وهو الدين- أشبه وأقرب، لأنه ذكر **إنك لعلى هدى مستقيم**، فلا يَتَخَالَجَنَّ في نفسك شك في ذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦٨] **﴿اَللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[٦٩]

وقوله:[٧] **وإن جادلوك**، في أمر الذبيحة أو في الدين، وقد جادلوه في الدين كثيرا،[٨] لكن ذلك قاله[٩] -والله أعلم- عند إياسه عن توحيدهم وإسلامهم. يقول -والله أعلم- **وإن جادلوك**،

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] سورة المائدة، ٥/٤٨.
[٣] جميع النسخ: ذبايحا.
[٤] ر ع م: على التأويل.
[٥] ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٨٧).
[٦] ن: قوله.
[٧] ع + عز وجل.
[٨] ع: كثير.
[٩] ر ع م: قال.

في الدين والتوحيد[١] **فقل الله أعلم بما تعملون**. وهو كقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[٢] فعلى ذلك قوله: **الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**، من الدين.

قال بعض أهل التأويل: هذه الآية منسوخة، نسختها آية القتال،[٣] لأن فيها حَظْرا[٤] عن القتال والتركَ على ما هم عليه وتسليمَ الأمر إلى الله: يحكم بينهم يوم القيامة، لكن جائز ما ذكرنا أنه إنما قال ذلك عند الإياس منهم عن توحيدهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[٧٠]
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٧١]

وقوله:[٥] **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف "ألم" حرف يتوجه إلى وجوه: إلى التعجيب مرة، وإلى التنبيه والإيقاظ ثانيا، وإلى إيضاح الحجج والبراهين ثالثا.[٦]

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لم يُنَزِّل به سلطانا**، حججا وبراهينَ،[٧] **وما ليس لهم به علم**، يخبر عن سفههم أنهم يعبدون غير الله ولا سلطان ولا حجة لهم ولا لهم بذلك علم، لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب فيعلمون به. فيقول: إنهم يقولون: الله أمرهم بذلك[٨] ولا حجة لهم في ذلك ولا علم.

وفيه أنه إنما بعث الرسل إليهم على علم له منهم أنهم يكذبون الرسل، لأن من الناس من ينكر بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذبهم ويترك إجابتهم، كمن لا يبعث في الشاهد رسولا إلى من يعلم أنه يكذبه ولا يجيبه. فعلى ذلك يقولون: لا يجوز أن يكون الله يبعث الرسول إلى من يعلم

---

[١] ن: في التوحيد والدين.
[٢] سورة الشورى، ١٥/٤٢.
[٣] مثل سورة النساء، ٧٤/٤-٧٧؛ وسورة التوبة، ٥/٩.
[٤] ر م: خطرا.
[٥] ع + عز وجل.
[٦] ر ن ع + وقوله إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير.
[٧] جميع النسخ: وبراهينا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٠و.
[٨] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

أنه يكذبه ولا يجيبه. لكن[1] الله أخبر أنه على علم منهم بالتكذيب وترك الإجابة بعثهم، حيث قال: **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض**. وأما قولهم: إن من علم في الشاهد تكذيب المرسَل إليه رسولَه فإنه لا يبعثه إليه؛ لأن المرسِل إنما يبعثه لحاجة[2] نفسه ومنافعه، فإذا علم منه تكذيبه / وتَرْكَ الإجابة له لم يبعثه. فأما الله سبحانه وتعالى إنما يرسل الرسول لحاجة المرسل إليه ومنافعه، لا لحاجة[3] نفسه ومنفعته، فلا ضرر يلحقه في تكذيبه وجحوده،[4] فجائز إرساله[5] على علم منه بالتكذيب. [٥٠٠ظ]

وقوله: **إن ذلك في كتاب**، قال بعضهم: إن ذلك العلم في الكتاب الذي عنده. **إن ذلك على الله يسير**، يقول:[6] حفظه يسير على الله بغير كتاب، لا يصعب عليه حفظ شيء، لأنه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم. وإنما يَصعُب ذلك على من كان علمه بالشيء بسبب وتعليم.

وقوله: **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**، فيه دلالة رد قول القدرية، حيث قالوا: يكَذِّب من كذَّب الرسل[7] لا بإرادة الله، فذكر أنه على علم منه ذلك بعثهم. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يكذبون بالقدر،[8] سيكفيكم من الرد عليهم أن تقولوا: ألم تعلموا[9] أن الله يعلم ما في السماء والأرض.»[10] وتأويل هذا –والله أعلم– أن يسألوا فيقال لهم: أراد الله أن يَصْدُق في خبره الذي أخبر أو يَكْذب؟ فإن قالوا: أراد أن يصدق في خبره، لزمهم أن يقولوا: أراد جميع ما كان منهم. وإن قالوا: أراد أن يكذب خبره، فيكون كفرا محضا.

---

[1] ن: ولكن.
[2] ر م: الحاجة.
[3] ع: لا حاجة.
[4] م: وجحود.
[5] ر م: أرسله.
[6] ر: لقول.
[7] ن ع: الرسول.
[8] م: القدر.
[9] ن – ألم تعلموا.
[10] لم أجده؛ ولكن السيوطي قال: «أخرج ابن مردويه، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيفتح الله على أمتي بابا من القدر في آخر الزمان لا يسده شيء، ويكفيكم من ذلك أن تقولوا: ﴿ألم تعلموا أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾" وأخرج اللالكائي في السنة من طريق آخر عن سليمان بن جعفر القرشي مرفوعا مثله مرسلا» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٤/٦).

وقوله:[1] **ويعبدون من دون الله ما لم ينزِّل به سلطانا**، هو ما ذكرنا أنه يسفِّهُهم بعبادتهم دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم، وتركِهم عبادة الله مع الحجج والبراهين والعلم أنه إله وأنه ربهم مستوجب للعبادة.[2]

وقوله: **وما للظالمين من نصير**، ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله. ففيه دلالة إثبات رسالته عليه السلام، لأنه إنما قال ذلك للرؤساء منهم والقادة، فلم يتهيأ لهم نصرةٌ بشيء ولا رد ما قال بشيء، دل أنه بالله كان ذلك. *والله أعلم.*

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٧٢]

وقوله:[3] **وإذا تُتلَى عليهم آياتنا بينات**، يحتمل الآيات الحجج والبراهين، ويحتمل القرآنَ المنزل عليه. **تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر**، الإنكار وأثرَ العناد والرد[4] لآياته والكراهية والبغضَ له. **يكادون يَسْطُون بالذين يتلون عليهم آياتنا**، يخبر عن سفههم وشدة تعنُّتهم وعُتُوِّهم عند تلاوة الآيات عليهم وإقامة الحجج عليهم، حيث قال: **يكادون يَسْطُون بالذين يتلون عليهم**. **يَسْطُون**، قيل: يأخذون أخذا، وقيل: يبطشون بطشا. وقال القُتَبِي: **يَسْطُونَ**، أي يتناولونهم بالمكروه من الشتم والضرب.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: **يكادون يسطون**، أي يقعون بهم. يقال: سطا يسطو[6] سَطْوَة، ورجل ذو سطوة وبطشة، أي ذو قوة وقدرة. قال: ويقال: سطوتُ بفلان، أي أخذته أخذا شديدا؛ وبطشت[7] به، كذلك.

ثم قال: **قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍّ من ذلكم النارُ**، ظاهر الآية ليس بجواب لما تقدم ولا صلته،[8] وليس على الابتداء، ولكن على نازلة وأمر كان منهم لم يذكر لنا ذلك. فأما ابن عباس

---

[1] ع + عز وجل.
[2] ع: لعبادة.
[3] ع + عز وجل.
[4] ن + به.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٥.
[6] ر ع: يسطون.
[7] ر ع: أو بطشت.
[8] م: صلة.

وغيره من أهل التأويل قالوا: إنما نزلت[1] جوابا لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، حيث قالوا: ما نعلم قوما أشقى منكم ولا أقلَّ حظًّا في الدنيا والآخرة منكم.[2] حيث رأوهم قد حُظرت[3] الدنيا عليهم لم يُعطَوْا من الدنيا شيئا، فنزل جوابا لهم: **قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍ من ذلكم النارُ.**[4] وقال بعضهم: هو جواب قوله: **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا. قل أفأُنَبِّئُكم بشرٍ من ذلكم النارُ**، كقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ الآية.[5]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٧٣]

وقوله: **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**، قد ذكرنا معنى ضرب الأمثال والحاجة إليها.[6] وذلك أن العقول يجوز أن يعترض ما يستر عليها سبيل الحق ويحجب عنها إدراك الحق، فضَرَب الأمثال ليرفع عنها ذلك الحجاب والستر ليدرك العقول سبيل الحق، وإلا لم يجز أن لا يدرك العقول لما جعلت العقول له من درك الحق، لكن يمنع عن درك الحق وسبيله ما ذكرنا من اعتراض السَّوَاتِر والحُجَب، فينكشف ذلك بما ذكرنا من الأمثال.

ثم في هذا المثل وجهان. أحدهما يخبر[7] عن تسفيه أحلامهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق أضعف خلق، وهو ما ذَكَر **لن يخلقوا ذُبَابًا ولو اجتمعوا له**، وتركِهم عبادة من هو خالقهم وخالق جميع الخلائق. والثاني يخبر عن قطع ما يأمُلون ويطمَعون من عبادتهم الأصنام، حيث قال:[8] **وإن يَسْلُبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**، ويتركون عبادة من يؤمل منه ويطمع كل خير. **والله أعلم.**

---

[1] ر م: أنزلت.

[2] ر م – ولا أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم.

[3] ع: خطرت؛ م: خطر.

[4] ر + الآية.

[5] ﴿قل هل أُنَبِّئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القِرَدَةَ والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضلُّ عن سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٠).

[6] انظر تفسير قوله: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضةً فما فوقها﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦).

[7] ر ن م: تخبر.

[8] ر ع م: قالوا.

وقوله: **فاستمعوا له**، قال بعضهم: أجيبوا له، وقال بعضهم: استمعوا له استماع من ينظر[1] ويتأمل[2] الحق ويقبله إذا ظهر له الحق، لا استماع[3] من لا ينظر إلى الحق ولا يقبله. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الذين تدعون من دون الله**، قال بعضهم: **تدعون**، أي تعبدون **من دون الله**. وقال: **تدعون من دون الله**، على الدعاء، أي تسمونهم آلهة من دون الله. وقد كان منهم الأمران جميعا: العبادة للأصنام من دون الله وتسميتهم إياها آلهة من دون الله.

وقوله: **لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**، فيه ما ذكرنا من الوجهين: من تسفيه أحلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق أضعف خلق الله وعَجزِهم عما يأمُلون من النفع وعن دفع من يروم بهم الضرر وسلب[4] ما ذكر منها.

/ثم اختلف في قوله: **ضعف الطالب والمطلوب**، قال بعضهم: **الطالب** الصنم، **والمطلوب** هو الذباب، لكن على هذا التأويل يضمر فيه "لو"، أي ضعف الصنم لو كان طالبا. وقال بعضهم: **الطالب** هو الذباب **والمطلوب** هو[5] الصنم. [٥٠١و]

فإن قيل: وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على تأويلهم، أعني هؤلاء. فالصنم ضعيف عاجز على ما وَصَف، وأما الذباب فهو ليس بضعيف، لأنه غلب ذلك الصنم إن كان طالبا أو مطلوبا. فكيف وصفه بالضعف فهو الغالب عليه في الحالين؟ لكنه كأنه رجع قوله: **ضعف الطالب والمطلوب** إلى العابد والمعبود كأنه قال: ضعف العابد عما يَأمُل ويَطمَع من عبادته إياه، وضعف المعبود عن إيفاء ما يُؤمَل ويُطمَع منه. فهذا كأنه أشبه وأقرب إلى التأويل من الأول. ***والله أعلم***.

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٧٤]

وقوله:[6] **ما قدروا الله حق قدره**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عرفوا الله حق معرفته، حيث[7] قالوا له بالشريك والولد والصاحبة وما قالوا[8] فيه مما لا يليق به،

---

[1] ر ع م: نظر.
[2] ر م: وتأويل؛ ن ع: ويأمل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١و.
[3] جميع النسخ: ويقبله ومعناه إذا ظهر له الاستماع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١و.
[4] ر م: والسلب.
[5] ن – هو.
[6] ع + عز وجل.
[7] ر ع م – حيث.
[8] ر ع: ومما قالوا.

لأنهم لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا إليه ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا براءته وتعاليه عن ذلك، لكن حيث لم يعرفوه حق معرفة شبهوه بواحد من خلقه، على ما ذكرنا. وقال بعضهم: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عظموا الله حق عظمته، حيث صرفوا العبادة والشكر إلى غيره، إذ لو عظّموه حق تعظيمه ما صرفوا عبادتهم وشكرهم إلى غير الذي أنعم عليهم، وما أشركوا غيره في ذلك على علم منهم أنه إنما وصلت إليهم تلك النعم من الله لا ممن[1] عبدوه. ***وبالله العصمة والصواب***.

ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم أوامره[2] وقبولها والقيام بها، لا في قوله:[3] يا عظيم يا كبير ونحوه، ولكن على ما ذكرتُ من تعظيم أوامره[4] وقيامه بها. وكذلك المحبة لله[5] إنما تكون في القيام بأوامره[6] وإقباله[7] نحوها والانتهاء[8] عن مناهيه، لا في قوله:[9] أنا حبيبك، أو[10] تصوير شيء في قلبه، ولكن على[11] ما ذكرت. ***والله أعلم***.

وقوله: **إن الله لقوي عزيز**، يحتمل قوله: **إن الله لقوي عزيز**، لنصر أوليائه وجعل العاقبة لهم. **عزيز**، أي منتقم من أعدائه. أو يقول: **لقوي**، لأنه يضعُف جميع الأقوياء[12] عند قوته؛ **عزيز**، يَذِل كل عزيز[13] عند عزته. أو يقول: **لقوي**، لأنه به يَقْوَى من قَوِي، ومنه يستفيد ذلك؛ **عزيز**، لأنه به[14] يَعَزّ من عزّ،[15] ومنه كان ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: من.
[2] جميع النسخ: أموره.
[3] ن + لا في قوله.
[4] جميع النسخ: أموره.
[5] ر: الله.
[6] جميع النسخ: بأموره.
[7] ن م: وإقبالها.
[8] م: والانتها.
[9] جميع النسخ: لا فيما في قوله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٥و.
[10] ر: و.
[11] ع – على.
[12] جميع النسخ: القوي.
[13] جميع النسخ: جميع العزيز، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٥ظ.
[14] ر م – به.
[15] ر ع م: من عزته.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٧٥]

وقوله:[١] **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**، يحتمل قوله: **يصطفي من الملائكة رسلا**، أي اختار رسلا من الملائكة إلى الملائكة[٢] في بعض ما امتحنهم من أنواع العبادات له والطاعات، بعث منهم إليهم رسلا بتبليغ ذلك، على ما اختار من الناس رسلا إليهم فيما امتحنهم. ويحتمل اصطفى رسلا من الملائكة إلى الرسل من الإنس؛ **ومن الناس**، أي اختار منهم أعني من الناس رسلا إلى الإنس -والله أعلم- كقوله: اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[٣]

وقوله: **إن الله سميع بصير**، جائز أن يكون قوله: **بصير**، بمن[٤] يصلح للرسالة ومن لا يصلح، **وبصير** بمن[٥] اختار لها ومن لم يختر؛ **سميع**، لما يتلقى المرسَلُ إليه الرسولَ من الإجابة والقبول والرد والتكذيب، وأنه على علم منه بالرد والتكذيب أرسل. وفيه دلالة أنه إنما اصطفاهم للرسالة لا بشيء يستوجبون منه ذلك، ولكن إفضالاً منه وإنعاما منه[٦] حيث قال: **الله يصطفي** كذا. وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا: لا يختار للرسالة إلا من كان منه ما يستحق ذلك.[٧]

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٧٦]

وقوله:[٨] **يعلم ما بين أيديهم**، يحتمل[٩] قوله: **ما بين أيديهم**، أي يعلم ما كان قبل أن يخلقهم؛ **وما خلفهم**، بعد ما خلقهم.[١٠] وقال الحسن: **يعلم** بأوائل أمورهم وبأواخرهم. وقال بعضهم: **ما بين أيديهم**، من الدنيا؛ **وما خلفهم**، من الآخرة. وقال بعضهم: **ما بين أيديهم**، من الآخرة؛ **وما خلفهم**، من الدنيا. وجائز أن يكون قوله: **يعلم ما بين أيديهم**،

---

[١] ع + عز وجل.
[٢] ر ع م – إلى الملائكة.
[٣] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[٤] جميع النسخ: لمن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[٥] جميع النسخ: لمن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[٦] ر م – وإنعاما منه.
[٧] ر ع م – حيث قال الله يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا لا يختار للرسالة إلا من كان منه ما يستحق ذلك.
[٨] ع + عز وجل.
[٩] ر م – وقوله يعلم ما بين أيديهم يحتمل.
[١٠] ع – بعد ما خلقهم.

ما عملوا[1] بأنفسهم في حياتهم؛ **وما خلفهم**، ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم، كقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ؛[2] مَا قَدَّمَتْ، ما عملوا هم؛[3] وما أَخَّرَتْ، ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم. وجائز أن يكون لا[4] على حقيقة بين الأيدي والخَلْف،[5] ولكن على التمثيل، أي[6] لا يخفى عليه شيء من أفعالهم وأقوالهم. **وإلى الله تُرجَع الأمور**، قد ذكرنا معناه فيما تقدم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٧٧]

وقوله:[7] **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير**، في الآية دلالة أن الإيمان هو شيء خاص وشيء واحد، لا اسمُ جميع الخيرات، وهو التصديق؛ لأنه أثبت لهم اسم الإيمان، ثم أمرهم بالركوع والسجود وفعلِ الخيرات. لأن جميع المخاطبين بهذه الآية عرفوا من خوطب بها، فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان لا يُعرَف المخاطبُ بها، لأنه لا يقدر أحد على جميع الخيرات. فدل أنه شيء معروف خاص مما يرجع صاحبه إلى حد المعرفة، حيث عرَف المخاطب به. ***والله أعلم***.

ثم يحتمل قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير**، وجوها. أحدها أن اجعلوا ركوعكم وسجودكم وعبادتكم عبادة لله، لا تشركوا فيها غيره على ما أشرك أهل مكة وغيرهم[8] من الكفار[9] في عبادتهم غيره، وهي الأصنام التي عبدوها.

[٥٠١ظ] والثاني **اعبدوا ربكم** بالأسباب والأشياء التي عرّفكم أنها عبادة. وكذلك افعلوا / الخيرات التي عرّفكم أنها خيرات.

والثالث أن اجعلوا أحوالكم التي أنتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى، واجعلوا تقلُّبكم أيضا للمعاش الذي أبيح لكم وأذن فيه عبادةً لله.[10]

---

[1] ر ع: ما علموا.
[2] سورة الانفطار، ٨٢/٥.
[3] م: ما عملوهم.
[4] ن - لا.
[5] ر ع: ولا خلف.
[6] جميع النسخ - على التمثيل أي، والزيادة من *الشرح*، ورقة ١١٥ظ.
[7] ع + عز وجل.
[8] جميع النسخ: وغيره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١١٥ظ.
[9] ر: من الكفارة.
[10] ر ع م - لله.

فالأول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله عبادة[1] نصًا. والثاني هو الذي يصيِّره عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع أحواله مؤدِّيَ عبادة. وهكذا الواجب على المرء أن يكون في جميع ما يؤدي من النوافل من الصلاة والصيام وغيره مؤدِّيَ فرض، وهو أن يؤدي[2] جميع ذلك بنية الشكر لنعمه وتكفيرًا لمعاصيه.[3] وكلاهما لازمان واجبان، فإن فعل ذلك كان مؤدي لازمٍ. *والله أعلم*.

وقوله: **لعلكم تفلحون**، ظاهره خرج على الترجي، وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا فيما تقدم.

[٥٠١ظ س١٥] *وقال عامة أهل التأويل في قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم**، أي وحِّدوا ربكم [و] اجعلوا[4] كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا. فيكون ذكر العبادة ههنا كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[5] كأنه قال: **يا أيها الذين آمنوا** وحِّدوا **ربكم**.

ثم اختلف في قوله: **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا**، قال بعضهم: فيه وجوب سجدة التلاوة على ذلك. وهي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فُضِّلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور،[6] فمن لم يسجدهما فلا يقرأها.»[7] وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها يسجد فيها مرتين، ثم قال ما ذكرنا.[8] وتأويله عندنا أن [السجدتين في] قوله: «فضلت بسجدتين» السجدة التي هي من صلب الصلاة وسجدة التلاوة في أول السورة،[9] «فمن لم يسجدهما فلا يقرأها» والأصل[10] في وجوب سجدة التلاوة أن كل سجود ذكر في القرآن للخضوع لله فهو واجب للتلاوة لازم له، وكل سجود كان الأمر به بحق[11] سجود الصلاة فإنه لا يلزمه السجدة للتلاوة. فالأمر بالسجود في قوله: **اركعوا واسجدوا** أمر بسجود الصلاة لا غير، لم يلزم تالِيَه السجودُ بالتلاوة، *والله أعلم*.* [٥٠١ظ س٢٤]

---

[1] ر ع م - عبادة.
[2] ر: أن يؤادي.
[3] ر ن م: لمعصية.
[4] ر ع: جعلوا؛ ن: وجعلوا.
[5] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[6] ر: من السورة.
[7] ن ع م: فلا يقرأهما. *الموطأ* لمالك، القرآن ٣؛ و*المستدرك* للحاكم، ١/٢٢١.
[8] ر: ما ذكرناه.
[9] سورة الحج، ١٨/٢٢.
[10] جميع النسخ: وأصله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.
[11] ر م: لحق.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠١ظ/سطر١٥-٢٤.

[٥٠٢و س٣٨ *وقال بعضهم: في قوله: اركعوا واسجدوا، أي صلوا لله، كقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ،[1] يقول: [وإذا قيل لهم:] صلوا لا يصلون. وقال قتادة: اركعوا واسجدوا، قال: [٥٠٢ظ] لا صلاة إلا بركوع؛ وإن أقواما / أحدثوا بِدَعا يسجد أحدهم مائة سجدة لا يركع فيهن. وكان يقال: ثلاث مما أحدث الناس: رفع الأيدي في الدعاء، والأصوات عند المسألة، والاختصارُ ٥٠٢ظ س٢] في السجود. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لا يصلح سجود إلا بركوع."*

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٧٨]

وقوله: **وجاهدوا في الله حقَّ جهادِه**، ليس لحق الله غايةٌ يوصَل[3] إليها، وكذلك قوله: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ،[4] لأنه لو كان لحقِه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون بوفاء ذلك ويُتوهم منهم المجاوزة عن ذلك، إذ كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه. فإذ[5] لم يحتمل المجاوزة دل أن حقه ليس بذي حد وغاية. ويكون تأويل قوله: **وجاهدوا في الله حق جهاده**، وحَقَّ تُقَاتِهِ، حقه الذي احتمل وُسْعُكم وبِنْيَتكم وطاقتكم، كقوله: فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ،[6] فيكون هذا تفسيرا[7] لقوله: حَقَّ تُقَاتِهِ، **وحقَّ جهادِه**.

ثم يحتمل قوله: **وجاهدوا في الله**، أي جاهدوا أنفسكم في شهواتها[8] وأمانيِّها، أو **جاهدوا** أعداء الله[9] في دفع الوساوس[10] والمحاربة معهم.

---

[1] سورة المرسلات، ٧٧/٤٨.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٢و/سطر٣٨ - ٥٠٢ظ/سطر٢.

[3] ن ع: موصل.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقَاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٢).

[5] جميع النسخ: فإن.

[6] سورة التغابن، ٦٤/١٦.

[7] ع: تفسير.

[8] ر ن م: في شهوتها.

[9] ن: أعداءه في الله.

[10] ر ن م: الوسواس.

وقوله: **هو اجتباكم**، يحتمل وجهين. أحدهما هو اجتباكم للإيمان والهدى والتوحيد، أو **هو اجتباكم** جنسا من أفضل الأجناس وأكرمكم[١] من بين سائر الأجناس، كقوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.[٢]*

وقوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، يحتمل تأويله[٤] وجوها. أحدها أن عليهم معرفةَ وحدانية الله وألوهيته وتعاليه عن الأشباه والشركاء، وعليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها له والخضوع له في كل وقت وإن لم يبعث الرسل. لكنه بفضله ورحمته بعث إليهم الرسل ليكون أيسر عليهم معرفة ذلك وأهونَ، والقيام بأداء ذلك أخفَّ، لأن معرفة الأشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل أيسرُ والإدراكَ أهونُ من معرفتها بالنظر والتفكر. وهو ما قال: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا،[٥] أخبر أنه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان إلا قليلا. والقليل الذين استثناهم الذين يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر. وذلك لا يُعرف إلا بجهد وتكلف. فعلى ذلك قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**. ولكن بعث إليكم الرسل ليكون أوضح لسبيل الحق ومعرفته، وإن كان له أن لا يرسل ويكلّف ذلك بالنظر والتفكر.

والثاني لم يجعل **عليكم في الدين من حرج**، في[٦] قطع ما يقع لهم الحوائج وتحريم كل أنواع المطاعم والمشارب[٧] واللباس عليكم، لكنه إذا حرم نوعا منها أباح نوعا آخر بإزائه مما يسد به حاجته ويُزيح به علته. ولو حرم كل أنواعها لكان[٨] حرجا في الدين وضِيقًا.

والثالث لم يجعل عليهم من العبادات والفرائض التي كلفهم بها والقيام بأدائها ما لا يحتمل وسعهم ولا بِنْيتهم، ولا حمل عليهم أمورا شاقّة خلاف ما عليه طباعهم وأمر معاشهم.

[١] ر ع م: وأكرمهم.
[٢] سورة الإسراء، ١٧/٧٠.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠١ظ/سطر١٥-٢٤.
[٤] م + تأويله.
[٥] سورة النساء، ٤/٨٣.
[٦] م - في.
[٧] ع: والمسارب.
[٨] ر ن م: كان؛ ع - كان.

ولكن كلفهم بعبادات احتمل بها[1] وُسعُهم وبِنيتهم، وحمل عليهم أمورا غيرَ شاقة موافِقةً لما عليه أمر معاشهم وطباعهم، وإن بعُد ونَأى عنهم.[2]

والرابع أنه لم يَجعل توبتَهم عما ارتكبوا من المعاصي والمآثم قَتْلَ بعضهم بعضا[3] وإهلاكَ بعضهم بعضا، على ما جعل ذلك لقوم حيث قال[4] لهم: فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[5] [٥٠٢و] ولو كلّف ذلك لكان[6] / حرجا في الدين، وأمثال ذلك.

والخامس جائز أن يكون قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حَرَج**، أي من شك وشُبَهٍ، أي قد أزاح عنكم الشُّبه والشك بالحجج والبراهين التي أقامها لكم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[7] **مِلَّةَ أبيكم إبراهيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الأمر،[8] أن الزَموا ملة إبراهيم. والثاني أن هذا الذي ذكر هو ملة أبيكم إبراهيم.

وقوله عز وجل:[9] **هو سمَّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا**، اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: قوله: **هو سماكم**، أي الله سماكم المسلمين. وقال بعضهم: إبراهيم **هو سماكم المسلمين من قبلُ**، حيث قال: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[10] ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان من ولد[11] إسماعيل، وقد دعا له ولذريته بذلك. وقوله: **من قبلُ وفي هذا**، قال بعضهم: **من قبلُ**، في الكتب المتقدمة

---

[1] ع + بها؛ م – بها.

[2] ر م: عليهم. يقول الشارح رحمه الله: «فإن العبادات البدنية فيها قيام وركوع وسجود؛ وهذه أفعال يأتي المرءُ بمثلها في أمور معاشه. وكذلك الحج، وإن كان قطع مسافة بعيدة فالمرء قد يقطع المَفاوز والبحار لطلب الأرباح، لم يكن مما ينفر عن ذلك طباعُهم كل المفاوز؛ فذلك الجهاد، فإن المرء قد يدفع عن نفسه وماله بالقتال. فكذلك العبادات المالية من جنس ما يفعلها المرء من الإحسان والإنعام على الغير المحتاج وغيره. وإذا كان هذه العبادات من جنس أفعال لا ينفر عنها الطباعُ -لا من الجنس الذي ينفر عنه الطباع- لم يكن في الدين حرجٌ وضيق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١٢و).

[3] ن م: بعض.

[4] جميع النسخ: قالوا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢و.

[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٤).

[6] جميع النسخ: كان.

[7] ع – عز وجل.

[8] ن: على أن الأمر.

[9] ر – عز وجل.

[10] سورة البقرة، ٢/١٣٢.

[11] ن – كان من ولد إسماعيل.

وفي هذا، أي في القرآن. وقال بعضهم: **من قبلُ**، في الأمم الذين كانوا من قبل، لأنه ما من قوم وأمة إلا وفيهم[١] مسلمون مسَمَّوْن[٢] بهذا الاسم. **وفي هذا**، في قومه، أي كنتم مسَمَّيْن[٣] بهذا الاسم في الأمم الخالية. كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،[٤] أي كنتم خير أمة في الأمم التي كانت من قبل أنها تخرج في هذا الوقت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل:[٥] **ليكون الرسول شهيدًا عليكم**، قال قائلون: **عليكم**، بمعنى لكم. وذلك جائز في اللغة، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[٦] أي للنُّصُب. فعلى ذلك جائز في هذا **عليكم**، أي لكم، ويكون تأويله: **يكون الرسول** لكم **شهيدا** بالتصديق له؛ **وتكونوا** أنتم **شهداء** للناس[٧] بالتصديق لرسول الله، إذا صدقتم إياه. وقال بعضهم: **ليكون الرسول شهيدا عليكم**، بمعنى عليكم[٨] وتأويله: يكون **شهيدا عليكم** إذا خالفتموه و لم تصدقوه؛ **وتكونوا** أنتم إذا صدقتم رسولكم ووافقتموه **شهداء على** سائر **الناس** إذا كذبوا رسولهم أنهم كذبوه وخالفوه. وفي هذه الآية دلالة [أن] اتفاق قرنٍ حجةٌ على من بعدهم، حيث جعلهم شهداء على من بعدهم[٩] ومن قبلهم. وقد ذكرنا تأويل [مثل هذه] الآية في سورة البقرة.[١٠]

وقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، فإذا أراد الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة ففي الأمر بإقامة الصلاة أمر بإصلاح ما بينهم وما بين ربهم؛ وفي الزكاة إصلاح ما بينهم وبين الخلق، كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.[١١] وفي حرف عبد الله بن مسعود: "إن الصلاة تأمر بالعدل[١٢] وتنهى عن الفحشاء والمنكر."[١٣]

---

[١] ع: وفيكم.
[٢] ر ع م: متسمون.
[٣] ر ن م: متسمون؛ ع: متسمين.
[٤] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[٥] ر ن ع – عز وجل.
[٦] سورة المائدة، ٥/٣.
[٧] ع: على الناس.
[٨] في معناه الأصلي، أي لا "لكم".
[٩] ر + حيث جعلهم شهداء على من بعدهم.
[١٠] انظر: تفسير سورة البقرة، ٢/١٤٣.
[١١] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.
[١٢] وفي *كتاب المصاحف* لابن أبي داود: "بالمعروف".
[١٣] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٧٢.

وقوله: **واعتصموا بالله**، قال بعضهم: بدين الله. وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله: **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير** إلى ما ذَكَر، فكأنه يقول: **اعتصموا** بالذي ذَكَر. وأصل الاعتصام هو الالتجاء[1] إليه، فكأنه قال: **اعتصموا** به من كل ما نهى عنه من الشرور وبكل ما أمر به من الخير.

وقوله: **هو مولاكم**، قال الحسن: هو مولى كل من تولاه بالطاعة. وقال بعضهم: المولى الناصر،[2] أي هو ناصركم وحافظكم. **فنعم المولى ونعم النصير**، المانع، والنصير المنتصر، ينتصر لهم من أعدائهم، ويمنع عنهم الأعداء. وجائز أن يكون قوله: **هو مولاكم**، أي ربكم وسيدكم، كما يقال لمولى العبد: هذا مولاه وسيده. *والله أعلم*.

ويكون في قوله: **ليكون الرسول شهيدا عليكم**، أنه قد بلّغكم **وتكونوا شهداء على الناس**، بأن الرسل[3] قد بلّغتهم.

قال أبو عَوْسَجَة: **ما قدروا الله حق قدره**، أي ما عرفوا الله حق معرفته. يقال في الكلام: ما قدرتُك حقّ قدْرِك، أي ما عرفتك حقّ معرفتِك. وقالوا: الحرج، الضيق[4] في هذا. وفي غير هذا الموضع قيل: هو شك [كما] في قوله: فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ،[5] أي شك. والضيق إنما يكون من الشك، إذا شك في شيء ضاق صدره فيه. قال أبو معاذ: وأصل الحَرَج في كلام العرب شجر من شَوْك مُلْتَفّ، والواحدة حَرَجة.[6] ومنه:[7] حَرَجة سَلَم.

وقوله: **هو اجتباكم**، أي اختاركم. وفي حرف ابن مسعود وأُبَيّ: هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا.[8] وهذا يؤيد تأويل من يقول: **هو سماكم المسلمين**، أي الله سماكم.

وقال بعضهم: في قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، قال: لم يفرض الله على هذه الأمة شيئا إلا جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار، مثل التيمم إذا لم تجد[9] ماء؛

---

[1] ن: التجاء.
[2] ر م: النصير.
[3] ر ع م: بأن الرسول.
[4] م: الضعيف.
[5] ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢).
[6] الحرج فيما فسر ابن عباس هو الموضع الكثيرُ الشجر الذي لا يصل إليه الراعية... والحَرَجة: الشجر الملْتَف، وهي أيضا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة. والحَرَجة: مجتمع شجر (*لسان العرب*، «حرج»).
[7] ر ع م: منه.
[8] ر م - وفي هذا. لم أجده.
[9] جميع النسخ: إذا لم يجد.

وتصلي[1] قاعدا ومضطجعا في المرض؛ وتفطر إذا كنت مريضا ونحو هذا.[2] ليست[3] فريضةٌ إلا فيها رخصة، ولم يكن من قبل ذلك. وهو قول مقاتل بن حيّان.[4] وقال قتادة: قوله: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**، أي ضيق. قال: أُعطِيت هذه الأمة ثلاثا لم يُعطَها إلا نبي: كان يقال للنبي: اذهب فليس عليك حرج، وقال الله لهذه الأمة: **وما جعل عليكم في الدين من حرج**؛[5] وكان يقال للنبي: أنت شهيد على قومك، وقال الله لهذه الأمة: **وتكونوا شهداء على الناس**؛ وكان يقال[6] للنبي: سَلْ تُعطَه،[7] وقال الله تعالى لهذه الأمة: ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ.[8]*

والله أعلم بالصواب.[10]

---

[1] ر ع م: ويصلي.

[2] جميع النسخ: في نحو هذا.

[3] ر ع م: ليس.

[4] مقاتل بن حيّان (ت: ١٥٠هـ/٧٦٧م): روى عن مجاهد وعروة والضحاك، وله كتاب في التفسير (*طبقات المفسرين* للداودي، ٢/٣٢٩-٣٣٠).

[5] م – أي ضيق قال أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال الله لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج.

[6] ن: يقال.

[7] في حديث الشفاعة المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «... فأستأذِنُ على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيَدَعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفَّع.» (*صحيح البخاري*، التوحيد ١٩، الرقاق ٥١).

[8] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٢و/سطر٣٨ – ٥٠٢ظ/سطر٢.

[10] ر + وإليه المرجع والمآب وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن م – والله أعلم بالصواب.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

– *إتحاف فضلاء البشر،*

تأليف أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء، تحقيق علي محمد الضباع، القاهرة – بدون تاريخ (نشر عبد الحميد أحمد حنفي).

– *أسد الغابة*

... *في معرفة الصحابة،* تأليف عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجوزي المعروف بابن الأثير، القاهرة ١٩٧٠.

– *الإصابة*

في تمييز الصحابة، تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

– *إنباه الرواة*

... *على أنباء النحاة،* تأليف أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم ابن القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٨٦.

– *الانتصاف*

لما تضمنه الكشاف من الاعتزال، تأليف الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري، بيروت – بدون تاريخ (دار المعرفة، بهامش *الكشاف*).

– *تأويلات أهل السنة،*

تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، بيروت ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

– *تفسير ابن عباس ومروياته*

في التفسير من كتب السنة، إعداد عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، مكة المكرمة – بدون تاريخ (جامعة أم القرى).

– *تفسير ابن كثير*

... المسمى *تفسير القرآن العظيم،* تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، إستانبول ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

– *تفسير الإمام مجاهد بن جبر،*

إعداد: م. عبد السلام أبو الخيل، دار الفكر الإسلامي، مدينة نصر ١٩٨٩.

– **تفسير البغوي**
... المسمى *معالم التنزيل*، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغوي، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

– **تفسير الجلالين؛**
تأليف جلال الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي وأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد السيوطي، مراجعة مروان سوار، بيروت – بدون تاريخ (دار المعرفة).

– **تفسير الحسن البصري؛**
جمع وتوثيق ودراسة محمد عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٢.

– **تفسير الزمخشري**
... المسمى *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تحقيق محمد مرسي عامر، القاهرة – بدون تاريخ (دار المصحف).

– **تفسير الضحاك؛**
تأليف الإمام أبي القاسم ضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي، القاهرة ١٩٩٩.

– **تفسير الطبري**
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، بيروت ٢٠٠١.

– **تفسير غريب القرآن؛**
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

– **تفسير القرطبي**
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، اعتناء وتصحيح: هشام سمير البخاري، بيروت ١٤١٦/١٩٩٥.

– **تفسير مقاتل؛**
تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمد شحاته، القاهرة ١٩٨٣.

– **تهذيب اللغة؛**
تأليف أبي منصور محمد بن أحمد بن الازهر الهروي، المعروف بالأزهري، بيروت ٢٠٠١.

– **الثقات؛**
تأليف محمد بن حبان بن أحمد التميمي، بيروت ١٩٧٥.

– **الدر المنثور**
... *في التفسير بالمأثور*، تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٨٣.

- *زبدة العرفان* للبالوي؛
تأليف عبد الفتاح بالوي، إستانبول - بدون تاريخ (Hilâl Yayınları).
- *سنن البيهقي الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة طوبقابي سرايي، قسم مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179].
- *صحيح البخاري*
الجامع الصحيح، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *الصحاح*
... *تاج اللغة وصحاح العربية*، تأليف أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، المملكة العربية السعودية ١٩٨٢.
- *صحيفة علي بن أبي طلحة*
... المسمي بتفسير *ابن عباس*، إعداد راشد عبد المنعم الرجال، بيروت ١٩٩١.
- *طبقات المفسرين*؛
تأليف شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، بيروت - بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *فتح الباري*
شرح صحيح *البخاري*، تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، بيروت - بدون تاريخ (دار المعرفة).

- *فرهنك فارسي عميد؛*
تأليف حسن عميد، تهران ١٣٨١.

- *الفهرست؛*
تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم، بيروت - بدون تاريخ (دار المعرفة).

- *كتاب التوحيد؛*
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق بكر طوبال أوغلي - محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

- *كتاب السبعة*
... في *القراءات*، تأليف أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة - بدون تاريخ (دار المعارف).

- *كتاب المصاحف؛*
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.

- *كشف الخفاء*
... *ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*، تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني، تحقيق يوسف بن محمود الحاج أحمد، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- *كشف الظنون*
... عن *أسامي الكتب والفنون*، تأليف كاتب چلبي مصطفى بن محمود القسطنطيني المعروف بحاجي خليفه، إستانبول ١٩٧١.

- *لسان العرب؛*
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- *مسند أحمد بن حنبل؛*
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ وتحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩/١٩٩٩.

- *معجم القراءات القرآنية؛*
تأليف عبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، الكويت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- *مجاز القرآن؛*
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق Fuat Sezgin، القاهرة ١٩٥٤.

- ***محاضرات الأدباء***
... *ومحاورات الشعراء والبلغاء*، تأليف أبي القاسم الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الإصفهاني، بيروت - بدون تاريخ (دار مكتبة الحياة).

- ***المستدرك***
... *على الصحيحين*، تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٩٩٠م.

- ***مصنف ابن أبي شيبة***؛
تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.

- ***معاني القرآن وإعرابه***؛
تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- ***معجم البلدان***؛
تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي المعروف بياقوت الحموي، القاهرة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م.

- ***المعجم المفهرس***
لألفاظ القرآن الكريم، إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

- ***المعجم الوسيط***؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٩٦٢م.

- ***مفاتيح الغيب***؛
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، بيروت ١٩٩٢م.

- ***مناهل العرفان***
... *في علوم القرآن*، تأليف مصطفى عبد العظيم الزرقاني، بيروت ١٩٩٦م.

- ***المنجد***
... *في اللغة والأدب والعلوم*، تأليف لويس معلوف، بيروت ١٩٦٦م.

- ***الموطأ***؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- ***النهاية في غريب الحديث***
والأثر، تأليف أبي السعادات ابن الأثير مجد الدين مبارك بن محمد بن محمد، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمد محمود الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- ***وفيات الأعيان***
... *وأنباء أبناء الزمان*، تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ